

احسان عبد القدوس

شيء في صدري

الناشر : مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي أنبالا

مسجد جوده السحار وشركاه

دار مصر للطباعة

٣٧ شارع حكيم صدقي

- ١ -

حبيبتي هدى ..

هل فوجئت وأنا أناديك : حبيبتي ؟ هل ارتفع حاجبك فوق عينيك ، وانفجرت شفتاك ، كأنك ذعرت ؟ !

أرجوك .. لا تذعري .. ولا تدعى المفاجأة ترسم هذه الخطوط المبهمة فوق وجهك الجميل .. حاولي أن تحتفظي بهدوئك .. وأن تحتفظي بابتسامتك الحزينة الضعيفة .. ولا تدعيني أزداد إحساسا بأنني أثمت بحبك .. هذا الإحساس الذي عاينته وشقيت به مدى عشر سنوات ، ولم أعد أحتمل منه المزيد .. اني لم أعد أحتمل ، فاني أموت .. كما تعلمين !!

هل استمدت ابتسامتك قبل أن تستمري في قراءة خطابي الطويل ؟ اذن .. دعيني أناديك مرة ثانية : حبيبتي هدى !
كم مرة ناديتك : حبيبتي ؟

بالضبط .. خمسة ملايين ومائتين وستة وخمسين ألف مرة !!

لا تضحكي .. فاني لا أستطيع أن اتخلص من هواية الأرقام ، حتى عندما أحب ، وحتى وأنا ملقى على سرير الموت .. وهذا الرقم هو عدد الدقائق في مدى عشرة أعوام .. وقد كنت أناديك « حبيبتي » في كل دقيقة .. مع دقائق الساعة ، ومع دقائق قلبي ، ومع دقائق قدمي فوق الأرض في كل خطوة أخطوها

.. حتى عندما انام كانت انفاسى تناديك « حبيبتى » .. وهو دائما نداء خفى ، صامت ، لم يسمعه احد منى .. ولم تسمعه انت ابدا .. نداء يتردد فى صدرى كأنه تسبيح عابد ، ولا يكاد بهم بالاتلاق من بين شفتى ، حتى ازم عليه الشفتين .. ازمهما فى غف وثسوة .. فيعود النداء مرندا الى صدرى ليعيش فيه ، ويعذبني ..

لم يكن من حقى أن أسمع احدا ندائى .. حتى انت .. وقد كنت بجانبك خلال هذه السنوات العشر .. فهل سمعت ندائى .. هل رايت صداه فى عيني وانا أنظر اليك .. هل لمحت قلبى يتهدج فى حديثى معك .. هل احسست بيدي ترتعش وانا اهدا الى يدك ؟ !

لعلك الان تحاولين ان تتذكرى ..

لا تحاولى ..

انك لن تتذكرى شيئا ..

فقد كنت اتسو على عيني حتى لا تفضحا ندائى .. عيناى المسكينتان اللتان ذاب جل نورهما بين الأرقام ، وجللها عمرى بالسواد كأنه كان بعدها للموت !!

وكنت وانا أتحدث معك أقبض على قلبى بضلوعى ، حتى لا يختلج وتتصاعد خلجاته الى لسانى .. قلبى الذى كان يضرب بشدة وقوة ، ثم تخاذل يوم التقى بك ، وبدأ يئن ويتوجع .. كأنه لم يشعر بالشفوخة الا عندما التقى بصباك !

وكنت وانا امد يدي الى يدك ، اهدا مريما واسحبها مريما ، قبل أن تلمسى الرعشة فيها .. يدى المعروفة التى انتشرت فوقها بقع صغيرة غامضة كأنها غبار الزمن حط عليها وتيلور فوقها !! لن يمكنك ان تتذكرى شيئا ، فلم يكن يخطر ببالك أن « عمك حسين » بوقاره ، وهيبته ، ومجده ، وعمره .. يمكن أن يحبك كل هذا الحب .. يحبك وبيريدك .. يريد شفقتك

لشفتيه ، ويريد صدرك لصدرة .. ويريد قلبك لقلبه . يريدك ..
.. أنتهين ماذا يعني العجز عندما يريد .. انه يجمع الحياة
كلها فيما يريد .. انه يجعل ما يريده هو الفاصل بين الحياة
والموت ، .. اما أن يموت أو يحصل على ما يريد .. وإلى هذا
الحد كنت أريدك .. وكنت أحبك .. ولكن حبي لم يكن بخطر لك
على بال .. فلم تحاولي أن تلحظي شيئا في تصرفاتي ، ولم تحاولي
أن تكشفني عن ندائي الخفي اليك .. انما اطمأنتت الى ، ووثقت
بي ، دون شك ولا ريبة .. بل دون أن تسألي نفسك : لماذا
اهتمت بك كل هذا الاهتمام ، ورعيتك بكل هذا الحرص ؟ !
— لماذا لم أعلن حبي قبل اليوم ؟

لماذا كنت ندائي ، وتعذبت به كل هذا العذاب !!
سأروى لك القصة كلها .. لعنك تفهين .. ولملك بعد أن
تفهم تصفحين ..

منذ عشر سنوات ، وعلى وجه التحديد في ١٤ سبتمبر عام
١٩٤٧ ، توفي والدك .. وكان صديقا لي .. وكانت صداقتنا
لا يعرفها الناس ، بل لا تعرفينها أنت ، ولا والدك .. كانت
صداقة من نوع فريد .. فقد كنا زميلين معا في مدرسة الفنون
والصنائع ، منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاما .. وكان يجمعنا
التناقض في كل شيء ..

كان ضعيفا رقيقا كأنه فنان امتص الفن كل قواه ولم يترك
له الا خيالا .. وكنت قويا ممتلئا كأنني من أبطال الرياضة ، رغم
أنني لم أكن أمارس شيئا منها .

وكان هادئا ، طيبا ، خجولا .. وكنت مشاكسا ، جريئا ،
لا يتنفض يوم من أيامي دون أن انتصر أو انهزم ..
وكان شريفا ، يضع للشرف مبادئ صارمة ، وحدودا
ضيقة ، حتى يكاد لا يتحرك في الحياة حرصا على مبادئه

الشرف .. أما أنا فكنت أضع للشرف معاني متساهلة وحدودا واسعة .. كنت أغش في الامتحان ، وأسرق كتب زملائي ، وأنافق المدرسين .. وأنجح بتفوق كل عام !
وقد عرفت في يوم لا أنساه ..

كنت قد مرضت بالتيفويد ، وأنا في السادسة عشرة من عمري ، وقضيت شهرين طريح الفراش .. شهرين غبت فيهما عن الحياة .. كنت خلالهما أعيش في النار .. نار الحمى .. ثم شفيت .. وفادرت البيت لأول مرة ، وسرت في الشارع .. ضعيفا لا تكاد ساقاي تحملاني ، مدهوشا ترتعش جفوني فوق عيني كأنني غريب من هذا العالم .

ووقفت عند محطة الترام ، ورايت والدك .. كان أول وجه أعرفه والتقي به .. كنت أعرف أنه طالب معي في المدرسة ، ولم تكن قد تحادثنا أو تعارفنا من قبل .. ولكنني عندما التقيت بوجهه أحسست أنني التقيت بالحياة .. أحسست أنني لم أعد غريبا في هذا العالم ، فتقدمت منه ، ومددت له يدي ، وشددت على يده في فرحة كأننا أصدقاء قديما التقينا بعد فراق طويل ..

وقلت وكلماتي تقفز فرحا فوق شفتي :

— أزيك !

قال مرحبا !

— أزيك أنت .

ثم أخذنا نتبادل حديثا وادعا عن المدرسة وأحوالها .. وركبنا الترام سويا ..
وأحببته ..

كنت أحب والدك حبا يشكل نوعا غريبا من الصداقة .. لم يكن صديقا أسهر معه ، أو أتناقش معه ، أو حتى ألعب معه .. فلم يكن يطيق سهراتي أو يحتملها ، ولم يكن هناك موضوع واحد يمكن أن يجمعنا في مناقشة ، ولم تكن رفته تسمح له أن

يشاركنى العابى الخشنة .. بل اننا لم نكن نذاكر دروسنا سويا ،
فقد كان طويل البال فى المذاكرة ، يستطيع ان يجلس الى مكتبه
ساعات دون ملل ، أما انا فكنت لا اطيع .. كان ذكائى احد من
ان يصبر على المذاكرة ، فكنت أخطف الدروس خطفا ، وما كنت
اعجز عن خطفه ، كنت أعتبد على الفش !!

وقد حاولت عند اول معرفتى به أن أشده الى .. او على
الأصح ، حاولت أن أسيطر عليه .. حاولت أن أجعله يلتصق
بى ، ويؤمن بى ، ويسلك فى الحياة طريقي .. ولكنه كان قوى
الشخصية .. كانت شخصيته ثقيلة كاملة فى مواجهة شخصيتى
.. ولعله كان أقوى منى فى شخصيته .. وان كانت قوة شخصيته
لا تبدو من خلال رفته ، وضعفه ، ونظراته الهادئة ..

ولم اثر لابائه على .. ولم أكرهه .. فقد كان أبيا بلا غرور
او ادعاء .. وكان يحتفظ بقوة شخصيته لنفسه دون أن يحاول
فرضها على أحد ، حتى انه كان يبدو منطويا وادعا أكثر منه
معترزا بشخصيته ..

وتولد بيننا هذا النوع الغريب من الصداقة ..
كنت أقابله فى الصباح ، فأحييه ، وأتبادل معه بضع كلمات
حول مواد الدراسة .. دائما كلمات جادة وقور كأننا رجال كبار
.. ثم نفترق ولا نلتقى بعد ذلك ..

ورغم ذلك كنت أحس به طول النهار بجانبى ، وكنت دائما
أبحث عنه بمعنى فى فناء المدرسة .. وكأنت أعيننا تلتقى أحيانا
فنبتهس أحدا للآخر من بعيد .. كأنه هو الآخر يبحث عنى ..

ومع الأيام بدأت أحس أنى أتعهد انتزاع أعجابه .. كنت
أحاول دائما أن أبدو محترما مهذبا أمامه .. لم يسمع منى مرة
نكتة خارجة من النكات التى تعودت أن أتبادلها مع بقية زملائى ..
ولم أدعه يرانى وأنا ادخن سجائر الحشيش فى ملعب الكرة ..

ولم يرني أبدا وأنا اسرق كتب الزملاء من ادراجهم في خلال
« النسخ » ..

وكانت أيام المظاهرات — مظاهرات عام ١٩٢٢ — اتف بين
الزملاء لأخاطب فيهم خطبا حماسية وطنية .. وبين كل مقطع
وأخر من الخطبة ، التفت باحثا عنه ، وعندما التقى بعيني
الهندئين العميقين ، انظر فيهما ، كاني أسأله رايه ..
ولم أكن أعرف رايه أبدا ..

لم أستطع يوما أن أتأكد مما إذا كان معجبا بي أم هازئا ..
لم أستطع يوما أن أعرف ما إذا كان راضيا عني أم ساخطا علي ..
كنت أحيانا أعتقد أنه يعرف ما في نفسي ، وأن عينيه العميقين
تتقبان صدرى وتتفذان الى أعماقي لتكشفا ما فيها .. لتكشفا انى
لست وطنيا صادقا ، وأن هذه الكلمات الضخمة الرنانة التى
أقذفها من موى في وجوه الطلبة لا تعبر عن ايماني .. انما هي
مجرد كلمات تمثيلية يقتضيها الموقف ..

ثم كنت أقول لنفسي : « ومن أدراه بحقيقة نفسي .. من
أدراه انى أنتعل هذا الحماس الوطنى ، حبا في الوصول الى
مرتبة الزعامة بين الطلبة ، وحتى أنتخب عضوا في لجنة الطلبة
التنفيذية ، وأشتبك في جمع التبرعات ، وأتعرف الى الزعماء ..
ثم أختلس من التبرعات ، وأستفيد من الزعماء » ..

كنت أقول لنفسي هذا الكلام ، ثم أدير رأسي عنه .. عن
أبيك .. وأستطرد في خطابي الحماسي ، مبالغا في انتقاء الكلمات
الضخمة ، مبالغا في أداء الحركات التمثيلية .. ولكنى لا ألبث
أن أعود باحثا عنه بعيني ، كاني مصر على أن أعرف رايه ..
فلا أرى الا النظرة الهائلة العميقة التى تثقب صدرى ، وابتسامة
ضيقة كأنها فرجة من أمل بعيد لن أصل اليه أبدا ..

وتطورت محاولتى انتزاع إعجابه ورضاه ، الى احساس
آخر .. الى احساس غريب .. بدأت أحس كاني أخاف منه ..

نعم . أخاف ..

أنا الذى كنت أمد بين الطلبة بطلا وزعيما .. أنا الذى لم أعجز أبدا عن الوصول الى شيء أردته .. أنا .. أصبحت أخاف هذا الزمبل الرقيق ، الهادى ، الطيب ، الذى يبدو كفنان امتص الفن كل قواه ولم يترك له الا خيالا ...

ولم اكن أخاف أن يضربنى .. أو يشى بى .. أو يقف فى طريقي . ويا ليتة حاول أن يضربنى أو يشى بى أو يقف فى طريقي .. ولو أنه فعل ، لأعطائى العذر فى أن أخطمه .. واتضى عليه ، واتخلص منه .. اتخلص من حبى له ، ومن محاولتى أرضاءه .. ولكنه لم يكن يفعل .. كان أرق من أن يضرب ، وأظهر من أن يشى ، وأرفع من أن يقف فى طريقي .. وكنت أخافه ..

م كنت أخاف ؟

كنت أخاف شيئا فى صدرى ، تحركه نظرتة الهادئة العميقة ، وابتناسمته الضيقة كدرجة الأمل البعيد .. وعندما يتحرك هذا الشيء أحس بثقل يكاد يكتم أنفاسى .. وأحيانا يكون هذا الشيء حادا كأنه السكين يمزق رئتى ..

كنت أخاف هذا الشيء !

هل تفهمين ؟ !

هل تفهمين ما هو هذا الشيء ؟ !

لا .. انك لم تفهمى بعد .. ولك العذر ، فأنا نفسى لم أفهم الا بعد أن عشت هذا العمر الطويل ، الى أن وصلت الى سرير الموت ..

ولأسرد لك حادثة وقعت لى عندما كنت وأبوك طالبين فى مدرسة الفنون والصنائع .. لملك تفهمين ! كنا نؤدى امتحان الدبلوم .. وأمستك بورقة الاسئلة ، واخذت اقرأ كل سؤال بامعان ، فلم أجد واحدا منها أستطيع

أن أجيب عنه . ولكنى كنت مستعدا لمثل هذه الاحتمالات ..
بل انى لم اكن ادخل الامتحانات الا لأواجه هذه الاحتمالات ..
وفى كل جيب من جيوب سترتى « برشامة » ، اى ورقة صغيرة
.. صغيرة جدا .. كتبت فيها بخط دقيق ، الجواب عن كل سؤال
يحتمل أن أواجه به فى الامتحان ..

ويدات استمد لاجراج اول « برشامة » تحمل الجواب على
أول سؤال ..

ووضعت يدى فى جيبي ..

ولكن ..

لقد توقفت يدى كأنها التصقت بالجيب ...

لماذا توقفت يدى ؟

انى نم اكن أخشى الأستاذ المراتب .. انه واقف بعيدا
بحيث لا يستطيع أن يرانى .. وحتى لو كان واقفا قريبا منى ،
فلم اكن لأحسب حسابه . فقد عودت يدى على خفة الحركة
بحيث لا يستطيع أى مراقب أن يلمحنى ولو كان فوق راسى ..
ان يدى فى جيبي .. واصابعى تقبض على « البرشامة » ..
سأسحبها من الجيب ، وسأسحب معها المنديل ، حتى تبدو حركة
يدى كأنها حركة طبيعية .. ثم سأظاھر بأنى امسح على وجهى
بالمنديل .. ثم أعيدته الى جيبي .. واطل محتفظا بالورقة فى
راحة يدى ، بحيث لا تبدو من بين اصابعى ، ثم ابدأ فى الإجابة
عن السؤال ..

انى أجيد هذه الحركة تماما ..

ولكن يدى لا تزال داخل جيبي كأنها النصقت به ..

لماذا ؟

لماذا .. مرة ثانية ؟

انى أستطيع الآن وأنا فى الخامسة والستين من عمري ،
أستطيع أن أجيب عن سؤال خطر لى وأنا فى العشرين !

لقد تذكرت ساعتها أبك ..

تذكرت زميلي ذا العينين الهادئتين العميقتين ، والابتسامة

الضيقة .. زميلي الذي أحبه ..

هل يرانى وأنا أغشى ؟

ولكن مالى وماله .. لير اذا اراد ان يرى .. انى أواجه

امتحانا قد أرسب فيه .. انى أواجه علما من عمرى يكاد يضيع

منى .. والوقت المخصص للإجابة عن الأسئلة يمر بسرعة ..

يجب ان أخرج « البرشامة » من جيبى حالا .. حالا ..

ولكن يدي لا تزال ملتصقة بجيبى لا تريد ان تخرج منه ..

ويحركه لا ارادية التفت الى أبيك .. وفي نفس اللحظة التى

التفت فيها اليه ، رفع رأسه عن ورقة الإجابة ، ونظر الى بعينه

الهادئتين العميقتين ، وابتسامته الرقيقة الضيقة ..

وأدبرت رأسى عنه بسرعة ، ودغنت وجهى فى ورقة الأسئلة ،

وأنا ألثت .

نعم ألثت ..

أحسست بهذا الشيء الذى حدثتك عنه ، يتحرك فى صدري ..

شيء ثقيل يكتم أنفاسى ، حاد كأنه السكين يمزق فى رئتى ..

وكان على أن أقاوم ..

وقاومت ..

قاومت بشدة ، وبتسوة على نفسى ..

وهذا الألم قليلا .. واسترددت سيطرتى على نفسى .. وبدأت

أحاول من جديد أن أسحب « البرشامة » من جيبى .

ولكنى — بلا ارادة — التفت الى أبيك مرة ثانية .. الى

زميلي الذى أحبه .. ومرة ثانية رأيته يرفع رأسه عن الورق

وينظر الى .. نظرتة الهادئة العميقة ..

وتحرك الشيء فى صدري ..

وبدأت ألثت من جديد ..

وفي خلال ذلك ، كنت أخوض معركة بين ذكائى ، وبين
أبيك .. ذكائى بلع على أن يسيطر على نفسى ، وأن اسحب
« البرشامة » من جيبى .. ثم لا يكاد ذكائى ينتصر حتى أجد
نفسى ألقت الى أبك . وأجد نفسى صريع هذا الشيء الذى
تحركه فى صدرى نظيره الهائلة العبقة ..

وطال ترددى .. وربما وضح على وجهى آثار ما أعانيه
من اضطراب .. فانتبه مراقب لجنة الامتحان ، وجاء الى ووقف
فوق راسى ، وقال كأنه اكتشف جريمة :

— بعمل ايه ؟

وما كنت اسمع كلمته حتى ثرت .. ووقفت سارحا بأعلى
صوتى وأنا انتفض :

— بعمل ايه !! بمر .. بامتنح .. ممنوع السمكير كمان .
اسم عزيزنا مستط .. احنا بيها وببكم ايه .. أنت متقصدنى
ليه .. حرام عليكم .. ده انا بقالى جمعه ما نمش ..

وسرت ثورتى الى باقى الطلبة .. وترددت ههيات المسخط
.. وارتفعت اصوات : « ايه الظلم ده » .. « الأسئلة صعبة »
.. « مش فاهمين الأسئلة » .. « الامتحان مش من المقرر » ..
وارتك الاساذ المراقب الواقف أمامى ..

وجاء رئيس اللجنة مهرولا ..

ولم يكن لدى المراقب دليل على انى اعش فى الامتحان ..
مصرعه رئيس اللجنة .. وهذأت الضجة بعد حين ..

وقد كانت ثورنى ثورة صادمة اتبعثت من كل أعصابى ..
ولكنها لم تكن ثورة على المراقب ، ولكنها فى حقيقتها كانت ثورة
على نفسى .. على صغفى .. على حتى لايبك ومحاولتى
الإحفاظ برضائه وأعصابه ..

وقد ساعدتنى هذه الثورة على تجميع ارادتى ، وعلى انتصار
ذكائى ، فما كاد المراقب ينصرف من حاتنى حتى أخرجت

« البرشامة » ، واجبت عن الأسئلة .. ونجحت في الامتحان
بتعوق .. بل سقت اناك في ترتيب الماجحين !!
هكذا كنت اما وابوك ..

انه نوع غريب من الحب والصداقة .. ورغم ذلك فهو ليس
نوعا غريبا جدا .. ان في حياة كل واحد من الناس مثل هذا
الحب .. ولكن الذين يعانون من هذا الحب قليلون .. وانا
مهم :

فالمرأة — مثلا — عندما تحب تزداد عناية بجمالها ، وتعتمد
ان تكون رشيقة ، انيقة .. لا لان حبسها سلباتها .. فهي
جميلة ، ورشيقة ، وانيقة دائما ، حتى في الأيام التي لن تلقى
فيها حبسها .. انها لا تحاول ان ترضى حبسها ، ولكنها تحاول ان
ترضى الحب نفسه .. تحاول ان ترضى شيئا في صدرها ..
اسمه الحب ..

وكما تحاول المرأة ان ترضى هذا الشيء ، فهي تخافه .. انها
تخاف ان تحدث رجلا آخر ، او تخاف ان يشرب كأسا من
الويسكي .. وقد تكون متأكدة ان رجلها لن يراها .. قد يكون
ممسما وبعده وبينها مئات من الأميال ، ورغم ذلك فهي تخاف ..
تخاف هذا الشيء .. تخاف ان يتحرك هذا الشيء فتحس بثقل يكاد
يكنم اعاسها ، وسكين حاد يمزق رئتيها ..
ومثل آخر ..

ان الاب يخاف ولده .. وقد يكون ولدا صغيرا لا يتجاوز عاما
واحدا من عمره .. ورغم ذلك غالاب يحامه .. وهو في الحقيقة
لا يحاب الولد .. بل يخاف شيئا في صدره بشيره هذا الولد .. شيء
يسمى « الآوة » .. فما ان يصبح اما حتى يحاول ان يكون دائما
محترما .. مهانا .. ويحاول ان يتخلص من خطاياه وعيوبه ..
وكما يخاف هذا الشيء فهو يحاول ان يرضيه .. يحاول ان
يتقدم في عمله ، وان يرتفع بنفسه ، وان يكون انسانا كاملا ..

واكثر من ذلك ..

قد يكون للانسان صديق .. وقد يكون هذا الصديق اضعف
من في حياته من الاصدقاء .. واقلهم سموا .. وقد لا يكون في
حاجة مادية اليه .. ورغم ذلك فهو يحاول دائما أن يبدو محترما
امام هذا الصديق دون باقي الاصدقاء .. انه يعتمد الا يبدو
محمورا امامه ، ويعتمد الا يدعه يراه وهو جالس الى مائدة
التمار ، ويعتمد أن يخفى عنه خطاياها .. ان هذا الصديق يحرك
الشيء الذي يعيش في الصدر ..

وفي صدر كل انسان هذا الشيء ..

ولكن ليس كل انسان يتعذب به ..

ان الانسان لا يتعذب بهذا الشيء ، اذا استطاع ان يستسلم
له ، او استطاع ان يقضى عليه ..
لما انا غلتي اتعذب به ..

اتعذب به : لاني لم استطع ان استسلم له ، ولا ان افضى
عليه .. اما عشت اقاومه ويقاومني .. واتعذب !
هل تمهينني يا هدى ؟ !

اسى اعلم اني احادتك معتلية رجل في الخامسة والستين من
عمره لم يتعود ان يهرع عن امواله بقله .. لم ينعود الا كتابة
انشيكات .. ولم ير نمسه على حقيقتها الا عندهما أصبح قريبا جدا
من السماء . ولم يعد بينه وبين قبره سوى بصعة انفاس ..

بعم ، اسى ارى الآن نفسي على حقيقتها .. ارى النفس
الشرية .. وقبل اليوم لم اكن اراها .. لم اكن ارى هذا
« الشيء » الذي احذثك عنه ..

لم اكن اراه ..

ولم اكن اعرفه ..

لم اكن ارى الا اناك . ولم اكن اعرف ان اناك هو هذا
الشيء !! وقد قضيت حياتي كلها احاول ان ارضي اناك ،

فلا أستطيع .. وأحاول أن أنظم منه .. أن أسحقه ..
فلا أستطيع !

وفد خرجت أنا وأبوك في مدرسه الفنون والصنائع ..
ولم أحاول أن ألحق بوظيفه حكومية .. كما فعل أبوك ..
كان ذكسى وإقبالى على الحياه أكثر من أن تتسع له وظيفة
حكومية .. فقررت أن أشتغل مقاولا .. وكانت أسر المقاولات
وأكثرها ربحا مقاولات الجيش البريطانى .. جيش الاحتلال !
ومكثت ساعتها في أبيك ..

هل يقلل أن يشاركنى .. وهل العمل مع الجيش البريطانى
سعر انحراما عن الوطنية .. وواجهتنى نظرة أبيك الهادئة
العميقة .. وأحسست أنى مقتل على ارتكاب جريمة .. بدأت
أحس بهذا الشيء الذى يكاد يكتم أنفاسى .. ولكن ذكائى ثار
على هذا الشيء .. أن كثيرين من المصريين يولون مقاولات
الجيش البريطانى .. لماذا لا أكون واحدا منهم .. ورعاه
البلد إلا سقاوولون مع بريطانيا .. لماذا ذهب سعد زعول الى
المعتد البريطانى ؟ ! ليعقد معه معاهدة .. وما هى المعاهدة ؟
البيت هى مقاوله تحقق مصلحة مصر ومصلحة بريطانيا ..
وأنا أيضا سأعقد معاهدة صغيرة مع بريطانيا .. معاهدة تحقق
لى مصلحة ، وتحقق لهم مصلحة .

وقد كنت محابجا الى هذا المنطق حتى أستطيع أن اتغلب به
على خوفى من أبى ومحاولتى إرضاءه .. وأسرعتم بالتدافع
عجيب ، وتعرفت بأحد ضباط الجيش البريطانى .. ودعونه
الى سهرة ، قدمت له فيها الخمر ، والنساء ، وصداقتى ..
وفى صباح اليوم التالى ، حصلت على عقد مع الجيش
البريطانى لتوريد عمال لعملية شق طريق داخل معسكرات جيش
الاحتلال ..

وكنيت في حاجة الى رأس مال صغير .. استطعت أن أتصرعه بسهولة من بعض الأصدقاء ..

وقبل أن أسافر الى مقر على الجديد بيوم واحد .. ذهبت إلى أهلك .. لماذا ذهبت إليه .. لا أدري .. ولكني ذهبت إليه .. وعرضت عليه أن يشاركني في المقولة التي حصلت عليها بنسبة النصف ، دون أن يدمع شيئا من رأس المال .. ولم يكن العمل في حاجة إليه .. ولم تكن له كفاية ممتازة بفرى باستغلاله .. ولكني كنت أرده معي .. كأنه يستطيع أن يحميني من شيء أخافه .. كأنه يستطيع أن يسعدني بشيء أنا في حاجة إليه .. ولكنه رفض .. نعم ، رفض .. رفض وانضمامه الصيقة كالأمل البعيد لا تزال غوى شسسه ، وبطوره الهادئة العميقة لا تزال في عينيه .. رفض مكثفا بوظيفة حصل عليها في وزارة الأشغال . وظيفة مهندس طلبات في مديرية قضا .

وتركته وأنا نائر ، حائق ، مفناط .. كنت أسسه والعنه .. المعنى .. الحمار .. ماذا يملن في نفسه !! اله انفصيلة !! رب الرهد والقناعة !! بطل الوطنية !! وظللت نائرا عدة أيام ، وأنا أحاول أن اطفئ ثورتى بانفعاى في العمل ..

وقد عملت كثيرا .. وربحت كثيرا .. كنت أحاسب الجيش البريطاني ، على عشرة قروش أحرار للعامل الواحد .. ثم لا ادفع للعامل الا خمسة قروش .. هل تستبدن أن هذه سرقة .. سرقة أقوات العمال ؟ ! ان أملك أيضا كان يعتبرها سرقة .. ولكن العمال أنفسهم كانوا يعترضونها فضلا عظيميا .. فان الماوال الذى كانوا يعملون معه قلى ، لم يكن يدفع للواحد منهم سوى أربعة قروش !! لقد أحنى العمال فعلا .. واعترونى نصيرا لهم ..

ولو اشتعلت بالمسياسة أيامها لأصبحت « رعيم العمال » !!
لكن .. هل هدأت وامسحت ؟ !
هل نسيت أباك ؟!
أيذا ..

لقد أرسلت اليه عبد العظيم افندى ليعرض عليه مرة ثانية أن
يكون شريكى فى العمل ، أو أن يقبل أن يكون مديرا لشركتى
الجديدة .. « شركة المتاولات العمومية » .. بمرتبة قدرة
ثلاثون جنيها فى الشهر .. أى أكثر من ضعف مرتبه فى الحكومة ..
وقد كانت الثلاثون جنيها أيامها تساوى اليوم ثلثائة ..

وتعجب عبد العظيم افندى من هذا العرض .. فقد كان
يعرف أباك ، وكان يعرف عمه أنه لا يصلح شريكا لى ، ولا مديرا
لشركتى .. كان يعرف عنه ما يعرفه كل الناس .. يعرف أنه
منطو .. لا تبدو شخصيته من خلال رقبته .. ولا يبدو أنه يحتمل
كناحا أو يسعى الى أمل .. أنه واحد من الملايين الذين يقفون على
رصيف الحياة يتخرجون .. مجرد فرجة ..

ولم يكن عبد العظيم امندى يعرف مكانة والدك فى نفسى ..
لم يكن يعلم أنى أحب والدك .. أخافه وأسمى الى رضائه ..
لم يكن يعلم أن والدك يمثل هذا الشيء الذى يسكن فى صدرى ،
ويعذبنى .. وقد حاول أن يعارضنى ، وقال وهو يلوى شفتيه
الغليظتين :

— وده حاتعمل بيه ايه ده .. ده ما ينفعش ببصلة !
وأحبست كأنه اهانتنى ، ورفعت اليه عينين غاضبتين وقلت
فى حدة :

— ما لكشى دعوه .. اعمل اللى باقولك عليه ، وانت
ساکت !

ونظر الى عبد العظيم افندى بعينيه المنتختين القذرتين ..

ثم ارخى جسده اللذين تساقطت رموشهما ، وخطا خطوة ، ثم عاد والتفت الى ، وقال في الحاح :

— انا حابلك كل اللي انت عابزه .. سس وحياة والدك فهمنى .. ايه اللي عاجبك في سى محمد امندى ؟ !
وصرخت في وجهه :

— انت حاتحاسسى .. مين اللي بيشتعل عند التانى ..
تكونش فاهم انا اللي باشتغل عندك .. غور من وشي !
وانتعد عند العظيم امندى ، وهو يثير من تحت قدميه تراب الارض كأنه يقذفه في وجهي ..
وذهب الى والدك ..

وعاد ..

وقرات على وجهه الكربة نتيجة مسعاه .

لقد رفض والدك ..

واحبست انا اهنت .. احسيت بالشئ يكاد يكتم انفاسي
وبزق رثتي .. واحسيت في الوقت نفسه بطاقته نورية تطلق في
نمسي وتحدى والدك .. سحدي الانسار الرقيق الهاديء الذي
يصبش بعيدا عني ، ويرفض ان يقترب مني .. واحسيت اني
في حاجة الى ان اعيل عملا كبيرا .. في حاجة الى نجاح كبير .
ارد به على والدك .. لعله يقتنع بي .. ولعله يعحب بي ..
وسمعت صوت عند العظيم امندى وكأنه ياتي من بعد ،
قائلا :

— الصف ده غاوى مقر . ده صنف سمش ممبر مبهوت
فقير .. صنف جبان .

وانسمت ساخرا وأنا اسمع صوت عند العظيم امندى ..
انه لا يعلم !

حييتي هدى :

امك صرخين عند العظيم امدى .. تعرفيه باسم عند العظيم
بك « مدير شركة الصناعات النجارية ..

انه لم يكن اياها « بك » ولم يكن مديرا عاما .. انها كان
مجرد امدى .. ولم يستحق لقب امدى ، الا لانه كان يضع
طربوشا فوق رأسه ، ومعلق فوق أذنه « قلم كوسا » ، ويرتدى
معطما أصفر كالخا ، موفى جلباب ذات الألوان عيه حتى لم يعد
له لون . ويمسك في يده « دفيرا » صغيرا يسجل فيه حسابات
العمال ، وفي يده الأخرى « خزانة » يهزها في وحوهم .. وجوه
العمال !

ودعيني اقدم لك عبد العظيم بك على حقيقته . فانك لن
تضمنى الا اذا عرفته ..

لقد كان طالبا معنا في مدرسة الفنون والصنائع ، ورسب في
امتحان السنة الأولى عدة مرات .. وعندما نجح أخيرا واسقل الى
السنة الثانية خرج من المدرسة .. ولم يكن أحد منا يعرف كيف
يعيش ، أو يعرف شيئا عن عائلته ، ولكنه كان فقيرا في مظهره ،
وكان دائما معنا .. حتى بعد أن خرج من المدرسة ظل مرتبطا
بنا .. وبدأت حاله تسوء .. كان يبدو كأنه بيت كل ليلة فوق
الرصيف .. جلته متسحة دائما .. مكرمشة دائما .. كأنه
يكرمشها معمدا وبعبابة .. ورباط عنقه رفيع ملثو كأنه رباط
حدائه .. وشعره دائما مهوش فوق رأسه كأنه لم يمر به مشط
في حياته .. ووجهه أغبر معقر كأنه لم يغسله أبدا .. وبساعت
حاله أكثر فأكثر .. وبدا كأنه مريض .. هزيل ، نحيل ، أصفر ..
وقال بعضا عيه انه ادبى الكوكابين . وقال البعض انه مريض
بالسل ..

ولكن عند العظيم لم يكن يحس بسوء حاله ، ولا يشكو منه ..
كانه اختار هذا الحال السيء محص ارادته .. ومزاحه ..

وكانت له حيوية كبيرة .. كان يتكلم دائما وكثيرا .. وكانت نكته البديهة لا تنتهى ..

وكان يفعل أى شيء !!

وعندما خرج من المدرسة أصبح هو الذى يتولى لما شراء قطع الحشيش . وهو الذى يدلنا على النساء الرخيصات .. وهو الذى يقودنا الى الحانات مساء كل خميس .. و .. و .. وباختصار .. كان يفعل كل شيء !

وعندما تعددت خدماته لنا .. هذا النوع من الخدمات .. وناكد اننا اصبحنا فى حاجة اليه .. لم يعد يسطرنا امام باب المدرسة كما كانت عادته .. ولم يعد يمر علينا فى بيوتنا .. بل اتخذ له مقرا فى احد المقاهى البلدية بشارع الحسنية ، واصحنا نحن نذهب اليه .. ولم يعد يخذلنا فى ثمن قطع الحشيش ، او احر النساء الرخيصات ، بل اعلن - فى وقاحة - ان من حقه ان يتقاضى « عمولة » على خدماته ..

ولم يكن حتى ذلك الحين قد تجاوز التاسعة عشرة من عمره ! وبعد ان تخرجت .. وبدا اول عمل لى مع الحشيش البريطانى .. ذهبت اليه كما ذهبت الى والدك !

ذهبت اليه لاطلب منه ان يعمل معى ملاحظا للعمل !

ورحب عبد العظيم بالعمل معى ، فقد كان يهانى ، وبحترمنى اكثر مما تعود ان يحرم الناس ، وبحسب حسابا كبيرا لعفى ورضائى .. كانت شخصيتى طاغية عليه ، الى حد انه لم يكن يستطيع ان يحاسننى على « العمولة » التى يحاسب عليها بقية الزملاء !!

ورجيت انما بعد العظيم ، لانى كنت اعلم انه يستطيع ان يكون اكثر من مجرد ملاحظ للعمل .. كان يستطيع ان يقوم بجميع الاعمال القذرة التى قدرت انى فى حاجة اليها لاسر بعملى ..

وقد قام فعلا بكثير من الاعمال القذرة .. قام بها على
اكمل وجه !

كان هو الذى يعد اللبالي الحمراء للصفاط الانجليز .. وهو
انذى يقدم لهم الرشاوى .. وهو الذى ينقل لى للأمار ..
أحمر المشروعات الحديدية .. وأحضر العطاءات التى يتقدم بها
المقاولون المنافسون لى ، حتى أقدم عطاء أقل سعرًا من عطاءاتهم
وأموز بالمشروع .. وكان يتجسس على العمال .. ويتحامل
على مبالغهم .. وقد ثار عليه العمال مرة .. فخرجت اليهم
وأذعيت انى أنصرهم .. وانهلت على عبد العظيم افسدى صمعا
وركلا أمامهم .. كتبت أضربه ضربا حقيقيا .. وكان يصرخ
ويستحضر .. وهذأت ثورة العمال ، وهنموا باسمى .. « يحيا
بصر العمال » .. ثم جاءنى عبد العظيم افسدى فى مكتفى .
لنصص شئ اتصفعات والركلات ، وانقسامه تسيل كاللعاب من
من شفتيه العليقلتين .

وظل عبد العظيم افسدى فى حياتى كلها ..
كرب المشروعات .. وكثرت أنا .. وكبر معى عبد العظيم
افسدى .. وكثرت معنا الاعمال القذرة !!
هل تنقززين وانت تقرأين هذه السطور ؟

هل البوت شمسك الرشفتان كأبك بمعصين .. هل اهر
جمنك موق عسبك العبيقتين كأبك تطردين عنهما شبحا يخيفك !!
يا أحب الناس .. حاولي أن تحتلى خطاى كله .. لا تدعنى
أحاف عليك مما سأحدثك به .. انى اعترقب كما تربس .. وأريد
أن يكون اعترافى كاملا ، صادقا .. أريد أن أكون شريفا للمرة
الأولى والأخيرة فى حياتى .. وأنا كما تعلمين امف الآن على
باب السماء .. ولست طامعا فى عمو الله .. أنا لا استحق
عموه .. ولكن كل ما أطلبه منه أن يعييك على قراءة خطاى هذا
.. مساعدا لى لى الله .. مساعدا لى حتى اتم اعترافى .. ولا تلوى

شعورك .. لا يسمعنى هكذا ، فان ما حدثك عنه حتى الآن ليس
سوى الحياة .. الحياة خارج بيتك النظيف الذى لم يدسه
سرى دخولي اليه .. وعند العظيم افندى كما وصفته لك
شخصه معروفة فى دوائر الأعمال ، ودوائر المار .. ان وراء
كل كبير .. ووراء كل عظيم .. عبد العظيم افندى .. ان الكبار
لا يكروا الا بالأعمال القذرة .. والأعمال القذرة فى حياة كل
كبير يقوم بها عبد العظيم افندى !!

ولا بطلنى منى ان اعدد لك الكبار لذس اقصدهم ..
ولا بطلنى منى ان اعدد كم « عبد العظيم افندى » يعيشون
مبادا فى مصر .. مائى لا ابوى الدفاع عن مفسى ، ولا أريد ان
انخذ من أعمال فيرى مبررا لأعمالى ..

لا ..

ولكنى فقط أريد ان نهدي ، حتى استطع ان استمر
فى خطائى ..

هل استمر ؟ !

اذن ، اسمعى .

لم يكن عبد العظيم افندى وحده كامبا لأحقق النجاح الذى
حنفته . ولا الخطوات الكبيرة التى قطعتها .. فقد كان يلزمى
«حقى هذا النجاح أبوك ايضا .. نعم ، أبوك .. الرجل
الطبيب الرقيق الذى لا بدو شخصيه من خلال رقبته .. الرجل
ابدى أحبه .. الرجل الذى أحاول ان أنال رضاءه وأعجابه ..
الرجل الذى يحرك الشئ فى مصرى ..

كان عبد العظيم افندى يمثل الاداة التنفيذية لى .. وكان
أبوك يمثل الدافع .. يمثل القوة التى تدفعنى الى النجاح ..
والى المزيد من النجاح ..

لقد نجحت فى مشروعى الأول .. كسبت كثيرا .. وأصبحت
عبد .. ولكنى لم احس بنى بنت أعجاب أبك .. لقد بدا

اناس يحرموننى .. كل الناس يحرموننى .. وبهجيون بى ،
وبكائى وتشاطى . ولكى لم احس انك يشاك الناس هذا
الاعجاب وهذا الاحرام .. كان الشىء الذى يسكن صدرى
قلقا دائما .. لا بهذا ابدا .. فتوليت مشروعا آخر نحتت فيه .
ثم مشروعا ثالثا . ثم لم أعد اكتبى عطاءات الجيش البريطانى ..
دخلت عطاءات الحكومة .. وليس عبد العظيم افندى حلة وجبهة
ليستطيع ان يقال بها كوار الموظفين ويقوم لهم الرشاوى .
باحترام كبير ..

وكترت المشروعات الحكومة التى بوليها .. ثم انشأت
«منعما .. ثم شركة صناعية كبيرة .. واصبحت شخصية
معروفة من الشخصيات التى تتحكم فى مصر مصر .. ومهدت
اصامى الى الاحزاب السياسية .. واستطاع عبد العظيم افندى
الآن يشترى لى فى كل حزب مجموعة من اعضائه .. وفى كل
وزارة وزيرا او وزيرين .. وخلال كل ذلك نلت لقب الكوية
.. وعندما نلت لقب الباشوية .. واصبحت « باشا » ..
فى نفس اليوم ، اصبح عبد العظيم .. بك !!

وفى كل مرحلة من هذه المراحل كنت اسأل نفسى هل رضى
عنى محمد افندى .. هل نلت اعجاب والدك ؟ !
ولو انى اعتقدت انى ملت اعجابه ورضاه لتوقمت .. لو أنه
حاضى وشد على يدى ، لاكتبعت بها كنت قد وصلت اليه ..
لو أنه قتل ان يكون معى لقنعت بما أنا فيه ..

ولكنه لم يرمس . ولم يشد على يدى . ولم يكن معى ..
بكت دائما فى حاجة الى محام اكبر .. الى مشروع اصخم ..
لأعلى اقنعه .. ولعالى اقنع الشىء الذى يعيش فى صدرى ..
' ولم تكن علاقتى بابيك خلال كل هذه السنوات مجرد خيال ..
او مجرد احساس .. بل كانت علاقة واقعة .. كانت عملا من
أعمالى اليومية .. وكان عبد العظيم افندى .. او « بك » ..

منهم كل الاعمال التي اكلمها بها .. الا عملا واحدا كان مكلما
به دائما . وهو ان يفعل الى احبار محمد امدى السيد أولا
ماؤل !

وكان عبد العظيم بكرة محمد امدى السيد ، ويلعبه ..
ويشبهه .. ولكنه لم يكن يستطيع ان يعنى بى امرا .. محصص
معاوننا حاصلا لجميع احبار امك .. مكنت اول من يعرف خبر
نقله من قنا الى اسبوط .. ثم من اسبوط الى القباطر .. ومن
القباطر الى القاهرة .. وكنت اول من سمع بترتيبه الى الدرجة
السادسة .. ثم السادسة .. ثم الخامسة .. حيث وقف ولم
يتقدم بعدها .. اصبح من المواطنين المسلمين .. وكنت اول
من عرف خبر زواجه .. وخبر ولادته .. وكنت اعرف عنواي
بيكم .. وكنت اعرف يوم يصعب عن ديوان الوزارة .. ويوم
يأخذ اجازته السنوية .. و .. و .. كنت اعرف كل ذلك ..
وهو لا يدرى انى اعرف ..

ولس اخذك عن الرسل التي ارسلها اليه عبد العظيم لمحاولة
ارسلته او اعرائه بالعمل في احدى الشركات العديدة التي املئها
دون ان يبدو اسمي منها .. لقد حاب كل هؤلاء الرسل . وكان
كل منهم يهود ليعلم ان ابك رجل .. فنى !
ولكنه لم يكن غنيا ..

انى اعرفه ..

لقد كانت هذه طبيعة .. كانت هذه شخصية .. كانت شخصه
اقوى من ان يلوث .. شخصية بشم رائحة العن من بعد ،
متنعد عنه ..

وفي مرة طلبت من عبد العظيم ان يوعر الى زملائي خريجي
مدرسة العن والسماع ان يقيموا حفلة تكريم لى بوصى المع
خريجي المدرسة منذ اشرفت حتى اليوم ..
لا تدهشى ..

مقد كتب لكف عبد العظيم بكسر من مثل هذه المهام الى
قد يبدو كبحاً صرامة منى . ولكنها صفاته يحاج انبها كل
النكر ..

ولم اكن اعبر عن هذه الصفاته بحراحة . بل كان يكفى ان
اقول لعبد العظيم مثلاً : « طهر ان حريده الاهرام مش راصية
علينا اليومين دول » .

ويصيح عبد العظيم : « ازاي انكلام ده » ..
وفى اليوم النبلى بدو حريده الاهرام ومد حصصت صفحه كاملة
من صفحتها للحدث عن مشروعاتى - وعن « الوطنى المكامج
حسين ماشا شاكر » !!

وفى «دا اليوم قلت لعبد العظيم :
— والله رملعنا اللى كانوا معنا فى المدرسة وحشوا ! ؟
واجاب عبد العظيم بكائه اللماح :
— دول باس ما ميهشى خير .. كان لازم يعلوا السعاداتك
حفلة تكريم .. هو حد شرفهم فبرك !!
وبعد انام حاشى ومد من حرجى المدرسة ليعرضوا على
ان اشرفهم بقولى اقامة حفل لتكريسى ..

واعترضت تواضعا منى !
والخوا .. وازدادوا الحاحا !
واقترحت عليهم — فى تواضع — ان يحولوا نفقات اقامة
حفلة التكريم الى جمعية مبرة محمد على ..
وهتف الزملاء بحياة رجل البر .. اى انا !!
ونشر الخبر فى الصحف ..

ولكن الرملاء عادوا وقالوا انهم بعد ان نزعوا بكاليف اقامة
الحفل لمرة محمد على . جمعوا مبلغا آخر لاقامة حفلة التكريم ..
لان فى تكريسى مشحوا لامثالى المكامجين .. و .. و ..
واضطرت ان اقلد التكريم !!

وكل هذا حتى أرى أباك في حفلة مكرّمة .. حتى أرى
عينيه الهادئتين العميقتين .. وأرى نمسي فيهما ..
وقد كنت مأكلا أنه دعى إلى الحفل .. أن عبد العظيم
تأكد بنفسه أن بطاقة الدعوة قد وصلته ..

ولكنه لم يحضر ..

نعم .. لم يحضر !

وقد دخلت إلى مكان الحفل وأنا أدبر عيني باحثا عنه .. ثم أرى
وجوه المستقلين .. ولم أسمع المصفيق الذي استقبلت به ..
ولم ينقطع أناي شيئا من الكلمات التي كانت تلقى تحت قدمي ..
كنت أدبر عيني باحثا عنه ..

وجلست في مقعدي .. وأنا لا رأيت أدبر عيني باحثا عنه ..
وتوالى الخطباء .. بشدون مبدى وكفاحي .. وأنا لا أسمع
شيئا .. إنما أركز عيني على الباب لعلني أراه يدخل منه .. يدخل
إلى !

ثم يثبّت ..

أنه لن يأتي ..

وعندما ينسبت من حضوره .. أحسست كأنني صغير ..
صغير جدا .. أحسست أنني شيء حقير .. حقير جدا ..
وأحسست أن كل هؤلاء الناس المحيطين من منامقون .. كلهم
منامقون .. كلهم أصغر مني .. وأحق مني ..

وأحسست ساعنها أنني تدر .. يحس من أكوام من القدرة
.. وثقلت شفتي في أمعاس .. ومرة واحدة .. بينما كان أحد
الخطباء في أوج حماسه .. قمزت من فوق مقعدي .. ثم
أسرعت نحو باب الخروج ..

وأتركت الحفل .. وحرى البعض خلفي .. وهيمت ببعض

كلمات ليس لها معنى . كأنها كلمات اعذار .. ثم تولى عبد
العظيم منى مهمة الاعذار للمحتلمين سى ، واهملهم انى مرتبط
بوعدهام سيقدر فيه بناء مشروع صحم ..

وفى اليوم التالى ترعت عشرة آلاف جنيه للأعمال الخيرية ..
وكان هذا هو ردى على عدم حضور اسك الى الحفل ..
كانت هذه العشرة آلاف حنيه كأنها رشوة له .. لعله
يرضى عنى ويعجب بى !

نهل رضى عنى ! هل امجب سى ؟ !

لا ...

والثىء الذى فى صدرى يعذبى !

وقد ترك هذا الحادث اثرا آخر فى نفسى .. لقد اصحت
احتر الناس المحيطين سى .. واتدد باحتقارهم .. اصحت
اتعمد كلما حاضى وزير ، او باشا من النشوات الذين يشتريهم
لى عبد العظيم لأعينهم اعضاء فى مجالس ادارة شركتى ..
اصحت اتعمد ان « الطعم » فى غرمة السكرتير مددا متقونة ..
لا لشيء الا لالتذ بلطعتهم .. واتلذ باحتقارهم .. وكلما طالت
مدة لطعتهم ، ازدت تذذ ..

وبدا هؤلاء الناس يقولون عنى انى رجل مكر - متعطر س ..
وكانوا يقولون هذا الكلام فى مجالسهم الخاصة ، اما فى مجالسهم
العامة فكانوا يقولون عنى انى رجل مشعول !

والواقع انى لم اك متكرا ولا متطرسا .. ولكنى عنى
احسست ايضا انى انسان صغير حقير .. احسست ايضا ان
كل هؤلاء الناس الذين يحيطون بى ، والذين اتعامل معهم .. هم
اصغر منى واحقر .. وكنت فى حاجة الى هذا الاحساس لانتق
نفسى من الاتيهار وكنت فى حاجة الى ممارسة هذا الاحساس

واطهاره حتى اقمع نفسى به .. ثم اصبحت اتلذذ بهذا الاحساس
.. اتلذذ بمعامله هؤلاء الناس على انهم اصغر منى واحقر ..
وكان هذا من فعل والدك ..

حبيبى هدى ..
وسأناذك دائما : حبيبتى ..
لمادا حدثك كل هذا الحديث الطويل عما كان بينى وبين
المرحوم والدك ؟ ..
لانك لى مهمى ما سى وببك . الا اذا مهمت ما كان بينى
وبين والدك .. لى مهمى لماذا احسبك . وكيف احسبك ، الا اذا
مهمت اين كان والدك منى ، واين كنت منه .
حاولى ان مهمى ..

ارحوك .. حاولى كثيرا .. حتى لو اضطرت ان تميدى
قراءه سطرورى مرة ثانية .. حاولى بكل فكائك ، وبكل
احساسك .. فان ما سأحدثك به بعد ذلك ، فطبع .. فطبع ..
ولى محبلى مطاعه الا اذا فهمت . الا اذا وضعت عقلك بجانب
قلبك . وأنت تقرئين ..
ولا تنسى انى اموت ..

دعسى اقمى عليك الحوادث الى جمعنا ..
دعسى اقمى عليك ثمة حتى .. القصة التى سمعناها لأول
مرة ..

انى ارى الماضى كله بوصوح .. والايام كلها متصلة امامى ،
يوما بعد يوم .. واستطيع ان اصف لك كل يوم . وان اردد كل
كلمته حيث .. ان ذاكرنى لم يكن اندا يمثل هذا الوضوح ، وذهى
لم يكن اندا يمثل هذا الصفاء .. غريبة .. كأن الله يهب الناس .
وهم على فراش الموت . ذاكرة قوية ، حتى لا يحنوا بالقيسيان
وهم يؤدون امامه الحساب !!

اسمعى يا احب الناس :

فى صباح ١٤ سبتمبر عام ١٩٤٧ ، قبت من النوم فى الساعه
اسماعه صباحا كما كانت عادى دائما .. وبديت ثيابى فى
تن وهدوء .. وقد عودت نمسى على هذا النأى والهدوء فى كل حركه
من حركتى . حتى احبط بمظهر محترم مهاب !! .. ثم بطرت
الى نمسى فى المراه بلا اكتراث .. الى رأسى الكبير ، والى حاجبى
الكثمين ، وركزت نظرى برهه على الشعرات البيض التى مكسو
فردى ، وبسلا الى شاربى الصغير .. ثم نزلت الى الحديقہ .
وباسين خادى الحاص ، يقدمنى .. وطمت مجدبة القعر ..
والحايينى يسمى .. ثم انحيت ونطمت ورده حمراء كبيرة
علقتها فى عروہ سترتى .. وقد فطمت كل ذلك لا احساس ،
انها بحكم العادة .. لم تكن احس بجمال الحديقہ ، ولا بجمال
الوردة .. اما هى عادة اسمعها لانها عادة الأعياء الكبار ..
ثم جلست الى المائدة المعدة تحت احدى الجمائل لاساول عليها
امطارى .. ورشمت رشفه من فحل الشاي ، ثم مددت يدي
وسحبت جريدة الاهرام .. وقد تعودت أن اقرأ أولا صفحة
الوصف .. وربما كان الدامع لى على قراءة أخبار الوقفات
بحلف عن نواصع مفة الناس ، بعد كنت أقرؤها على أمل أن
أحد عدوا لى قد مات .. انه أمل خيب . ولكنى أعرف كما
بعلمى . وقد بويت أن أصدقك فى اعتراقى .. نعم . كنت أقرأ
صفحة الوقفات على أمل أن يكون عدد أعدائى قد نقص واحداً
.. أما أصدقائى ، منيس لى أصدقاء .. كل الناس أعداء ..
ربلانى رجال الأعمال اثنين أجمع بهم فى حفلات العشاء .
وأقضى معهم مبرات طويلة فى نادى محمد على وى نادى
السيارات ، ببادل خلالها الاسماط والنكات .. كلهم أعداء ..
ورجال الأحراب والمسوررون .. كلهم أعداء . حتى الذين
اعينهم فى مجالس ادارة شركائى ، وأدمع لهم سخاء .. كلهم

اعداء .. والموظفون كلهم اعداء ، والعمال كلهم اعداء .. كل
الناس اعدائي .. لا يربطنى بهم سوى حاجتهم الى .. وهم
يكـهـوسى لانهم دائما يطمعون فى المزيد .. ولو اعمصت عيني
عنهم .. او لو تحرروا من حاجتهم الى ، لا نقصوا على وحطمونى ..
كل الناس اعدائي ، وعلى راسهم صديقى الوفى ، وكلنى
الدليل .. عند العظيم بك !

وكلهم اتبنى لهم الموت ، ويتمنون لى الموت !
ولهذا كتبت اهنم دائما مقراءة صفحة الونيات فى جريدة
الاهرام !!

وحررت عيباى بين السطور السوداء .. ثم توقفت ..
لقد قرأت اسم والدك ..
مات ..

مات محمد امدى السيد .. الصديق الذى احبه واخافه
واسعى الى رصائه .. مات الرجل الذى يحرك شئنا فى صدرى .
فأحس ثقلى بكاد يكتم انماسى . ومسكين حاد بهرق رضى ..
مات الرجل الوحيد الذى استعصى على طول حنائى . فلم استطع
أن أميطر عليه ، ولا أن أتخلص منه ..

ولم أعرف ساعتها ما هو احساسى بالضبط .. انما شعرت
كان شئنا ينسلت منى ويتركنى تراجعا .. ووقعت الحريدة من
بدى . دون ان اتم قراءة الخبر ، ودون ان اقرأ أسعار المورصة
اللى يبدأ بها عملى كل صباح .. ولم أرشع الرشنة الثمانية من
منحاح الشاى .. انما قهت كالمدهول أسير فى طرقات الحديقة ،
وصورة والدك تملأ محيلتى .. وجهه النحيل كوجه فنال امنص
العن كل قواه ولم يترك الا خيالا . وعيناه الهائستان العميقتان
اللباس يتقنان صدرى وتنفدان الى اعماقى ، وانسانته الصيقة
كفرحة من أمل بعد لن اصل اليه ابدا ..

وحاولت عشا ان أحدد احساسى فى تلك اللحظة .. احساسى

نحو وفاة والدك .. ولكن الأحاسيس — مختلف الأحاسيس —
كانت نمر في ذهني . كأنها أصناف بصاعة أحبار بها واحدة ..
الحزن .. والمرح .. والأسف .. والشمسة .. واللامبالاة ..
والحرج .. كل هذه الأحاسيس كنت استعرضها في ذهني ، دون
أن يسقط أحساس واحد منها في قلبي ..

كنت أقول لنفسي : « يجب أن يحزن .. أنه الرجل الذي
عاش في صدرك طول حياتك .. أنه الرجل الوحيد السطيف الذي
اثبتت به في الدنيا .. لقد كتب بحبه .. باحزن .. احزن جدا
حاول أن تبكي » ..

وكنت أحاول فعلا أن أحزن .. كنت أجمع نفسي وأصعد
على أعصابي حتى أحس بالحر . وكنت أعصر عيني لعيني
أبكي .. بل خطر لي ساعها أن أمدل رباط عيني برباط عنق
أسود ..

ولكني في نفس الوقت كنت أسمع هاتما آخر في نفسي ..
هاتما حيثما يقول لي : « لماذا تحزن .. أن من حقد أن يفرح ..
من حقد أن نشمت بموته .. أنه رجل استعصى عليك .. أنه
رجل عذبك طول حياته .. لم يرض عبك ، ولم يبد لك احتراما ،
ولم يقدر لك كمحاك .. لقد كان يقلقك ، ويثير في صدرك شيئا
مكم أمانك ويمزق رثبك .. وقد مات هذا الرجل .. ومات
هذا الشيء .. أفرح .. اثمت .. تهاد في مشيتك .. أنه انتصار
لك » ..

وكان هذا الهاتف قويا . وكان قريبا جدا من قلبي ، حتى أنني
كنت أشعر بالاسمامة بكاد تنمز إلى شفتي ..

وقد حاولت أن أقاوم هذا الشعور .. حاولت كثيرا ..
كنت ساعها كأحد هؤلاء المماقتين الذين يسيرون في
الجنارات .. يحاولون إنداء الحزن فلا يستطيعون .. وسعلب
عليهم شعورهم بالشمسة ، فيكتمونه خوفا من أن يفتضح نفاقهم

أمام الناس . ثم يلحثون الى من يسير بحائهم يبادلونه الحديث
حتى يهربوا من معائهم .. يهربوا من الحزن والشجاعة معا ..
ولم يكن بحائس احد ابادلته الحديث ، لاهرب بالحديث من
هذه الأحاسيس المتناقضة التي اثارها في نفسي موت ابيك ..
وشبنا مشبها ، رايننى اخضع للهاتف القوى الخبيث ..
انسج في تعمى الاحساس بالشجاعة .

نعم .. شمت في موت ابيك !
هدى .. لا يمررى هكذا .. ولا تلقى خطائى من بين
يديك .. ولا بكرهينى الى هذا الحد .. ارجوك يا هدى ..
لا بكرهينى .. فانك ان كرهينى لن مسيطمى نهى .. وانا
محتاج لكل نهىك .. حاولى ان تسيطرى على كل مشاعرك
حتى اسهى من خطائى . وتنتهى انت منه .. وبعد ذلك ..
اكرهينى !

لقد اكتشعت ان اباك ايضا كان عدوا لى .. ولكنه عدو
يختلف عن بقية اعدائى .. انه عدو يعيش في صدرى .. عدو
احبه !!

وغمرنى شعور الشجاعة ..
وتركت انسامتى بملأ شفتى .. وبهادت فى مشتى بين
الشجار الحديقة نشوان بلذة النصر ..
لقد نصرنى الموت على ابيك ..
المعمل .. مات !

ماذا احدثه حينه .. ماذا احدثاه الشرف . والامانة ،
والسجامة . والتجاعة .. وماذا احدثه عيناه العميقان ، ومظرتيه
الثاقبة ، وانسامته الضيقة .. لقد عاش ومربه لا يحاوز
الثلاثين حنفا ، ومات ولم يترك وراءه سوى معاش لا يتجاوز
الاثنى عشر حنفا .. المغفل !

وخرجت من قصرى وركبت سمارى وأنا أكاد أطر من
النشوة .. ودخلت الى مكتبى وأنا أحس بقوة لم أحس بها من
قبل .. قوه عريمة .. قوه مدمره .. كنت أحس كى أستطيع
ان أعصر مصر كلها فى قبضة يدى . لأسترف كل قرش فيها
وأضعه فى خزانى ..

ودخل على عبد العظيم بك ..
انه دائما اول من القاء صباح كل يوم ، لراجع بيوميا مسر
الأعمال القدرة ، ويتلقى تعليماتى بشأنها ..
وحلى عند العظيم على المقعد المواجه لكرسى . وانضمه
كبره تسيل من بين شفتيه العظمتين الكريهتين .. انضمامه اكبر
من انضمامه كل يوم .. ثم مال براسه الى وصال فى لهجه
أحسبت انها لهجة تشف :

— النقة فى حياة سعادتك !

وبجاهلت ما يقصده ، وقلت فى برود ، وأنا ادس عبنى فى
بضع أوراق حتى أخفى عنه أحساسى :
— مين ؟ !

قال والشفى ينضح من كلماته :

— محمد أفندى السيد .. تعيش سعادتك !
ودلت جهدا كبيرا لأضبط على أعصابى ، وقلت فى أحصار :
— الله يرحمه !

ونظر الى عبد العظيم نظرة مأكرة .. انه لا يصدق هذا
البرود الذى أدعاه .. انه يعرف والدك ، ويعرف كيف ربطت
مضى به طول حياتى ، وقد قصى خمسة وعشرين عاما ينقل الى
أحماره أولا ماول . فكيف يصدق مثل هذا البرود الذى استقبل
به خير موته !!

وأحسبت ساعتها انى لست وحدى الذى يشعر بالقوة
والبصر بموت أبك .. بل ان عبد العظيم ايضا يشعر بأنه

أرداد قوة .. أرداد قوة على .. على أنا ؟

وحملت يومها من عند العظيم ..

أحسست أنى فى حاجة الى مريد من انحرص ، ومزيد من

الدعاء ، لاطر مسطرًا عليه ، أمنًا شره ..

أحسست أن وأذك عندما مات بركتى وحدى عند العظيم ..

مركتى بلا مرامل .. بلا شيء فى صدرى ينير أطلق فى نغسى ..

شيء أحامه . واحاول أن أنال رضائه وأعانه ..

وقد أنقذت معلا لعند العظيم ..

أو على الأصح أنقذت لعقلية عند العظيم ..

وانصى أسنوع أنككت فيه من الأعمال نذر ما كت أنركه

فى عامين أو ثلاثة .. كت عمل بلا راحة .. وبلا رحمة ..

وبلا برد .. واستطعت أن أجلس إحدى اشركات المؤسسة ..

واستطعت — فى هذا الأسنوع الواحد — أن أسقط وزارة لمحل

محلها وراره أخرى أكثر بغاها معنى .. وسعت فى حل بقائه

عمال « شركة الصاعات المصريه الكبرى » .. وحصصت الأهور

.. ورمعت الأسعار .. وسعت للحكومته ثلاثة آلاف طن من

الصناعة الأساسه .. و .. و ..

وعند العظيم منشئ . مرحان .. انه يحول ويمول ، ويتبعث

شره فى كل مكان ..

وأنا حار .. لا أرحم .. لا أرحم الناس ، ولا أشعر بوجودهم

.. كل الناس خشرات بنامه استحق . نعمل حدائى .. حتى

الأعمال الصغيره التى كت اكتسب بها مطهر الخير أصبحت

نبا .. السرعات للجمعيات الخيره . وشراء بذاكر حفلات

الجمعيات . وأعانة النوادى الرياضيه ، وأعلانات الصحف ..

و .. و .. كل ذلك استعصت عنه .. وألعب السكرتير بأن

بترد كل مبدوى هذه الجمعيات . وكل مبدوى اصحمه .. هؤلاء

الشحادين .. ما حلحتى ألهم !!

و في خلال هذا الأسبوع كانت تمر على لحظات حاطمة كنت
أحاف منها من نفسي .. أحاف منها من الطاقة الهائلة المدمرة التي
أطلقتها على الناس .. وفي هذه اللحظات كنت أتذكر والدك ..
ولكني ما كنت أكاد أذكره . حتى أسمع صراخا يتحارب في نفسي :
« لقد مات .. مات .. مات .. مات .. مات .. مات » ثم أندفع
في عملي . بطوسي الطاقة الهائلة التي يطلق من نسي .. أندفع
كلني أخرى مرعا من شبح يطاردني .. شبح ميت !!
وفي نهاية الأسبوع طرات على رأسي فكرة غريبة ..
فكرة شاذة ..

لقد فكرت ان اروركهم في بيتكم !!

لماذا ؟

ربما لأنني لم أكن أصدق نفسي عندما اسمعها تردد ان والدك
قد مات .. لم أكن أصدق أنه لم يعد في الدنيا من يستطيع ان
يتلفني او يحرك شيئا في صدري .. ما أردت ان أذهب الى بيت
الميت . لأؤكد من أنه فعلا قد مات ..
وربما لأنني أردت ان أرداد شمانه في أبيك ، وأزداد احساسا
بالمصر .. أردت ان أرى المقر الذي كان يعيش فيه ، والمقر
الذي تركه خلفه .. حتى أسمع نسي بأنني لم أخطئ في الطريق
الذي دلتني عليه ذكائي .. طريق الثراء الكبير . والجريمة
الكبيرة ..

وقلت لعدد العظيم بعد ان انتهينا من مراجعة الأعمال
الفقرة قلت معتمدا على فكهة اللماح :
— يا برة عيلة محمد أمدي السيد ، حالها انه دلوقت ؟ !
والتفت الى لفتة حادة كان رأسه انفصل عن عنقه ، وقال وقد
أنسعت عيناه في دعر :

— احنا لسه ما نسيباش مسيرة محمد أفندي !!
قالها بلهجة لم يتعود أن يحدثني بها من قبل .. وبطرت

اليه نظرة صارمة ثابتة ، حتى اضطر ان يرحل عبيده غنى ، ومكس
رأسه ، وعاد يقول في صوت ذليل :

— الحقيقة انى كلفت نسيت المرحوم خالص !

قلت وأنا اضع في كلماتي رنينا جادا يعجبه جيدا عند العظيم :

— لازم الواحد يكون بار زملائه .. ده كان امز صديق
أيام المدرسة !

وقال عند العظيم :

— كلك خير يا باشا ..

ثم قام منصرفا ، وأنا واثق انه سيبعد كل الاحراءات
التي تكلم زيارتى لكم ..

وقد ارسل لكم احد معاونيه الخصوصيين ليحدد معكم موعدا
لزيارتي .. وفي الوقت نفسه اعد مقالا لتشره احدى المجلات
عن تواضع حسين باشا شاكر .. اى انا .. الى حد اننى ذهبت
نفسى لاعرى في وفاة موظف صغير من زملائي في المدرسة ..

وحدد الموعد في الساعة الخامسة من يوم الخميس
٢٥ سبتمبر .. انى لا انسى اندا التواريخ .. بل ان ذاكرتى
تعودت الا تحيل الا ارقاما وتواريخ ..

وذهبت اليك ..

وتعمدت ان اذهب في سيارة متواضعة من سيارات الشكة ،
حتى لا اثير الريبة . وأنا امر في شوارع شعرا ..

وذهبت وحدى .. كائى ناهب لزيارة قمر عزيز مات .
واريد ان اخلو بذكراه .

ووفعت السيارة امام بيكم في شارع شيكولاتى .. ونزل
السائق ومسح الباب ، ومددت ساقى لاهم بالبرول .. ولكنى
عدت وسحبها .. وسجعت معها نفسا عميقا من صدرى كائى
استجمع كل قواى ..

لقد احسست ساعتها بالتردد ..

احسست انى مقتل على ارتكاب جريمة اكبر من كل جرائمى ..
احسست كانى مقتل على اسهاك حرمة قمر .. انى سانبش
الفرد وامرئى الجثة !

ومكرت مساعيا ان اعود .. ان اعدل عن هذه الفكرة
العربية انشاذة الى يثيرها فى راسى دافع خبيث .. دافع الشهامة
فى الموت .. والاطمئنان الى ان الميت قد مات ..

ولكن كان الدافع الخبيث أقوى منى ..
وكان مقدرًا على البيت الكريم الطاهر ان ادنسه مقدمى ..
وكان مقدرًا عليك ان افسد حياتك .. وان احبل نضارة
شبابك الى رماد .. الى حطام بائسة ..

لا تتعذلى ولا تسألنى كيف افسدت حياتك .. ولا تحدى
ذاكرتك بحثًا عما فعله بك .. امك لن تذكرى شيئًا .. انى
محرم اكبر من ان يترك مصبات أصابعه فوق ضحيته .. وأنت
أطيب من ان سمورى ان الدنيا يمكن ان تحمل محرما مثلى ..
دعى الخواذث تحكى لك كل شيء ..

لقد مزلت من السارة ، وأنا لا رلت مترددا ، وقضى واجف ..
وصعدت السلم فى خطوات متلصصة ، كانى أخشى ان يراى أحد
وأنا أتسلل اليكم .. ووصلت الى الدور الثالث .. انى اعرف
أين انتم .. الشقة التى على اليمين .. ووقفت أمام الباب برهة ،
التقطت فيها أنفاسى .. ولم يكن صعود السلم هو الذى أتعجب
أنفاسى .. لقد كنت أياها فى الخامسة والخمسين من عمرى ،
ولكن أنفاسى لم تكن تعجب من صعود السلم .. انها تعبت من
ترددى ، ولعندم اقتناعى بما فعله ..

وطرقت على الباب طرقة خفية .. ثم أعدت الطرق ..
ومتحت الباب حادمة صغيرة ، على رأسها بديل أسود ..
انى أذكر تلامي وحها .. وحها غيبا يثير الانشام من فرط غلظه
.. وقد فتحت الباب نصف محة .. وتلفت اسمى .. ظننه لها

بلا لقب .. حسبي شاكرك .. ماغنمت الدار في وحشي ..
واحسنت اثني طردت .. اني 'هنت .. احسنت ان هذه
العصية السفيرة قد اكشحت ابي محرم ، وانها ارادت ان تحمي
البيت مني .

ولكنها عادت بعد لحظات ومحت الباب .. ذبحه كله ..
وفادتي الى حرة الاستقلال .. حرة كسيت كل مقاعدها
وارائكها ناكسية بعباء .. وانرت نظري فيها بسرعة .. وعلى
الحدار لمحت صورته كثيرة عطيت بملاءة سوداء .. لاند انها
صورة المرحوم .. اذن ، مقد مات المرحوم !!

وحسنت تحت الصورة المحجبة بالسواد ، والشعور الحبيث
يكاد يطلق اسماحه من بين شعني .. ولكن هذا الشعور بدا
بحب .. بدا بزيابلي .. احسنت انه يملكت مني ويتركني
مراعا .. احسنت بعنق الشعور الحائر الذي تناسي لحظة
قربنا وماه انيك .. وانتهت هذه الحيرة بان احسنت بالراحة
.. نعم الراحة .. لا ادري اي نوع من الراحة هي .. ربما الراحة
ليرحودي في بيت شريف .. لا ادري .. ولكن اعصاني بدأت
ترنخي .. وتسمرت الى انني رائحة هادئة كأنها رائحة بحور ..
وكأنت النوافذ مغلقة ، والضوء هادئا .. شعرت كأنني في
مسجد .. او كنس في مقبرة .. لا ضجيج .. ولا معركة ..
ولا اطباع ..

هنا كان يعيش محمد افندي السيد ..

واحسنت اني احسده .. لقد قضى حياته كلها في مثل هذه
الراحة اللذيذة المحذرة التي احس بها الآن .. وعندما حسدته
بدأت اري حجابي بشعة ، مزعجة ، بلا راحة ..
وانتهيت على صوت اقدام يقترب ..

ودخلت والدتك . مشحة بالسواد .. ونظرت اليها بكل
عنى .. ثم نظرت اليها مرة اخرى .. كيف اريد ان اري راحة

زميلي محمد افندي السيد .. كنت أريد أن أرى زوجات الناس .
الشرفاء .. كننى أبحث في وجهها عن أنسائه عربية .. عن سيده
ليست ككل السيدات اللاتي التقيت بهن في حياتي ..
ولم أر في والدتك شيئا مما كنت أتصوره عن روجه زميلي
الشريف ..

إنها ليست جميلة إلى حد أن يبهرها الجمال .. ولكنها تبدو
ذكى .. دكاء ينطق به عيناها - ويتقدمها في كل لفعة من لباسها ،
وفي كل كلمة تنطق بها .. هذا النوع من الدكاء الذي تستطيعين
أن تأمسي شره بسهولة .. لأنه دكاء واضح - وليس محسنا ..
ليس حثا .. أو هو خث بسيط ساذج .. مكشوف ؟

ومعجبت : كيف استطاعت هذه السيدة الذكى أن تعيش
حياتها مع محمد افندي السيد .. كيف استطاعت أن تحصر
دماها في هذا البطاق الضيق .. وحبل إلى أنها لو كانت موطنة
عندي في إحدى شركائى لاستطاعت بسرعه أن تكون مديرة
شركة . أو على الأقل مديرة فرع لشركه ..

ومددت لها يدي - وقلت في بائر وأنا لا أزال أنظر في وجهها :
— البقية في حياتك يا هاتم ..

قالت وهي تحفص رأسها لبدو أكثر تأثرا :
— حياتك الباقية يا سمادة الباشا ..

وسمعت في صوتها ربة أعرفها جيدا .. أنها ربة الترف ..
والنفاق .. أنها ربة الزهو المكروت عندما يقابل أحد الضمار ،
كبيرا مثلى .. باشا مثلى !!

تري لو أنى كنت قد التقت بانيك .. هل كنت أسمع في
صوته هذه الرنة ؟ !

وجلسنا .. ومرت بيينا مره صمت .. كنت خلالها أبحث عن
كلمات أقولها - وكانت خلالها أنظر إلى بطرات محبسه مبردة ،
كنها يعطيني لسمع من مررا لربارنى - وهى في نفس الوقت

محبى الا يكون هناك مدبر الا مجرد تلبية واجب العراء ،
فيصع منها « باشا » سقط عليها من السماء .
وقلت كننى ابدا مراقة طويلة :

— المرحوم كن اعز اصدقائى . كنا زملاء مع بعض فى
المدرسه .. اما للأسف مشاعل الدنيا فرقنا عن بعض ..
وصكن حتى ما يكرشن كلمك عن صداقتنا ..

قالت وهى مصمصة شفقتها ، لا أسما على وفاة المرحوم ،
مل أسفا على الصداقة التى لم تسمع بها :
— الحقيقة ان المرحوم ما كانش ينكلم كثير .. عمره ما حكى
لى عن ابامه فى المدرسة .. والحقيقة انه عمره ما حاب سيرة
سعادتك !

وأحسست باهائه لم أحس بها من قبل .. انه كان يظن
على حى بذكر اسمى فى سبه .. ولكنى بهالكت اعصابى ،
وقلت :
— انما أنا دايما كتب ناكزه .. و دايما اطمئن عليه
من بعيد !

وشهنت .. وقالت :

— بديك طولة العبر يا سعادة الباشا !

قلت .. وأنا احث عن مريد من الكلمات حتى
عشرة مناسبة :

— على كل حال ، اذا كنت ما قدرتش اخدم المرحوم و
قلنا بشرفى انى اخدمه بعد وفاته .. وأرجو أن تعفرتينى
الصلة .. واعتبرتى دايما فى خدمتك ..
قالت ، وهى تنهد أيضا :

— متشكرين يا سعادة الباشا .. كلك خير .. والله المرحو
مسلما لايعين !!

ودخلت الخادمة. الصغيرة تحمل صينية القهوة .. سادة ..
والنقطت المنحان ورشفت رشفة مرة ، ثم عدت أسأل :

— المرحوم سلب أولاد كثير ؟ !

وكتبت أعرف أنه لم يكن له إلا أنت .. ولذلك لم أهتم
كثيرا بسماع الحوالب .. وعدت أرشف منجان القهوة المرة ، بينما
والدتك تقول :

— ما يعيش إلا بفتى هدى !!

قلت وأنا أضع الفنجان على المائدة :

— ويا ترى عرفت معاش المرحوم أد ايه ؟

قالت وهي تلف الطرحه انسوداء حول رقبتها ، كئن ذكر
المعاش يحتاج الى مريد من الحزن ، ومزيد من الحداد :

— يقولوا حدائر حبه ونصف .. انما لسه ما شفناش
حاجة ..

قلت وأنا ادعى النائر :

— سي .. ده ما ..

وبكت .. لقد أحسست .. في هذه اللحظة .. ان هناك
أحدا معنا في الغرفة .. امي لم اسمع صوت اقدام تقترب ..
ولكني أحسست ان هناك من دخل .. وخيل الى امي اسمع
اسميا كرفيف الفراشات .. وكنت ملئنا بكل حسمى حاجة
والدتك فأدبرت عنى ناحية الباب بسرعة ..
انها أنت ..

لا .. انه هو !!

وقعزت من مقعدى وقد ملأنى الدهشة .. دهشة فيها كثير
من الذعر ..

لقد رأيتك واقفة عند الباب متمشحة بالسواد .. ولكن
وجهك .. انه الوجه البحيل كوجه غنان امتص العس كل قواه
ولم يترك له الا خيالا .. وعيناك الهادئتان العميقتان النمل

تنبس صدرى وسعدان الى اعماقى .. وشفتاك الرقيقان كأنهما
ورقنا ورد .. وانف اشم .. يبدو كبرا فى مساحة الوجه انحيل ..
وشعر كسبانى فى لون السدىق ، يسدل ثاعبا فوق عنقك
الطويل ..

انك صورة منه ..

صورة من ابيك ..

كل خط ، وكل لمحة ، وكل تعبير .. منقول عنه بالنسبى ،
واللى .. منقول بالكربون ..
ادن فهو لم يمت !

احسنت ساعها ان اناك لم يمت . انه لا يزال حيا منك ..
لعد عاد حيا .. عاد فى عمر الصبا .. فى الساعة عشرة من
عمره .. العمر الذى انقبت به فيه لأول مرة .. عاد ليحرك فى
صدرى الشئ الذى يكتم اناسى ويمزق رشتى .. يبدو ان هذا
الشئ لا يموت ابدا !!

وتقدمت أنت فى خطوات بطيئة صامئة .. انك لا تنسى ،
حتى هذه الانسامه الضيقة كترجبه الأمل التى عرمتها فى ابيك ..
وصانحتك ، وسبعت والذتك تقول :
مننى هدى ..

وانسبت لك .. كانت المناسبة .. مناسبة الغراء — لا تنبح
الانسام .. ولكنى انسبت رعبا ملى . كائن ابودد اليك
بابسامتى . او ارشوك بها .. وقلت وانا احرص على ان
أصير موسى لهجة الوالد :

— البقة فى حباتك يا هدى .. شدى حبك :

ولم تردى انسامى .. ولم بهرى .. لم اشعر منك بشئ
مما شعرت به نحو امك .. لم اشعر بانك بهائى لقاء « باشا » .
هو أول « باشا » يدخل بيكم . او انك تحاولين ملق هذا الباشا
وارصاءه .. اما شعرت بشخصيتك بنفس كاملة امام شخصيتى

.. وربما كانت شخصيتك أقوى من شخصيتي ، وإن كانت
قوتها لا تبدو من خلال رقتك ..

هذا صحيح .. ولو أنك أيامها كنت في السابعة عشرة من
عمرك !! وسيفتك تتميمين نضع كلمات لم أبيتها جيدا رداً على
عربي . ثم جلست في المقعد المواجه .. وجلست أنا .. ولكني
لم أجد للمسي نفس الجلسة التي كنت أجلسها مع أمك ..
لم أجلس بهوا معتدا بنفسى كعادتي .. أنا وحسدت نفسي
أحرص على أن أجلس أكثر تأدبا ، وأكثر اهتماما ، وأحرص
على أن أبدو أكثر نائرا ، وأكثر نمسا بقتاليد العزاء ..
وسأبدا صمت ..

وشعرت بجو حرن لم أشعر به قبل أن تدخل .. شعرت
بكل شيء حولي حزينا على وفاة والدك .. الجنان ،
والمقاعد ، والأرض ، والسقف .. بل شعرت كأنى أنا أيضا
حزين ..

ومن خلال هذا الجو الحزين بدأت أحس مرة ثانية بالبيت
المشرب .. وبالرائحة الهادئة كرائحة المخور .. والضوء
الهادئ ..

ولكنى كنت قلقت ..

هذا الشيء الذى فى صدري يقلقنى ..

وقلت كأنى أحاول أن أبعد هذا القلق :

— وهدى بتروح مدرسة إيه ؟ !

وأحابت والدتك :

— خدت التوجيهة السنة اللى فاتت وتمعدت فى البيت !

وقلت موحها الكلام اليك ، كأنى ألح عليك أن تنكلمى :

— ليه .. مش عايزة تروحي الجامعة ؟

وسمعت صوتك :

— بابا ما رضيعشى !!

وقد قلنها في حزم واختصار ، كأنك لن تسمحى أبداً مناقشة
رغبة والدك .. ومملاً ، أحسست بالحزن أمام مناقشة رغبة
والدك ، والتفت إلى أمك ، وقلت :

— أنا أحب أقول لك يا هاتم سر ما تمرغش .. وما حدش
سمرنه أبداً .. أحب أقول لك ان المرحوم صاحب فضل كبير
على .. أنا خلوقتى راجل غنى .. إنما لو ماكتش المرحوم
ماكتش عمرى بقيت فقير ..

وسكت برهة ، حتى ألح وقع كلماتي .

ثم قلت :

— بعد ما أخرجت من المدرسة ، وأبديت اشتغل ، استلقت
من المرحوم عشرة جنيه . عشرة جنيه بس ، وكتابوا كل رأس
مالي .. وبالعشرة جنيه دول بقيت عنى ..
وسكت ..

وقالت والدك :

— البرك عليك انت يا سعادة الباشا .. عشرة جنيه

أينك ، مش زى ألفا في أيد راجل ثاني ..

ولم أرد .. إنما تنحنت تواضعا ..

ونظرت إليك ..

ولم يكن يبدو على وجهك شيء .. كفت تنظرى إلى في

استطلاع كأنك تأمرينى بأمر أتم كلامى ..

وعدت أقول :

— أنا ما رجعتش العشرة حنيه دول للمرحوم .. عمره ما جه

طالمهم منى ، وعمرى ما افكرت أرحمهم له .. ما افكرتش

الا بعد وفاته .. وأنا جاي النهارده علشان أسدد الدين .. إنما

الدين ما بقاش عشرة جنيه .. الدين بقى ثروتى كلها .. أحب

أقولك ما هاتم أبى باعشر نفسى مسئول عمك وعمر هدى من

دبوقت .. أبى أبى ، وهى بنى .. ومش ممكن أسمح لعلبة

مديقي وصاحب الفضل على أن تعيش بمعايش حداثر جنبه ..
وقالت والدك ، وذكاؤها بتقدم كلماتها ، وأمل خمي بتراقص
موق وجنبها :

— والله أنا محتررة نعيش بيهم ازاي ..

والفت أنت الى ..

وأحسست بعيبك ثقبان صدرى وتصلان الى أعماق ..
أحسست كأنك تتهميننى بالكذب ..

وكنت كافيا فعلا ..

إنها قصة اخترقتها ، ولا ادرى لماذا اخترقتها ، فلم أكن
قد أعددتها قبل أن أزورك ، بل لم تخطر ببالى قبل أن أراك ..
وربما اخترقتها لأنى أحسست أنى مرشط بك .. كما كنت مرشطا
بوالدك .. وحتت أن تسعصى على والدك .. خفت أن أمقذك
.. أن تتعدي عني . وظل مظهرتك العميقة الهائلة نظاردي ،
ومحرك فى صدرى الشيء الذى يعذبنى ..

وقد نحتت القصة المخلقة .. وكنت مبررا كافيا لأن أربط
حياتك بى الى الأبد .. أو الى أن أموت ..
وعدت أقول لوالدتك :

— وناويه تعملى إيه با هانم .. قصدى ناويه تبطلنى حياتك
ازاي ؟

فألت وهى تضع يدها فوق خدّها ، كأنها تلحننى بمصيبة :

— ناوية آخذ هدى ونروح نقعد عند أخويا فى المنهور !

وقلت بسرعة كأنى أحسست فعلا بوقع المصيبة :

— وده اسمه كلام .. طول ما انا عايش ، مش ممكن حاجة

فى حياتكم تنغير .. تفضلوا عايشين زى ما أنتم وأحسن شوية !
واللتقت إليك وسبعتك تقولين فى حزن عميق ، يحمل معنى
الذنب :

— ما دام بابا مش معانا مش ممكن نعيش أحسن !

ومطرت اليك والدتك في حدة ، ثم البست الى وقالت وهي تنهد في امتعال :

— متشكرين يا سعادة الباشا .. برضه ربنا ما بيمسلس
حد .. اهو المرحوم ما سانش لنا حاجه الا الباشا الطيبين اللى
زى سماعتك ..

قلت :

— على كل حال يا هاتم ، انا أرجو ان تعترينى في مكان
المرحوم .. وأرحوك ما بعملش حاجه الا لما تقولىلى .. وأنا
دايما حاسال عليكم !

وقمت مستأذنا في الانصراف ..

وصانحت والدتك ، وأنا المرح على شعيتها ظل ابتسامه
تحاول ان يخفيها .. انتسامة الامل الكبير الذى تطلقه في خيالها
.. وقالت وهي تحنى رأسها منالمة في اخفاء امتسامتها :
— متشكرين يا سعادة الباشا .. سعيكم مشكور !

قلت ويدها لا تزال في يدي :

— أنا بأدى واجب .. متنسيش يا هاتم انى بسدد دين ..
دين كبير .. وبإذن الله حانصل بكم عيشان !
وقاطعنى وهي تضغط على كلماتها :

— أنا اخويا حايحى من دمنهور بعد بكره !!

وسكت .. كلتى فوجئت ..

كنت وأنا أنظر الى امك وأحادثهما انسى اننى في بيت
شريفه .. واتسى ان لهذا البيت تقاليده ، وأن من بين تقاليده
أن يكون له رجل .. ان لم يكن الزوج ، فهو الأخ .. كنت انسى
كل ذلك ، لأن ذكاءها الذى يشع من عينيها كان يبدو أقوى من
الشرف وأقوى من التقاليد .. انه ذكاء أشبه بذكاء النجار ، يرى
الحياة سعا وشراء .. ولا أكثر من البيع والشراء .. وكنت أعتقد

إنها مستعدة أن تبني ما أريد ، ما كنت مستعدة أن أدفع
ما تريد ..

ولكن يظهر أني كنت محظنا في تقدير دكاء أمك !
ونظرت إليها بعينين نصف مبتغيتين كأنني أحاول أن أراها من
قريب .. كأنني أحاول أن أصطاد شيئا من أعمائها .. وشددت
فأمتي كمادسي عندما أقبل على عقد صيته معقدة .. وساطت
نفسى في لحظة سريعة : هل هي حقاً لا تريد أن تلتقانى إلا في حضور
أحبها .. وهل هو محظ منها وحرص على مظاهر الشرف ..
أم هو خبث .. مجرد خبث ساذج ؟ !

وسحبت يدي من يدها ، وأخرجت محفظتى من حيسى ،
وأخرجت من المحفظة بطاقة تحمل اسمى ، ناولتها لها قائلا .
— على كل حال .. لما ييجى الأح الكريم . أرحوك نديله
الكارب ده ، وتحليه بفوت على في الشركة ..
ياحذت البطاقة قائلا :

— جاضر .. مشكرين يا سعادة الباشا !
وبالمناسبة .. أحب أن أتول لك اسى أحصل نوعى من
البنطاقات .. نوعا يحمل اسمى بخط كبير . وحامل هذه البطاقة
لا يستطيع أن يتأنسى ، مهما كان وعودى له .. ونوعا آخر
من البنطاقات يحمل اسمى بخط دقيق ، ومن يحصل منى على
هذه البطاقة يسمح له بلهى ..

وقد أعطيت والدتك بطاقة من النوع الأخير .. فقد كنت
أريد أن أقابل حالك .. كنت مسعدة أن أقبل أى أساس ..
فى ملاك أو شيطان .. لأربط حياتك بحياتك ..
واسفرت إليك .. كنت قد وقعت احتراما لوقعنى .. وكان
وجهك الحيل يلا العرمة كلها .. ويملا مسدى .. ومددت يدي
إليك قائلا :

— شدى حيلك يا هدى .. ربنا يعوضك خير !

وانفجرت شفتاك كالك تهمين ان تتكلمى .. ولكك لم
تتكلمى !

وسحبت يدى من يدك سريعا ، فقد خيل الى انك سطمسين
الرعيشة فيها .. واشرت عينى من عنفك بسرعة حتى لا ترى
من خلالها اعمالى .. واتجهت الى الباب ، ووالدتك تسير
بحاى تودعنى .. وانت واقفة فى مكانك ، وعيناك أحس بهما
كانهما تثقلان ظهري ..

ونزلت السلم ، وأنا اتعجب من نفسى ..
مالى وكل هذا ؟

لماذا لا اترك هذا البيت فى حاله ؟ !

ما هذا الحسب المبييتى الذى اتوم به ؟ !

ولكى رغم ذلك كنت اعلم انى ساعود .. واعلم ان شينا لى
يستطيع ان يقف فى طريقى اليك ..

وخرجت من البيت ، انانا آخر غير الذى خطه .. لم اكن
انكر فى اعمالى هذا التفكير العنيف الاجرامى ، كما كان حلقى
فى الاسبوع الذى مضى .. لم تعد اعمالى تشمل كل تفكيرى ..
اصبح هناك شيء آخر .. اصبح هناك .. انت ..

وعقب خروجى ذهبت لحضور اجتماع مجلس ادارة احدى
شركاتى .. ودهش عبد العظيم ، عندما رآنى ساهبا كائى
عاشق ، ودهش أكثر عندما رآنى اطلب تأجيل عدة قرارات
كنت قد اتفقت معه على اعلانها .. قرارات كلها تخفى تحتها
اعمالا قذرة .. اقذر مما تتصورين ..

وانتهيت الاجتماع بسرعة .. ورفضت عقب الاجتماع ان
اجلس مع عبد العظيم كما هى عادنى .. وعدت الى بيتى ولما
لا زلت انكر .. انكر فيك ..

ولم يكن هذا هو الحب ..

لا يا هدى ..

ثم اكر قد احسنتك بعد .. انى لم احبك من النظرة الاولى ،
ولا الثانية !!

ولكى كنت افكر فيك تفكيراً غريباً .. كنت احس .كأنى
احول ان استعيد نصباى .. كأنى احول ان ابدأ من جديد ..
منذ اليوم الاول الذى عرفت فيه انك بعد ان شفيت من مرض
النيفويد .. وكان الأمل الذى يراودنى هو ان اتجح معك فيما
مشتت فيه مع أبىك .. ان اكسب رضاك واحترامك .. وأن أسير
معك فى طريق واحد .. وان اربطك بى .. وكان يحل الى انى
استطيع ذلك .. واذا استطعته استراح الشئ الذى يكتم انفاسى
ويزق رئتى .

وكنت اقول لنفسى : « انها معيرة .. وهى لا تعلم عن
حياتى شيئاً ، ولا تفهمها .. ومن السهل ان اخفى عنها أخطائى ،
وشروى ، واممالى القذرة .. بل انى أستطيع الآن ان أستغنى
عن هذه الأخطاء والشور .. وعن هذه القذرة .. لقد أصبحت
غنياً .. ولست فى حاجة الى مزيد من الغنى .. لما حاجتى الى
القذرة .. انى أستطيع الآن ان ابدأ من جديد .. ابدأ شريفاً
كوالدك .. وان اكسب ثقتك واحبابك كدليل يقنعنى بانى أصبحت
شريفاً فعلاً » ..

كنت اقول هذا الكلام وانا اتعجب من نفسى .. انى احول
شيئاً عجباً .. هل تعرفين ما كنت احاوله .. كنت احول ان
أشتري الشرف .. نعم .. حاولى ان تفهمى .. كنت احول ان
أشتري الشرف .. وكان الشرف بالنفسى لى يمثل فى انسان
سيط وموظف صغير هو والدك .. ثم اصبح يمثل فيك .. فى
نساء بسيطة ، وجهها نحيل ، وشعرها فى لون الفندق .. وقد
عجزت عن شراء أبىك ، فلو استطعت شراءك .. فقد اشتريت
الشرف !!

ولا أقصد بالشراء ، مجرد دمع الثمن بالمقود .. منذ كنت

مستعدا ان ادفع الثمن باى عملة .. ادفعه من جهدى ودكائى ،
 متمير محرى حياتى كلها ..
 هذا ما كنت اتخيله ..
 وهذا ما كنت افكر فيه ، وانا راقد فى فراشى ..
 وثقيبت على جسى ، نصدمتى صورة زوجتى موضوعة
 بجانب الفراشى .. وامتنعت .. لويت شفتى تقززا .. ان
 هذه الصورة موضوعة هنا دائما ، ولكنى لم اكى اراها .. كانت
 قطعة من قطع الاثاث .. موجودة ولكنى لا احس بوجودها ..
 فلماذا احسست بها اليوم ؟ !

انك سمعت عن روجى .. زوجتى الانجليزية .. ولكذك
لا تعرفينها .. ويبدو انى يجب ان احدثك عنها - وعن حياتى
معها ، حتى نكمل حقيقى امام عينيك ..
دعنى اقدم لك روجى الانجليزية ..
واقول « زوجتى الانجليزية » ولا امول « روجى » فقط ،
لانى اعلم ان كل الناس يدعونها دائما « زوجة الانجليزية »
زوجة الانجليزية ذهبت .. روجة الانجليزية جاءت .. روجة
الانجليزية مرضت .. لا اجد بقول ابدا « روجة » .. دائما
« روجة الانجليزية » .. كأنهم يسمدون اهائى !
وانا استحق هذه الاهة !
فقد تزوجتها لانها انجليزية !!
فقط ، لانها انجليزية !!

كان ذلك عام ١٩٢٧ .. وكنت ايمانها لا ارال اعمل فى مقاولات
الجيش البريطانى .. جيش الاحتلال .. وكان مركز عملى
فى مورسعد .. ولم اكن اكنفى بمحودات عبد العظيم بك
- او افندى - فى رشوة المصايط الانجليزية - ولا بالملقى الحمراء
اننى يمددها لهم .. بل كنت احاول ايسر ان ائترب الى عائلات
المصايط .. وكنت شانا .. لم اكن جيسلا .. ولكى كنت محلا ..
وكانت محولى والسمرة الى طفح وحيى - نثير النساء الانجليزيات

.. كنت أرى عيونهن نشتهينى ، وشفاهن تكاد تأكلنى .. ولكنى
كنت دائماً حريصاً على تجاهل عيونهن وشفاهن ، لا تعفنا منى ،
بل لانى لو لبست بداء واحدة مساعضب البائيات ، ولو أمضيت
واحدة مقد يثور على جيش الاحتلال كله ..

ولذلك حرصت على أن أعرف بين العائلات الانجليزية بانى
انسان مهذب .. جنطلمان !!

الى أن كان يوم ..
ودعانى أحد الصباط الى كأس متناوله فى المادى الخاص بهم
داخل المعسكرات .. وهو شرب كبير لا يناله الا القليل من
المسكرين امثالى !
وهناك رأيها ..

فناء سميبة .. بعكس اغلب الفتيات الانجليزيات المشهورات
بالحفاة .. انها قطع من اللحم بعضها فوق بعض .. وملامح
وجهها غاصت فى هذا الكوم من اللحم ، فلم تعد يبدو منها عنان
ولا انف ولا شفتان .. وساقها لا خطوط فيهما كأنهما عوداه
طبعون . ودراعاه عريمتان ، لونهما احمر كأنهما شحذا خنزير
مسلوق ..

هل تعتقدين انى بالغت فى وصف بشاعتها ؟ نقى انى لا ابالغ ،
فهكذا رأيته لأول مرة !

ورغم ذلك فقد اهتمت بها عندما قدمنى اليها صديقتى
المسلط الانجليزي .. وبالغت فى الاهتمام بها .. وبدوت أمامها
فى أحمل صورة للجنطلمان .. فقد كانت تحمل شينا جميلا ..
جميلا جدا .. كانت تحمل الحنسية الانجليزية !

ولم ألح فيها - عندما رأيته لأول مرة - شئاً مما تعودت
أن ألح به فى عيون النساء الانجليزيات وشفاهن .. ربما لانى لم
أكن أكاد أرى عينيها وشفتيها. وسط كوم اللحم الذى تحمله فوق

كتفيتها .. وربما لأنها كانت قد مدت ثقبها في ممسها إلى حد .
 الناس ، فلم تعد تشتت الرجال ..
 وحرصا من الثلاثة . بعد أن شربنا عدة كؤوس . بطوف
 ببعض ملاهى نورسميد .. ثم ودعتهما ، وعدت إلى ستي ..
 ونسيتها قبل أن أصل إلى الباب ..
 وفي الصباح جاعنى عند العظيم بهرول في حنايه الكالغ —
 وكان أيامها لا يرال يردى الحناب وغوته المعطف الأصغر .
 وقال وكلمانه سرخاقي فوق شعبيه العيطيلين :
 — تعرف من أنت التي كانت معك إماره ؟
 قلت بلا اهتمام :
 — أنت المكظه ..
 قال عند العظيم كنه بلومنى :
 — أبوه المكظه .. مين سقى المكظه دى !
 قالت وقد أثارى اهتمام عند العظيم :
 — لأ .. سقى مين ؟
 قال كنه يلقى قسلة :
 — سقى ست الكولونيل ديفيز .. الكا ..
 وقلت مبهوتا :
 — لا يا شيخ ..
 قال وهو يهنيء نفسه :
 — وحياتك عندى .. دى أنا عارفا .. ساعة ما سبشى وسط
 المعسكر ، المعسكر كلهم بشطروا وانفين وياخدوا عظيم سلام ..
 وتركنى عند العظيم وأنا امكر في مشروع فسخ للاسبلاء على
 جميع مقاولات الجيش البريطانى ، بل جميع مشروعات الحكومة
 المصرية أيضا ..
 ان الكولونيل ديمير هو مدير الاشغال العسكرية بالبحر
 البريطانى .. ولكن بغوده كان يمتد إلى جميع امكانيات مصر ..

فقد كانت كل امكانيات مصر في خدمة الجيش البريطانى .. وكان فوق ذلك صديقا شخصيا للمندوب السامى البريطانى .. لم يكن ابدا محرد « كولونيل » انجليزى !

وقلت لعمى : « لو استطعت ان استولى على بنت ديفيز ، فقد استوليت على ديفيز ، واذا استوليت على ديفيز ، فقد استوليت على المندوب السامى ، واذا استوليت على المندوب السامى فقد استوليت على مصر » !

انها محرد عملية حسابية بسيطة .. كما برين !!

ومضت فى تنفيذ مشروعى الضخم ..

بنات ارسنم خطواتى فى حرص ، وصبر طويل .. كان يجب الا ابدو مهما بالمقاء اكثر من اللازم .. والا الاحقها .. انى اعرف هؤلاء الانجليزات ، اتصد الانجليزات اللاتى كن يكن فى مصر ايام الاحتلال .. انهن مفطرسات .. وملاحقتهن تزيد من غطرستهن ، ومن احساسهن بالسيادة .. واحساسهن بموضعنا !

وسمعت كى ادعى الى نادى الضباط اكثر من مرة .. ذهبت الى هناك ثلاث مرات ، دون ان التقي بها .. ثم رايتها فى المرة الرابعة .. ولم اقبل عندها .. بل تركتها تحبب من بعيد .. ثم صبرت الى ان قامت وحاجت لعضم البنا — صديق ، انجليزى وانا — ونحن واقفان الى « البار » ..

- وبدوت املها كما راتنى عندها التقيت بها اول مرة .. انسانا/بهذا .. حنظلمان .. ولكى كنت اختلس النظر اليها طينات لا تلمحها .. كانت بظرات احدث بها عن ملامح وجهها التى غاصت فى كوم اللحم .. وعن ساقها ، كاهها عمودا تليفون .. وعن ذراعها كاهها فخذ خنزير مملوق .. وكنت اسائل نفسي : « هل هذا الشئ يصلح زوجة لى » !!

وكنت اشعر بشعريرة تكاد تنقب اعماى ، وانا اتمورها

روحه لى ، رامة نحاسى فى مراشى واحد .. لا لانها سميه ..
مقد كانت المسه ايامها احدى ممبرات الجمال . وكنت لا انقز
عندما اجد فى فرشى ابرافه سميه .. انما كنت اقرر لان
سميه " كانت تطعى على كل خطوط جسدها ووجهها ..
كانت اشبه بماله القطر المكوس .. وكانت نحبط بها ريح
ثمنه . كدها تملأ مراعا اكبر مما يحمله جسدها .. لم يكن
مها الا شيء واحد جميل .. شيء آخر بجانب الحسيه الانطويه
.. قلبها .. كان لها قلب طيب كريم سادح .. وكانت تهب
حنايتها لكل شيء حولها .. ومحبك لكل شيء تسمعه او تراه ..
وسكى عندما لا تجد شئنا تضحك له او تهبه حنايتها ..

ولكن ماذا يحدينى قلبها ، فى فراشى !!
ورغم ذلك فقد اهتمت بها ليلتها .. اعطسها كل ما املك
من دكا ، ولبانه .. اصحكها كثيرا . واسعدتها .
وقتل ان نغزق دعوتها هى وصديقتى الضابط الانجليزى .
الى العشاء فى الاستوع البالى .. ولم اجدد اليوم .. انما وعدت
من اتصل بهما لتحديد الموعد .

وبعد ايام ارسلت لها خطانا رفقنا ادعوها الى العشاء يوم
الاحد فى العمدى الذى كان يطلق عليه الاهالى اسم « البيت
الحديد » .. لانه قائم على عمد من حديد ..

وارسلت بمسى الخطبات الى صديقتى الضابط الانجليزى ..
ولكن بعيدت ان يصل اليه خطاى فى مكتبه بعد ظهر يوم السبت ،
حتى لا يتسلمه ، فى يومى السبت والاحد ..

ولا سسى ان الطيوس لم يكن قد انتشر فى مصر بعد !!
وجاءت وحدها ، فى سيارة يتودها حندى برطانى .. ولم يكن
فى بورسعيد كلها الا خمس سيارات خاصه . هذه اجداهها ..
حامت برى ثوبا للسهره تدوميه كمطاد زيلن .. واستقلتها
رايا ارى حله « سموكنج » كعادة الانجليز فى سهراتهم .. ولم

أصع الطربوش على رأسي حتى أندو أكثر تحررا من مصرتي .
وكنت قد أعددت مائدة لثلاثة .. وحطنا شرب كنوس
الويسكي في انتظار المذيق الذي لم يحضر . بينا عيون المصريين
الذين يحبطون بنا - نكاد نشفق .. ثم نشعر شهيقا عن تطرات
عل وحسد ، وهم يروني جالسا مع اسة الكولوبيل دبمر ..

وبعد قليل اسسنا كنوس الويسكي صديقا العائب .. وسقطت
عليها دكائي لرائقي .. واهتزت بآلة القطن من الضحك . ومن
مرط السعادة ..

وقمت اراقصها .. وكنت قد تعلمت الرقص منذ بدأت احاول
ان اكون « جميل » . وبعد بذات اسمي الى اسمرع معانلات
الضباط الانجليز .

وحملت بآلة القطن بين ذراعي .. ورامحسها « البانجو » .
و « العانس » . ولكني رمست ان اراقصها « الشارلسون » ..
مقد جمعت ان بشحك غلبها وعلى المصريين الحائسون حولنا .
وهم يرونا نغذب سيقانا وادرعنا في الهواء كمن يحاول ان
يحلمس بها ..

وفي خلال الرقص ايضا حرصت على ان اكون « جميلا » ..
ونكني تعمدت ان اوتعمها في حبرة .. كنت التقي بعينها منظر
اليها بطرد مديها حب واشتهاء .. ثم اسحب بطري سريعا قبل
ان تناكد منها .. وكنت ادع حدى يلامس خدها . وعمل ان يستريح
على حدى . اسعد سريعا .. وكنت احرك يدي فوق ظهرها ونحس
برقص . وتعل ان تسرى حرارة يدي في حسدها ، اقب يدي عن
الحركة .. واروي لها نكته مهتمة !

وشربت كثيرا ليلها . كانها كانت تحاول ان تنسى ماكانس
حربها .. او كانت كانت تحاول ان تحد في الكاس حوايا على
عشرات الاسئلة التي اثرها في راسها : لماذا اهم بها كل هذا

الاهتمام ؟ .. وما معنى هذه البقرة ؟ .. وما معنى هذه اللبنة
.. و .. و .. ؟ !

وكانت الساعة الثانية صباحا . عندها ودعها عند باب
سارنها .. واتخذني البريطاني يفتح لها الباب ، ويرفع يده
بالفتحة العسكرية ..

ودعها دون أن أحدد معها موعدا للقاء ..
وبريث منبلا قبل أن تتركب السيارة . ولحقت عيها بين كومة
النجم التي تشكل وجهها ، لحبهما حائرتين كأنهما تسالاني : متى
أراك ؟ !

ولكني لم أحب العنين التي سؤلها ..

ومضى الأسبوع لم أحاول خلاله أن أصل بها .. كنت أريد أن
أريد من خبرها .. وكنت أحاول أن أتركها تسعى إلى وتلاحقني ..
ليس هذا فقط .. فقد كنت خلال هذا الأسبوع أحاول أن أراجع
معي .. كنت أحاول أي أضع نفسي بأن أعدل عن هذا المشروع ..
وكنت أذكر رملي محمد أمدي السد ، وأسائل : هل يرضى عن
مثل هذا الزواج ؟ ! ويحييني الجواب في صورة شيء سحرك في
مصري ، ويكاد يكتم أنفاسي ، ويمزق رئتي .. شيء يثقلني ،
ويغضبني !

ليس هذا فقط .. فقد كانت أنفاسي الثابت لها رائحة
عجيبه .. رائحة أشبه برائحة حميرد البيرة .. وأنا أكره البيرة
وأكره رائحتها !

ولكن ..

في نهاية الأسبوع . وصلتني دعوة منها إلى حملة ساهرة
مفيمها في بيتها .
حملة في بيت الكولونيل ديفيز ..

حاولي أن تنصوري هذا .. تناول صغير مثلي لا يرال

في بداهة الطريق ، يدعى الى ست مدير الأشغال العسكرية بالحش
للمريطاني !

ولا ينسى أننا كنا في عام ١٩٢٧ ..

وكنت أطير من المرح .. وطعنت مرحتي على برددي ..
سيف محمد أفندي السيد .. وسيف رائحة انحاس اليزايت ..
وسيف الساميين اللين بشبهان أعده النلعون .. والذراعين
اللين بشبهان محدي الحرير المسلول .. نسيف .. واطلق
في خيالي آمال كمار .. رايت خريطة مصر كلها مشورة أمسي ..
ولى في كل مكان منها مصنع .. ومشروع .. وعزبه !!

ودهنت الى انحل مريديا الحله « الاسوخخ » ، وموق
رأسي طربوش طويل مائع اللون . فقد كنت أعظم ان الايطير
بحون ان يزيتوا حملاتهم بهذه الطرايش الحمراء .. انها مظهر
من مظاهر سيادتهم !

واسبقني اليراث عند الساب مرجه .. بل أعزقت في
الصحك بمجرد ان رأسي . فقد ذكرت بعض النكات التي رويها
بها ؟

ثم قدمني الى والدها الكولونيل ديمير .. والى أمها . مسر
ديمير . ثم طلب بحواري طوال الحفل ، فاستحب بها كسي نصف
شرف .. وقدمني الى كل المدعوس .. اسماء يسبح بها المقاولون
أفئتي من بعيد ولا يسربون منها أبدا .. أسماء كبره .. أسماء
بحتل مصر ؟

ولم أضمح وقفا .. عصب دكائي كله لأربط نفسي بهؤلاء
السادة الاتحضر .. لم أكن أفعل أكثر من ان أحدث . وليس
أحدث ليس مناسلا . انه أشق مهمة في الحياة .. ولو سألتني
كيف استطعت ان أضح وان أضح ثروسي ، لأحكك بمسألة . لقد
عزمت كيف أتحدث !

وقد عزمت لملقها كيف أتحدث . لم أكن أوافق معانا بمصوحا

سبحا . أن النفاق مذ يرضى عرو من إقامته . ولكنه لا يرضى به . ولا مكسبى ثقه . . أيضا كيف أسوق آراء في مختلف المسائل . . . في المسائل التأسيسية . وفي المسائل الإدارية . وفي المشاريع العمرانية . . راء بذو كتبها مثل ايها رجل بعدى محسن المستقبل وطمه . . ولكنها في الوقت نفسه تحقق المصالح الانجليزية . ويعبرف بوجود الانجليزية . .

ومد كسبت بهذه الآراء ثقه الجميع . وعلى رأسهم الكولونيل ديفر . .

واليراث دائما يحاسى . .

ولم يعصب أحد من الانجليز الثمن المدعوبن معى . وهم يرون اليراث بلصقه بى . . ايها رجل يعمل بسر كل ثبات أن يحصل منه . . وربما جهدوا لى أن يحمل العبء عنهم . .

وفي نهاية العمل خرجنا - اليراث وأب - لى الثمة . . وفي يد كل منا كأسه . . وأحدث أروى لها مزيدا من المكاف المهدية . . وهى تهتز كأنزلزال لكل بكته . . ولم يكن بكلم . . أنها لا يعرف كيف يتكلم . . فعند يعرف كيف يصحح وسكى . . كيف أيا الذى أنكم طول الوقت . ثم حدة يوفى عن الحديد . . وأمسك بيدها وصعطت عليها . . صعطت بنده حتى سرى صعطتى خلال أكوام اللحم الى أن مصر الى أعصابها وحسها . . ولكنها ثم مبر . . ولم نهم لصعطه بدى معنى . . طلعت ماعره ماها . . ايها مسعد لصحكه حديد بظلفها ردا على بكاني . . واقترفت منها . . واقترفت أكثر . . وصعطت على أعصابى حتى أحيل أئحه خميره الدبر بطلق مع أنماسها . ثم ملت عليها وقتلها فوق وحسها . .

وانبعثت . .

وبطرب الى عسيب الملبس بظلال من خلال كومة اسح . . وكسب في عسيبها دهشة . . دهشة أشبه بالغماء . . ربما

لأنه لم يصدق أن شايًا يمكن أن يسعى لتقبلها . وربما لأنها باردة
الحس . أتى حد أن قملة واحدة لا يمكن أن تثيره . .
ورغم ذلك فقد مدت وجهها إلى . كأنها تطلب العسة الثانية . .
ولم اعطها إياها . أياها وضعت الكأس من يدى في حركة تمثيله
كسعى عشق ولها . . ثم قلت بصوت منهدح :
- سعدت مساءً

وأعطيتها ظهري . وحرحت من الشرمة وهى جرى حلى . .
وصاحت من وحدهم من المدعوس . . وصاحت الكولوبيل
ديبير . وممز ديفيز . . وعدت إلى بيبى . .
عدت مساءً . .

لم أعب أبداً مطلب بعثت في تلك الليلة . .
أن بعد الحاح في حفلة من الحفلات الإضغاعة ، عمل شاق
ممتع !!

وقمت في صباح اليوم التالي لأنم حظى . .
أُسلط لائزات هذه . . عليه قضية عليها موشى مرعوبه
.. ونلقب بها دعوة إلى تناول الشاي . ودعوتها بعد أيام
إلى العشاء . . ثم أصبحت أزورهم بلا تكلف . . وأنتشر حمر
صداقتى لعائلة الكولوبيل ديفيز في المدينة كلها . وجهه أربعت
من مبانٍ صغر معمر إلى شخصه هامة . . كبر الموطمين
بوودوي إلى . وكبار البحار سعون إلى صداقتى . ورملائي
الذين يشعلون في المقاولات قبل أن تشعل بها مسوات ، بدءوا
بعرضون على أن أشاركهم في العطاءات إلى ينفذون بها . .
كل هذا من أجل الكولوبيل ديفيز !!

وبفضل صداقه الكولوبيل ديفيز استطعت أن أحصل على أول
مناولة كبرى في حياى . . مقابلة تزيد قيمتها على عشرة آلاف
حيه . . وعندما حصلت على هذه المقاوله . طاع عند العظيم
امدى الحباب والمطاط الأصفر . وارتدى الحة . وممبصا دا ياقه

منضادة عاليه . تبدو رأسه موقها كراس مضحك السيرك . . اغد
 اسحب اعمال عبد العظيم . . ولم يعنى صداقه ايكولوبيل
 ديميز عن عبد العظيم ، بل زادت حذقني اليه . . أصبحت في
 حاجة الى رشود مريد من الصباط الانجليز ، واعداد المال
 احمرء لهم . . والى مريد من عمليات التحسس على زملائي
 المأولين . وعلى العمال . . الى مريد من الأعمال القذرة !!
 ولم يكن الكولوبيل ديميز رجلا سهلا كما يعتقدني . . كان
 رجلا حريصا ارقق الباب . . وكان أشد ما يحرص عليه ألا أسعد
 من صداقته أكثر مما يريدني أن أسقيده . .
 وكنت أريد أن أمطب على حرصه هذا . . كنت أريد أن
 أمسك به من عنقه . وهره بشده لأسقط من حيويه كل المقاولات
 التي أريدها . .

وعق الكولوبيل ديميز . هو : اسمه !
 ولكن اسمه لا يحرك . . أنها من السداحة والنعاء . بحيث
 لا يستطيع أن يحب . ولا أن يحطو نحو الرجل الذي نحبه خطوه
 . . وقد صبرت عنها طويلا حتى نحطو خطوة أخرى نحوي . .
 أن شجعتني على أن أطلبها للرواح . . فلم يفعل . . ظلت مكعبة
 بها اعطيه لها . . معصده أن هذا هو كل ما تستطيع أن تناله
 مني .

وكان يحب أن أشدها نحوي خطوة أخرى . .
 كان يحب أن أدب هذا الحمل من الشحم . لايمك بروحها
 بين يدي .

كنت أريد أن أسطر عليها سيطرة كاملة . .
 وكنت أؤمن بأن الرجل لا يستطيع أن يسيطر على المرأة إلا إذا
 سيطر على جسدها . . سيطر على حاجه جسدها اليه . .
 وكنت واثقا من معني . .
 كنت في شئني أستطيع أن أسطر على جسدي امرأة . .

كانت المسألة بالنسبة لى مسألة أعصاب .. محرد مسألة
أعصاب ... لا عاطفه . ولا تحاوب . ولا أى شيء آخر ..
محرد أعصاب قوية أستطيع أن أستعملها كيفما شئت . الى أن
يحصع المرء .. أى امرء .. وأى نوع من النساء .. سواء
الشوارع .. أو نساء الصالونات !!
المسكينه ..

لقد قدر عليها أن نخضع لى .. الى الأبد !

وكنا مدعوس فى حفلة ساهرة . وشربت ثرايث ليلها
كثيرا .. ثم عرضت عليها أن أصحبها الى بيتها .. فسعدت
بالدعوه ، أنها دائما سعيدة وهى بخانى .. وأمرت مائق
سيارتها بالإصراف . وركبت معى حطور .. وفى الطريق عرضت
عليها أن تزور مكبى .. ووافقت .. بسرعة .. كأنها مسطر
هناك شيئا يجعلها تضحك أكثر .

وكتب أسحر ماء مسعرا فى أطراف لحي الأبرحى
بورسعيد .. مكوبا من دورين .. الدور الأرضى حصننه
للمحازن . والدور العلوى للمكتب ..

وكان عبد العظيم ينتظرنى هناك .. وكان قد عد كل شيء !!

ودخلت البزايث وهى تدير عينيها فيما حولها ، وفمها مفتوح
بأها للضحك .. وأعلق عبد العظيم اثاب وراعا .. وحلس
لخلفه يؤدى واجبه .. أن عبد العظيم يجيد دائما تأدية هذا
الواجب !!

وبدأت أذاعب اليرايث ، وهى تضحك ، ويهتر مطاد ريل
مع ضحكها .. ثم اقتربت منها .. وأحطتها بدراعى .. فسمعتها
أبى صدرى بكل فواى كأنى أصارع مبل .. ثم اطمقت بشمعى
على شمسها حتى أسكنها عن الضحك .. ولم أستطع أن أبقى
شمعى على شمسها طويلا .. كانت رائحه خمريرة البيرة أعف من

أن أحصلها لأول وهنه .. كانت هذه الرائحة تطلب مني مريداً من الذهب .. ومريداً من المصمط على أعصابي ..
وقالت اليراث بانحطبتسها المريحه . وأنا أملك دراعى عن حصدها ؛

— هل كل المصريين أتوياء هكذا !!

قلت في صوت حاد :

— أنا أتوياء عندها تحب !

وسكنت برحه عندها سمعت كلمه الحب .. كابها لا يصدق
أدبها .. ثم عادت بحسك كأنها اعسرت ما سمعه بكبه أخرى
.. ولكنى لم أشاركها الضحك .. بل وقفت أمامها صامداً ، وفى
عيني بظرة حطيرة .. وبقيت صامداً وفى عيني هدد البظرة الحطيره
.. حتى كفت عن الضحك .. ورأيتها حائرة .. لا تدري سر
صمتي .. ولا تدري ماذا يحب أن يقول أو يفعل .. كابها اكتشفت
لحظة أنها نائبة .. نائبة في ..

وبحطوات ناسه .. حطوت نحو أنور وأطعانه .. كنت في
جناحه الى انطلام ، لا يمكن من السيطرة على أعصابي .. ثم عدت
إليها وأمسكتها من يدها وأجلسنها على الأريكة .. وأحطتها
بدرأى مرد أخرى .. ضمتها بكل قواى .. وأطلقت شمسي
على شمسيها .. وحاولت أن أفلق طاقة انمى حتى لا أشم رائحه
أسيرة . ولكنى لم أستطع إلا أن أعلق عيني !!

وملت بها موق الأريكة .. وهى مستسلمة .. صامتة ..
وترعت عنها ثنائها .. وهى مستسلمة صامتة .. أن كومة
الضحك لم يدب بعد .. أريدها أن تذب .. أريدها أن تلهث ..
أن تتحرك .. أن تمنى ..
وصبرت ..

ودات أنعاسها سلاحق .. ورائحة خميرة السرة سطلق في

وحبى كالروبعة .. بداب بدوب .. وسحرك .. و .. و ..
و .. و ..

.
.
هدى :

لا نزعى واتب نزعى هذه السطور . ولا بصرخى كأنك
رأيت ثعلباناً نحب قدميك .. أرحو الأعرعى ، ولا سعطى وجهك
البرىء بدمك .. ارمعى بدمك عن عينيك .. واسطرى الى وى
هدوء .. انى أريدك أن يرمى كما أنا .. أريدك أن يرى المحرم
الذى أمسد حباتك .. تربنه عاريا .. ولعلك لاحظت أنى أبيض
فى سرد حرامى .. أن كل هذه التحرام ليسب إلا مقدمة للحريمة
الكرى .. الجريمة التى كنت أب صاحبها .. مندمه انعمد أن
أطيل فيها حتى أحفف عليك من وقع الصدمة الأخيرة .. وقدرى
أسى اعترف .. اعترف لك أنت وحدك .. ولم أكن فى حاحه
الى الاعتراف ، لولا أنى أحبتك !

ثم لا نسألنى عما إذا كنت قد وجدت روجى عذراء فى تلك
اللغة ام لا .. انه سؤال سادح .. لم يخطر على رأسى ولا على
رأسها .. ولكن أسألنى ' ماذا حدث لها بعد ذلك ؟ ' .
لقد تغيرت ..

كتب عن الصبح .. كأنها تخذلت فى عالم سحر عجيب .
لم يكن بدره . ولا تحيله .. وفمرت الى عينيها هذه النظرة
الشبهة التى كنت المحبة فى عيون النساء التحليلات ، وهن يلتقين
بمحولتى ..

وأصحت فطاردننى ..

سعى ورائى ..

نعد ملكها .. سبطرت عليها !!

ولكى يركنها بحوع .. حامت أياها طويلة حتى كادت تحن ..

وحيل الى انثى فى هذه الامام . قد غفلت كثيرا من سميتها ..
مدات اعصابها بأكل فى كوم اللحم .. وكنت الاميها .. واحاول
كهادتى ان املأ فيها بالصحك .. وان اروى لها مكاس .. ولكنها
لم تكن تريد الصحك .. كانت تريد دائما ان يذهب الى مكسى !!
ولم ادهما تذهب اليه ..

الى ان قالت لى يوما ، ونحن فى شرفة بيها .. قالت فى
لهجة كائسة كانها سقطت اعياء من شدة الجوع :
— هل صحيح انك بحنى .. لقد سمعتك مره تحدثنى عن
الحب ؟!

وكسوت وجهى بملاح حادة . قلت وانا ادعى الارباك :
— انى احب الى حبه انى انكر فى الزواج !
قالت وهى دهشة :
— ماذا تعنى ؟

قلت وانا انظر اليها :
— اعنى انى اريد ان اتزوجك !!
قالت صارخة :

— تتزوجى انا ؟ !
قلت وانا ادعى الجزع :
— اترفضين ؟ !

قالت كأنها تترفد :

— ارفض ، هل انا مجنونة !! الا تعلم .. !!

وقبل ان سم حبلها بحسنى من يدي ، وحرخت من من
انصرغ الى حث كان يحس والداها .. وقالت لهما صارخة :

— لقد اتفقت انا وحسين على الزواج !
واسقط الكونسل بغير الحريفة من امام عيسه . ورمع عليه
من بين اسمائه . ثم قام من مقعده فى منهى "هدوء" . وتقديم
الى يسانحنى قائلا :

مروك ..

ببما احببت مسر دغير اسها ثم خافت تنسى . قاتلة :

لم اكن انظر ان يكون لى اس مصرى ..

وصح الكولوميل ،

— اظن انت بحب ان شرب كُسا '

وهكذا بروحت !!

اى رواج هذا ؟

لقد عرفت روحى المسكينة بعد مره نصبره . ماذا كان يعنى

رواحيا .. عرفت ان زواحي مجرد عمله بيع وشر .. تنسى

بمودها وبموذ انبها ، لشبرى ما شمع حسدها .. قد غودبها

الاحالى الا احرا على صفقة ساعدتى على انماها ..

وقد ساعدتى فى كثير من الصفقات .

كاتب يطلب من اسها صراحة ان يساعدى .. وكيف اتول

لها ان الحيش اسريطانى سيطرح مناقصه عن مشروع كذا ،

فذهب الى اسها وبصر على ان نرسو هذه المناقصه على ، حتى

لو تقدمت بأسعار أعلى من أسعار بقية المقاولين .. ولم يكن

انوها يستطيع ان يرد لها طلب .. انبا اسه الوحده ، وأنا زوج

اسه الوحيدة .. وعندها نرسو المناقصه على ، كانت الاسه

ننام سعدة ؟ !

واسمحت فى ندى كل مدامصاب الحيش الريطانى .. ولم

اكن من العناء بحيث استولى عليها كلها وحذى ، بل كنت اترك

بعضها رملانى من كبار المقاولين ، على ان اشاركهم فيها ؟ !

ان رجل الاعمال الماهر ، يحب الا يترك الفرصة لماسسه

حتى سحدوا وسألوا عليه .. بل يفرق بينهم دائما .. ان يشارك

واحد منهم فى هذه العملية .. ويشارك الثانى فى عمليه اخرى ..

حتى لو صحى فى سبيل ذلك بعض اطباعه .. وهذا ما كنت

افعله '

وعن طريق روى أصبحت مدبجا شخصيا للمندوب السامى
البريطانى .. صديق العائلة .. وكنت أدعى الى اخصر الحملات
التي يقام فى دار المندوب .. حملات عائلية صغيرة ، لا يحضرها
الا أربعة او ستة من المدعويين . ليس بينهم مصرى الا انا ..
وعندما عرفت المندوب السامى ، عرفت زعماء مصر ووزراءها
ورجال احزابها ..

لم اسع اليهم .. ولكنهم سعوا الى .. ولم أعد شخصيه
محليه ينصر بيدها على بورسعيد وحدها ، بل أصبحت شخصية
عامة تملأ مصر كلها ..

ومد حدث كل هذا سرعه .. سرعه عرسه .. ثلاث او أربع
سنوات .. واقترنت من المليون الاول ..
واستقلت أنا وروصى الى القاهرة . واستأجرت قصرا فى
'نزمالك' . لآكون بجانب دار المندوب ..
وليس معنى ذلك انى أصبحت انجليزيا ..
لا .. لا ..

انا لا استطيع ان اكون انجليزيا .. وانا لا استطيع ان اكون
مصريا .. انا مصنع .. انا شركة .. انا عزبة .. انا صفقة ..
انا مصلحة .. واينما كانت مصلحتى اكن !!

وكانت مصلحتى مع الانجليز .. بل ان الانجليز اصبحوا
شركاء لى فى كثير من شركاتى .. وقد سافرت مع زوجتى الى
انجلترا عدة مرات . قدمنى الى مادة رجال الأعمال .. السادة
الانجليز .. واستطعت ان اعقد معهم عدة اتفاقات .. لقد وحدثهم
محاضرين انى اسم مصرى يحفون حلمه رجوس أموالهم .. منحتمهم
اسمى .. هكذا سيطرة !

ولكى لم اكن من العناء بحيث اعادى الحركة الوطنية
المصرية .. لا بالعكس .. لقد كنت اؤيدها فى الحدود التى
لا يصير مصالحى .. واعلم ان رجال الاحزاب الى .. على اختلاف

حرايمهم .. اطلبنوا الى لانهم عزموا انى لا اطمع فى ان اكون
رئيسا لثورراء .. ولا وريثا .. وانى لن اؤلف حريا انفسهم به ..
عداوا يعقرون الى .. وكل منهم يستطيع ان يخذ منى رسولا
لدى التحليلر .. وكنت ارحب بان اكون رسولا الجميع .. فهم
عندما اخذوا منى رسولا .. وضعوا اعناقهم فى مدى !!
وكل هذا وعند العظيم يورع الرشاوى على الموظفين ..
كنارهم وصغارهم .. ويشترى لى رجال الاحراب .. ويعيهم
اعضاء فى مجالس شركاتى .. و .. و .. وبقية الاعمال القذرة
تى حدسك عنها ..
وروحى ..

لقد بدأت بعد نفودها .. اصبحت انا اكبر بها .. واكثر
من انها .. اصبحت اكبر من الكولوبين ليعير نفسه .. وعندها
صرت لم اعد فى حاحه الا اضعط على اعصابى حتى اشبع جوعها
.. جوع الروحه المسكبه التى صعب لى كل هذا المجد .. وكل
هذا الشراء ..

وبدأت هى سرورى .. صيرت على الجوع حتى لم يعد جوع
.. ومع الايام لم تعد تربطها منى حاحه حسدها الى .. بل اصبح
.. ما تربط منى هو اشراء الذى احبطها به ..

انك لا تعلمين يا هدى كم تعدت بهذه الروحه .. لقد كنت
انعذب وانا احاول ارضاءها كي اسبعل نفودها .. ثم اصبحت
انعذب لمجرد مراها .. لم اكن اكرهها .. ولكنى كنت اكره نفسى
كلما راسها .. كنت ارى فيها شفاعه نفسى .. كنت ارى منى
مسيوبى .. وحشعى .. وكنت اهرب منها .. نعم كيف اهرب
منها .. كانت تنطق امام كثيره دون ان اراها .. حتى لا ارى
نفسى عنها ..

وكنت احبنا اذكر انك .. رملنى محمد امذى السيد ..
واسأئل : ترى كيف يعيش هو وروحى ؟ .. واى نوع من

النساء بروح ؟ .. ثم كنت أصوره في بيت صغير هادئ ،
 وبخاتنه زوجه حنون راصيه .. مأخذه .. واحسن بالشيء
 سحرك في صدري ويكاد يكمن أنفاسي ، ومزق رثتي ..
 ورغم ذلك ماني لم أفكر في أن أطلق روجي . اني لارلت
 محباها اليها . على الأقل أمام الناس . وحس لا أثر بطلاقها حديثا
 انا في عني عنه . وأعجب أصدقائي الانطيز الدس لارلت في
 حاحه اليهم .. لقد كبت بالنسبه الي كاني أحمل الحنسة
 الانطيزية . بجانب حسيبي المصرية ..

وكبت أهرب منها بالعمل .. ومريدا من العمل .. ولكن
 العمل وحده لم يكن يكفيني .. أن أأدب بمعلون كثيرا . محباون
 "أي نوع عسف من اللهو حتى يربحوا رؤوسهم من العمل ..
 أن معظم رجال الأعمال يعرمون بالمقامرة مثلا .. لا يقصد
 الربح . ولكن لأن المقامرة لهو عفيف مثير يفسهم العبء الكبير
 ابدى يحملونه في رؤوسهم .. وقد يحرج رجل الأعمال من مكانه
 طلع اشطريخ . أو ليطلع « البريدج » .. والشطرنج والبريدج
 من الألعاب التي يحتاج لتفكير عفيف .. ورغم ذلك فرجال الأعمال
 يفتلون عليها . لأنهم محباون الى هذا التفكير العفيف . حتى
 يشغلوا به عن عبء التفكير في أعمالهم ..
 وقد كنت أهوى المقامرة .. والنساء !!

ولم أحسر كثيرا في المقامرة ..
 ولكني خسرت مع النساء .. خسرت مرة واحدة .. خسارة
 انتهت بي الى المحكمة .. والى الحكم على في جريمه خلقه ..
 رغم أنني كنت أمامها في قبه سطوى ومودى ..
 هل علميني أي محكوم على بالسجن في جريمه خلقه ؟
 لا .. انك لا تعلمين ..

أن كل الناس يحرموني .. وتهانني .. وتفسخ لي الطريق
 .. وعصى عوف الرؤوس .. كيف يكون هذا الاساس المنجل
 محكوما عليه بالسجن في جريمه خلقه ؟ !

اس استطيع ان ارى عنك مؤهبا الاستطلاع .. انك
تمجّلين قصة الحرية التي ارتكبتها .. تريدان ان نعرفى ماذا
عمل حسين شاكر حتى يقتض عليه الوليس ويقدمه الى
الحكمة ؟ .. انك لا منصوريين عمك حسين وراء القصاص ..
وانك الآن تقفزى السطور قفزا لىصل الى نهايتها .. لا
اردوك .. لا نقرى السطور .. اقربها سطرا سطرا ، سامعان
وبنفى .. ما ما اكبه نيس مجرد اعتراف ، انه ايضا دفاع ..
والحرم لا يعرف الا لانه لا يجد دفاعا عن نفسه الا الاعتراف ..
واذا كان اعترافى يحمل دفاعا ، فالى لا اطمع من وراء هذا
السماح ان ابرىء نفسى .. فقط اطلب الرحمة .. رحمتك . بعد
ان يثبت من رحمة الله !!

ولسحق اولا ، على معنى الحرية !

ان الحرية هى : اعتداء .. هى : اداء الناس ..
ليس كذلك ؟ !

وكى عشت طول حياتى اعندى على حقوق الناس . واحرب
ببومهم ، وانغصب رزقهم .. ان كل ساعة فى عمرى حرية ..
ورغم ذلك ما القانون لم يلحقنى اندا .. والمجتمع لم يصمنى
بالحرم .. والله نفسه لم يعاقبنى .. انما كانت كل حرية ارتكبتها
شهادة بذكائى اقدمها للمجتمع ما ارتفع فى عينيه .. وكلما ازدادت

جرائمى ارتفعت أكثر .. حتى وضعنى المجتمع على رأسه ،
لأن أحداً عبرى لم يستطيع أن يرتكب ما ارتكبه من جرائم !!

مرة واحدة تحرك القانون ضدى ..

ومرة واحدة أثار المجتمع الى بأصبح الانهام ..

وفى هذه المرة الواحدة لم أكن قد اعتديت على حق احد ،
ولا أديت أحدا .

صدقينى ، ان الحريمه الوحيدة الى حوكت من أجلها ،
هى الجريمة الوحيدة التى لم ارتكبها .. بل انها ليست جريمة
على الإطلاق !

وكان ذلك فى عام ١٩٣٥ .

وكانت لى عشيقه ..

انى اقولها ببساطة ، وبلا حجل .. كانت لى عشيقه .. وكل
ابرحال الكبار الذين كانوا يعيشون حولى كانت لهم عشيقات ..
الملك له عشيقه ، ورئيس الوزراء له عشيقته . وزعماء الاحزاب
لكل منهم عشيقه .. و .. و .. ان نظام العشيقات نظام معترف
به دون منكر مكتوب ..

انه طاهره اقتصاديه ، فالمفسراء سروجون متنى وثلاث
ورباع ، و لاعاء سروجون مره واحده ، ويعشقون متنى وثلاث
ورباع !!

لماذا ؟ !

لأن بكاليف الروحه اقل من بكاليف العشيقه .. المفسر
يستطيع أن يسبق على أربع روحات ، ولكنه لا يستطيع أن يسبق
على أربع عشيقات ، ولا حتى على عشيقه واحدة .. اما العنى
فليس محابها لأن ينروح أكثر من واحدة ، لأنه يستطيع دائما أن
يتبنى عشيقه ..

ونظام العشيقات ظاهرة اجتماعية أيضا .. فالجميع لا يطلب
من الفقير أن يقدم له زوجته ، بل هو — أى المجتمع — لا يعرف

انعسر ولا روحه . ولا يريد أن يراها .. لا يريد أن يسمع
أخبارها . ولا أن يرى صوريتها في المحلات .. ولكن المجمع —
بمعى المجمع — نذر الرجل الثمى بأن يقدم له زوجته . ويسمى
دائما يعرف أخبار هذه الروحة .. ماذا تلبس ؟ . ماذا تأكل ؟ .
وإن يمسى سهرات النساء ؟ . وحتى لا يترك المجمع في شغ
أخبار روحات الأعياء الكبار . فهو يطلب من كل منهم ألا يقدم
إليه إلا زوجة واحدة !!

ومعظم هؤلاء الأعياء الكبار مرسون المجمع ملا بروحون
إلا روحه واحد .. زوجته تقدمونها إلى أناس . ويبدون معها
في المحلات وأمام عدسات المصورين .. ولكل منهم عشيقته
يسطره إلى أن تنتهى الحفلة . وإلى أن يسهى المصورون من التقاط
الصورة !!

ورغم ذلك ماني لم اتخذ لى عشيقته لحد أن اتحاد
عشيقته هو مظهر من مظاهر المجمع الذى يعيش فيه ..
إنما أنا من هواة النساء ..

إنما هو أنه كهواية جمع طوائع الريد .. وقد بدأها معيدا
على دكائى وحده . ثم أرحمت دكائى واعتمدت في هوايتى على
نرائى ..

وقد بدأت هرايى هذه منذ كنت طالبا في مدرسة الفنون
والصناع . وكنا يلتقى كل ليلة جمعة معمد العظيم ، وكان إياها
لا يرال مشردا صغيرا يقدم نوعا معينا من الخدمات لأصدقائه ،
وكان يصحبا إلى بيت من بيوت المساططات . ويسفر كنا ننقى
الأحساد الزخينة . وسطرنا حوار الباب لحاسب صاحبة
البيت . ويحاسبنا على « العمولة » ..

كانت كلها أحساد رخدمة فقيرة ، لا يتجاوز ثمن الحسد
الواحد خمسة قروش . ورغم ذلك فقد كانت هوايتى أن اسرق
هذه القروش الخمسة من المرأة المسكينة .. كنت أتحيل عليها ،

واسيطر على اعصابى حتى اثير جسدها المنهوت المعلوم ..
فمسلق مى ، وسارل عن احرها راسيه ، ثم ملاحقنى وبنفع لى
من كسبها .. وانا ازهو بدكئى امام الطلبة .. كل الطلبة ما عدا
اباك .. كان هو وحده الذى يجعطنى اخجل من دكائى كلما لمحته ،
او كلما تذكره .. كان هو وحده الذى يمسد ستعى وانا ازهو
بين اصدقاء ائليل بهذا النوع من النساء الذى ملاحقنى ..
وبحرحت من المدرسه وبدأت اعمل . وبدأت اسم الى
مجموعتى صفنا ارقى من النساء ..

نساء جددعنهن باسم الزواح .. ونساء جددعنهن باسم
الذب .. ونساء سمعت اليهن . لانى كنت فى حاجه اليهن لتيسير
دعته من صفقانى .. ونساء اشترينهن .. ونساء استغللت
حرمانهن .. ونساء اعتقدن انهن خدعننى !!

عشرات النساء .. لم يكن لواحدة منهن فى حياى اكثر من
اسباعه التى اقصتها معها .. ولم تستطع واحده منهن ان
تستولى على قلبى .. لم يكن لى قلب لتسولى عليه امرأة ..
ولم تستطع واحدة منهن ان تهيمى عن عملى .. ان النساء كن
بالنسبه لى ، هوايه اوقات الفراغ .. كنت دائما استطيع ان
اربحهن من امام عنى . وامسحهن من صغحه ذهنى ، وانا مقبل
على عملى .. مل انى تعسيت شهورا طويله دور ان التقي
سامراه . او افكر فى امرأة . لان عملى كان يقتضى كل دقائق
عمرى خلال هذه الشهور ..

واسقلت الى القاهره .. وكرب .. واشبهت .. واصبحت
نحما من نحوم الجميع .. واتقيت نصف اكثر رعب من النساء ..
اكثر رعبا !! لعل هذا التعبير فيه كثير من المبالغه .. لا ..
نهن لسن اكثر رعبا .. انهن فقط اكثر لمعانا .. والصفوح ملمع
حيانا اكثر من الذهب عندما تسلط عليه الاضواء !!
واسالى عند العظيم .. بك !

لقد أصبحت مهمته أسهل بكثير مما كانت عليه ، عندما كان
يعيش معى فى اوساط اطلقه العقيدة والموسطة .. كان ايامها
مضطر لان يحدع . ويحد نكاهه . ويفرى . ويهدد .. حتى يصل
بالمرأه الى باى .. أما بعد ان انتقلنا الى الاوساط الراقية ، فلم
تعد مهمته يبعدى عن الباب !!

وكيف لنا بمعى ادهش . عندما أهد امرأة ذات اسم كبير ..
وجمال كبير .. تلتى بمعىها على .. هكذا سهوله ، ودون ان
اسمى وراءها ..

ثم اكشفت ان هناك نساء - مثلى - من هواه جمع
الرجال .. انهن يرفقن باعتبارى لهما لامعا يصلح ليضاف الى
الجموعه التى يحفظن بها فى ادراج ذكرياتهن ..

واكشفت ان هناك صبا ثامنا منهن .. بحمل اسمها كبيرا
انثى .. اسماء عائلات فخمة .. ويعيش فى بدح مبلغ حد
الصور .. ولكنهن لا يمكن من اسباب هذا المدخ - الا احسادهن
.. والنسبه محفوظه .. فقد تكون هناك امراء تملك حصة
شروش ويضطر ان تنبع حصدها ليحصل على عشرة قروش
أخرى يدفعها ابحارا للعرمة التى تقيم بها .. وهناك نساء
ملك الواحدة منهن مائة مدان ولكنها فى حاجة الى ايراد ألف فدان
حتى يصعد بحاره المدخ الذى يعيش منه .. متضطر ايضا ان
تبيع حصدها .

ثم هناك صنف ثالث من النساء .. النساء اللاتى يعتقدن
ان اولادهم لا يستطيعون ان يعيشوا على أنفسهم ، وانهم فى
حاجة الى مساعدتهم ليرموا فى مياصهم .. متقدمين - بلا سبب .
وبلا مقدمات - ليعرض أنفسهم على الرؤساء لثناء « درجة »
أو « علاوة » تمنح للزوج العامل .. وهذا الصنف من النساء منهن
احسادهن بعد ان يقعن أنفسهن بأنهن يمدمن على تصحيحه كبره
فى سبيل الزوج المسكين ..

وقد حبرت هذا الصنف طويلا .. كانت الواحدة منهم تقبل
وى عيبتها نظرة مسكينة كأنها شهيدة نعدم عسها على مدبح
البحسح .. ثم كانت تحاول أن تدعو دكة . فلا يخرج دكاؤها الا في
سلسله من كليات البماق . والضحكات الربانة الحوماء .. ثم
تقول بعد ان يتوم من فراشي . وتقف امام المرأة بصلح نفسها :
« انا عايزاك مدى جوزى شغل كثير .. اشغله في اى حاجه ..
ولما ينشغل حافصالك انا » .. ان هذا المحس تقوله كل مهن ،
في تعابير محلله .. ودائما مقلنه بعد ان يترك فراشي ويقس
امام المرأة لبلحن من انفسهن !!

ولم نستطع واحدة من هذا الصنف ان تأخذ مى ترقية لروحها
لا بسحقها .. انهن لا يعلى انهن يعشن دائما خارج دائرة
عملى .. وانا نفسى اخرج من دائرة عملى عندما التقى بهن ..
وقد كان من بينهن زوجات لموظفين اكفاء في شركائى .. وكان
مقدرا لهؤلاء الارواح ان يرتقوا في مناصبهم دون مساعدة
روحانهم .. ولكن ، ما دامت زوجانهم تصر على مساعدتهم ..
مبسى لدى ماتع !!

هكذا كنت أعيش ..

عشرات النساء ..

ولا سالبى اين كانت زوجتى .. ان المسكينه ممزوية بعد
ان صبرت على جوع جسدها حتى لم تعد تجوع .. ولم تحاول
مره ان نحاسنى .. لم نحاول ابدا ان نحسسى على لتعرف اين
انصى اوقات مراعى .. وربما كانت تعلم .. مانى لم انقطع عن
هوايه النساء منذ ان تزوجتها .. بل ان زواجى بها اطلق هذه
النهاية في نفسى .. فاندفعت فيها اشد جيوحا .. كنت أحس
كأنى انقم من كل النساء الحملات اللانى لم اتزوجهن .. كنت
اغوصى النفس الذى أحس به وانا زوج لامرأة قبيحة .. كنت
اعرف ان بقية الارواح .. بقية الرجال .. ينظرون الى زوجتى

.. الى كوم اللحم الذى غاصت فيه ملامح الوجه فلم تعد تبدو
 منها عينا ولا أنف ولا شفاة ، والى الساقين اثمه بعمودى
 تسعون ، والى الذراعين الحراوين كأنهما فخذا خنزير مسلوق ..
 يبطرون الى هذا الشيء الذى تروجه ميسخرون منى فى دخلة
 بعوسيم .. وقد يشمقون على .. فكنت أنقم من مسخريتهم ، ومن
 شمعهم .. كنت أنقم منهم فى احصاد زوجاتهم .. كنت عندما
 املك واحدة من هانيك الزوجات فى فراشى ، احس احساس
 حديث .. احس كأنى امتلكت زوجها ، وانتقم منه بقل وعنف ..
 لأنه مسخر من زوجى .. ولأنه تزوج امرأة أحمل من روحتى !!
 الى ان كان يوم ..

وكنت مدعوا فى حملة خيرية ساهرة اقيمت فى فندق
 سان استمانو بالاسكندرية .. وذهبت ومعى عبد العظيم بك ..
 انه دائما معى !!
 وهناك رأيتها ..

لمحتها من بعيد .. وكانت عيناها مسطنتين على !
 وحاولت ان اناهل عينها .. ولكنى لم استطع .. وعدت
 واحدهما من جديد !!

ابها عيان غريتان .. واسمعان حتى تسمعان كل الناس
 فى السطرة الواحدة .. وفى طرفهما غمزة خفيفة كأنهما تشيران
 الى اشارة خفية .. واهداهما طويلة ، كأنها صنعت من هذه
 الاهداب وسادة من الحرير ناعم فوقها نظرتها .. وكفاهها .. ابى
 ثم ار بعد عينيها الا كعبها .. كعبان غريتان فى لون اللين المزوج
 بزراب الورد .. وحبل الى ابى اتحسس كعبها بعنى .. وأنى
 اشعر بنعومتها .. بالبشرة الملساء المشدودة كأنها صنعت من
 عجى الياسمين .. وانتهت الى يدى وهى تمسح على حانة
 المائدة كأنى معلا اتحسس كعبها !!

ولمت على أدن عبد العظيم وسألته :

— من الست التي هناك دى .. أنا ماكر شفتها قبل كده ؟!
ولم اكن قد رأيتها من قبل ، ولكنه نوع من النماق تعودت
ان احاطب به عند العظيم ..

وقال دور ان يرمع عينيه ليبحث عن المرأة التي أمامها :
— دى مرات ايزاك السمسار !
وقلت بعد فترة :

— أنا سمعت ان ايزاك سمسار كويس !
ولم يحب عبد العظيم .. انها طير الى من خلال عينيه
المسحين . ثم أرمى حصمه اللذين تساقطت رموشهما ، واستمع
بقه كأس الويسكى ، ثم قام من جانبه ..
وبعد قليل رأيت واقفا مع ايزاك السمسار .. رجل قصير ،
أصلح الرأس . ناهت الشخصية .. أشبه بألة عد النقود التي
توضع في المحال التجارية !!

وحاء عبد العظيم ومعه ايزاك .. ولم اقم له واقفا .. انى
اعرف كيف أعامل هذا الصنف من الناس .. وبركة يحنى أمامى
حتى كاد يقبل بدى ، وبين شففيه امتسامة كبيرة سائلة ، وفي
عينيه نظرة مبهورة كأنه ينظر الى جبل من سائك الذهب ..
ولم ادعه للحلوس . انها انقيته واقفا أمامى .. واخذت أحدثه عن
أحوال النورصة . وأسعار القطن والأوراق المالية .. وهو يجينى
في أدب سجع ، بينما يثمت حوله بين كل كلمة وأخرى كأنه يبحث
عن شيء ..

وكان يبحث عن زوجته ، لعينه في هذه الفرصة الذهبية التي
سمحت له .. فرصة تشرفه بمعرفتى ..
وامهنته مدة أطول حتى يجد زوجته .. كنت أكثر من الأسئلة ،
وهو يطيل في كل جواب !

وأخيرا هامت ..

جامته تنهادى في مشيتها كأنها ملكة .. كأنها تمن على الأرض

بخلوانها .. انها طويلة .. اطول من زوجها بكثير ، والطول مـى
بقليل .. وقوامها ملفوف ليس ميه قطعة زائدة ولا قطعة
ناقصة .. وشفتاها .. انها الشفتان اللتان اضعف املهما ..
لاى أغرق نفسى فيهما .. أحس وأنا اقبلها انها تبصانى كلـى ..
شفتان ملينان ، كائى اكلمها وأنا اقبلها ..

وقمت واقفا .. احراما للعنـين ، والكتمين ، والقوام
الملفوف ، والشفتين الشهيين ..
ولكنها لم تلتفت الى ..
لم تنظر الى ..

وكان يكى هذا لاعرف اسلوبها .. اسلوبها مع الرجال ..

وخطت على كف زوجها طرف مروحتها ، وقالت له بمنسة
رفعه ، وفي صوت منحوح يدغدع الاعصاب :
— هل تنكلم ثانية فى العمل ؟

وقال زوجها وهو يشير الى كانه يتقدم لها هدية عيد الميلاد :
— حمسى باشا شاكر .. انك تعرفينه ملا شك ؟ !

والصـب لى ، وفي عيـها نظرة بسمنى كلـى ، وقالت ملا مـالة
كامها لا تعرفنى :

— تشرفا .. يا باشا !!

ومدت الى يدها ، وهى ترفعها الى شمنى ..
وانحنيت اقبل اليد الطرية ، وأنا ايتـم ابتسامة خـاتها
فى صدرى ..

وقالت بمنسيها الى تدغدع الاعصاب :

— آسمة .. باشا .. هل قطعت عليكما الحديث ؟

غلب وأنا احاول أن اصـع ذكائى فى عسى ، حمى يعرف لى
امهمها حيدا :

— ابدأ .. تفضلى !

وسحبت لها مقعدا بجانبى .. وجلس ايزاك : وعبد
المعظم ..

وهكذا عرف ايزاك انه لن يجلس ابدا على مائدتى الا اذا كان
مع زوجته !
ولم نحس دقائق حتى كانت الروحة الجميلة تملك المائدة
كلها ..

لم يكن مخملى حديثها . كما هي عادة كل النساء اللاتى
يجلس بجانبى .. بل ربما حتى عند العظيم من حديثها اكثر مما
خفى ..

ورغم ذلك فلم اعضب .. ولم احس بشئ بنقصى .. كان
حديثها لذيذا حتى عندما توحه الى غيرى .. حتى عندما توحه
الى عند العظيم !
انها ذكية هذه المرأة ..

ولكن .. هل هى انكى منى ؟

ولم أستطع ليلها ان اتدر مدى ذكائها .. ولكنها تركتني
وانا أشك فى مدى ذكائى .. وتركنتى وأنا احس انى مقبل على
معركة .. معركة ذكاء .. وهو شعور لذيذ بالنسبة لى ..
كنت ايامها قد وصلت الى مرحلة التألف من المرأة السهلة ..
المرأة التى لا تثير ذكائى .. وهذه المرأة ليست سهله ..

وكان يجب ان اربطها بى قبل ان تنتهى السهرة .. او على
الأصح اربط روحها بى .. فالتفت اليه قائلا بالمعركة :
— مستطيع عدا ان سبع لى خمسمائة سهم من اسهم الشركة
الكيميائية !

والتمعت عينا ايزاك فرحا .. لقد أصبح مستطيعا لى ..
انها ثروة هبطت عليه .. وهى ثروة لا تكلمنى شئ .. فقد كنت
أبوى ان ابيع هذه الخمسمائة سهم عن طريق سمسار آخر ،
سمسار ليست له زوجة بهذا الجمال !

وأخرج لبراك نوتة صغيرة من جيبه ليسجل امر البيع ،
ولمعت الى كوليت — وهذا هو اسمها — وقالت في لهجة
ساخرة :

— كيف صنعت ملاييك ؟!

وفوجئت بالسؤال وقالت :

— ماذا تقصدين ؟

قالت وهي تدبر رأسها عنى :

— لا شيء !

قلت ملحا :

— لا بد أنك تقصدين شيئا ؟

قالت وهي تعود برأسها الى وتنظر الى بكل عنيتها :

— مهما كانت الطريقة التى صنعت بها ملاييك ، فلا شك
أنك ستفتدها قريبا !

قلت وقد أزعجتى الحديث الى حد الشاؤم .. أحسست كى
استحقا يدعو على بالافلاس :

— لا افهم .. ماذا تعنين ؟ !

قالت وهي تنتهد كأنها مخاطب طملا لا يفهم فى حديث
تكرار :

— ان احدا لا يبيع اسهم الشركة الكيميائية غذا ، ولكنه
يشترى .. يشتري قدر ما يستطيع .. ثم يبيع بعد اسبوع !
ونظرت اليها صليتا ..

لم اعد أرى جمالها ، ولكنى كنت فى هذه اللحظة أرى
اموالى .. أرى على .. كأنى انتقلت لحياة الى مكنتى ..
وأرى ذهنى يدور بسرعة كأنما سرى فيه نيار كهربائى .. ثم
الفت انبها ، وتكررت فى عينيها نظرات ثابة ، قائلتها سطرات
اثبت .. وموق شحميها انشامة صغيره كأنها مشمق على .
وانحدث قرارا ، والفتت الى ايزاك قائلا :

— مسبو ايزاك .. اشير لى ألف منهم من الشركة
الخيائية !!

واتسعت ابتسامتها ، وريت على يدي ، وقالت كأنها تدلنى :
— أنك طمل مطيع !

ونظر ابراك اليها والى كانه لا يعمهم شيئا . وشطب « الأمر »
الدى كتبه فى محكرته . وكتب « الأمر » الحديد .. وعبد العظيم
يحاول عنا أن يخفى ابتسامته الشبابة !
وأحسست أنا بالارتباك ..

أحسست كأن شخصيتى قد اهترت .. كأن كل أمجادى
المسابقة لم تعد تساوى شيئا ..

وقامت واقفة .. كاللكه .. كأنها تامرنا بالانصراف ..

وتال عبد العظيم بفرنسيته الركيكة .. وهو يصامحها :
— لقد امتت مع مسبو ايزاك على أن نناول العشاء معا
غدا ..

قالت :

— عدا .. اتقيا .. ولكنى سأصطر ان انصرف مبكرة ..
نى مدعوة الى سهرة !!

ورفعت يدها الى شفتى عبد العظيم ليقبلها ..
ثم قدمت لى يدها ..

وتقررت من أن اضع شمنى مكان شفتى عبد العظيم ..
ونكنى وضعيهما .. قبلت اليد اليسى قدميها الى ..

وبركبتها . وايزاك يسير وراءها . كأنه ذيل ثوبها
وحسنت انا وعبد العظيم .. ونظرت اليه كنى أمره أن
منكنم .. أن يقول كل ما عنده ..

وبكلم دون أن يرمع عينه لى .. قال كأنه يقدم تقريراً
رسمياً :

— عند العزير نائشا مبارك بحبها .. ومش طلس منها حاحه
.. وخاربه بيه .. وتلعب في النورصة !!

واسميت وأنا اسمع اسم عبد العزير نائشا مبارك .. انه
احد كبار رجال الأعمال في الاسكندرية .. وكانت بيبي وبنيه
دائما ينامسه .. مناسبة اسمعنا منها كل الأسبحة المقدرة ..
ومد اصرت عليه في عدة صفقات لأنى دائما امدر منه .. هس
استطيع ان انتصر عليه في هذه الصفقة ايضا .. صفقة كوليت ؟



وحاءت كوليت في الليلة التالية .. دائما جميلة !
وكان المفروض ان يتولى عبد العظيم مهمه الحديث مع
ايراك . لانفرع انا للحديث مع كوليت .. كان هذا هو النظام
المبوع في مثل هذه المناسبات . والذي يعرفه عبد العظيم جيدا ..
ولكن كوليت حرحت على هذا النظام .. بولت هي الحديث
كله .. وكانت تعطى منه لعبد العظيم اكثر مما تعطى .. كأنها
محاول محاولة لم تقدم عليها امراه اخرى . كأنها كانت تحاول
ان توقع بيبي وبين عبد العظيم .. ان يحصل اعمار به !
وصرت ..

قررت ان اصبر طويلا ..

لا شيء يغلب هذا النوع من النساء سوى الصبر ..
ويغلب روح العبد الدليل في عبد العظيم . مكلن برد حديثه
اى .. كانت تسأله عن نفسه محدثها عسى .. كانت تمدحه
ميرد مديحها الى .. كانت تلاحظه محاول ملاطمتها على ..
وعرمت كوليت أنها لا يمكن ان يستعمل عبد العظيم مدي ..
وأنا صابر ..

لا اقبل عليها ، ولا أمر منها .. ولا أكلف روحها بأمر حدث
يرجع من ورائه شيئا ..

ودعينا في اليوم التالي انى سبها .. ست بنو محد . انى
واحتم من بيت مجرد مسمار فى البورصة .. وسبب ان امول
لك ان كوليت لم تكن ايضا مجرد روجه سمسار . انى من شائله
سمره معروفة فى الاسكندرية .. والثراء لى حديدا عليها . ولكنه
ثالثه لها هواه .. هوايه جمع المال ..

ولم تكن الندوه لنا وحدها .. لقد وجدنا هناك آخرين .. كلهم
من كبار رجال الأعمال .. وبناء حملات . وعدد العرر شت
مبارك ..

واسقلى عند تحرير شت سبها دعراء صبح مميا
اسم .. ونظرت اليه وانا اضحك ضحكة كبيره .. نظرت الى
عينيه الصبريين وسط امواج من السعد . كنهه مطعيا
صعروس من البحر الصيما فى مسجع من الماء الموت ..
والى لعه الذى بدلى حب دغه . حبه موق سبه .. وكونه
الحجم . هو الآخر . طيه موق طيه .. والى طريونه الأحمر
الفقع . ورهه الفرميل الحمراء لى بصعب موق سدره وميل
على كفه كأنها سعد عن اماسه . انه انسه سىء نالذك
الرومى .. واحلافه أخلاق الذيك الرومى . انه سمعى عسا
لاى سدره .. وهو حاد دائها .. حادى مكته .. وحادى مدان
الساق . وحاد وهو ينرب الوسكى فى سهراته . حاد وعبد
وومع .. وربما كان هذا هو سبب هربه كلها ومع أمامى فى
مناسه حول صفة .. مرحل الأعمال ببحر الو كسر من
المروية . وكثير من الانسلمات ، وكثير من التواضع ..

وهذا الذيك الرومى - هو الذى ينفسى فى كوليت الان
وصحكت مره ثانه .. ضحكه كبيره .. وادعب انى اضحك
بشدة انقاه عند العظيم ..

ورحبت بى كوليت .. ثم حاولت ان تتجاهلنى .. وحاولت
أبدا أن تبهر مناسه سىء وبين الذيك الرومى ..

وصرت على كل ذلك ..

صرت وعمى سمعان كعبيها العارسين المصومعين من عبي
البنانيين .. وسمعان القوام المملوف .. والفجرة الخمسة في
طرف الصبي الواسعين كأنها مشران إشارة خفية الى كل
الناس ..

ثم غادرت الحمل ..

وكان قبولى الدعوة الى بيت ايراك . حدثا احساعيا ، رفع
من مركز ايراك في المورصة . وأحاطه باهتمام كل رجال الأعمال
.. ماكنمت بهذا الفصل عليه . ولم أعرض عليه حديثا ..

وفي اليوم التالي عدت الى القاهرة .. وقتل أن أعود أرسلت
الى كوليت علبة شيكولاته ، شكرا على دعوتها .. وقد تعمدت
أن يكون علبة شيكولاته ، لا سوار من الماس .. ولا حاتم
مولير .. كما حوت العادة بينما نحن رجال الأعمال . عندها
تحاول أن نمدى أعجابنا بسيدة ..

ولم استطع أن أسى كوليت في القاهرة ..

كنت أفكر فيها دائما .. لا تقبل .. ليس لى قلب يعكر ..
بل كنت أفكر فيها كصعقة حملة بحب أن أموز بها .. كمنافسة
مروسة في سوق المقاولات . قررت أن أنقدم لها مامسا لتيقة
المقاولين .. كنت أراها كما كنت أرى عبارة فحة أريد شراءها ،
وأحاول أن أشفيها بأخس ثمن ..

ولكنها كانت أكثر من ذلك .. كانت المرأة الوحيدة التي
حلمت أفكر فيها وأنا في مكنتي .. وأنا أعيل .. كانت بصيحيها
الى الخاصة بأنهم الشركة الكيميائية قد هزت نمتى سمى ..
وكدت أسى أن أحمر من وراء هذه النصيحة ، حتى أسرد
نمتى سمى .. حتى أسطعن من صورة هذه المرأة التي نطل
على كلنا هبمت أن اتخذ قرارا ، وبين شفيها أسسامة ساحرة ،
كنها تهزأ منى ..

ولكنى لم أخسر بصحتها ..

لقد ربحته .. ربحته ملها طائلا ..

ورغم ذلك لم أفرح .. انما احسست انى ان استطعت ان
اعيش ولا ان اعمل الا اذا استوفيت على هذه المرأة ..

ولم اشكرها على نصحتها .. حتى لا امتح ما اطلبها ..
واشعرها بفضلها على ..

انما صبرت .. وصبرت أكثر .. ان المرق بين الهرمه
والنصر ، دقيقة واحدة من العمر !!

وكنت خلال هذه الأيام قد أمرت عن العلم من بكاء امراك
بعض عذبات ! ورحمة الصغيرة ، حتى انى على طيه من ..

ثم ذهبا انى الاسكندرية .. انا وعبد العظيم !

وقابلتها مرة ثانية .. وقالت وهى ترفع يدها انى شمسى :

— وحشما .. بلشا .. انى كنت ؟

قلت وانا احاول ان احتفظ بعصائى حتى لا بدوب فى مار
جسدها المفوف :

— انها الاشغال !

قالت وفى صوتها المبحوح المثير نعمة حاسة كنها مذكرنى
بشئ نسينه :

— بالماسية .. مبروك على صمقه الشركه الكمائية !

قلت :

— مرسى .. الفضل لك !

ولم أرد .. لم أعرض عليها نصيبتها فى الصمقه كما جرى بذلك
انعرف بين رجال الاعمال .. كنت أريد ان اشعرها بانها لن تأخذ

منى شينا الا لفاء الثمن الذى أرمده .. الثمن الذى أهدوه انا ..
الشعاعه التى اخارها !

ومعذرت بعد ذلك ان أحول محرى الحديث .. وحاولت
انصا ان أسطر على الحديث .. حتى لا تسبطر عليه هى ..

ومحمد ان يكون حديثي كله في الاعمال .. في البورصة ..
والشركات وتقلبات السوق ..
وأطلقت أقامني في الاسكندرية ..
وكنت ايزاك بمزيد من الاعمال ..
وكنت معها كل مساء ..

وبدأت المعركة بمصح بيبي وبينها .. معركة العصر .. من
ما يصير على الآخر أكثر .. وكان كل ما احرص عليه خلال
المعركة ان احفظها دائما أمامي .. وكان سلاحى دائما هو زوجها
.. كنت اطلق له حملا طويلا من الأمل .. حملا من أطماعه ..
وكان عندما بسى الى وحده . او عندما يفضي ثله لا ارى فيها
زوجه . اشل حركته .. واحرمه من أعمالى .. وارفض ان
اطسه الى مائدى . واتطع جمال أطماعه . فيعود انى معها ..
وكان كل ما تحرص عليه هى . الا يبيدى مآرائها في تقلبات
البورصة بعد ان حرمها من مصيبتها في صفقة الشركة الكيميائية ..
لم بعد محدثى في العمل .. بل لم تعد تطبق حديث الاعمال ..
ثم بدأت سهار .. بدأت تظهر سببها من حديثى ادى لا ينقطع
من العمل ..

وبدأت مساء السبت الى فحاة . وقالت عاصمه في هيس
مصحوح :

— ألا تكلم من حديث العمل !!

وانسميت اسبابه جميعه ، وسألت بمعنى سرعة : « هل
حانت اللحظة ؟ » ثم قلت وأنا اعمل على ادائها ، وقد وصفت في
عنى نظرة ذات معنى :

— انه الحديث الوحيد الذى يصلح وحولنا كل هؤلاء الناس !
تألت وهى ينظر الى كأنها تحاول ان تتحد قرارا :
— ومتى تستطيع ان تتحد حديثا آخر ..
قلت وأنا احس كأنى يقتل على توقيع عقد شراء :

— عندما تقطين دموتى !

وبطرت الى طويلا ، وبن تسميها المليونين اسماه ساحرة ،
ثم قالت :

— ابن ! !

قلت وانا استعين بكل جرائى فى عقد الصفقات :

— ان لى عشا هادنا .. هيا فى الاسكندرية !.

واشاحت بوجهها عنى .. وأحدث تنقر بأصابعها على المائدة
بدرات عصمه كأنها تعد ضربات قلبها .. ثم عادت والتفت
انى ، وقالت فى حده :

— اتعقبا .. غدا الساعة الساعة !!

واحسست كنى ملكت الدنيا كلها .. اشترت الدنيا ..
وعدت السبب الى ايزاك وعبد العظيم ، وأحدثهما فى بقلبات
البورصة ، كسى يؤكد لها انها لن يجد منى حديثا آخر الا فى
عشى الهادى .. وفى نفس الوقت تسلكت بىدى الى حيسى
وأخرجت تلمى وكنت عنوان العشى على قائمة الطعام ، ثم
وضعتة أمام عينها ، دون أن يشعر أحد ..
وحايت ..

حايت بعد صبر طويل دام ثلاثة اشهر ونصف ..
وعشى الهادى ، هو قطعة من الحبة .. اتفتت فى اعداده
آلاف الحبيبات .. ولم يكن محرد مكان لمراعى الداص .. بل
من ايضا مكان عملى .. ففى هذا العشى سهر خبير من الوزراء
والكبراء ، وتلقوا من بىدى الرشاوى فى صورة خسائر أخسرها
لهم على مائدة القمار ، وكانوا يعلمون أنى اتعمد خسارتها ..
وفى هذا العشى تذلل كثير من الوزراء والكبراء بين احضان
النساء ، وباعوا سمقات الحكومة لى وهم سكارى ..
كان لى مكتب وعشى فى الاسكندرية ، ومكتب وعشى فى
"قاهرة !!

ورغم ذلك مانى في ذلك اليوم لم اشعر ان عسى نهديء هو
مكن عهلى .. لقد احسست لأول مرة انه قطعه من الحبة ..
ورأت احسور الثمنه مطلقه على الاحذران كما لم ارها ابدا ..
حمسة . راعه .. بل ابى احسب بالعبيره على عشى لئن عبرى
من الزهال قد دبسوه شهواتهم .. وبست لو اسنطعت ان احد
كوليت الى مكان آخر .. مكان لم يدخله عبرى من الرجال !!
وحسب في اسطارها وقلبي واحف ، كائننى اسطر صدور
شره النورصه لأعلم مدى حسرتى وريحى ..
وحاء ..

جاءت في الساعه بها .. ابها ادكى من ان يعمد التذخير
عن موعدها كما تفعل بقنه النساء ..
واستفسر مرح .. وانصت أقلل بدها .. وحلبت عنها
معطها .. وفدبت لها كسا من الثمانيات .. ام يكن معا احد
.. ولأول مرة لا يكون معى عند العظيم .
وبذات أحدثها عن صبرى الطويل ، وأنا أصم بدها بين
بذى وكبها سحبت بدها . وقالت وهى تبدو كأنها عصبة ، وبين
شغبها اسماحة تمسح عنها الغضب :
— لقد حاء دورى الأحدث في الأعمال .. أين نصبى من
صفقة الشركه الكمائيه ؟

وسحكت صحكه كبيره . ورب على محدها .. وبددت بدى
واحرت شيكا باسمها قيمه ألف حبيه ..
كسب ابوى في هذه اليوم ان أعطها نصيبها . وكتب قد أعددت
الشيك معدها ..

وأحدث الشيك بين بديها . وبطرت فيه مامعان وهى تبسم
ساحره .. وعده بديها بى أصابعها وأخذت بمرقه مطعها صغيره
كأنها بقرصه بئسانها ..
وصرخت دهشا :

— ماذا تفعلين ؟

قالت دون أن تثور :

— انك سافل !

قلت كائن اذافع عن نفسي ؟

— لقد كنت ابوى ان اعطيك نصيبك . ولكن .. و ..

قاطعت بصوتها المبحوح الذي يدعزع اعصابى . وفى لهجة حنان كئيبها تفازلنى :

— لسمعق اولا على انك سافل .. انك لا تستطيع ان سكر

انك سافل !

قلت وانا احاول ان اصحك :

— لنفرس انى سافل .. ولكن هذا الشيك من حقتك !

قالت وهى تبتمس :

— انه هدية منى اليك .. هدية نستحقها على سمالك !

قلت ضاحكا :

— انك تفرينى بالسئلة ؟

قالت وهى ترفع كاسها الى شعبيها :

— لا امل .. انك لا يستطيع ان تكون اسفل مما انت !!

وضحكت .. وملت على يدها اقبلها مرة ثانية !!

واحدنا فى الحديث .. ولم اكن اريد شينا فى لقائنا الاول

سوى الحديث .. وقامت كئيبا تهم بالانصراف .. ونهت معها ..

وجعلوا نحو الباب .. وامسكت لها معلميها . وهيمت ان اضعه

فوق كفيها .. ولكنها استدارت .. ونظرت انى بعسها اللبى

شعائى كلى ، ولحمت انغمزة الخيفة فى طرف العين وقد اردادت

اربعاشا .. وقالت وسدرها يكاد يقفز فوق صدرى :

— لا تحاول ان يكون ماكرا .. انى اعرف ما يريد .. فلماذا

لا تحاول ان تظلمه ..

وتسمرت فى مكانى دهشا ..

ان هذه المرأة اتوى منى .. انها لا تريد ان احدثها ..
لا تريد ان امتع بخداها .. وسمعتها تقول وقد اردادت
الصفاتي :

— ان الانتظار حتى اللقاء الثانى خدعة قديمة .. حاول ان
تكون رجلا مودرن ! ..
وامسكتها من كتفيها ..
وأغرقت نفسى فى شفيتها ..
وسقط معطنها على الأرض ..
ثم سقط الثوب عن الجسد الملفوف !

وعشت مع كوليت اجمل سنوات عمرى ..
وصدقنى اسى كنت اول رجل تحون زوجها معه .. اول
رجل استطاع ان يذيب ترقعها ، وان يحطم مبادئها .. وكان من
مبادئها الا تتخذ لنفسها عشيقا حتى لا تغضب بقية الرجال وتخسر
التعاطف حولها وأطباعهم منها .. ولكنها وجدت فى كل الرجال !!
ولم يكن بينها حب .. ليس هذا الحب الذى يتكلم عنه الناس
.. ولكن كان بيضا تقاهم .. تقاهم تام بين اثنين لا يستطيع
أحدهما ان يخدع الآخر .. حتى حسدانا ماها . لم اكن اشعر
معهما باننى اتعمد ان اضغط على اعصابى لارضيتها ، ولم تشعر
معهما انها تعطينى شيئا لا تريده ..

ونطينا علاقتنا المالية .. اصبح لها النصف فى كل صفقة
تشير بها .. وكنا دائما بريح سوية .. وكنت اعطيها مرتا شهريا
يقضيها عن تعهد ارضاء ربات زوجها ، ويقضيها عن مضايقات
عبد العرب باشا مبارك .. وكنت اعطى زوجها عمالا تعنيه عن
ان يكون له زمائن غيرى ..

واشتهرت علاقتنا فى كل المجتمعات .. عزمها رجال الاعمال ،
ورجال السياسة ، ورجال السلك الدبلوماسى ، والمصحفون ..

و .. و .. ولم تهتم .. اس لست الرجل الوحيد الذى يخذ
لنفسه عشيقته وليست هذه اول عشيقه لى ..

وخرجنا سار الشاهم الذى نعيش فيه .. اصبحت اقمى
ثلاثة ايام من الاسبوع فى القاهرة ، واربعة فى الاسكندرية ..
معها .. وفى الايام التى اقضيها فى القاهرة ، اعمل بها ثلاث
او اربع مرات بالتليمون .. واحيانا لا اطبق مراتها ، فادعو روحها
فى ميل ملحل ، وادعوها معه !!

ونسينا كل شيء يمكن ان يحدث لنا .

نسينا الزوج ..

لا ، لم انس انذاك ، ولكنى كنت اعامله كما تقضى تقاليد
المجتمع الذى اعيش فيه .. المجتمع الذى يعترف بالزوج
والعشيق !

ولم اكن اعرف ان هذا الفار .. هذا الزوج ، القصير ،
الناهت الشخصية . الذى يشبه آلة عد النقود التى توضع فى
المحال التجارية .. يمكن ان يسبب لى اكر هزة تعرضت لها فى
حياتى .. يمكن ان يقدمنى الى المحكمة .. وان يذيب نموذ
الذى اسبطره على مصر كلها ، فيحكم على القصة بالسجن ..

.. كنت التقى أنا وكوليت في الساعة السادسة عادة ..
وإدوم لقلونا حتى التاسعة ، ثم تعود الى بيتها لتبدل ثيابها ،
ثم تصحب زوجها ، ونلتقى ثانية على مائدة العشاء .. وأحيانا
كما نساول طعمم الغداء وحدنا ، عندما تجد عفرا كافيا تقنع به
ريحها .. وأحيانا كانت تأتي الى القاهرة وحدها ، فنقضى الليل
كله معي .. انام ورأى فوق الكتف المصبوغة من عحين
الياسمين !

وكانت حياتنا معا قد انتظمت واسمرت ، الى حد أن
اصبحت حياة طبيعية .. لم يعد فيها ما نحترس منه أو نخاف
عليه .. كنت أذهب الى الاسكندرية فأقيم في فندق « سسيل »
وفي الساعة الخامسة تمامها اترك الفندق وأذهب الى عشى
الهادئ .. ومعى عبد العظيم .. وأجلس هناك في الشرفة
المطلّة على البحر .. وفي الساعة السادسة تمامها يندق جرس
الباب ، ويقوم عبد العظيم ليفتح .. وتدخل كوليت ، ولا أقوم
لاستقبالها ، ولا ألتمت اليها .. انما اظل أرتب البحر الى أن
اشعر بشفتيها فوق رأسي .. تقبلنى في أعلى جبهتى .. فأمسك
بدها واشدها الى — وأنا لا زلت جالسا في مقعدى — واتلها
فوق شفتيها .. ثم اترك بدها ، ليقف أمامى مستندة الى حاجز
اشرفة .. ونأخذ في الحديث نحن الثلاثة .. وكان اغلب الحديث

دئما من نصيب كوليت .. ان عندها دائما كثيرا من آخر أساء
رجال البورصة ، ورجال الأعمال .. وعندها دائما كانت لاذعة
تطلمع عليهم . وعندها كثير من الفضائح المشرقة التي تمش
في مجتمعا .. وهى تحدث دائما كمكة .. في حديثها رفيع
برمك اليها ، ولا يزل بها اليك .. ويحدث عن الفضائح كأنها
تحدث عن رعايا لا تعيش بينهم .. ونطلق البكتة وبين شمسها
اليسامة كأنها مائة تعجب بمنها .. وكان من عاداتها دائما أن
تهم خلال حديثها بعد العظيمة ، أكثر مما تهتم بى .. كأنها تعوضه
عن حرمته .. كأنها سمحه وسام الشرف على خدمته الخليله
التي تؤيدها لى .. ولها ! وكان عند العظيمة يحبها لذلك .. كانت
المرأة الوحيدة في حياى التي احرمها عبد العظيمة ، وحرص على
أن يفضى علامها بى .. بل كان يحل الى أحباتنا انه يمر عليها ..
ميرة العبد لا عيرة السد .. كان لا يطق أن يسمع عنها كلمة
يسها . وكنت انا سمى عندها اقول عنها كلمة لا تعجبه يثليه
شمعيه ونفخر الى سبعين ماضيين ، كأنه يقول لى : « والله
دى خسارة فيك » ..

ويسهى حديث الشرفة .. وتتركنا كوليت بلا تعمد ، وتدخل
الى داخل البيت .. انه سمها .. وفي حجرة اليوم تضبط بكل
ادوات التحميل احاصه بها .. وعشرات من رخايات العطور
التي يوصلها .. ولها في الحمام برنس حاص ، ومشمعه .. واملاح
البنفسج التي تديها في الماء قبل أن يسمم به . وهى انى
اشترت بتعبير مسائر عرمة اليوم وأثائها .. فقد كانت بفصل
اللون « الأوكر » .. وكانت ترفض أن يكون لها سرير نام عليه
غيرها ..

شئ واحد حرصت كوليت على ألا تحمته الى بيتنا .. الى
عشا الهادئ .. هو قميص اليوم .. انى لم ارها أبدا بقميص
اليوم .. كانت دائما تواحشى ثوب الكايل .. ثوب الحروح ..

وسرك لى ان ابدأ الطريق من اوله .. وكأنى فى كل مره التقى
بها لأول مرة .. وربما كان هذا هو الفرق بين الزوجة والعشيقة
.. وهو فوق كبير !

واكثر من ذلك ..

لقد كنت أقيم سهرات صغيرة فى هذا العش .. كما كانت
عادنى دائما .. سهرات ادعو اليها الوزراء ورجال الأعمال
ليتلقوا الرشاوى فى صورة حسائر أحسرهما لهم على مائدة
العمار .. أو لاسكرهم واسلط عليهم سحر نوع معين من
النساء .. حتى ينطقوا بأسرارهم ، ويبيعوا لى كل ما أريد
شرائه .. وكانت كولييت دائما معى .. وكانت تقوم بدور
المصيفة .. دور سبب البيت .. هى التى تستقبل المدعوين ،
وهى التى بشرف على راحتهم .. وهى التى تقوم على تنفيذ
الخطط التى سبق عليها .. وكان زوجها أيزاك يحضر معها ..
وكان يعلم .. كان يعلم تماما مركز زوجته منى ومن البيت ..
انه ليس عبدا ، وليس ساذجا !

فهل هناك ما يمكن أن أخشاه بعد ذلك ..

هل هناك ما يمكن أن يثير ريبتى حتى أحسب حسابا
بذا الروح .. هذا العار الذى يشبه آلة عد النقود التى توضع فى
المحال التجارية !

لا .. لقد كنت مطمئنا .. غابة الاطمئنان !

الى أن كان يوم ..

يوم لا أنساه أبدا ..

جاءت كولييت فى الساعة السادسة ..

وانتهى حديث الشرقة ..

ودخلت كولييت الى حجرة النوم .. ولحقت بها بعد قليل ..

وتركت عند العظيم يعظر الى البحر ، وفى يده كأس من الويسكى

المثلج .. ليس أكثر برودا من أمصابه !

وانقضت مرة .. فترة طويلة .. وامقت من نشوتي ، على
صوت جرس الباب يرن ..
من هذا ؟

لعله النواب .. لعله أحد السكرتيرين الخصوصيين الذين
يحملون مع عبد العظيم ويعرمون سر هذا العرش ، حاء في مهمة
عاجلة .. لعله ..

ولكن رنين الحرس يتوالى .. بعنف .. كأنه صراخ امرأة
تتأهى بصراخها .

وانتهت ادبائى . وجسدى كله لا يزال مع كوليت ..

ثم سمعت خطا باليدى فوق الباب ..

ثم سمعت صوت الباب يفتح ..

ثم ضجه ..

واسمعت عينا كوليت مزعا .. عيناها قريبان جدا من عيني
حتى حل الى انى اغرق في بحر من الفزع .. وقالت وشفهاها
قريبان جدا من شمنى .. حتى لم اكن ادرى ايها بكلمات ،
شعياها ام شفياى .. قالت في صونها المبحوح وقد حشرجه
الفزع :

— يا هذا ؟ !

وقبل ان اجيبها .. فوحت سباب عرفة اليوم بفتح في عنف ..
ورأت امامى اربعة رجال طوال ، وظلمهم ايزاك يشب على
قدميه ، كأنه بحرصر على الاموية مشاهدة اسمعراص مثير ..
ثم جلب الجميع بقف عبد العظيم مذهولا ، حاعر المم . كأنه اصيب
بصعقة ..

وكنا بحر الاشين .. كوليت وانا .. عريانين !

واسفضت من فوق السرير ، وانا احاول ان اعطى جسدى
بذراعى ويدي .. وكلما عطيت ناحية منه ازددت خحلا من
الساحية التى لم اغطها ..

وصرخت كوليت . وحدثت ملاءة السرير حتى اعلى صدرها ..
واحدثت مربعش في عصبه كادها اصيبت بالحصى .. ثم ركزت
عيني محبوسين فوق وجه روحها . وصرخت بالفرنسية :
— حبيب .. قذر !!

ثم اخذت تمكى في تشيع حاد ..
وسرع الى ثيابي . ولكن ضابط البوليس كان اسرع اليها
مضى . ووضع يده عليها وهو يقول في ادب مفتعل ، وبين شفتيه
اسلمة ساخرة :
— آسف يا ماشا .. مش ممكن تلس دثوقت .. لارم
تعمل اثبات حالة الاول !!

وحدثت ثيابي من تحت يده في قوة وانا اصرح في وجهه محاولا
ان اسرد شخصتي .. شحمة حسين ماشا شاكر .. رحل
الاعمال القوي .. صديق الانجليز الذي يحكم مصر :
— ملاش قلة ادب .. اثبت اللي انت عابره .. ما حدش
هيكذبك .. انها لازم النسي هدمي !

وتركني الضابط النسي ثيابي ، وقد اتسعت ابقسامته
اساخرة ، منها بقية الرجال — بما فيهم عبد العظيم — يسقطون
كل عيوبهم فوق كوليت . كأنهم يحاولون ان يمزقوا الملاءة بأعينهم
ليروا ما تحتها ..

وطلعت الى ايزاك وانا اضم طرفي النملون الى وسطى ،
وصرخت فيه :

— اب احسنت يا راحل انت .. انت عارب انت تتعمل
ايه ؟ !

ولم يلتفت ايزاك الى .. هرب من عيني .. وأشار بأصبعه
الى زوجته ، كأنه يراقب عجله الروليت الى رهن عليها بكل
امواله ، وقتل بالعربية المكسرة . وقد امتنع وجهه :
— آهو .. هي دى الست تقامى !!

وعادت كوليبت تكرر بين نشيحتها :

— خنزير .. قذر !!

ودغمت في وجه ايراك . ثم تذكرت فجأة رئيس الوزراء ...
نعم .. امه هو .. رئيس الوزراء .. وقتلت لنفسى وانا احر عنى
اسنانى : « عملها ابن الكلب !! » .

والثفت الى سابط البوليس . وقتلت وانا احاول ان احبط
بلهجنى الامر :

— اتصدرا بعد في الصالة ..

وحاول السابط ان يعترض .. ولكنه عاد وراح نصبه ..
وقرر ان ينسحب من العرقه هو رجاله .. وربما تذكر ساعتها
ان رئيس الوزراء الحالى ، قد يسقط !!

وتجاهلت ايراك .. وسفقت الحصى . وجلبت على الاربكه .
واخرجت سحرا ضحيا وضعت في ممي واشعلته .. وحلست
السابط على متعدد قتال .. ووقف الحود الثلاثة .. حود في
ثياب مدنية .. حاب السابط .. وايزاك واقف بحانه كبه
يحتسى به .. وحرص عند العظيم على ان يعلق باب غرمة النوم
لمترك لكولبت مرصه اريداء ثلثها .. ثم حاء وحلست بحانى .
وهو لا يزال مدهولا .. لقد كانت في عند العظم بقطة ضعف
واحدة .. وهى حوفه من البوليس .. منذ ان كان صغيرا
يتاخر في الحثيش ، وبصحبا الى بيوت الماقطاب ، وهو يخاف
البوليس .. وكبر . واعسى . واصبح مدير شركه . و « بك » ..
وهو لا يزال يخاف البوليس ..

وقلت لسابط البوليس ، وانا احاول ان اسطر على اعصائى .
وانفخ دخان السبحار الطويل في الهواء ، كنى اطرده آثار الهرة
الغنيمة التى اصابتنى :

— نعم ..

وقال السابط :

— مسيو ايزاك معاه أمر من النيابة بضبط زوجته بملبسة
بجريمة الزنا ..

قلت دون أن أرفع عيني الى ايزاك :

— وايه الاحراءات في الحالة دي ؟

قال وقد بدا يشعر بأني .. باشا :

— سماعتك تنفضل معانا على القسم .

قلت مقاطعا :

— لا .. ادا كنت حانكيب محضر اكبه هنا '

قال :

— ده لازم النيابة تحقق ..

قلت في حزم :

— برضه النيابة تيجي هنا !

وسكت الصابط قليلا ، وتردد ، ثم قال :

— تسمح استعمل التليفون ؟

قلت وأنا لا أنظر اليه :

— انفصل ..

وكنت اعرف أن الصابط سيتصل بالمأمور . والمأمور سيتصل
برئيس النيابة . ورئيس النيابة سيتصل بالنائب العام ، والنائب
العام سيتصل برئيس الوزراء .. وينى الأمر من هناك !
ولأول مرة بعيت أن يرحمنى رئيس الوزراء من الذهاب الى
القسم ..

أنا الحار .. صديق الانجليز .. أما الذى يشتري الوزراء ،
ويسقط الحكومات .. كنت ساعتها لا أمنئ شيئا إلا أن يعينى
رئيس الوزراء من الذهاب الى قسم انوليس . ولو اضطررت أن
استحديه وأطلب رحمته ..

لم أكن أخاف التحقيق .. تحقيق النيابة .. أو تحقيق
الانوليس بل أن التحقيق لم يكن مشكله بالنسبة الى .. أنها كان

كر ما احافه هو الذهاب الى النسم .. كان يحيل الى امي سامعد
كل شيء اذا خطوط بدمي الى داخل قسم البوليس .. ساعود
متشردا مائها كمالين المائين الديق يملأون شوارع مصر ..
وما قيمة ثرائي وبنودي اذا كنت سادخل قسم البوليس كأي
واحد من الناعة المحولين !!

وبينما كان الصابط يتحدث في الطموب ، ثم عند العظيم
من جانبى وقد افاق من دھوله ، واتجه الى ابراك ، وحاول ان
يحدثه من ذراعه ، ليحاذيه على حدة .. فدا بالفار يصرخ
فيه ، قاتلا :

— اعد عني .. انت موش يكلمنى .. موش ممكن يكلمنى !!
وارداد التصاقا برحال البوليس ..
ونظرت الى عند العظيم نظرة صارمة ، امره بان يعود
الى مكانه ..

لقد اخطأ عند العظيم في تقدير الموقف ..
ان ابراك آخر من يسأل عن هذا الحادث .. انه لم يقدم
عنى معلنه ، الا بحث اغراء شديد .. والاعراء وحده لا يكفى ،
بل يجب أيضا ان يستند على نفوذ كبير يحويه من انقامى ..
وصاحب النفوذ الكبير هو رئيس الوزراء ..

ومد كان ميسى وبين رئيس الوزراء معركة مستمرة .. انه
رجل أعمال .. صاحب شركة نفايسى وصاحب مصانع تتعارض
مع مصالحى .. وان احصل كل شيء في رؤساء الوزراء الا ان
يكونوا رجال أعمال .. الا ان يكونوا منافسين لى في الميدان الذى
أعمل فيه .. لقد تركت لهم دنيا السياسة ، ولم أحاول يوما ان
أناهمهم في ورايه .. وكل ما اطله منهم الا بناءسوسى في تحارة ..
ابى اقبل ان اسازل لهم عن نصف ارباحى ادفعها رشوه لهم
ولرجالهم ، ولكنى لا أقبل ان ادخل في مناسمة مع واحد منهم ..
ولكن مصطفى باشا سامى ، كن يريد كل شيء .. كن

يريد السياسة والحجارة .. بل انه لم يشغل في السياسة
الا ليربح في التجارة .. وهو رجل باع امس .. كل شيء فيه
امس .. صنعته .. وشترته التي لا يشت فيها شعر ..
واساسه .. وبطرات عسه .. ودكاؤه .. كان كالشعل
ينسل من حيث لا تدري صحبه .. وكذب كلما صيغ عليه
الخباق ، وحد منفذا يتسلل معه الى رئاسة الوزراء .. اذا
أقفلت في وجهه باب الانطير ، دخل من باب السراي .. وادا
أقفلت في وجهه باب السراي ، دخل من باب الاحراب الوطنية ..
شغل بسلاسل من نحب قديمي .. وقادر دائما على ان يعير
حله .. انه يوما رجل الملك .. ويوما رجل الانطير .. ويوما
زعيم شعبي يحمله الطلبة على الاعناق !!

هذا هو رئيس الوزراء .. وكان يعلم اني اعلم على اسقاطه
من رئاسة الحكومة .. كان يعلم اني اسد في وجهه الابواب ،
بانا بعد باب .. عذرني هذه المصيبة ، ليصلي على من ان اقصي
عليه ..

المسألة ان ليست مسألة عمره على الاخلاق .. والزواج لم
يحرك عمره على ثمره ، والنولس لم يخمس حياة للدين
او التقاليد ..

انها مجرد ممانسة بين اثنين من رجال الأعمال ، تسعمل فيها
كل الأسلحة القذرة .. ولو لم اكن منافسا لرئيس الوزراء ..
ولو كنت شريكا له .. لسمي حتى يتشرف بمعرفته عشقتي ، بل
ربما نازل لي عن عشيقته ، وعين حندي بوليس على مني يرمع
لي يده بالبحية والعظيم ..

وكانت كل هذه الحواطر سر خاطري ، وانا في اسطر ضابط
النوليس حتى يمهى من ثغري أوامر رؤسائه .. وكنت احترق
من العبط .. كانت أعصابي تتلوي ، وعروقي يكاد ينشق من

بحث لحدى .. وكنت اكرر من بحث استاتى : « عملها ابن الكلب
.. عملها ابن الكلب » !

ورغم ذلك حاولت ان ابدو هادئا حتى لا اضعف امام رجال
"بوليس" وسيجدرى بين شعسى - اطرد منه الدخان سمك - كأن
ين رنى قطارا بحرى بأقصى سرعة .
ووضع صابط البوليس سماعة النليمون . والبعث الى ثانلا .
— وكيل النيابة ، جاى دلوقت !

ورفعت ابيه عيسى ثم خفضتهما ، نور ال انكلم .. ان
رئيس الوزارة اعفانى من الذهاب الى قسم البوليس .. لم يعنى
رحمة سى . بل رحمة بسمعة الطبقة التى ينتمى اليها .. طبقة
رجال الأعمال !!

وعاد الضابط يتول :

— انا آسف يا امدم .. بسى انا مضطر اعيل معافنة !

قلت فى برود :

— افضل !

واخرج الضابط ورقة وقلها . وذا يكتب .. ثم ارسل احد
حيوده لياى له بورق مما يستعمل فى كتابة المحاضر .. وقمت انا
لاطمش على كوليت .. ومسحت باب غرفة اليوم .. انها لا تزال
دوق الفراش .. عارية .. مغفى عليها !

واسرعت اميتها .. قريت من اتنها محلول النوشادر ..
ودلكت قفاه بقطعة من الثلج .. ومسحت على اطرافها بماء
اكولونيا ..

وامانت ، وهى سمعن كانها عصفورة سقطت مكسورة
الاجحاح ، وقالت وهى تشفق :

— ماذا حدث .. ماذا سيفعلون بنا !

— لا شيء .. مجرد اجراءات .. لا نحاق شيئا :

وبدأت أساعدها على ارتداء ثيابها ، وأنا اخنلس اليها
النظرات .. نوع جديد من النظرات ..
احسست ساعنها انى اكرهها .
نعم ، اكرهها ..

تخرت منعة الشهور الطويلة الى قضيبها معها ، ولم يبق
لها منى الا الكراهية ..

وبدأت افكر كيف اخلص منها .. وكنت احسب حساب
التحقيق .. وما يعقب التحقيق .. اننا .. انا وهى .. قد
محال الى المحاكمة .. ثم قد بطلتها زوجها .. ثم قد مطالسى
بنهوض . واكثر من ذلك .. قد تطالمنى بالزواج !!
محب ان اتخلص منها .. ولكن ليس الآن .. انى محتاح
اليها الآن لستى فضيحتنا !

وتركها وعدت الى الصلاة ، وهمست فى اذن عبد العظيم :
— شوق الحرايد !!

وهم عبد العظيم بان يخرج من البيت ، ولكن ضابط النوليس
استوقفه ، قائلا :

— لو سمحت نسئلى لعايه البيانة ما تيجى !!

ولم يخرج عبد العظيم ، انما سحب آلة التليفون الى ركن
بعيد وبدأ يوصل باصداقائه الصحيين واصحاب الصحف .. ان
لكل منهم ثلثا محمدا !

وبدأ ضابط النوليس يستحوئى :

— سين .. ما هى العلاقة بين سعادكم وبين زوجه مسيو
ايزاك ؟

قلت فى برود واخصار :

— صداقة !

قال :

— سين .. كيف عرضها ؟

قلت :

— قدمها الى زوجها . وحضر معها الى هذا البيت مرارا ..

قال :

— سين .. ولماذا حضرت السيدة الى بيت سعادتك اليوم ؟

قلت :

— كانت في انتظار زوجها !

قال :

— سين .. لقد تم ضبطكما بمعمرنى في غرفة النوم ..

فما أقوالك ؟ ..

قلت دون ان اهتز :

— كنا نتحدث في الأعمال !

ورفع الضابط عينيه الى دهشا ، ثم عاد وخفضهما وهو يكم

ابنسامة خبيثة ، عاد يسأل :

— ما هي الأعمال التى كنتم تتحدثون فيها ؟

قلت واما لا ازال ضاغطا على أعصابى :

— انها تضارب معى فى البورصة بمعرفة زوجها !

وصاح ايزاك :

— موثر مضبوط .. الباشا هو الذى ضحك على الست

معاى .. و ..

ومطرت اليه نظرة صارمة أخرسه .. وقالت الأسئلة ..

ثم جاء وكيل النيابة واعاد الأسئلة من جديد .. وكتب فى

أوراقه أوصافا بدنية محجلة للحالة الى وجدنا عليها البوليس ..

وامرجت عنى النيابة ..

وعدت الى القاهرة فى اليوم التالى ..

وانتشرت العشيحة بسرعة .. لم تكتب الصحف شيئا ، فقد

دولى اسكانها عند النعظيم .. ولكن العشيحة انتشرت فى أوساط

رجال الأعمال ، وفى المجتمعات ، وبين اصقائى الانجليز ..

وهم بأحدها أحد على أنها مضيعة لحظه ، بل اعتبروها حولة
خسرها أمام رئيس الوزراء .. وهبوا الرئيس على شكراته ..
ولم يلمس أحد على اتحادى عشقة !

وبدأت أحرار المحقق تسير بسرعة .. سرعه عجيبه ..
ورس الوزراء يدعمها كلها تلكت ..
وحدد موعد لظفر القصة أمام القضاء .

وفى خلال ذلك كانت أعمالى قد أرسك .. وأعصانى كانت
أشد أرتساكا .. وتجمع كل رجال الأعمال المنافسين وأصبوا
أى رئيس الوزراء فى محاولة القضاء على .. لقد وقع المحل —
أى أنا — فكثرت السكاكين فوق رقبيه !
وكان يجب أن أعترف بالهزيمة ..

وقد اعترفت بها بينى وبين نفسى .. لقد كنت عجلا ، ولكنى
لم أقم .. أبى لا أزال واقفا على قدمى .. وسأبقى واقفا !
وكان رئيس الوزراء يريد بهذه المضيعة أن يصمنى بحربا
محبة بالشرف ، ميعدنى بذلك عن السراى ..

فقررت أن أسعنى مؤقتا عن السراى ، وأصدقائى فيها ..
ثم كان يريد أن يمدنى عن أصدقائى الإنجليز .. وهذا لن
يتحقق .. أن أحدا لا يستطيع أن يمدنى صداقة الإنجليز مهما
حدث لى .. أن الإنجليز لا يفرطون فى أصدقائهم بسهولة .. وهم
ليسوا أصدقائى فحسب ، أنهم شركائى .. أن رعوس أموالهم
نحمل أسمى ، وكل ما يمس هذا الاسم ، يمس رعوس أموالهم ..
ولكنى أعرف أيضا أن دار المندوب السامى لا تحب أن تخرج
.. لا تحب أن تقف مكشومة الوجه فى قضية كهذه ، وبطالين
مقالة الوزارة مثلا .. فقررت أن أتحمل الموقف وحدى ،
والأ أطلب من أصدقائى الإنجليز — مؤقتا — ألا استتار علامتهم
..

وحاءت روحى بعد أن سبعت بالقضية .. أتد تعودت منذ

ومن طويل ان تقضى اكثر من ستة شهور كل عام في إنجلترا ..
ومد قطعت اقامتها هناك وحاجت .. لم تحيء غاضبة ولا ثائرة ،
ولكنها حانت ملهونة ينفقدها الجزع .. ولم يكن الأمر بالسيسة
لها امر اتحادى عشيقه ، فهي تعلم ان لى دائها عشيقه .. ولم
يكن يهملها هذه المضجحة التى ثارت حولي ، بل كان كل ما يهملها
هو تأثير هذه المضجحة على أموالى .. على شركاتى .. على
عملى .. ان كل ما أصبح يربطنى بها هو نصيبها من الممتع
نثرائى ..

وكانت أعمالى قد تأثرت فعلا .. كانت أسهم شركاتى قد
بدأت في الهبوط ، وكنت أدخل البورصة مشترى لأسهمى ، حتى
أحول دون هبوط أسعارها .. وقد اشتريت كثيرا حتى كدت
أحسر رأس مالى ..

ولكن زوجتى وفعت بحائى .. وبعد عودها بأيام ، دعينا نحن
الانسين الى حفلة خاصة في دار المذدوب المالى ..
كان محرد وقوفه روحى بحائى ، ودعوتنا الى دار المذدوب ،
سبب كافيا لانفاد أسهم شركاتى في البورصة .. لقد شمت أنوف
الثعالب رنجه الحياة تنبعث من أعطافى .. عرعروا أنى لم أمت
بعد .. فارتفعت الأسعار !

والمجتمع .. المجتمع الراقى الذى أعيش فيه .. ماذا فعل
بى ؟

هل احتقرنى ؟ هل أدار لى قفاه ؟ أبدا ..
انى لا زلت نجما لامعا .. بل ازدادت لمعانا .. ولا زلت ادعى
في كل حفلة ، وكنت اتعمد أن ألى كل دعوة .. وكنت أسمع
من حولي الهمسات كدسب الحشرات .. فأثيق الصفوف منتفخ
الصدر ، فخرس الهمسات ، وأعين النساء تتطلع الى في شفق
ومن .. تتطلع الى ليلة مثيرة عنيفة تنتهى بتدخل البوليس ..
لقد أصبحت دون حوانا مثيرا ؛

الوحيد الذى احتكره المجتمع هو .. أيراك .. أيراك
المسكين !!

لقد هبأ المجتمع رئيس الوزراء على ذكائه .. ولكنه احتقر
أيراك لأنه وضع شرفه فى خدمة فكاء رئيس الوزراء .. لأنه
جالت بذلك العقائد المرعبة بين الأرواح وعشيق الزوجة .. خصوصا
إذا كان زوجها من صنف أيراك !

وقد أحس أيراك من المجتمع .. ولكنه لا يزال يعمل فى
النورصة .. وقد ظهرت بين يديه ثروة هبطت عليه من رئيس
الوزراء .. وتعهد بعض المنافسين أن يعهدوا إليه بعض أعمالهم
حتى يحموه من أعرائى إذا حاولت أن تعرض عليه أن يسأل
عن القضية .. عن حقه فى زوجته .. ثم بدأ معد ذلك يكون
شركة ، ومعتمدا دائما على نفوذ رئيس الوزراء ..

ولم أحاول أن اتصل به .. كنت أعلم أنى مهما عرضت عليه
فسيطب المزبد .. ومهما أعطيته فإن رئيس الوزراء مع مجموعة
المنافسين ، وعلى رأسهم عبد العزيز باشا مبارك ، يستطيعون
أن يعطوه أكثر ..

ورغم ذلك فقد العظيم لم يؤمن بكلامى .. وذهب يعرض
عذبه ثما لتنازله .. عرض أيراك وصرح .. وراح يقول للناس
أنى أحاول أن أشتري شرفه !

أما كوليت .. فقد أصبحت تعيش وحيدة بعدا عن زوجها ..
وانفتت معها على الأندو سويا حتى تكف الصبغة ، ولكنى كنت
أفزع لها مرشها الذى تعودت أن أدفعه لها .. حتى نسكت ،
وحتى لا تصبح الضجة ، ضجتين !!

وأخيرا نظرت القضية ..

وجلست فى قاعة المحكمة مستسلما .. أدير حولى عشرين
مشعقنين .. ولم أكن أشفق على نفسى .. إنما كنت أشفق
على القضاء .. وعلى وكلاء النيابة .. وعلى المحامين .. وعلى

الشهود .. وعلى الجمهور الذى جمع منتهفا كأنه يرقب
استعراضا للعرايا .. بل كنت أشفق على المائون نفسه ..
كنت أشفق على محتجم هزيل ضعيف ، لم يعد يملك من أسباب
الحياة إلا أن يخدع نفسه ، أن القاضى يحدع نفسه وهو يطبق
القانون .. ووكيل النيابة يخدع نفسه وهو يدافع عن الأخلاق ..
والمحامى يخدع نفسه وهو يدافع عنى .. والجمهور يحدع نفسه
وهو يعتقد أن المنيعة انصرت على .. والقانون .. القانون ..
ليس إلا أداة خداع !

ومحبت الحليمة ..

واسطاع المحامون أن يقعوا القضاء بأن يحملوا الحليمة

سرية ..

وبدا وكيل السادة يتكلم .. قال كلاما كثيرا لم أستمع إليه ..
أن هذا الرجل الذى يحمل وشاحا موق صدره ، أول من يعلم أنه
كاذب فيما يقول ، أنه يقول كلاما أملاه عليه رئيس الوزراء ..
وسقط رأسى موق صدرى رغبا عنى .. وربما ظن القضاة
أنى حجل مما يقوله وكيل النيابة .. ولكنى لم أكن حجلا .. ولم
أكن أسمع ما يقبل .. أما كنت سمعتها أذكر زميلى محمد أفندى
أنسبد .. الرجل الطيب الشريف .. وكانت دكره تؤلى ..
بعذنى .. تحرك الشئ الذى يسكن صدرى وسكاد يكلم أنفاسى
كلما تحرك .. لعل محمد أفندى السيد الآن يعتبر نفسه مسبورا على
.. حل إلى أنه بطر إلى فى شمانه كأنه يقول لى : « ألم أحذرك
من الطريق الذى تسير فيه ؟ » .. ولكن .. ماذا كان يريدنى أن
أكون .. موظفا صغيرا فقيرا مثله .. هل أترك كل هذا الثراء ،
وكل هذا المجد ، لأنضم للثراء .. للمقراء .. خوفا من أن
أقدم يوما للمحاكمة فى جريمة زنا ؟ !

وبدا ذكائى يسخر من محمد أفندى السيد ..

وانتهى وكيل النيابة من سرد الاتهام ..

وبدا المحامون يترامعون على .. ولم يحاول أن اسمع النهم
هم الآخرون .. انهم سيقولون كلاما فارغا .. ولو أرادوا أن
يقولوا الحق لأطلعوا المحكمة على أسرار المعركة التي تدور بيني
وبين رئيس الوزراء .. لقالوا للقضاة أنني لم أقدم إليهم لأنني
ارتكبت هذا الأثر بالذات ، بل لأنني ارتكبت جرائم أخرى نافست
بها جرائم رئيس الوزراء .. ورئيس الوزراء يريد أن يكون
المحرم الوحيد .. بلا منافس !

ورغم ذلك فاني سعد قلبه انتهت الى كلام يقوله المحامي ..
اسهت الى ان المحامي لا يذامع على .. بل يذامع عن الجريمة
دأها .. جريمة الزنا !
كان يقول كلاما غريبا اسمعه لأول مرة ..

كان يقول ان الأدبائها كلها لم تعتبر هذه الجريمة .. جريمة !
فالدين الاسلامي استثنى هذه الجريمة من بقية الجرائم ،
واشترط لشوبها أربعة شهود من الرجال .. أي لو أمي ارتكبت
جريمة قتل لكان يكفي أن يشهد صدي رجلان .. أو رجل وامرأتان
.. ثم يحكم على بالاعدام .. أما في جريمة الزنا ، فيجب أن يشهد
على أربعة رجال .. والا .. ملا جريمة !!
ما معنى هذا ؟

معناه ان الاسلام لا يعاقب على الزنا في حد ذاته .. لا يعاقب
الرجل والمرأة عندهما بشاذلان حسديهما ، مجرد انها شاذلا
حسديهما .. بل يعاقبهما إذا انقلبت حريتهما الى « فعل فاضح »
.. إذا تم هذه الجريمة أمام جمهور لا يقل عدد أفرادها عن أربعة
أفراد .. رجال ..

وأنا وكولت لم نرتكب فعلا فاضحا .. كنا حريصين على ان
نحتش .. لم نخرج احساس أحد .. ولم نزعج احدا .. لم يكن

معنا سوى عبد العظيم .. وعبد العظيم تنازل عن احساسه
منذ زمان طويل ..

والمسحبة ..

ان المسيح له حكمة معروفة .. عندما لجأت اليه امرأة
حاطنة ، والناس تجري خلفها ليرجموها بالحجارة .. فحباها
المسيح من الناس . وقال : « من لم يكن منكم بلا خطيئة ، طيرمها
بحجر » ..

وسقطت قطع الحجارة من ايدي الناس !

ما معنى الحكمة ؟

معناها ان المسيحية امتنعت هذه الخطيئة في كل الناس ..
كل الناس يرتكبون نفس الجرم الذي ارتكبه أنا .. فلا عقاب
عليه .. الا اذا عوقب كل الناس !

ثم القانون ..

القانون الذي يحكم المجتمع الآن .. ماذا يقول ؟

انه يقول ان هذه الجريمة ليست جريمة في حق المجتمع ..
لما هي جريمة في حق الزوج وحده . فاذا تنازل الزوج ..
ولا جريمة .. ولا حكم .. ولا محكمة .. لو تفضل مسيو ايزاك
وتنازل عن حقه في كوليت .. فلنا برىء : فانا رجل شريف ..
وكوليت امرأة شريفة !!

ولو انى سرقت من مسيو ابراك قرشا واحدا .. فان هذه
جريمة في حق المجتمع ، والقانون لا يعفيى من المحاكمة حتى
او تنازل مسيو ابراك عن القرش الذى سرقت منه ، وأعطانى
قوته قرشين .. اما لو سرقت من ايزاك شرفة .. فالمجتمع يفض
عينيه ، بشرط واحد .. هو ان يفض مسيو ايزاك عينيه أيضا !!
هكذا يقول القانون ..

وصحكت بنى وبين نفسي ، وأنا اسمع ما يتوله القانون ..
ضحكت ساخرا .. ولو كنت اعرف هذا الكلام ، لكنت عقدا

بني وسين ايراك .. عمد ابجار كوليت .. ولرحب يومها ايزاك
سوففع العقد ..

ولكنى لم اكن املك مثل هذا العقد ..

ومسيو ايراك .. الفاضل .. لا يريد أن يتقارل عن حقه !
فحكيت المحكية ..

حكمت على أربعة شهور سجن .. مع وقف التنفيذ !!
واسرع عند العظيم بطوب على دور الصحف ، فلم تنشر
احداها الحكم .. لم تنشره الا حريده يومية تقتبى الى حرب
كبير .. وفد نشرته لأن عند العظيم وصل اليها متأخرا بعد موعد
انطبع .. ثم اسمعت عن انشر في اليوم التالي ، بعد أن تفاهم معها
عند العظيم !! ولم يبق الا محلة صغيرة .. صممت على أن تنشر
الحكم ، وعلى أن يسمر في النشر رغم كل محاولات عند العظيم
.. ولم أهم بهذه المحلة الصغيرة . لم اكن اعلم ان المحلات
الصغيرة يمكن أن تشعل ثورة في مصر كلها !

وقد أراخنى انامها صدور الحكم .. كان هذا هو غايه
ما يستطيع أن يصل اليه رئيس الوزراء .. لن يستطيع ان يعمل
بى أكثر من ذلك !

وجاء دورى ..

دورى فى الانتمام .. انتقام بلا شفقة !

وكان ايامى ثلاثة أعداء :

رئيس الوزراء ..

وايزاك ..

وكوليت .. نعم .. وكوليت ايضا !

وبدأت بالاول .. وكان يحب أن يترك الوزارة حالا ..

تأسرع ما يمكن .. وقد تركها .. اسقطته .. ضربته بالشلول !

أن اسقاط الوزراء انامها لم يكن امرا سهلا بالنسبة لى ..

عقد كان لى عميل من رجال السراى . ولنسمة « صديق » ..

وكانت متمتعا معه على ان ينقل الى احبار الملك أولا بأول ، لغاء
ان ينقل اليه احبار المندوب السامى أولا بأول .. وهو يأخذ
الأخبار التى أروده بها ويرمعه الى الملك .. وأنا آخذ الأخبار التى
يزودنى بها وأرفعها الى المندوب السامى ..

ومن السهل دائما تحريف هذه الأخبار ..
فإذا حرفت الاحبار التى تصل الى الملك ، وحرفت الأخبار
التي تصل الى الانجليز .. وقعت أزمة .. وثبتت الأزمة ..
مسقط الوراثة !!

وهكذا سقطت الوزارة .. سقطت بعد أن سمعت جميع
الامار امام رئيس الوزراء I
ولم يستطع مصطفى باشا سامى أن يعود الى الوراثة بعد
ذلك .. الا بعد عشرين عاما !
ثم جاء دور ايزاك ..

انه رجل حريص .. انه يعرف انى متريص له .. ولكن
دكاى لا يرحم .. وقد وجد ايزاك نفسه شريكا لمول سحى ..
ممول لم يكن معروف . ظهر محاة فى السوق كأحد الوارثين ..
واعقد ابراك انه وجد فى هذا الممول فريسة سهلة .. لم يكن
يعرف انه أحد عبائى .. ودفع هذا الممول لايراك صعب راسى
ماله .. وايزاك مرح بشركه .. ولكن يوما بعد يوم ، بدأ هذا
الممول يسيطر على الشركه .. وبدأ بوجها توجها تدو فيه
السذاجة ، ولكن كان مصمما على هذه السذاجة .. فنيدا فى
تسميه .. وايراك تكاد بحس .. ويوما بعد يوم ، بدأت الشركه
تميل الى الافلاس ، افلست لحسابى ، واسترددت الأموال التى
كنت قد دفعتها لهذا الممول ليشارك بها ايزاك ، وأخذت معها
أموال ايزاك ايضا ..

وخرج ابراك مهلبا من مصر .. ذهب الى ايطاليا بحث
لنفسه عن زوجة جميلة أخرى ، يبدأ بها الطريق من اوله !

وكوليت .. لقد كانت عنا ثقيلًا يجب أن انخلص منه . كانت
البقعة السوداء التي تلوث كل حلة ارتديها ..

لقد قطعت عنها مربيتها بمجرد صدور الحكم .. وغيرت نمره
تيمومي السرية التي كانت تتصل بي من خلالها .. واقفلت
في وجهها جميع أبوابي ..

ونكها كانت كريمة .. كانت لا يزال مسكة .. مأسرعت
سائرل عن عرشي قبل أن تطردها عنه .. وسافرت هي الأخرى
إلى الخارج .. ولم يكن في وداعها سوى عبد اعطيت .. أنها
المرّة الوحيدة التي أراه فيها أسانا .. ولكنه لم يكن أسانا
كاملاً .. كل ما هنالك أنه أراد أن يحذوها عشيقته لنفسه ..
ولكنها رفضت .. أنها لا تزال ملكة .. وهو لا يزال خاتماً ..
والخدم أكثر إخلاصاً للملكات من الأساد .. ولكن الملكات لا يحذن
أخدم عشاقاً لهن ..

وهكذا انتهت من انتقامي .. تخلصت من ثلاثة أعداء ..
ووفيت أواجه ملايين الأعداء الآخرين ، الذين تعودت أن أعنى
ببيهم !!

ولكن هل أسعرت .. ؟

هل نسيت هذا الحكم الذي أصدره على القضاء ..

أبداً .. لقد ترك حرحا في قلبي لا يندمل .. حرحا يبرق ،
إلى كلما طوت لنفسى .. كان هذا الحكم يمثل زله ذكائى .
من السمة الوحيدة التي يمكن أن تلاحقنى طول حياى ، وبعد
مجانى ، رلة لن يساهها التاريخ أبداً .. سيعول التاريخ على أبى
كنت رجل أعمال ناجح ، محكوما على فى جريمة حليمه .. وبعد
أعوام .. بعد عشرة أعوام أو عشرين عاما سيظهر كاتب لن
أستطيع أن أشتري قللمه .. فسكتب قصه هذا الحكم الذى صدر
على .. وتمر عشرون عاما أخرى ، ويظهر كاتب آخر ، يكتب

القصة مرة أخرى .. ومرة ثالثة .. انها قصة سيحكيها التاريخ ،
كلما حكى قصة مصر ..
هل يهمنى التاريخ ..
معم ..

هل هذا يشر الدهشة .. ان يهنم رجل مثلى بالتاريخ ..
ولكن ، ان كل رجل معرور يصل مغروره دائها الى حد التفكير
فى التاريخ .. واما رجل مغرور .. معرور بدكانى ، ومعرور
بنحاحى - ومغرور بالملايين التى جمعتها ، ومغرور بالاف المال
والموظفين الذين اتحكم فى ارزاقهم ، ومعرور بنفوذى الذى اسبطر
به على مستقبل بلدى .. معرور .. لا يحد من عرورى الا موظف
صغير فقير .. مقبر .. اسمه محمد افندى السيد .. واحد
من ملايين الناس المقراء .. كان زميلا لى فى المدرسة .. ولم
استطع يوما ان اسبطر عليه ، او احظى برضائه واعجابه ..

حسننى هدى ..

هل عرعتنى الآن ؟

هل عرمتنى بعد أن وصفت لك طريق الوحل الذى سرت
فيه ؟

أبى غارى فى الوحل .. والوحل يطمس عسى . وببلا أدنى
.. وموق رأسى ناح من الوحل .. ورغم ذلك فالتس لا يرى هذا
"الوحل" . أبى طريق الذهب الذى أمكنه يعنى عمودهم . وبكى أبى
أشتر حممه منه عسى الأرض حتى يبحنوا كلهم أمامى .. تحت
أقدامى ..

لم يكن يرى هذا الوحل إلا أبى .. ولم يكن أراه إلا فى ممرات
مساعدة ، عندما يحف جشمى . وسكاسل دكائى . وبهرى لحصة
ساصعية أتذكر حلالها والدك .. أتذكر رميل الدراسة الذى أحاول
أبى أحترم نفسى أمامه . وأمال رضاءه وأعجابه .. أتذكره مسحرك
شئ فى صدرى يكاد بكنم أفعسى وبمروى رضى .. وأرى الوحل !
هذا هو أنا ..

وكأن أحب أن نعرمنى . وأن نعرفى روحى . وعشيمانى .
قبل أن أسطرده فى قصتى معك .. قصة حتى .. قبل أن أميل
لك ماداً حدث بعد أبى ربيكم فى بيتكم لأول مرة .. بعد أن رأيتك .
ورأيت معك صورة والدك .. وبعد أن قررت أن أحاول معك

حسنى هدى ..

هل عرمنى الآن ؟

هل عرمنى بعد أن وصعب لك طريق الوحل الذى سرت
فيه ؟

أنى غارق فى الوحل .. والوخل يطمس عسى .. وببلا أدنى
.. وموق رأى ساح من الوحل .. وزعم ذلك فالتس لا يرى هذا
'وخر .. أن يرى الذهب الذى أمكنه يعنى عمودهم .. وبكى أن
أسر حصه منه على الأرض حتى يبحنوا كلهم أمسى .. سحب
أقدامى ..

لم يكن يرى هذا الوحل إلا أب .. ولم تكن أراه إلا فى مراب
مبعدة .. عندما يحف حشمتى .. وبكاسل دكائى .. ويمر بى لحظه
ساعية أتذكر حلالها والدك .. أتذكر رميل الدراسة الذى أحول
أن أحترم نفسى أمامه .. وأمال رضاءه وأعجابه .. أتذكره مسحرك
شئ فى صدرى يكاد يكم أنفسى ويمر بى .. وأرى الوخل '
هذا هو أنا ..

وكب يحب أن يعرمنى .. وأن نمرق روحى .. وعسى أنى ..
قبل أن أسطرده فى قصتى معك .. قصة حتى .. قبل أن أميل
لك ماداً حدث بعد أن ريكتم فى بيتكم لأول مرة .. بعد أن رأيتك ..
ورأيت معك صورة والدك .. وبعد أن قررت أن أحاول معك

ما فشلت منه مع والدك .. أن اكسب رضاءك واعجبك ..
 أن أضعك على رجل شريف . حتى لا أتعذب بك كما تعذب
 بوالدك ، وحتى لا يعود « الشيء » يحرك في صدري ويكسر
 أعاسي .. وكنت أعتمد في محبولى على صغر سنك ، وجهك
 بى . وبالحد . ولم أكن أدري أنك نفسى . وأنى أن لم أستطع
 أن أضع نفسى . على أضعك . لقد كنت ألتبها — بعد أن رزىكم لأول
 مرة — وأنا أكر في العذ ..

هل سيحيى خالك الى مكى ؟ كما أضعك مع والدك ؟
 هل ستركون لى العرصه لاسيولى عليكم .. عليك ، وعلى
 أمك ؟

وأدركت صورته روحى الانطيريه الموصوعة بخائب مرشى ..
 أنها المرة الأولى التى أديرها .. بل أنها المرة الأولى التى أحس
 أن لروحى صورة بخائب مرشى .. صورته تذكرنى بطريق
 الحرمة الذى سرت فيه ؟

وقمت الى الحمام . وما كدت أعود منه حتى وجدت ياسين
 حادى الحاص قد أعاد صورة روحى الى وضع . وأنها
 موحى بوجهها المكسر .. كتلة اللحم التى عاصب فيها ملامح
 الوجه .. رأيت تواهى كأتى لى أمر منها نذا .. ولا من
 حراسى !

وارتدت شدى فى عصىة أرعت ياسين .. وسقط ظن أبى
 معقل على صفته جديدة صممه .. ولم يكن يدرك أبى مقتل
 على شراء أصح صممه فى حبالى .. صممه لشراء الشرف ..
 صممه محاولته قناع نفسى — أو أصابعك — بأبى رضى شريف !

ونزلت الى الحديثه .. ولم أطف ورده كب بعزرت كل
 صباح .. وقرأت أحسن الوفيات بلا اهتمام كأتى صفحت عن
 عدائى الذين بهوتون كل صباح ، ولم أعد أريد لهم الموت ..

وتناولت امطاراً لم ادق له طعماً .. ثم ذهبت الى مكتبى ، وأنا
أفكر قبلك ..
هيك أنت ..

كنت أحاول أن أرسم طريقى اليك .. وكنت أحاول أن
أرسمه بحذر شديد ، ماى أعلم أن الطريق الى الناس البسطاء ،
أصعب بكثير من الطريق الى الناس الكبراء !
فكرت أن أرسل لكم هدية فخمة عربوا لصداقتى .. ولكنى
عدت .. أن الهدايا المحبة لا تدفع الا عربونا لصداقة زملائى من
رجال الأعمال ورجال السياسة .. وقد تثير هدى الشكوك فى
موسمكم .. الى حد أن نخامونى !

ومكرت أن أرسل لكم مبدوا عنى ليطمئن عليكم .. ولكن ،
لا أيضاً .. يجب أن أضط أعصابى ، يجب الا ادى من لاهتمام
بكم الا بقدر ما اشعركم بحاجتكم الى .. بحب أن أنظر حتى
بأنى الخطوة اتقابه منكم ..
هل تحطون الى ؟ !

ودخلت الى مكتبى وأنا لا زلت وراء امكارى ، وجاء عبد
العظيم ليعرض على أعماله .. الاعمال القدرة .. وفى عينه
المنمحين نظرات متسائلة تحاول أن تقف أمام عبنى ، متصعب
وترتد وحيمها تحت جمونه .. وعرض على موضوعاً .. ثم
موضوعاً آخر .. وأنا أناقشه بلا حماس .. وبلا قسوه ..
وبلا جشع .. كئى أصبحت انساناً آخر .. انساناً غائراً ،
حزناً .. هائلاً .. كئى لم أعد أنا !

وطوى عبد العظيم أوراقه .. وسكت وثقت له فى فتور :
— ما عندكش حاجة نانية ؟

قال وهو يحفى عنى عيبيه حتى لا اقرأ ميهما سطحه .

— لا .. خلاص .. ده اللى عندى البهاره !

وكل كدنا .. ابى أعلم أن لديه امورا أخرى للعرض على ..

ولكنى استرحت لكدته .. ثم صمتنا مرة سكوت .. لا نددها
الا الضحيح الذى يدور فى رأس كل منا ..

ولم بهم عند العظيم بالانصراف .. أنه يعلم أنى فى حاجة اليه
.. يعلم أن هناك موضوعا سأتولى أنا عرصة عليه .. ولكنه
لم يحاول أن يساعدنى فى طرق باب هذا الموضوع .. وهو
يعلم أنه موضوع حساس بأسسه اى .. يعلم .. بعد أن عاش
معى كل هذه السنين .. أن نقطة ضعفى الوحيدة تكمن فى هذا
الموضوع .. ورغم ذلك لم يحاول أن يساعدنى .. لم يحاول
أن يقول كلمة يفتح بها باب الحديث .. إنما ظل صامتا ، وقد
أشعل سيجارة وأحد ينفخ دخانها الملوث بأنفاسه فى هدوء ،
وراحة .. كأنه يلدغ شعور خبيث .. شعوره بأننى فى حاجة
اليه .. وشعوره بأنى حائر ..

وقلت وأنا أحاول أن اكسو صوى برمة الجد كأننا لا لنا
نحدث فى الأعمال القذرة :

— أمأرج رحت ررت عيله المرحوم محمد أمندى السيد ..

قال ، وهو يضم شفقيه ليخفى ابتسامة ساخرة :

— ازبهم .. على الله يكون سبابهم مستريحين ..

قلت وأنا لا رلت احتفظ برمة الجد :

— لا والله .. باين عليهم تهنئين ..

وسكت برمة ثم قال كأنه لم يعد يطيق أن يكتم سخريته :

— ما هو الله يرحمه ، كان غاوى فقر !

وبطرت اليه نظره غاضبه ، وقلت فى حدة :

— ما بمسأش انه كان امر صديق لى فى المدرسه .. والفقر

.. ش عيب !

ورمع عند العظيم عنيه كأنه لا يصدق اى أنا الذى أقول

أن الفقر ليس عيباً ، ثم تنهد كأنه يسلم أمره لله وقال :

— أنا باشوف أنا لازم نساعدهم .. والبركة في سعادتك ..
عمرک ما بتنى أصدقائك !

واسترحت .. لقد قرر عبد العظيم ان يكف عن تعذبي ،
ودخل في الموصوع .. وقلت :

— بس حا نساعدهم ازاي ؟ !

قال في بساطة :

— نديهم قرشين .. ولا نعمل لهم معاش !

قلت وأنا اتهمه في ذكائه :

— المسألة مش بالمساطة دي .. دول باس عليهم باس

شرما ومحافظين .. يمكن يرمضوا ياخدوا فلوس ..

قال وهو ينظر الى كانه لم يعد يستطيع ان يهينى :

— اهل بعكر سعادتك تعمل لهم ايه ؟

قلت وأنا اتهد :

— والله مش عارف يا عبد العظيم !

وبانت على وجهه آثار التفكير العميق كانه احس بمسئوليته

عن خبرتى وتهدى .. ثم قال :

— نقول لهم ان المرحوم كان له اسهم في الشركه .. وكان

محسبا عنهم .. ونمدى نديهم ارباح الاسهم دي .. وثوانا

عند الله !

قلت بسرعة :

— انا قلت لهم انى مدين للمرحوم عشرة حنيهاست اسلفتهم

منه بعد ما اخرجت من المدرسة .. وان العشرة حنيه قول هم

الى عملت بهم ثروتى .. اعمل ايه يا عبد العظيم .. كانت

حالتهم محرنة .. واضطريت انى اكذب الكدبة دي :

قال وهو يتسم كانه يهنئنى على ذكائى :

— والست صدقت ؟

قلت :

- أيوه ..

قال كنهه ينهى الموصوع :

- خلاص .. يقول لهم ان العشرة نقت الف :
من متحاهلا كلامه .

- ان اتقت مع السب ، انها تسعللى احوها . علشان سفق
معاه على انلى ممكن يعمل .. اتقى ثائله ات ، وانفق معاه ..
المهم اننا ما نسيهمش لوحدهم .. اننا منهم بيهم جدا ..

ومهم عند العظيم ما اعنيه .. معهم انى اريد لاسيلاء عليكم
.. ولكنه لم يفهم لماذا اريد الاسيلاء عليكم . انه لم يستطع
اندا ان يفهم سر اهتمامى بوالدك وهو الا لا يستطيع ان يفهم
سر اهتمامى بك .. وقال على قدر مهمه :

- هه حرم المرحوم ، اذ انه .. تصدى ، يطلع عندها كام
سسه ؟

ويحرب اليه كسى غامب .. ولم اكر فى انحقته عاصبا .
نقد كبت اسطر منه هذا السؤال .. ان عقله نصق عن ان يفهم
.. ب لاهيبامى بامراة . الا اذا كنت اريد اتحادها عشية ..
وقلت كاسى الومه :

- دى ست طيبة .. مش من النوع اللى نالك معه !

قال وهو يبدسم بسامة مسدل فوق شمعته العلططين :

- مش قصدى .. بس كنت باسأل ؟

وفام عند العظيم من على منعهده مسنادما فى الانصراف ، وقتل

ان يصل الى الباب استوقفه قابلا :

يا ترى ما مش شمه فاصيه فى العمارة اللى فى شارع

البيلى ؟

ورمع عند العظيم حاضيه دهشة .. وبدا عينا كما لم يد

اندا .. ثم قال :

- ما اطمش ..

قلت وأنا اصعق على كمانى بسدو كانوا امرا لا يناش :

— يمكن بعضى شقة منها قريه !!

مال وهو لا يرال في حالة النعاء :

— يمكن !!

وظل ينظر الى بعضه المندعشتين برهه . ثم تحركت شغافه
كأنه يهم بأن يقول كلاما .. ثم خرج وقد انقلب دهشه الى
سخط .. كان مسخط على لاني ابدو أمامه لعرا .. وساخط
على بعضه . لأنه لا يستطيع أن يفهمي .. وساخط عليكم لأنكم
دائما تقومون بسى وسنه .. كال بكره والدك لأنه لا يرى له حدود
في حمانى ، ثم لما مات والدك وظل أنه تخلص منه .. ظهرت انت
في مكان والدك .. وبدأ يكرهك قبل أن يراك ..

كان عند العظيم ساعبها يبدو كأنه شيطان بحارب جيشا من
الملائكة يريدون الإساءة على . وكان ساخط على هذه الحرب
.. كأنه ساخط على الله .. لماذا خلق الله الملائكة . ما دام قد خلق
الشيطان .. وما هي حكمه سمحاته وبعالى في أن يخلق مرة
بحارب .. لماذا يترك الدنيا للشيطان أو يتركها للملائكة . حتى
يسودها السلام .. سلام بحث سيطره الشيطان . أو بحث
مسيطره الملائكة .

كان هذا هو حال عبد العظيم ..

وكان هذا هو حالى أيضا ..

كنت أب امسا أسأل لماذا أريد أن أكون شريفا . ما كنت
قد تحببت في أن أكون غير شريف .. وماذا أريد منك .. من
فئة بسيطة في السابعة عشرة من عمرها .. بحيله الوجهه .
وعسابها هادئتان عبققان .. وشعرها ناعم في إون السدف ..
ماذا أريد منك . وأنا أستطيع أن أشرى كل نساء الأرض ..
ما حاجتى اليك ، والدنيا كلها ملك يدي ..

ولم يكن هناك جواب . الا في هذا الشيء لفاهم الذي

مبحرك في صدرى . وفلمسى . ويكدد بكم أناسى .. ويدمعى -
 في لحظات صغى - الى أن أحاول أن أكون أسنانا شريفا ..
 ورغم ذلك . بعد كنت واثقا من أنى سأحقق ما أريد .. كنت
 واثقا من أنى سأسئولى عليكم .. وأن عبد العظيم سيوصل بكم
 لى .. أنى مؤمن بقوى .. قوة الذهب وقوة الذكاء .. أنى
 أستطيع أن أشرى بهما كل شيء . حتى الشرف .
 ولم بعد أماننا إلا أن سطر وصول خالك الى مكنتى ..
 متى يصل ؟

ومضت الساعات . وأما خالس في مقعدى لا أتحرك .. كأنى
 أحشى أن تحركت أن أؤخر وصول خالك .. كنت أراه في خيالى
 منزل من القطار قادما من دهبور .. ثم يصل الى بيكم في شبرا ..
 ثم أرى والدك يسبقه في لهفة . وتشد من يده الى جبرة
 حابه . ويهمس في أذنه بالحبر المثير .. حبر ريارى لكم ..
 وعرضى مساعدتكم وماء للدين الموهوم .. وكنت أرى مرحبها
 تطعى على حربها بوماء المرحوم .. وأرى خالك وقد نهت للحبر
 المشر .. ومعه ماء ورفع حاضيه .. وكنت أنصوره في خيالى
 سمينا كتحر الأرباب . وأحباتنا أنصوره رفعا معروفا .. وكنت
 أراك في الصورة التى أرسبها في خيالى .. أراك حريصة ، صابرة
 .. ثم أرى حاك يهول خارجا في طريقه الى مكنتى . وأراه واقفا
 على محطه البرام .. و .. و .. و .. و ..

وبدق حرس الطيغور بحسى . مرمع الساعة وأنهى المكاملة
 بسرعة .. أنى لا أريد أن نقطع أحد خيالى .. أريد أن أرى
 خالك وهو في طريقه الى ..

ويدخل أحد الموظفين حاملا أوراقا لأوقعها .. فأؤجل توقيعها
 .. أن امصائى هى اعز ما أملك ، ولا أستطيع أن أصغه على
 ورقة ، وأنا في مثل هذه الحالة المصميه ..
 يمر الساعات ..

ولا يحصر حالك ..

ابى واثق ان عند العظيم سيستنى بوضوله ..

ولكن عند العظيم لم يثنى بشيء .

وارمع ساعة التليمون ، واتصل بعدد العظيم لأمول له اى

شيء .. كلاما لسب في حجة ابى غوله .. ولكن اتوله لحد

ان يصل بعدد العظيم . لعنه منى ان يثنى عن وصول حالك ..

ولا يثنى عند العظيم بشيء .. واكاد ارى ان حلال سلك

التليمون اسبابه .. اسبحة النهاية في ، والسحرة منى ..

واوخل موعد معادرتى للكتف ..

لقد تعودت ان اعده في الساعة الواحده ونصف تمام .

ولكنى بقيت فيه حتى الساعة اثنية والنصف .. والموظفون

في دهشة .. ولو علموا ابى حالك في انتظار ماجر نروى لسحروا

منى .. لفقدت احرامى منهم .. ابى لم تعود ان اسطر احدا ..

كل المسى يسطرونى ، بما فهم الورراء والكراء .. ولكنى لا اسطر

احدا ..

ولم يحصر حالك ..

وقصصت يوما شقيا .. احسست بنفس بعدد الذى

احسست به عندما رمض واندك ان يشرك في حلة كريمة .

حيل الى ان حالك لم يحصر انا .

حيل الى انكم قررتم اى لست شريفا ، واسعديتم على حتى

لا تتلوثوا بى ..

خيل الى انكم احقرتمونى .. احقرتم نروى ويدوى ..

وبذات بحث عن حطة اخرى لالاسلاء عليكم .. حطه اكر

هنا وعما .. ولكنى جمعت اعصابى . ووطدت منى على

الانطار ..

ساستر يوما آخر .. يومين ..

ولكنى لم اسطر طويلا ..

لقد حصر حالك في اليوم التالي ..

نعم .. حضر !!

وعلمت بوصوله بمجرد أن دخل من الباب .. ولكني لم
أسفله .. كن عليه أن يمر في طريق طويل قبل أن يشرف
بعملي .. أن لب أسوبا حص في معاملة صحايك .. أسلونا
أشبه بحرب الأعصاب .. وكان يجب أن نلج أعصابه .. ويمتلئ
بالرهبة قبل أن يقف أمامي .. مبركوه ينظر في حجره الاستقبال
ساعة .. ثم يخلو إلى عربة السكرير لينظر بصف ساعة أخرى
.. ثم يخلو إلى عربة مدير مكتب عبد العظيم بك ، وانظر مبه
ساعة أيضا .. كل ذلك وهو يعيش في خو هادئ مثير ..
أشبه نحو وزارة الخارجية الانجليزية .. ويرى رجالا سظمون
همس ، ويسيروا على أطراف أصابعهم .. ويردون أسماء
كثرة .. والتلميحات من من حوله .. تلفوت كثيرة بجيعة
وبرعجه .. وهو يصاعل .. ويصاعل .. حتى أصبح صفرا ..
وعندما تقرر أن خالك أصبح صفرا ، سمح له بمقابلة عبد
عظيم .. بك !

وفي خلال ذلك كنت أنا قد استعدت هدوني .. أن الصعقة
بذات سير مبرها الطبيعي .. ولم أعد أحمل لها هما .. وأملت
على عملي كعادتي .. دون أن اعبر بمعالجة حالك .. أو برعفتي
سأؤه ..

وقد عرف عبد العظيم بحبره أي نوع من الرجال ضمني إليه
حالت .. محاطته باهمال ورمع .. وفان له أن « أن شا » — أي
أن — تعطف وتشمل عائلته المرحوم محمد امدي السيد برعايته ،
وأي مررب أن ابولي أمر كريمة المرحوم وأرملة .. ذكرى للصداقة
نسى كتاب بربطي به ..

وسمى حالك هذا الكلام وهو يدعو إلى بطول العمر ، ويشيد
بكرمي وأريحيى !

وأخرج عبد العظيم حمسين حبيباً أعطاه لحالك . وهو
يقول له : أبى أمرت بصرف هذا المبلغ لعائلته المرحوم ، حتى يسد
به أحاسانها العاطلة ، إلى أن فنظم لها حبايبها الجديدة ..
وأحد حالك المبلغ بلا تردد .. تردد قليلاً .. أقل من اللازم
.. ثم أخذه يديين مفعوجتين كأنه ينتقى هبة السماء ..

المغل .. لو أنه طلب منى يومها حمسمائه . لأعطيته !
وبعد ذلك طلب منه عبد العظيم أن يسطر ليعالمى . حتى
ينعى تعزى في وفاة المرحوم .. ورجاه أن ينظر قليلاً في غرنه
السكرتير .. ثم تركوه ينتظر نصف ساعة !!
وأخيراً صحبه عبد العظيم إلى مكسى .

ورايته لأول مرة .. واستقبلته واقفاً .. وبسبب واقفاً حتى
لا أدعوه للخلوس .. ومذهب له يدي . مانحى يخلها .. وتركته
مسلماً ، وأنا أنظر إليه من عل !!

لقد دخل إلى مربداً .. تهره الهيبة التي تحيط به ، مرتعش
ركبائه ، ويرعش عساه ، وترتعش شعثاه .. ورأسه كما كنت
أحمله . ربما معروفاً .. يرتدى حلة من قمائش لا يصلح
ولا ليكون حلياً .. أو قمطاناً .. وموق رأسه طربوش مائل
على الورا ، اكلمت حافيه كأنها امتصت كل ما في دمه من
عبار .. وبررت من نخها حبه عريضة تشقها خطوط عبقة
من السماء . ووجه فيه دكاء . ولكنه دكاء لم يستطع أن ينفذ
صاحبه . ولا أن يرتفع به . دكاء تاجر صغير .. قد يخدع
ردائه وقد يعشهم . ولكنه لا يستطيع أن يكون أكثر من تاجر
صغير ..

أبى أعرف هذا النوع من الناس .. أنه نوع يخل أغلب أموره
على الحظ .. إذا حسر مال أنه الحظ ، وإذا ربح قال أنها الشطارة

.. ويسمى الحظ « الله » .. ويؤمن بالناس غنى قدر ما يعطونه
لا على قدر ما يريد منهم .. وإيثاره ضعيف .. ولذلك فهو سعيه
رخصا ..

ولم أهم حاله في شرفه ..
لم اعتد أنه يقبل أن يبيعني شرفه .
ولم يحظر على ماله أني أحول شراء شرفه . لم يكن منصور
أن يأتيا محلا مثلي يطمع في شرف رجل بسيط مثله .. إنما أخف
أنقود من يد عبد العظيم مقتنعا تماما أنها مجرد كرم مني . وردا
لحميل الصديق الذي مات .. وربما ظن أن هذا الكرم إحدى
خصال كل الناسوات أمثالي !

وتلى عبد العظيم . وهو يقف في احترام كبير ، وبصم أطراف
سترنه ، حتى يزيد الموقف هيبة ووقارا :

— اسماعيل أمدي عبد الحواد نسب المرحوم محمد أمدي
السيد ، حاي يشكر لسعادتك !

وقبل أن أنكم انطلق اسماعيل أمدي يقول في صوت متهدج :
— اتشكر .. اتشكر إزاي .. هو فيه كلام يساع شكر
سعادة الماشا .. رينا يدك طولة العمر يا سعادة الماشا ..
رينا يزيدك من نعلمه .. رينا يدبلك للكرم . والشهامة
.. و .. و ..

وتألمعته وأنا أندو حزينا :

— النقية في حياتك يا اسماعيل أمدي .

قال في صوته المتهدج :

— نديم حباتك يا سعادة الماشا .. البركة في سعادتك ..

اندينا بخر طول ما سعادتك عايش فيها .. و ..

وعدت تألمعته في لهجه معالمة :

— أنا ماعسر عيله صديقي المرحوم محمد أمدي . رى عيلتي

بمام .. منه سنتي .. وأنا مسئول عنها .. وولي أمرها .. وای

حاجه ممكن اعلمها ارحوك ما اسماعيل افندى نقول نبي عليها ..
وهذا تهديحه ، وقال :

— احنا مش عابزين الا رضا معادتك !
قلت :

— انا سمعت انك باجر في ديمهور ..
قال :

— ايوه يا معاده الناشا .. باجر صغير على اد الحال !
قلت وانما اسمك له اسماءة صغيرة كأنها بفصل منى :
— عال .. شقى تقدر تحدثنا في اسكندرية ..

ومعر اسماعيل افندى ماه كانه لا يصدق ادبيه .. هل
يستطيع ان يخدمنى .. وكيف ؟
والسنت الى عبد العظيم قائلا :

— اتنى شوف يا عبد العظيم بك شطة لاسماعيل افندى في
شركة اسكندرية .. انا احب اتعاون مع الناس الطيبين دول .
ثم أدبرت عينى اليه . وهو لا يزال فاعرا فاه ، وقلب :
— احنا بقينا عيلة واحدة يا اسماعيل افندى ..

ومحدث له يدى ، فانحس يقبلها مرة ثانية ، وهو يدعو لى ،
وقد عاد صوبه اكثر تهديجا .. ثم انسحب وهو يخطو الى الخلف
محس القامة . كأنه يسحب من حصرة الملك ..

وما كاد يخرج ، حتى ناديت عبد العظيم وهمست في اذنه :
— ما نسايش مشوب شقه ماصية في عمارة شارع النيل !!
ومهم عبد العظيم ما افصده ..

دعنى احدثك عن عمارة شارع النيل .. عن المسرح الذى ارتكبت فوقه جريمة ..

لقد كنت ايامها املك خمس عمارات كبيره .. ثلاث في الاسكندريه والرابعة في وسط القاهرة .. في شارع سليمان باشا .. والخامسه هي عمارة شارع النيل .. في الحيره .. ولم اكن املك هذه العمارات باسمي .. لم اكن اصنع اسمي ادا على املاكي .. ان الرجل العبي الذي يصنع اسمه عنى املاكه هو عبي سادح . ضيق الامق ، لا يستطيع ان يساير التطور . ولا الأساليب الحديثه في الاملاك .. وانا لم اكن سادحا ولا صق الامق .. ولذلك لم ادمع الناس برون اسمي على شيء املكه .. كان كل شيء يحمل اسماء شركات .. كانت احدى العمارات ملكا لشركة التأمين العنبله .. والثانية لشركة الممولات العموميه .. والثالثة ملك لشركة البحارة والصناعه . وانا الذي املك كل هذه الشركات .. انا وحدي .. واملك كل شيء فيها . حتى اموال المساهمين !!

ولم يكلفني بناء هذه العمارات شيئا .. لم ادمع مليا واحدا عما .. بل املكها مجانا ، وريحت من وراء املكها آلاف احييات ..

كَيْفَ ؟

أبنا عملية بسيطة لا يحتاج إلا الى قليل من "ذكاء" ..
كانت شركه التأمين التي أملكها تقرر بناء عمارة في
لاسكندرية . بأموال المؤمنين .. وهو قرار قانوني لا شأنه به :
ثم يقدم شركه المقاولات التي أملكها أيضا . وتأخذ أموال
المؤمنين . لتقوم بعملية البناء .. ونكسب شركه المقاولات من
هذه العملية عدة آلاف !!

ثم نتقدم شركة التجارة والصناعة . التي أملكها هي الأخرى .
وسيق مع شركة المقاولات . على أن نورد لها ما يحتاج اليه من
حديد وأخشاب وماتى مواد البناء .. ونكسب من وراء هذا
الامتعق عدة آلاف أخرى !

ثم ستقدم باقى الشركاء التي أملكها . ويطلب في الحال أن
مستأجر كل منها طابقا أو طابقين في العمارة الجديدة . وبالشروط
والإيجارات التي امرصها .. وهي دائما إيجارات تزيد عن ضعف
معارات العمارات الأخرى .. ويعود حصيلة هذه الإيجارات الى
شركه التأمين التي أملكها !

هل فهمت هذه العملية البسيطة ؟ !

هل عرفت كيف كان يمكن أن يكونى صاحبة عمارة . دون
أن تدفعى مليئا واحدا ؟ !

قد نقول ان العمارة لا ترال ملكا للمؤمنين .. أى لأصحاب
بوالص التأمين .. لا ما أحب ساذجة .. ان الرجل الذي يدفع
قسط تأمين قد لا يتجاوز عشرين جنيها في العام ، لا يستطيع أن
يضع أمام عمارة من عشرة ادوار ويقول : هذه عمارتى ..
ولا يستطيع أن يدعى حقاً له على هذه العمارة .. لا يستطيع
حتى أن يطلب مراجعة حساباتها .. ولكن أنا .. أنا الذى
أجمع هذه العشرين جنيها من مئات الرجال .. كل منهم يدفع لى
عشرين جنيها في العام .. أنا وحدى الذى أستطيع أن اتول
أن هذه العمارة عمارتى .. وأنا وحدى الذى أنصرف فيها ،

وأصبح بها ما تريد .. وليس لأحد حق مراجعنى الا « جمعية
عمومية » صورية تجتمع كل عام ، ونهر رأسها بالمواثيق على
ما أعرضه عليها ثم يفض اجتماعها .. والا اداره حكوميه هزله
يسمى « اداره الشركات » لا يحرؤ أكثر موظف منها على الوقوف
أمامى الا وركبته يرتعش من مرط الخوف ، فهو يعلم ان مصيره
فى مدى ، ومصر وزيره فى مدى ايضا .. وكل حقوق المؤمنين
أمامى هى ان يسردوا قصه التأمين بعد ان يسهى يديه .. أى
بعد عشره اعوام او بعد عشرين عاما حسب عقد التأمين .. وكأنهم
بذلك قد أعطوتى أموالهم لأبنى بها عمارة لنفسى .. أعطوتى
قطرات عرقهم بلا ربح ، ولا فائدة .. وهم لا يدرون ان العشرين
حينها التى تدفعها كل منهم فى العام ، تصحح ماله فى مدى بعد
ان اسمعها فى شركائى ومشاريعى .. لا يدرون أنهم هم الذين
صنعوا ملايئنى ومجدى .. هم ، هؤلاء البسطاء لطيفون .. وعد
سوف احدهم قبل انتهاء مدة التأمين ، مضطر ان ادمع لورثته
قدمه التأمين كاملة .. حتى لو كان المتوفى لم يدفع سوى قسط
واحد من امساك العمى .. لم يدمع لى سوى عشرين جنيها ..
واضطر ان أردده للورثة مائتى حيه .. ولكن لا سرعنى ..
ان بسطة الومعات والحرائق بين اصحاب بواص التأمين بسبه
تامه لا يعد بها .. ولا نحسب الشركات حسابها .. وحى فى
هذه الحالة .. حالة الوفاء او حاله حريق القطار او المضاعه
المؤمن عليها .. استطيع ان اخلص من الدفع .. ان الفانوس له
أسرار تفتح لى أبوابا كثيرة أستطيع ان أهرب منها .. وأكثر
من القانون ، هناك بمودى !!

هل استعت الآن بأبى المالك الوحيد لكل هذه العبارات ؟
انها ليست عليه نصيب .. ولكنه نظام لاستغلال الأموال
يبدو كأنه نصيب .. ومن خلال هذا النظام استطعت ان أكون
مليونيرا .. واستطعت ان أؤسس عشرات من الشركات لم أدمع

في تأسيسها مليئا واحدا من حبس او من رأس مالي .. انما كنت
أؤسس كل شركة من أرباح الشركة الأخرى ، وأملك من أسهم
التأسيس أكثر من النصف . حتى يكون لي — قانونا — حق
تسيطرة عليها . ثم ادعو الناس ليشتروا بقية الأسهم .. ثم
اعطيهم أرباحا صورية ، وأخذ باقي أموالهم لأؤسس شركة
جديدة أملك أيضا أكثر من نصف أسهمها .. وهكذا !

ولم تكن شركاتي تسأجر كل عماراتي .. كل بعضها يستأجره
الأهالي القادرون على دفع أيجاره .. خصوصا عمارة شارع
العجل .. لم تكن نصلح ليكون مقرا لمكاتب شركة .. كانت عمارة
مكتبة .. هادئة .. أنيقة .. تطل على النيل .. ولم يكن كل
مساكنها يدفعون أيجارا .. كنت أمنح بعض شققها كرتشوه لكار
الموظفين .. لوكيل وزارة .. أو لمدير مكتب وزير .. أو .. أو ..

ولم أكن أعرض هذه الرثوة عرضا رخيصا .. انما كنت
أضن بها ، حتى يلجأ الموظف الكبير الى .. أقصد الى مدير الشركة
الى تلك العمارة .. ويلج في طلب الشقة .. ويصل في الحاجه
الى حد الاستجداء .. ثم بعد ذلك أصدر أمرا الى المدير بأن يعطيه
الشقة .. ويكتب معه عقدا مستوفيا لكل الشروط القانونية ..
وبعد أن يستقل الموظف الكبير الى الشقة الحديدية ، لا يطلبه أحد
بالإيجار .. وتمر الشهور ، والموظف الكبير مطمئن الى انه لن
يدفع أيجارا ، أو هو مطمئن الى انه يدفع الإيجار في صورة
خدمات معه يؤديها لشركاتي .. حتى يعزل الموظف من منصبه
.. أو بحال الى المعاش .. أو يمقد نفوذه .. الى ان يصبح
عديم الفائدة بالنسبة لي ولشركاتي .. وبكل بساطة ، يبدأ مدير
الشركة التي تملك العمارة في مطالقته بالإيجار .. الإيجار المأخر
كنه .. ويلوح لملكه بالعقد المكتوب المستوفى لجميع الشروط
القانونية .. وعندما ينهار المسكين أمام الحاجة ، يعرض عليه

الخير ان ينزل له عن الماخز وعن العقد ، على شرط ان يخلي
الشقة .. فيخلها !!

وكان يجب ان تحلى شقة في هذه العمارة لتكون مسرحا
لجريمى .. فكل ادوات الجريمة معدة فيها .. وآخر طابق
فيها اعد ليكون عشا خاصا لى .. اقضى فيه الليالى مع عشيقانى ،
واقيم فيه الحفلات الخاصة التى ادعو اليها اوزراء والكبراء
لاشتري نفوذهم .. ولهذا الطابق مصعد خاص بى ، لا يستعمله
بقية السكان . ولا يقف عند بقية الطواق .. بل يحملنى توا -
دون ان مرانى احد - الى عشى .. الذى كنت اسميه عشا النسر ،
نشها بهنر الذى كان يخذ لنفسه عشا فوق اعلى قمة من
الصل ..

ولم يكن اخلاء شقة في هذه العمارة مشكلة بالنسبة لى
او لعدد العظيم .. بل كانت المشكلة كيف ننقلكما الى هذه
الشقة .. انت وامك !

كنت اريد ان انتقلكما الى عمارتى ، لتكونا بين يدى ..

ولم يكن الجريمة حتى هذا اليوم قد خطرت بلى .. بل لم
اكن اعتقد انى سأكون محرما بشما الى هذا الحد .. كنت حتى
هذا اليوم احاول ان اتضع نفسى باى رجل خير ، استطيع ان
اصدق عليكما بسحاء ، وان انتقلكما الى حياة مترفة فخمة ..
دون ان انتظر منكما ردا لتحميل .. وانا لا اشرع للجمعيات
الخيرية لانى رجل خير . بل اسرع لها لانها جمعيات
لها نفوذ ونظم وشخصيات احتاج اليها .. اما لو تبرعت
لكما - انت وامك - فليس لكما نفوذ تخدمانى به ، ولن
اخذ منكما عوضا سوى رضائى عن نفسى ، وسوى
اكتناعى باى رجل شريف .. نعم .. كنت حتى هذا اليوم اسانا

محاول أن يكون شريفا ، وأن يفتح نفسه بأنه شريف .. وكان
مكبري فيك وفي أمك لا يبعدى محاولي أن اندو أمامكما رحلا
شريفا ، وأن أمال رصاصكما واعجابكما ، حتى أسكت القوم
الذي بهرك في صدري ويقلقني ويكاد يكتم انماشي ..

ولم أكن أستطيع أن أستمع في هذه المحاولة ، وأنتما تقيمان
معيدا عني في حي شبرا .. لم أكن أستطيع أن أترككما في بيكما ..
أن هلك — في حي شبرا — مجتمعا يستطيع أن يحميكما مني ،
ومن رياراتي .. سيتحدث عنكما وعني الحيران ، وحيران
الحيران ، ويشهرون بكما مني ، وقد يحذرونكما مني . فكان
يجب أن أبعثكما عن هذا المجمع .. وأن أصعكما في عالم ليس
مبه محتف .. وليس فيه حيران .. عالم لا يحس فيه الإنسان
بمشاكل أخيه الإنسان .. ولا يحمل لأخيه هما .. ولا يخافه
عبيه ، ولا ينطوع لمساعدته .. وكان هذا العالم هو عالم عماره
شارع البيل .. أن الحيران في هذه العبارة لا يتراوون ..
ولا يحس أحدهم بالآخر .. انه عالم تسوده الفردية .. وفلسفة
أحرد .. ولن يزعجهم أن تشاركوهم هذا العالم ، ولن يسألهم
أحد لماذا جئتم ، ولن يتدخلوا بيني وبينكم إذا لاحظوا بردي
عنكم ..

كف انقلكم الى هذا العالم ؟ ..

حب أن أقصر بحرص ..

وكان حالك قد بدأ يتردد على مكسي كثيرا . لم يعد يفكر
في العودة الى دمنهور .. لقد وجد في مكتبي ربحا بوارى اصعاف
أراحه من تحاربه الصعرة .. وكان مجرد ترده على مكتبي
سمح أمامه أنواا واسعة من الأمل ، وقف أمامها بذهولا لا يدري
أي باب يطره .. وعبد العظيم يحسم له هذه الآمال .. ويفتح
له كل يوم بابا جديدا .. ولكنه ظل يعامله بترفع حتى لا يبدد من
بعده الرهبة والخوف ، وحتى يجعله دائما دليلا مطعما ..

ولم يستطع خالك أن يقابلنى مرة ثانية .. كان يحب أن
أحفظ بحجاب كثيف ببنى وبنيه حتى لا يطمع في .. حتى لا يرمع
رأسه أمامى .. حتى تظل الرعدة تملأ صدره كلما تصورنى ..
أو أسعد اسمى ..

وكنت أريد أن أراك ..

ولم أكن أدري كيف أراك ، وائى حجة أنحجج بها لأذهب
أنى ببيكم مرة ثانية .. دون أن أمتد احترامى أمامكم ، ودون أن
أثير الريبة فى رأس أمك ..

وجاء يوم لم أعد أحصل فيه مريدا من الانتظار .. لا لأنى
أحبك .. لا .. لم أكن أحببك حتى ذلك الحين .. ولكن كان
هناك داعم فى صدرى يدعمنى لأطمئن على صورتى فى عينيك ..
حيل إلى أنى لو اتعمدت عنك أكثر من ذلك مسامتك .. سيتدخل
بيننا عدو من أعدائى ، ويسرد عليك قصة أنامى ويحذرك منى ..
كنت أريد أن أرداد أطمئنانا إلى أنى قادر على الاستيلاء عليك ،
وأفصاعك بنفسى ، قبل أن تعلمنى منى كما أفلت أبوك ..

وركبت إحدى سيارات الشركة ، وأمرت السائق أن يتوجه
أنى حى شبرا .. وكان قلبى يخفق طول الطريق .. كانى عدت
شبابا يواجه حبه الأول .. وخيل إلى أن الناس فى الطريق يشيرون
أنى .. وسخرجون السننهم ، ويحكون بأصابعهم فوق أنومهم
اعاطه فى .. وكانهم جميعا يعلمون أنى ذاهب إليك .. كأنهم
يعلمون أن حسين باشا شاكر الرجل القوى .. الجار ..
المهاب .. بصعب إلى حد أن يربجف وهو ذاهب لزيارة عائلة
موظف صغير توماه الله ..

ودخلت السيارة إلى شارعكم .. واشتدت رجة قلبى ..
أنا .. أنا أربجف ! .. وأحسست أن فى عقلى طاحونة تدور
بسرعة دون أن تطحن شيئا .. عشرات الأسئلة تقفز أمام عيسى
كأنها شرارة البار ، دون أن أحد لها جوابا .. ماذا سأرر ريارسى

قال :

— أبوه .. وما عملش بيهم حاجة .. لسه شايلاهم !

قلت :

— المهم ابها احدهم .. ابها عرف اراي انماصيل دى !

قال كأنه يتقاهى بذكائه :

— مجرد استباح .. اسماعيل امدى حه الشركه اول
مارح لانس بدله حديد .. حاجبها متين الا اذا كس لطش
فرشين من الفلوس اللى خدتم .. والصيف ده يحب دايما
يكون عادل فى اللطش .. مش ممكن يلطش الفلوس كلها ..
ابها يلطش اقل من نصفها علشان يفتح نفسه ان عليه على احمه ..
واحمه مش ممكن يكون صرفت الفلوس لانها با خرجتش من
البيت .. وعرفت ابها ما خرجتش من اسماعيل امدى نفسه ..
قلت متلهفا :

— والبيت .. هدى .. عطف ايه ؟ !

قال كأنه يثو تقريرا من تقارير البوليس السياسى :

— ما معرفش حاجه .. ولما سألت حالها قال لى انهم مش
متمودين بقولوا لها .. حاجه ..

وانسأب .. كنت امصل ان معرفى ان حالك مذ قتل ان ناخذ
بى بعودا .. حتى اعرف على الأقل موقفك مبي .. حتى اعرف
أبك لست كوالدك برمضين كل شيء امد به يدى اليك ..
وعذمت اقول لعبد العظيم فى صوت جرس .. راما اصمط على
كلماتى حتى يفهم ما اعنيه :

— والله انا حتى اظن عليهم بنمى !

ورفع الى عينيه المسمحين ، ونظر الى نظرة ملوثة بامكره ،
ومال وانما احس فى كلماته رنين سخريه خبيث :
انوامع ابهم كانوا لازم يحوا بشكروا لسعادتك ..
ده اللى عملته لهم ما حدش عمله ..

قلت وبين شعبي ايسامة بمواضعه اشكره بها على ذكائه .
— ما هو مشى ممكن يبحوا هنا المكتب يا عبد العظيم ..
دول ناسي محاسنين مشى متعودين يندلوا مكاسب شركات !
قال بسرعة كأنه يطمئنى :

— مشى ضرورى يبحوا هنا .. كانوا يتقدروا بطلنوا زيارة
سماعتك فى البيت !

وانسمت ايسامة لم اسطع احماءها .. وقلب كئى اوجه
انحدث ناحية اخرى :

— واسماعيل اسدى .. يا برى شفت له عطمة فى شركة
اسكندرية ؟

قال وهو يقلب شعبيه احتقارا لشئ اسماعيل اسدى :

— الوظيفة موحودة !

قلت كئى اساعده فى ذكائه :

— على كل حال ما ينفهش ينامر الا بعد ما يطمئن على
مسمقت العيلة :

وقال عبد العظيم :

— فاهم .. فاهم كوبس !

هل غيبت انت أيضا يا هدى ؟

اى لم اكى اعنى ان يطمئن خالك على مستقناك .. بل كنت
اعنى ان يسمع من السمر حتى يبقى اداة فى يدى .. حتى يكون
الشبكة الى اصطادك بها .. وبعد ان يقع الصيد ، نستغنى عن
الشبكة ونرسلها الى الاسكندرية !
وقام عبد العظيم ..

وبدأت انتظر زيارتك لى .. كان ما اقرره واعهد به الى
عبد العظيم : هو قرار التدر بنمذه الشيطان .. انا القدر ، وهو
الشيطان !

واصل عبد العظيم بخالك اسماعيل اسدى ، وابق معه على

أن يصحبك ، ويصحب والدك ، لزيارتي في نيسي .. لتقديموا
أي شكركم على عطمي الذي شملكم به ..

وتحدد موعد الزيارة ..

وبدأت أحس بالارتباك .. وكلما أمزج الموعد ارددت
أرساكا .. هل تذكرين الحادثة التي رويتها لك ، والتي وقعت
عندما كنت زميلا لوالدك في مدرسة الفنون والصبيع ، وحاولت
إياها أن أعش في الامتحان وحف أن يراني والدك وأنا أغش ،
مارتكت الى حد اتي كدت اصط ..

لقد كنت أعاني نفس الارتباك وأنا في انتظار زيارتك ..
كنت أحلمك .. كنت أحاف أن أعشك كما أغش بقية الناس ..
اتي اقاتل الناس بمظهر الرجل المحترم المهذب ، وهو مظهر كله
خداع .. مطهر لا يدل على حقيقة نفسي .. وكنت لا أريد أن
أدعك ، ولا أريد أنصا أن أطلعك على حقيقة نفسي .. مكنت
المحاولة الوحيدة أمامي هي أن أعير ما نفسي .. أن أكون أنسانا
آخر غير الإنسان الذي أعرفه في نفسي .. أن أكون رجلا شريفا
فعلا ..

تري ، كيف يكون الناس الثرماء ؟

أن عملي لم يستطيع أبدا أن يقتنع بأن الرجل الشريف هو
الرجل الفقير .. ولم أستطع أن أقتنع بأن الرجل الشريف هو
الرجل القنوع . الذي يبتازل عن طموحه ويقل وظيفة صغيرة في
وزارة الأشغال ، كما فعل والدك .

الرجل الشريف لا يمكن أن يكون الرجل السليبي .. الجبان ..
الذي يقاي بنفسه عن المعركة خوفا من أن يصعبه رداد الطبلين !
من هو الرجل الشريف ؟

لا أدري ..

وأنا .. هل أستطيع أن أكون مليونيرا ، وشريفا أيضا !

لا أدري ..

وكيف يعسم الشرفاء . وكيف ينكمون ، وكيف ينظرون ،
وكيف يتلفتون ؟

لا أدرى .. لا أدرى .. وظلى ينكمش على نفسه كأنه يحرق
.. وشيء في صدرى بهرك ويكد يكتم أناسى .. وأكاد أحس ..
أريد أن أكون شريفا .. أريد .. أنى حصلت في حياتى على كل
ما أردت .. والآن لا أريد إلا أن أكون شريفا .. من أطك أنت
.. أنت وحدك !

وبلع من حموى أن وقفت أمام المرآة بعد أن أعلمت على
نفسى الباب بالفتح . وأحدث أحاول أن أقلد أناس الشرفاء
كما يصورهم .. أنهم ينسمون هكذا .. ثم أبتسم في المرآة
المسامة حدود مواضعه .. وهم ينكمون هكذا .. ثم أتكم
أمام المرآة في صوت حمص ضعيف . وأكرر في حديثى ذكر
الله " وصلى على النبی " .. وهم ينظرون هكذا عندما يكونون
في حضرة النساء .. ثم أحضض رأسى أمام المرآة . وأرحى حموى
فوق عيني .. و .. و .. وأنبه إلى نفسى .. فأتور .. أتور
على هذا الشيء الحصى الذى تدعى إلى هذه المهازل .. أتور
على هذا الضعف !

أصدقين أنى أصل إلى هذا الحد من الضعف .. أصدقين
أن حسيين ناشأ شاكرا بنسبه ووقاره يصف أمام المرآة بكل أنهنه
وجلاله . ليمثل مهزله .. لو رأتى النورراء والكرراء والسادة
الانحطراء وأنا في هذا الموضع أمام المرآة . لصحوا بالصحك . ثم
حبلوسى بالفرد إلى مستشفى الحاديب .. وقالوا : الله برحمه
.. وبو رأسى عند العظيم لأعتمد أن مرضه قد سحبت للاقتصاص
على والاسبلاء على كل أهوالى !!
ولكن . هذا ما كان يحدث لى ..

أن أحدا لا يصدق .. ولكنها الحقيقة .. رند حاولت أن
أعرب من أنصفه . فمحب باب العرمة وباديت خادمى ياسين

وأنا أصرح كأننى أستجده .. وملا كنت أستجده .. أستجد
به حتى لا يركنى وحيداً مع ضعفى ..

والموعد يقترب ..

لم يبق سوى ساعة .. وأراك !
هل أستقبلكم فى الحديفه ، كما نعودت أن أستقبل أصدقائى
رحال دار المندوب السامى ..

لا .. سنستقبلكم فى دحل الدار ، فهذا أكثر احتشاماً !
هل أترككم فى انتظارى ساعة .. أو نصف ساعة ..
لا .. ستترككم ينظرون ربع ساعة مقط .. حتى أومق بين
لهمنى الى لثناك ، وبين أذلالكم ..

وكنت أكرر هذا التكبير وأنا أضغط على أعصاى حتى
لا يمسى صمى .. كنت أحاول أن أئقد دهنى من أن يحصع
لهذا الحنون الذى يملأ صدرى ..

وأخيراً وصلتم ..

وقد كنتم الحادم الى الصالون الفخم .. وثبتت فى حجرتى
— بالدور العلوى — كالأسد المحبوس فى انتظار أن تمضى الربع
ساعة المقررة .. وأنا أحاول أن أسلى نفسى بنصورك وأنتم فى
السطارى .. لا بد أنكم بهرتم بفخامة القصر .. ولا بد أن خالك
قد دخل وهو يسير على أطراف أصابعه كأنه يخاف أن يبدس
أرضى بأقدامه .. ولا بد أن أمك كانت تدير عينها حولها كأنها دخلت
قصرًا مسحورًا .. لا يحمل ما تراه عيناها من جمال .. ولا بد
أنها لمحب على تماثيل المقاعد يديها لتتحسس فخامته ، ثم
مجلت أن تلمحها أحد من الخدم ، متخفى يديها بين طيات ثوبها ..
وأنت .. لقد حاولت أن أتصورك أنت أصلاً مبهورة بفخامة
القصر .. وليسكنى لم أستطع .. كنت بتقنين فى حبالى
عيبك الهادئتين العميقتين .. وشخصيتك القوية .. شخصيه

'كبر من سنك .. ولم أستطع أن أنصور هذه الشخصية نضجت
أمام مخالبه قصوى ..

ومضت الربيع مامه ..

ونزلت اليكم وأنا أحاول أن أخطو في بطن وريانة .. وتمعدت
إلا ألمعت اليك عند دخولي ، ولكي شعرت بحرد أن دخلت ،
بعيبك مشين على .. نتقان صدري ، وتحاولان أن تصلا إلى
أعمق .. شعرت بهائين العيين دون أن أراهما ..

وعب خالك واقفا ، وهو يصلح من وضع طربوشه فوق
رأسه ، ويصم أطراف سترته .. وقامت أمك واقفة بجانبه ،
وهي تنقسم ، وتحاول أن تخفي انتسامتها فلا تستطيع ، وقمت
أنت عن مفعذك في بطن .. كنتك تؤدبر واحدا ثقلا ..

وقال خالك وهو ينحن ليقل يدي :

— يا سعادة الناشا .. احنا مشر عارمين نودي جميلك
مين .. ده والله ان ..

وقاطعته وأنا أسحب يدي من تحت شعتيه .. رتل في تواضع
أقلد به الناس الشرفاء :

— العفو .. العفو يا اسماعيل افندي .. ما تقسولش
الكلام ده !

وقالت والدتك وهي تصامحني :

— احنا متشكرين أوى يا سعادة الناشا ..

وسمعت في صوتها هذه الرنة التي سمعتها لأول مرة ..
الرنة التي أعرمها جيدا .. رنة القزفة إلى سعادة الناشا ..
وقلت :

— أريك يا هاتم ..

قالت والرنة في صوتها ترتفع :

— الله يسلمك يا سعادة الناشا ..

ثم واحهتك .. وأجهت فتاة في السابعة عشرة من عمرها ..

الحسين الهادئين .. والشعنين الرقيقين .. والوجه المحبل
الحرس .. واما يبدو كبيرا بعض الشيء بالنسبة لمساحة الوجه
.. وشعر ناعم في لون السبق ..

ولم تتكلمى ..

لم تقولى اى كلمة .. مفعلة نظرات عينيك تثقبان صدرى ..
وسحت يدي من يدك سريعا قبل ان تلمسى الرمشة
فيها .. وبكلمت انا .. تكلمت كئى احاول ان اعطى ريكى
بذلتي .. قلت :

— اريك يا هدى ..

واحت في اختصار دون ان تنفسمي :

— الله يسلمك !

لم تقولى حتى « يا سعادته الناشب » كما تعودت ان اسمع
من فية الناس . ورغم ذلك لم اعضب .. بل شعرت في هذه
ال لحظة برغبة جامحة في ان ارفع ذراعى ، واربت على كتفك ،
بكئك معللا اسى .. ولكنى قاومت ذراعى .. واستعدت ..
وحلست .. وحلستم ..

ونظرت الى حالك كئى امره بالحدث .. ورايت في نظرتي ،
جلعه الحديد .. وطربوشه الحديد ايضا .. ان الحسين حنيها
اسى اخذها منى لم تضع هباء .. وقال بعد ان نتجح كأنه بهم
اللقاء خطاب طويل :

— يا سعادته الناشب .. الست احنى وست اختى حايين
يشكروا لسعادتك على سميتك عليهم .. دى نعمة نزلت من
السميا .. ربنا ما بنفسايش حد .. و ..

فلت اقاطعه ، وكئى احرمه من لذة اللقاء الخطاب الطويل
الدى اعده :

— لا شكر على واحد يا اسماعيل امندى .. جميل المرحوم

على مش ممكن ينعوض .. والمهم انى اعرف ازاي اتسحر
اعوضه ..

ثم بطرت الى امك قائلا كئسى استجديها :
— انا عاير اعرف يا هاتم انتم ناقصكم ايه ، وانا اعمله
حالا ..

وبظرت الى والدتك وذكؤها الساذج بطل من عينيها ،
وقالت :

— كلك حير يا سعادة البنا .. والله المرحوم ساسا
لامصين ..

قلت وانا احاول ألا يكون فى لهجتى رنة التفضل .. وانا
أحاول أن أكون مبواضعا :

— ادا كان على المعاش ، ما تحمليش هم .. المعاش
حا يحطك لعاهه عندك كل شهر .. وحدائير جيبه مش كفاهه ..
حليهم حمسين ..

وممر خالك صانعا :

— الله يحليك يا سعادة الباشا .. الله يعمر بيتك .. ده كبير
خوى يا سعادة الباشا ..

واشعمل ادكاء الذى يطل من عيني امك .. وقالت وعلى
وحنيها رعشة تفصح فرحتها :

— وهيه الحكومة حاتدمع حمسين حيه .. دى ماهينه
كها الله يرحمه ، كانت ثلاثة وتلاين حنيه ..

قلت وانا ادارى انسامنى حتى لا تعرف انى امصح دكاءها -
— الحكومة ما لهائش دعوه .. ده دين على للمرحوم
وبارده ..

قالت وقد اتعبها دكاؤها :

— والنبى ده كبير يا سعادة الباشا .. امول لسعادتك
الحق .. انا مش معدقة !!

قمت في صوت خفيض كئى متأثر :

— دى حده ساديا لى يا هاتم .. اذا كنت غلظت وماردتش
تبن المرحوم فى حياته . مارحوكى سمحى لى ارده لعله بعد
وفاته .. ضميرى مش ممكن يستريح الا اذنا رديت الدين كله ..
ثالث وهى نحصر راسها كاتها تقمع نفسها بان تصدق :
— انا والسبى مش عارمه افول انه .. دى حاجة ما كنتش
نحلم بيها ..

وصاح خالك كانه يحطب والدتك :

— سعادة الباشا راحل الحبر والحر .. ده حيرد على البلد
كلها .. والبلد بحير طول ما سعادة الباشا منها .. رنا يحطك
نسد .. يارب !
ونظرت اليك ، منها كان الحدم قد اقبلوا ليقدموا لنا اقداح
الشهى ..

انك صامسة ، جامدة ، وقد التمت نظرات عمك كائك
عاضة .. وقلت لك كاتى اتزلف اليك :

— وما ترى هدى ناوية تعمل ايه ؟

قلت فى حرم :

— ناوية اشتغل !

والفتحت اليك والدتك كاتها موحنت .

واهتر قدح الشاي فى دى حنى كاد يفع .. مادا بقصدين ..
هل تهريين منى كما هرب والدك .. هل تقيلين وظيفه حقيره
كوظيفه والدك ، فقط حتى لا يكونى بحانى .. لقد احسنت
ساعياها انك لم بعصدي الا ان برمصى مساعديتى كم .. ترمصى
المعاشر اللى اعرضه عليكم .. برمصى كل شىء .. وكائك
عندما اعلمت انك سمعيلين . معين انك تستطيعين الاستعناء
عنى .. وتحاولين اقناع والدتك بالاستعناء عنى والاعتماد عليك .
كها اعتمدت من قبل على امك ..

— وناويه تشتغلي ايه بأه يا ست هدى ؟
واحببت أنت في هدوء :

— اى حاجة .. هو أشتعل والسلام .
وقلت وقد سيطرت على اعصابى :

— تشتغلي ازاي يا هدى .. ده والدك الله يرحمه ما كنش
عابز يدخلك الجامعة في حياته .. تقوى تشتغلي بعد ما يموت
.. لا .. أنا رى والدك تمام .. ومش خفتلحى للشغل طول
يا ابا موجود ..

وقال حالك كأنه يعتذر نيابة عنك :

— والله يا سعادة الباشا احنا عمر ما ست من فائننا اشتعلت
ولا تبرمطت .. سى هي هدى اللي ساعات يطلع في دماغها
حاحات غريبة ..

ونظر اليك كأنه يهددك بالضرب ان متحت نمك كلمة ..
وسكتت أنت كأنك غلقت على أمرك .

واستفرحت أنا في قرارة نفسى .. لقد صمت وقوف والدك
وحالك في صمى .. ورغم ذلك قلت كنتى أطيب خاطرك :

— على كل حال نسيب الموضوع ده لبعضين .. يوم ما نتمق
أبك تشتغلي ، أبقي أشوف لك شغلة عندي ، وتحت اشراقى ..
وقالت أمك وهي لا ترال تنظر اليك كأنها تؤنك :

— عحابب !!

وعدت أقول لك :

— اتقى زى ستى يا هدى .. من هنا ورايح حاتقى ستى ..
وأنا زى أبوكى !

وقلت في برود :

— أنا ابويا مات !

وارتفع صوت أمك محمدا :

— يا بت ما تخشى أمال .. ده بدل ما تشكرى مسعادة
أناش .. انكلمى كويس انا باقول لك ..
وقلت من بين أسننك كانك بسكتين أمك :
— مشكورة ..

ومرت لحظة صمت .. ارتفع فيها صوت قبيح يخرج من
بين شففى خالك وهو يمتص تدح الشاى .. وكنت أنا حلالها
أحس بأن هناك معركة بدأت تتجمع فى حياتى .. معركة بينى
وبينك .. نفس المعركة اللى دارت بينى وبين أبيك .. وقد
حسرت المعركة مع أبيك .. فهل أخسرها معك ؟
وتعجلت وقلت لأمك كانى أحاول أن اكسب منك موقعة
جديدة :

— مش تشكرى يا هانم انكم بعزلوا من الشقة اللى انتم
بها ؟

بالت وهو يحاول أن يفهم ، فلا تستطيع :
— نعزل نروح مين .. دى شقة بقالنا فيها العمر كله ..
وتبينت اتنى تمحلت فى طرق هذا الموضوع .. كان يجب أن
أنزكه لصد العظيم ، فهو أقدر منى على طريقه ، وحتى لا اضطر
أن ألج عليكم فافقد هيبتى بالحاحى ، ورغم ذلك قلت :
— أنا باشوف أننا ما دام بقينا عائلة واحدة ، يصح انكم
تسكنوا فى شقة أحسن من كده ..
وقالت أمك :

— والنسى دى شقة كويسة ونرد الروح ..
وقلت أنت فى كمد ، كانك نحاطين نفسك :
— وكمان جتمعزل من بيتنا !!
وقال خالك :

— كفاية خيرك عليا يا مسعادة الناشا .

قلت وأنا أحاول أن أبدو كأن الأمر لا يهمنى :
— على كل حال الشفق كثيرة وتحت أهدمكم ..
وبدأت أشتك في أنى أستطيع أن أقصم بآن تشغلوا الى
الشفقة التى أعدبتها لكم .. لمسكت ..

سكننا جميعا ..
ومجأة انطلقت أمك تقول ، كأنها تتذف هاجسا في صدرها
لا تستطيع أن تكتمه :

— وأزأى السبت الهاتم ؟

قلت مندهشا :

— هاتم مين ؟

قلت وهى تدارى أرتباكها :

— قصدى انهاتم حرم سعادتك !!

يا للذكاء الساذج .. أن كل ما حطر لها بعد أن عرضت
عليها أن تنقل الى شقة جديدة .. هو هذا الحاطر .. خاطر
لا يمكن أن يتحقق في نظرها ، وأنا رجل متزوج !!

وقلت وأنا أبتسم في صدرى ساخرا من فكائنها :

— الهاتم في انجلترا .. مش هنا !

قلت :

— ربنا يرجعها بالسلامة !

قلت كأنى أردت أن أنتهر المأساة لأكسب قلوبكم :

— السبت بناعى متعقد في بندها طول السنة تقريبا .. الله
يرحمه محمد أمدى ، ما كائنش موافق على جوازى .. كان دايما
يصحصس أنى اتحوز واحدة مصرية .. الله يرحمه ويحسن اليه ..
وسكنت السيدة والدتك ، كأنها اردادت أرتباكها ، ولم يعد
دكاؤها يستطيع أن يدلها على طريقها معى ..

.. ولم أستطع أن أهمهم سر معارضتك في الانتقال إلى عمارة
شارع النيل .. انى أعرض عليك ثروة .. أعرض عليك ملقة
حديدة راقمة تنتقلين إليها .. أعرض عليك حلما أحلمه سفديلا
براود حيال كل مائة في عمرك .. مكيف برفصين ؟
هل كنت تكرهيننى ؟
لمادا ؟

غفاة في السابعة عشرة تكرهنى .. هكذا ، من أول طلعة ،
ودوحه الله !!

انك لا تعرفيننى .. لا تعرفين شيئا عن ماضى .. ولا تعرفين
شيئا من حرائقى .. ولا تعرفين ما كان بينى وبين والدك ..
مكيف تكرهيننى ؟
— مستحيل !!

لا بد أن هناك سببا آخر بحبك معارضين في الانتقال إلى
شارع النيل ، وستشئين سكتى بيتكم في حى شبرا .. متشئين
إلى حد الكاء .. كأنك ستنتقلين إلى العالم الآخر . عالم مخيف
مجهول !

هل هو حك لوانك ، وحرصك على ذكراه ؟
لا أظن .. أو على الأقل لم أستطع أن اقنع بسى نس هذا
يمكن أن يكون السبب ..
لأبد أن هناك سببا آخر ..

ولم أستطع أن أنهم ..
وكانت أهمهم لمادا تعارض والدتك .. أن معارضتها لا تزيد
على مجرد الحذر .. حذر بلاذح يتميز به كل الناس النسطاء ..
حذر يحيط بكل تصرفاتهم ، ويتسلل إلى أيمانهم .. إنهم يؤمنون
به ولكنهم يظنون على حذر منه .. ويؤمنون بالصدق ولكنهم
محدرون الصدق .. ويؤمنون بالشرف ولكنهم يحذرون الشرف ..
وقد كانت والدتك تؤمن بأنى هبطت عليكم من السماء .. وتؤمن

بأنعمره إلى سمحت لها كأنها طافه متحت لها في ليلة القدر ..
ورغم ذلك فقد كانت على حذر من الفرصة التي سمحت لها ..
عنى حذر مى .. أنها بخطو كل خطوه في تردد وحواف .. وكل
خطوة يحاول أن ينف عبدها ولا تخطو ابعدها منها .. وقد أرادت
أن مكفى بالحسين حنيها التي قررتها معاشا لكم في الشهر ..
كانت تحاول أن تقع بعسها بأن هذا يكفى .. وأن ترفض ما عدا
ذلك .. كانت تحاول أن ترفض أطباعها .. لأنها تحاف هذه
الأطباع .. وتحذرهما ..
وأنا .. ما فنى أنا ؟ !

لنى رجل يحاول أن يكون شريفا .. يحاول أن يشترى
الشرف .. ولا يجد دليلا على شرفه إلا في رضاء عائلة بسيطة
مساحنة .. واحدة من ملايين العائلات التي تملأ سوت مصر !
ولكنكم لا تصدقون !

أنت فكين ..

وأملك تحفرنى ..

مهل أنركميا لحالكما .. هل اتخلى عن صمعة شراء الشرف ؟ !
لا .. لا أستطيع .. لقد عشت معديا بهذا الشيء الذي
يمحرك في صدرى كلما تذكرت والدك ، ولا أستطيع أن أموت
وهذا الشيء لا يزال يعذبني !
وهل بلومنى الناس اذا اشتريت الشرف عن طريق غير
شرف ؟ !

لا أيضا .. ان العاية تمرر الواسطة !

وعلى هذا تركت الامر للشيطان لتنفيذ حكمى فيكما ..
الشيطان .. عبد العظيم بك ..

واستدعى عبد العظيم بك خالك ، وصرح في وجهه :

— أنت يا راحل محنور .. انتم ماهمين بفسكم ايه .. اراى
البلشما يعرض عليكم تعزلوا ، وترفضوا ؟ .. عايزه يتبنى البعت

وهي ساكنة في شبرا اراي ؟ .. انتم مشى وشى معه .. اسم
كلاب وحاصلو طول عمركم كلاب .. و ..

وارتج لسان حالك ايام هذه الروبعة .. كان تد بدا بعسر
نفسه شحما مبها بعد ان ليس حلة جديدة . وهربوسا جديدا .
وليسح لاحيه معاش قدره حصون جنبها في التير .. ولم يكن
يعقد انه لا يزال كلبا في بطر عبد العظيم .. بسى انه كلب
.. حاول ان بدامع عن نفسه .. حاول ان مرد على عبد العظيم
ولكن عبد العظيم عاضه مانلا . وهو لا يزال يصرخ .

— اسمع .. ما فيش احسان بالعافية .. دا كنتم عشرين
الباشا ساعدكم لارم سمعوا الكلام .. مش عشرين ، بسى
رسا يحس عيكم .. الراحل عمل اللي عليه .. مش ماضل
'لا يموس ايدكم علشان تقلوا معيه .. ناس ما يتبرش فيكم
ايخير .. ناس حوش ..

وبرام حالك . وعاد يحاول ان ينكمم .. ولكن عبد العظيم
استطرد صارخا :

— انفصل روح اسق مع احبك . شوفوا حاصلو ايه ..
ولارم تعرفوا ان الباشا اذا كان حاسنى الفت . حاصلى هو
المسئول عنها .. هو اللي كلامه مشى .. وانفصل ومن غير
مطروود ..

وخرج خالك ورأسه مدلى بين قدميه ..
وكان الشيطان حيرا سموس الناس .. كان يعلم انه ان
سعلت على حذر خالك ووالدك الا بالتهديد .. التهديد حلو ده من
الاحمة .. حتى .. ولاند ان حالك قد عاد الى والدك ونماقشا
طويلا .. نصا بسهما ميزانا برمان به نعمتى عليهما
وحفرهما منى ..

ومرت ايام طويلة ..

ايام كتب خلالها لا امكر في شيء .. لا اعمل شيئا

الا انظارك .. انظارك انت .. ولا ظنى أن اعمالى تأثرت خلال
هذه الأيام .. أبدا .. أن اعمالى تستطيع دائما أن تسير وحدها ..
إن رأس المال ككره الثلج ، يكفى أن تركها مدحرج ، وكلما
تدحرجت ازدادت حجما ..

وبدأت كمية معنى ثقلى على كفه الحذر ، فى الميزان الذى
أفامه خالك ووالدتك .. وبدأ خالك يتردد على عبد العظيم ،
وفى كل مرة يحصل اليه سؤالاً جديداً ..

من الذى سيدفع إيجار الشقة الحديدية ؟
وقتل له أتى أنا الذى سأدفع إيجارها ..
من الذى سيقوم بتأثيثها ؟
أنا ...

وعشرات الأسئلة الساخنة ، أحاب عليها كلها عبد العظيم ،
مما يطمئن خالك ووالدتك ..

كل ذلك وأنت لا تدريين شيئاً ..
لا تدريين ما يحدث من أجلك ..
فقط تسكين ..

ويقرر أن ينقلوا إلى الشقة الحديدية .. وصدرت الأوامر
إلى محل « سترمولى » لتأثيثها .. إنها شقة مكونة من ست
غرف .. اثنتان حصصاً للاستقبال .. طرار « استيل » ومقاعد
« أوبيسون » .. ووحدة للطعام .. ووحدة لوالدتك حمام
خاص .. ووحدة لك . حمام خاص أيضاً .. ووحدة للنهضة
النهار .. ومطبخ كامل .. وشرقة واسعة ، يطل على الليل ،
انتشرت فيها مقاعد مريحة وأصواء خافتة ..

وأعدت لكها كل شيء .. حتى قطع الصابون ، وأملاح
البنمسخ التى تداب و ماء الاستحمام ..
وكلفنى كل ذلك خمسة آلاف جنيه ..
هل هذا كثير ؟

لقد استكثرتُه أنا أيضا .. كنت أتسائل . لماذا أكلت نفسي
 حتى هذه الحشرات .. ماذا أريد منك أو من أمك ؟
 ولم أكن أدري بالاصط مادا أريد .. إنما كانت نطل على
 صورة والدك . وأحس كائى اتحاداه .. كئىي أحاول أن أدله بعد
 موته . وقد عرفت عن أدلاله فى حياته .. كئىي أحاول أن أسرع
 من الميت اعتراقا .. اعترافا بأى رحل شريف !
 وقد ذهبت الى الشقة قبل أن تذهبوا إليها ..
 ذهبت إليها .. وطلعت بأحائها .. ودخلت اعرفه المحصنة
 لك .. لقد كن « سرمولى » تعلم أنها غرمة محصنة لعناه فى
 الساعة عشرة . فجعل اثائها كأنه قطعة من الصبا .. أثاث
 مبص بارح والأحلام .. ورهور صاحكه موى الستائر وكساء
 المقاعد .. الصوء يعمرها كأنه أهل الشباب ..
 وجلست على الفراش الذى ستنمى عليه .. كانت المره
 الأولى التى لمسى فيها حسدى فرائش الظهر .. وأحدث أجيل
 سنى فى العرمة كئىي أبحث عما يقصها .. وفى قلبي أسامه
 حتى أراك منها ..
 وقررت أن العرمة يقصها عروسه .. عروسه كبيره بوصع
 مور الفرائش .. هل بصديقى أبى أصل أبى بعد الحد من
 « حنان .. أبى حد أن أفكر فى أن أشتري لك عروسه !!
 لقد اعتقدت أيامها أنه حنان .. مجرد حنان .. ولم أذكر
 أن هذا الحبل صادر عن ذكرى ديسه بعشش و أعمامى ..
 ذكرى عشيقى كوليت .. فقد كانت كوليت نصع عوق مرأثها
 .. مرأش لدنس . عروسه كبيره .. كئىي يعوص بها نفصا
 بحس به .. البعض الذى تحس به كل عشيقه م تكن فى يوم
 من الأيام عروسا طاهرة بعشيقها ..
 وحرحت من عرمتك .. وجلست قليلا فى الصالون . وأنا
 أحبل والدتك حالسة بحاسى . وانت حالسة فى الناحية الأخرى ..

وَأَحْسَسْتُ وَأَنَا فِي هَذَا الْحَيَالِ كَأَنِّي أَصْبَحْتُ رَحْلاً شَرِيفاً ..
كَأَنِّي وَرَثْتُ شَرَفَ وَالِدِكَ .. أَحْسَسْتُ بِأَعْصَانِي سَهْداً .. وَبِعَصِي
بَصْعُو ..

وَخَرَجْتُ مِنَ الشُّقَّةِ ، وَعَمَّ حَاضِرُ رُئُوسِ بَوَاسِي الْعَهْرَةِ يَسِيرُ
بَعْدِي .. دُونَ أَنْ يَنْكَلِمَ .. أَنْ عَمَّ حَاضِرُ مَحْضِي عَلَيْهِ فِي الْعَهْرَةِ
عَشْرَ سَنَوَاتٍ دُونَ أَنْ يَنْكَلِمَ !!
وَعَوَّجْتُ أَنْتَ يَوْمَا بِأَمْرِكَ بَأَنْ نَحْبَعِي شَاكٍ ..
كَأَنْتُ مِمَّا جَاءَ لَكَ ..

أَنْتَ لَمْ تَعْلَمْ شَيْئاً عَنِ الْمَعَاوِصَاتِ الَّتِي دَارَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ
أَبْنِي وَحَالِكَ لَتُنْقِلَا إِلَى الشُّعْمَةِ الْحَدِيدَةِ . وَبِمِ مَعْلَمِي أَنْ أَمَكُ
وَحَالِكَ دَهْمًا وَعَايِمًا الشُّعْمَةِ وَبَهْرًا بِهَا ..
وَعَارَصْتُ .. عَارَصْتُ شِدَّةَ كَمَا عَلِمْتُ .. رَعَدْتُ مَكِين ..
نَكِبْتُ طَوِيلًا وَكَثِيرًا . وَلَوْ أَنَّكَ عَلِمْتَ مَا أَحْبَبَ النَّاسُ مَا أَنْتَ
مُقْتَلَةٌ عَلَيْهِ لَوَمَرْتُ دِمُوعَكَ .. لَأَحْمَطْتُ بِهَا لِأَنَامِ الْعَذَابِ الطَّوِيلَةِ
لَتَنَى سَبْطُكَ . وَنَحْوُ يَكُونُ لَكَ سِدْقٌ فِيهَا إِلَّا دِمْعَكَ ..
وَلَمْ يَحْدِ مَعَارَصَتِكَ ..

كَأَنِّي حَرَمْتُ أَمَكُ . وَهَرَامَةً حَالِكَ أَتَنَى مِنْ أَنْ مَحْدَى سَهْمٍ
مَحَالًا لِمَعَارَصَتِكَ ..

وَفِي يَوْمٍ وَاحِدٍ كَأَنِّي كُلَّ مَا يَسْلُكُهُ مِنْ ثِيَابٍ . وَحَاحِيَّتِ مِرْلَانَةٍ
مَدَّ جَمْعٌ فِي ثَلَاثِ حِفَائِبٍ . وَبَسْمِيٍّ مِنْ أَلْحَوْصِ . وَسِحْرَةٍ ..
وَوَضَعْتُ أَمَكُ سَعًى مَا يَسْلُكُهُ مِنْ أَثَاثٍ . لِأَدْعَى بِحَارِ الْأَثَرِ
أَدْنِيٍّ بَاعِيهِ بِحَرَمٍ . دُونَ أَنْ يَدْعَى لَهَا بِعَيْنِهَا عَلَى حِفَا .
أَوْ تَدْعَى الْبَاحِرَ يَغْلِبُهَا فِي مَلَمٍ ..

ثُمَّ شَهِدْتُ عَمَّ حَاضِرُ بَوَابِ عِمَارَةِ السَّبِيلِ مَنَظَرًا مَبْجَعًا دَهْشَةً ..
لَقَدْ كَانَ يَسْطَرُّ أَنْ يَكُونَ السَّكَاكُ الْحَدِيدُ مِنَ الْأَحَابِيثِ — كَمَا
يَعُودُ — أَوْ عَلَى الْأَقْدَرِ مِنَ الْعَلْفَةِ الْمَصْرِِيَّةِ الرَّاقِدَةِ .. كَانَ يَنْظُرُ
مِرَادَ حِمْلِهِ فِي صَحْبِهِ رُوحَ مَرَمِهِ .. مَهْكَدًا عَوْدَهُ تَحْرِيهَ عَشْرِ

سموات .. واخه فوحىء سهرأة حول رأسها طرحه سوداء . مثل
في مظهرها عن ايه مرسه أطمال ممن يعملن لدى سكن العماره ..
ومناه سسطة المطهر في ثوب أسود رخص .. يسير في هزال
وخرن كنها تنعثر في كل خطوة .. ورحل من الأرباب في حله
لا يرضى عم حابر أن يرتديها .. وثلاث حقائب عنده . وسنين
من الحوص : وسحاره .. وحده صعيده يدو على وجهها
لعماء .. ولم يكلم عم حابر ابدا !

وهكذا انتقلنا الى عبارة اسيل ..

وحاضى عند العظم في اليوم التالي يقول بامتعاض وهو يحتر
الى من نحت حفيه المتخثرين

— الجماعة وصلوا ..

وانسمب رعبا عى .. نفس الانسباه الحسبه الى سطلق
في صدرى كلما انصرفت في صمقه من صمقى .. لم أكر ساعتها
رجلا شريفا ، ولكنى كنت رجلا مختصرا ..
وكنت انسمبى . وتلب لعد العظم وأن اسعل مابه
شخصية رجل الحبر :

— اما عابرک بشوف راحهم . الشقه حانكون مصاربعها
خير عليهم .. اتفق مع المت لديها مبلغ بصرف منه كل شهر ..
ونظر الى عند العظم في قرف .. انه يحتفل كثير من نزوانى
.. بل انه يسعد كلما أقتل على حده عشيقه من عشماني .
به يعبر كل عشيقه بعه ضعف في بسطيع أن سمدها الى
عنى .. ولكن هذه البروة لا بسطيع أن سمدها . ولا يسطيع أن
مصدق أن دوقى قد احط الى حد أن احول أن اسجد من أمك
بشمه لى .. انه لا بعهم شئنا .. واشد ما بصانته الا بعهم ..
أن يحار في مهمى .. انه في هذه الحالة بخشى أن بعقد سطره
نى .. بخشى أن يؤدى به عمره عن مهمى . الى أن ألت منه ..
ومال وهو لا يزال قرمان :

— ونمتكر سعادتك مصروف الشقة يبقى أد به ؟ !

قلت بلا اهتمام :

— ميت جنبه !!

وتشح منه كأنه دعر .. ثم عاد وأعلقه . وقال فى صوت
خفيض :

— كبير !!

قلت كانى أخاطب عاطفه .

— يا شيخ حرام عليك .. دى شقة رى سى مش ممكن

تصرف أقل من ميتين جنبه .. شوف عايزة حداميين يكام .. و ..
وقال يقاطعنى :

— ما اخنا بذهبن حمسيت حيه .. واجماعة دول مش

واحديين على العلوس الكبير !

قلت وأنا أنظر انه بكل عنى وبين شمعى اسسامه كسى
ارشوه بها :

— فى دمتك انت تصرف كام فى بيتك ؟ !

ورمع عنيه الى فى فضة سريعه ما لست ان اتاعها سريعا .
وقال كأنه يسلم امره لله :

— ما يعيش لأرمله للكلام ده .. خلاص .. امر سعادتك !

وهم بالانصراف ، ولكنى استمهلته . لقد بقى شيء ..

شيء هام .. كان قد سم لى الاستيلاء عنيكم .. أعتدكم عن المجمع
الذى كان يحكمكم فى حى شعرا .. عن الحيران وحيران الحيران
الذين كانوا يستطيعون اطلاق الستهم وبحدركم منى . ونقلتكم
الى مجتمع لا يحكمكم ، ولا يسأل عنكم .. ولكن بقى شيء ..
بقى حالك !

كان يجب ان يعتمد حالك .. بعد ان أدى دوره ..

وقلت لحد العظيم بلا اهتمام :

— واسماعيل اسدى استلم وظيفة شركة اسكدرية ولا لسه ؟

وقال عبد العظيم :

— لسه .. حيسلمها الجمعة الجاية !

قلت كاتى اسمعله :

— ده راحل طيب .. وحايمنعا !

قال من بين أسنانه ، وشبناه الميطنان لا تكادان تعرجان :

— معلا .. راحل طيب جدا !

وانصرف عبد العظيم منمعلا ، وهو يدق الأرض كأنه يحاول

أن يحطمها فوق رأسى ..

وبدا خالك العزيز .. اسماعيل امدي عبد الجواد .. الناجر

نصمير الدى لا يملك سوى مكان حقير فى دمنهور لا تزيد مساحه

على مترين فى متر .. بدأ هذا الرجل الطيب يساوم طويلا ..

وهم يكن يدرى بالصسط ما الذى يساوم عليه ، ولكنه كان يحس

احساسا حميا بنى فى حاجة الى ابعاده الى الاسكندرية ..

وأم يكن يدرى لماذا اريد ابعاده .. وكان أكثر منا علما بأن ليس

لده ما يؤهله لأى وظيفة .. فلماذا هناك سب لا يدره ..

سعا قويا .. وهو لا يستطيع أن يصدق أن الدافع يمكن أن يكون

بمجرد فعل الضرر .. أو مجرد تحليد ذكرى المرحوم روح شقيقه

.. أى مرحوم هذا الذى يستحق كل هذا الكرم !! ..

واشترض خالك بيه وبين معه اتى اريد شبتا .. سواء كان

شيئا خبيثا أو كريما ، وبدأ يساوم !

انه يريد بعويضا عن تجارته الى سبتركها فى دمنهور ..

وبجارته كلها لا ساوى أكثر من خمسين حشها .. ولكنه يريد

خمسةائة !!

وهو يريد ممانا لوظيفه الحديدية ، قبل أن يصمى بحاربه

فى دمنهور !!

وهو يريد مربا يكفيه هو وعائلته ليعيش فى لاسكندرية -

فى نفس المستوى ابدى انتقلت احته لتعيش فيه :

و .. و .. وحن عند العظيم وهو يساومه .. وكنت أسمع
أخبار هذه المساومات ، فأصحك .. كنت أحس بالشبهة في
عبد العظيم وأنا أرى ناجرا رميا ساذجا يغله على أمره ، وينافسه
في ذكائه ، وفي قدرته ..

وقد استطاع خالك أن يطلب عبد العظيم .. غلبه لأنه كان
مستعدا لأن يرفض الوظيفة .. كان يفضل أن يبقى في القاهرة
ويعيش مع أخته في عزها الجديد .
وأعطاه عبد العظيم كل ما أراد ..

وسافر إلى الاسكندرية ، تسبقه تعليمات إلى مدير الشركة
بالأ يسمع له بالتنقيب عن الشركة إلا بعد استئذان القاهرة ..
ولم يتركه عبد العظيم في حاله .. كان لابد أن يسبق معه على
مساومته .. كان لابد أن يمسك به من عبقه حتى يثله .. فانتع
معه خطة قديمة .. خطة نستعملها مع كثير من الموظفين عندما
نريد ادلائهم .. لقد بدأ بعريه بالاختلاس من أموال الشركة ..
حتى إذا أحسس واثبت عليه الاختلاس ، أمسكه من عبقه ؛
هل يقع خالك في هذه الخدعة ؟

لقد مرت شهور طويلة ، قبل أن يستطیع عبد العظيم أن يخسر
خذاء خالك ..

حببتى هدى :

كل هذا واثت لا تدرين .. وقد قدر عليك أن تعيشى دون أن
يدرى مر عذابك .. أن ترى الدماء تنزف منك دون أن ترى
السكين المخروز فى صدرك .. أن ترى قطعا من لحمك تتساقط ..
دون أن ترى اليد التى شرعها .. وربما كتبت تتهمين القدر ..
وقله البخت .. وكنت تستسلمين للمكروب على جبينك .. دون
أن يدري انى أنا القدر ، وأنا بختك المعس ، وأنا الذى كتبت
يدى على جبينك !!

يا أحب الناس .. اقترنى مطورى .. اقترنى ، وأعيدى
يا تقربيه . وستجدين الراحة .. ستجدين السكين المخروز فى
حباتك .. وعندما تنزعينه سيكشف عنك الألم .. لك لا تنالين
الآن من الحرح .. ولكنك تنالين من مر هذا الحرح .. تنالين
من حيرتك فى حركك . فاثت لا تدرين أين موضعه .. ولا تعلمين
من حركك .. وسأدلك أما على السر .. سأدلك على موضع
حركك .. وسأرمع أمام عيبك اليد التى جرحك ، والسكين
التي حرحت بها .. وسأصف لك الله أمامك .. لن نحقدى بعد ذلك
على الله .. ستعلمين انه ليس الله .. انه الشيطان .. انه أنا !!
اقترنى يا أحب الناس ، فاني اقتررب بك من الجريمة ..
ولمأك بعد أن أنتهى من خطايى ، وتنتهى منه .. ترتاحين وأرتاح ؟

هل تذكرين أول مرة ررركم ميبها بعد أن انتقلتم الى عمارة شارع النيل ؟ !

كان قد مضى على انتقالكم اليها اسبوعان .. وكان حالك قد سافر الى الاسكندرية وتسلم عمله هناك .. وأصبحنا انت وأمك وحيدتين في القاهرة .. بين أصليبي .. وقد زركم بلا موعد .. كنت أريد أن افاجئكما برفع الكلفة بيني وبينكما .. أن أبدو أمامكما كأني صاحب بيت .. كأني فعلا أبوك ، وشقيق والدتك ، وصديق المرحوم الحميم .. وكان أحاسي بلأى لا أريد بكما شرا شحمتني على هذا المظهر الذي أحاول أن أبدو به أمامكما .. لم أكن حتى هذا اليوم أريد بكما شرا .. الا اذا كانت مجرد تروى أن أسبطر عليكما معتبر شرا .. نعم لقد معطت كل ذلك .. وتكلمت كل هذه الأموال .. دون أن أقصد شرا .. بل انى مهدت لهذا اليوم بكثير من الصرمات التى حاولت بها أن أبدو كأني رجل شريف .. فى حدود فهمى لمعنى الشرف .. لقد صرفت مكالمة اسبوع لمحال شركة الصباغى المصرية .. وهف العمال باسمى .. وسمحت لهم بيوم احازة لياتوا الى مكنتى فى مظاهرة ضخمة ويشكرونى على كرمى .. و .. ويحيا نصير العمال .. وفى نفس الاسبوع ترعيت مالف جيبه للهلل الأحمر .. وجاعنى وفد من السيدات يشكرنى .. وقبلها اتخفت موقعا فى الورصة لم أكن اتخذه لو تركت نفسى لذكائى .. كنت أيامها اضارب على النزول .. وكان من المؤكد أن تهوى اسعار القطن بعد عدة ضمرات .. وتهوى فى الوقت الذى يحتاج فيه أكثر المزارعين الى « قطع الكوسرات » الى بيع أقطانهم لسديد ديونهم .. ولكنى فجأة انسحبت من الورصة .. عدلت عن موقى وبركت الاسعار برفع ارتفاعا طفيفا .. وعبد العظيم بجائنى كان يحن .. يضرب كما بكف .. ويظهر الى كأنى انسان لا يعرفه .. وذكائى أيضا كان ثائرا .. كنت أحس بعقلى يتهمنى بالجبن والمخف ،

ولكن شيئاً في صدري كان يحذني إليه ويحطلي أحاول أن أندو
شرفاً ..

كان عظمى يقول لى وأنا أوقع قرار صرف مكافآت العمال
« ماذا تعمل أيها الإله .. لا تكن حملاً » ..

وكان صوت آخر يرتفع في صدري كأنه يستجدينى : « كن
كرهياً .. انك إن بخسر شيئاً بكرمك .. انك لست في حاجة الى
كل أموالك .. فامنح بعضها للناس .. للفقراء » ..

ويعود عظمى يخاطبني في حدة : هل تعتقد أن الفقراء سيجدون
مصلك ويكفون .. انهم سيطلبون بالمريد .. نو اسلمت
لهم فسيبترون كل أموالك الى أن تصبح فقيراً مثلهم » ..

ويعود الشيء الذي في صدري يقول لى في رقة : « حرب
هذه المرة .. هذه المرة فقط .. انهم سيدعون لك .. سيهفون
باسمك » !

وكان الشيء الذي في صدري .. هو انت .. كنت اتخيلك
دائماً بجاني .. وحك النجيل الحريس .. وعينيك الهادئتين
العميقتين .. وشفتيك الرقيقتين .. وشعرك الماعم في لون
البنديق .. كنت دائماً بجاني ، وأنا أوقع شيك الترخع للهلل
الأحمر .. وأنا أصرف مكافآت العمال .. وأما أعدل عن موقعي
في النورصة .. وكلفت الحرائد نشر عنى كل ذلك .. وتنشر
صورتي .. وأنشيلك تقرئين .. وأنشيلك تفخرين بى .. بل
لنى وزعت صورة جديدة لى على الصحف ، أندو فيها متنسما
في حناى كأنى انتسم لك ، ، ويدو شعري الأبيض يعطى قودي
كأنصحة الملائكة ، كأنى اطمنئك به على وقارى ، وأحاول أن
أخدعك به عن حقيقتى ..

وبهذا الشعور الصادق زرتكم لأول مرة بعد أن اسقلم الى
عمارة شارع النيل ..
وضفطت على الحرس ..

وانقطرت طويلا .. كأن الحرس بدعوكم من بعيد !
ثم فوجئت عندما فتحت لى الباب نفس الخادمة التى يكسو
«وجهها الغياء .. فتحتة نصف فتحة .. وسألتنى عن اسمى ..
وتنه لها بلا لقب .. حسين شاكر .. فمضت الباب فى وجهى
نصف كأنها بحمى البيت منى .. تماما كما فعلت عندما فتحت
لى الباب عندما زرتكم فى شعرا .. وكأن شيئا لم يتغير !!
وعادت الخادمة الغيبة ، وفتحت لى الباب .. فتحتة كله ..
ودخلت وأنا أحس كأنى صدمت .. كان كل أحلامى انهارت ..
ان وجه الخادمة الغيبة اقمضى بانى لا زلت سعيدا عنكم ، وانكم
لا زلمت بعيدين عنى ..

وخطوت الى داخل الصالون .. كان معصا .. ورائحة
انتراب تفوح منه .. كان احدا ثم يدخله منذ سكنتم فيه .. لم
أشم فيه رائحة الخور المريحة التى شمتها عندما دخلت بيتكم
فى شعرا .. ثم وقبت معصا عندما رايت نسوق الأريكة
« الأوبيسون » حملا من الألحفة والوسائد القديمة الى حبلتموها
معكم .. وطمت بعيسى المتعضنين ترأيت تحت احد المقاعد
المذهبة صفيحة تفوح منها رائحة الفطير الذى يوزع فى مناسبه
زيارة الأصدقاء ..

وشعرت بالغضب .. شعرت كأنى اغار على الصالون
« الأوبيسون » والمقاعد المذهبة .. أنها من أموالى .. ان هذه
الأريكة وحدها تساوى ثلثمائة جنيه ، وأنا لم أضع فيها كل هذا
المال لوضع فوقها الألحفة والوسائد القديمة .. وهذا المقعد
المذهب يساوى خمسين جنبا ، ولم يصنع لتوضع تحته صفيحة
الفطير .. ووحدت نفسى أشتكم والعنكم ، وأهيس سلاخنة
« ناسى بلدى صحيح .. الحق على أنا .. نول مش وش
بعية » !!

وبلغ من غيرتى على قطع الأثاث .. على أموالى .. ان

هبت بأن أرمع يدي الألفحة والنوسائد من فوق الأريكة . وأن
أرمع صفيحة الفطير من تحت القعد ، وأن ألقى بكل ذلك من
الشباك .. كأنني أنخلص من قدارة تطنخ أموالى .. ولكنى ضببت
أعمامى .. وجلست وأما أقصم أظافر يدي بأسنانى ..
ودخلت أمك ..

لم يتغير شيء ..
نفس الطرحة السوداء التى تحيط برأسها .. ونفس الفكاه
الساذج الذى يشع من عينيها ويتقدمها فى كل أفتة من لفاتها
.. كأنها لم تنتقل إلى عبارة شارع البيل .. كأنها لا تنقضى
مائة جنيته فى الشهر .. كأنها لا تزال تقيم فى شقة بحى شبرا
لا يزيد إيجارها على ثلاثة جنيهات .. وتعيش على معاش زوج
متوفى لا يتجاوز أحد عشر جنيها فى الشهر . وقالت مرحبة وهى
نهد يدها تصامحنى ، وتحاول أن ترشومى بالنسامة كبيرة :
— أهلا وسهلا بسعادة الباشا .. خطوه عزيزه .

قلت وأنا أنظر إليها كأنى أحاول أن أعرفها من جديد :

— أريك يا تفيدة هاتم .. أرى صحتك !

قالت وهى تتقدم نحو باب الشرقة لتفحصه :

— تسلم يا باشا ..

وامسكت بالشريط الذى يشد « شيش » الشرقة إلى أعلى
واخذت تشده بصعوبة ، وفى حركة عنيفة كأنها مراكى عحوز
مشد القلع إلى أعلى السارى .. وأنا لا رلت أنظر إليها .. وخيل
أنى أنها أتل جمالا مما رايتها لأول مرة .. وشعرت بأحاساس
حيث وأنا أراها تحهد نفسها فى رمع خشب « الشيش » ..
كأنى كنت أقتص من هذا الجهد بعض ما دفعته لها من مالى .

ولكنى رغم ذلك تقدمت وعاونتها على فتح الشرقة .. بتأفف
.. وغمر الضوء حجرة الصالون ، والتفتت لمرايت صورة والدك
تحتل صدر الحائط .. ولم أركز أول نظرة على الصورة ..

من تركزت نظري الأولى على المسمار الذي علقته فيه الصورة .
انه مسمار كبير ، لعنكم دققتموه في الحائط بفردة منقاب ، دون
أن تعلموا ان هذا الحائط الذي شوهتموه بهذا المسمار قد كلفني
ملاؤه عشرين حبيبها على الأقل .. وكنت اثور مرة ثانية ..
ولكن نظرتي انزلت على صورة والدك .. وبركزت لحظة في
وجهه .. وأحسست بعينه الصيقتين الهادئتين مثقبان صدري ،
وبصلاي الى أعماقي .. وأحسست بالشئ ينحرك في صدري
ويكاد بكم أنعاسي وهزق رئي .. أحسست به كأنه يعرف أنني
محرمة .. كأنه ماني كل هذه النعم التي غمرت بها عائلته ..
ووجدت نفسي أدبر ظهري الى صورته . وصوت يهيف بي كأنه
مشجعني : « لقد مات .. مات .. مات » !

وامتت على صوت والدتك تقول :

— امض يا باشا .. اتفضل اتعد !

جلسنا وانا النقط أنعاسي . ثم فلب بعد برهة :

— على الله نكوبوا مسريحين ؟

قالت وهي تلف طرحتها حول عنقها :

— الحمد لله .. البركة في سماعتك .. كله من خدرك ' قلت :

— والشقة عاجباكي ؟

وبرددت برهة ثم قالت كأنها يريد أن تشكو مما كتبه
طويلا :

— أقول لك الحق يا باشا .. الشقة كبيرة علينا توى ..

عاشين زي اللي بابهين فيها .. انا قفلت ثلاث أود ، وحطت ملانة
بقعد مبهم .. ده شقة عامرة أورطة علشان يدوبك تسهم كل
يوم بالمشة ..

قلت وانا انظر اليها كأنني أنهبها :

— انسى مشر جيتي خدامين يا تفيدة هانم !

قالت :

— أهى البت سبحانه مقطعه نفسها .. انها مش ملاحقة تعمل

به ولا ايه !

وكدت امرخ فيها لابهما بالسرقة .. انى اعطيتها مائة جنيه
سرقها شهرا . ورعم ذلك مهى لا تريد أن تصرف مليها أحرا لحادم ،
وشفق على قبحه من كثرة العمل .. ولكنها ليست سرقة ..
انه الذكاء الساذج .. ذكاء الناحر الصغير الذى يبحر كل أرباحه
نون أن يحاول استغلالها في توسيع تجارتها .. ولو استغلها
لحرت عليه أكثر مما يبحره .. ولو صرفت أمك كل المائة جنيه
على البيت الذى حصصته لكما ، فربما استطاعت أن تأخذ منى
أكثر مما يستطيع أن تنخره .. انه الذكاء الساذج ، الذى يدفعها
الى انخار كل ما تملكه ، ولا تحاول أن تصرف أكثر مما كانت تصرفه
عندما كانت تعيش في حي شعرا .

وقلت لها وأنا أضع في كلامي لهجة الامر :

— لا .. لا يا تبتة هاتم .. اننى لازم يكون عندك اثنين

مسرحة ، وطباخ .. على الأقل ؟!

قالت وهى تضع يدها على صدرها كأنها ذعرت .

— على ايه ده كله يا سعادة الباشا .. ده احنا كلنا نفرين ..

أنا ومنى هدى .. نقوم نحيب تلاته يخدمونا ..

انها لا تعلم اننى أعيش وحدى ، وفي بيتى عشرة من الخدم ..

وقلت وأنا أنسم محاولا تخفيف وقع الصدمة عليها :

— ما دام الشقة كبيرة ، يبقى لازم خدامين كثير .. واننى

حايبك ايه .. كل البلى تعوزيه اطلسه !

واطلقت عيني الى حجرة الطعام ، الملاصقة للصالون الذى

جلس فيه .. فرأيت على المائدة طبقا مليئا ببقايا طعام مطبوخ ،

وموقة فطاء من السلك .. المعطاء الذى يستعمل في بيوت الطبقة

الوسطى لحماية الطعام من الذباب ..

وشعرت مرة ثانية بانى اهم بالثورة .. الم تر امك ان فى
الطنخ مريحدير .. فريجدير كلغنى مائى حنه .. لادأ لا تضع
ميه بقية الطعام ، بدل ان تشوه منظر حجرة المائدة التى كلغنى
خمسمائة جنيهه !

ولكن ثورتى انتشعت سريعا ، وحل محلها شعور بالشفقة ..
اشفقت عليكم .. وتذكرت نفسى .. لقد بدأت بكم .. كنت
أنا ووالدك من اولاد الطبقة الوسطى الصغيرة .. وسعيت فى
بيوت متواضعة ، ووسط تتاليد وعادات متأخرة .. وقد تركت
والدك فى هذه الطبقة ، وسعيت انا الى الطبقات العليا ..
وقصيت عشرين عاما حتى عرفت كيف أعيش فى بيوت جديدة ،
وتتاليد جديدة .. عرفت كيف اناول طعامى بالشوكة والسكين ..
وكيف اسلم اظافرى لفتاة جميلة لتعالجها بالمناكير .. وكيف
استعمل السيارة ، والفريجدير .. وكيف اخاطب السائق
والمرزحى .. وكيف افرق بين المقاعد الأوبيسون والمقاعد
الخيزران ، وكيف افرق بين انواع العطور .. و .. و هذا
الطريق الطويل الذى قطعته فى عشرين عاما ، حاولت ان احملكم
تقطعونه فى اسبوعين ، وان افرض عليكم مجيما جديدا
لا تعرفونه ، ولا تعرفون اساليب حياته . ولا الأدوات التى
سعى بها ..

وعذرتكم ، واشفقت عليكم !
اسم فى حاجة الى اسماذ ليعلمكم فن الحياة الجديدة التى
نقلنكم اليها ..

من يكون الأستاذ .. ؟ !
وقلت لوالدك وأنا أحبه فى حديثى انحاها جديدا :
— وما ترى من زاركم لغاية دلوقت ؟
قالت وهى تمصص شفتيها كأنها تقرحم على حالها :
— ولا حد .. الباب ما خبطش علينا من يوم ما جينا

ولا حد من الجيران مال عما ولا قال لنا الحمد لله على السلامة ..
أنا عارفة دول حيران ايه دول .. مش برضه الأصول بسألوا ..
رحى أصحابنا اللى فى شبرا نسيونا .. أما الحق علينا ..
أنا اللى قصرا .. وما بينا شىء عنوانا لحد ..

قلت ، وأنا أبتسم لأطيب خاطرها :

— ما تحمليش هم .. أنا حاخلى خيرة هاتم تيجى نزورك ،
وتسليكى . وتعرفك بالجيران كلهم ..

قالت وهى تنظر الى فى نساؤل مريب :

— أهلا وسهلا .. تانس وتشرف .. ودى تمقى مين ست
هاتم ؟

قلت :

— دى ست قريشى من بعيد ، ومتجوزة واحد صديقى
موى .. وكان برضه من رملاء المرحوم .. أنا ست طيبة
وحامضك خلص .

قالت فى تردد كأنها لا تستطيع ان تلمئن الى صديقة جديدة :
— أهلا بيها !

وكان هذا هو أول تفكيرى فى ان ادخل خيرة فى حياتنا ..
ثم افكر فيها من قبل .. لم اكى اعتقد ان الجريمة تحتاج الى أكثر
من شيطان واحد .. الى ثلاثة شياطين .. أنا ، وعبد العظيم ،
وخيرية ..

وتلت لوالدتك كانى أحاول ان اشغلها عن التفكير فى الحقيقة
الجديدة التى سأعرضها عليها :

— أمال مين هدى !

وكتت طول الوقت انظر ان احس بك فى الغرفة قبل ان
أراك .. كما أحسست بك عندما زرتكم فى بيتكم القديم بشبرا ..
ولكنك لم تظهرى .. ولم احس بك ..
وقالت والدتك :

— قاعده في اودتها .. مش مبسوطه شوية !!
وقفزت من متعدي في حركة مفاجئة ، وانا اقول :
— مالها .. عيانة .. انعت احبيب دكتور .. اقدر اشوقها ؟

وانتهت الى داخل الشقة دون ان يدعوني احد ، والذئك
ورائي مبهورة من هذه الحركة المفاجئة ، وتقول كانتا تحاول ان
تمنعني من دخول الشقة :

— لا .. لا .. مش عيانة ولا حاجة .. دول بس تسوية
صداع !

ولم استمع اليها ..

ولم اكن ملهوفاً على مرصك الى هذا الحد .. ولقى انهرتها
غريبة الابدأ في استعمال حقى في التحول في انحاء البيت .. ثم
اني كنت اريد ان اراك .. صدقيني امي فقط كنت اريد ان اراك ..
وكنت اخشى ان تنهى زيارتي دون ان اراك ..

وسرت في الممر الذي يؤدي الى غرفتك بخطوات ثامنة كاتي
صاحب البيت .. ودخلت اليك .. ولم ارك في مراشك .. كنت
في الشرفة .. تطلين على النيل .. في ثوب اسود .. واحسست
بدخولي فالتفت الى بعين واسمعتين كأنك ذعرت .. وتقدمت
سريعا الى داخل الغرفة ، كأنك تحاولين ان تسبقيني قبل ان اخرج
اليك في الشرفة .. ورأيت وجهك ممثقا .. أكثر امتقاعا مما
عرفه .. وعينيك مضطربتين .. وشفتيك يرتعشان .. ومددت
يدك الى كأنك تدفعيني الى الوراء .. وصاحبتك .. ومسحت
بدي من يدك سريعا ، وانا اقول :

— ازيك يا هدى .. مالك .. ماينك تقول انك عيانة !!
قلت وقد بدأت تهدئين ، وستردين شخصيتك كاملة ،
واستقرت عيناك العميقتان :

— لا ايدا .. كان عندي شوية صداع .. انها الحمد لله !

قلت وأنا اسم لك وأحاول أن أضع في استسامتي حنايا لم
أعوده :

— شغليني عليكى .. لازم تحبى من العزال ..
ونشألت عن عينيك اللتين يدانا شظوران الى في ثبات %
وتفتقر صدرى .. وأخذت اطلقت في العرفة .. انها هى .. كبا
رسمها منقرومولى .. اثينة . بهيحة ، كأنها قطعة من الصبا ..
ليس فيها ما يظل من صباها الا شعري الأبيض ، وثوبك الأسود
.. وآلة خياطة وضعت على حاسب من الفراش ، وقد غطيت
بلاءة بيضاء ، فبدت كأنها قبر صغير ..
وقلت لك :

— يا ترى مسبوطة من أودتك ؟

قلت في اختصار :

— كويسة .. مرمى !

وعدت أقول كأنى أجر لسانك من فمك لتكلمى :

— ودى مملكة خياطة .. انتى غاوية خياطة ؟

وقالت أمك :

— دى هى اللى بتخيط لكل الست .. وإيام ما كبا في شبرا
كانت بتخيط لنص الجيران ..

ومصصت والدتك شفيتها كأنها تترحم على أيام شبرا ..

وقلت وأنا أفنح استسامتى حتى آخرها :

— من هنا ورايح مش ضرورى تبع نفسك في الخياطة ..
الفساتين تحي حاضرة لغاية مندها !

قلت :

— أنا ما حبش العسل فساتين حاضرة .. أحب اخصص
فسلبنى ! .

ونظرت اليك متمصا .. وقلت :

— خلاص .. واذا كنتى عايزه ، افتحك كمان مصبع خياطة !

ونقدم الى الشرفة ، فادا بك تفقن في مواجعتي كأنك
سمعتني من الدحول .. ثم كأنك ضمت الي ان ليس من خطك
ان سمعتني .. فاستمدت عن طريقي .. وسرت أنت وامك ورائي
الى الشرفة .

واسمعت وأنا أحد على سور الشرفة صبيبة قتل وقد اكحلت
أمواه القتل ملون الحور .. واسمعت .. لم أعصب هذه المرة
لتسوية مبظر الشرفة والعمارة كلها .. بل سمعت ان أشرب من
أحدى القل .. أحسست أني لم أشرب أبدا منذ بدأت أشرب من
زحاحات المرحدير .

واخذت أحدثكما عن العمارة .. ومنى بيت .. وكيف بيتها .
وبدأت الاحط اثناء حديثي أنك تلقين نظرات محتلمة الى الشارع
.. وتكررت بطرانك .. وأنا مسند الى سور الشرفة وظهرى
الى الشارع .. ومحاة الفت وبظرت الى أسفل .. الى الشارع
.. الى حيث تنظير .. دافع اقوى منى جعلنى التفت .. بلا خست
.. وبلا سوء بية !

ورأيه لأول مرة ..

شاب وانف على الرصيف المقابل ، يرتدى القميص والسطلون
.. مصوح الصدر .. مهوش الشعر .. كأنه عائد لبوه من مطاهرة
وطنية كانت بهف يستوط الانحيز ..

وكان ينظر السا .. وما كاد يلتقى بوجهى حتى أرحى عنيه ،
وسار متعديا في خطوات بطيئة !

من هذا الشاب ؟

هل هو حبيك ؟

وهل اسمه محمد امجدى السيد .. يمكن ان يكون لها حسب ؟
هل بدأت الشرفاء يتعن أيضا في الحب ؟ !

والسبت اليك .. كانت وحنك قد احتقنا كأنها حطت
كل متهما فرائشة حمراء .. ولم ار عينيك هذه المرة .. انها

عيناي بك كلك .. كائن أحاول أن أكتشفك .. وموقعت عيناي
عند نهديك الباررين كأنهما يتعلملان تحت الثوب .. وعند خصرك
النحيل كأنه خاتم الخطوبة .. وساقيك المستقيين .. وقدميك
الصغيرتين .. و .. أنك لست هدى .. لست أنه محمّد أفندي
السيد .. ابك فناة .. فناة حميله ويمكن أن يكون لك حبيب ..
يمكن أن يأخذك منى شاب أى شاب !!

واستأذنت سريعا .. وبركت الشقة .. ونزلت الى أسفل
العمارة .. ثم وضعت نفسي في مصعدى الخاص ، الذى حملنى
الى عشى ، فى أعلى العمارة .. ودخلت .. وأعددت لنفسي كأسا
من الويسكى .. وحلست وأما أحاول أن أهم بنسى ..
وأحاول أن أنسى أنك فناة ..

ولكى أنسى اتصنت بحيرية في التليفون ، ودعوتها الى ..
.. وحاعت خيرية ..

ابها تعرف الطريق الى حيدا .. وتعرف أين يحدى .. حالسا
على المقعد الكبير فى غرفة البار وأمامى كأس الويسكى ، لا أكاد
أرفع الى شفتى حتى أنزله عنهما .. وهكذا يعود منذ تجاوزت
الأربعين من عمري .. أن أبلل شفتى بالويسكى ، ولا أشربه !
وامحنت خيرية تقبلنى موق كل من وحننى ، ثم نظرت الى قانا
من خلال ابتسامتها الكبيرة :

— مالك يا حسين .. مالك موز كده ؟ !

ونظرت اليها دون أن أقف لتحيتها .. نظرت اليها طويلا ..
وأحببت فحاة بالندم لأنى دعوتها الى .. لقد تعودت أن أدعوها
كلما وقعت فى مشكل بسائى ، ولكنى فى هذه المرة — ولأول مرة —
ندمت على دعوتها ، ربما لأن المشكل الذى وقعت فيه ليس
مشكلا نسائيا .. أنه مشكل مع نفسي .. نفسي التى سحبت عن
الشرف .. هل نستطيع خيرية أن تساعدنى فى البحث عن
الشرف ؟ !

كان قد مضى على معرفتي بها خمس سنوات .. انها انثى
 « نائبا » .. وروجة « بك » .. سيده منالمة في المجتمع المصري ..
 بحالها .. ومالقه بدكاتها .. ومنالمة بشاطها .. انها في كل
 جمعة خيرية .. وفي كل لسان .. وصورتها في كل مجلة ..
 ورغم ذلك فليس معها صنف سمكات المجتمع ولا افعالهم
 وتعاليمهم .. انها تتحدث في اسلوب بسيط ، وفي لهجة مريحة كأنها
 احدى بنات البلد . وتزوي نكاتها لا تلقى الا في محاليس الحشيش
 .. مرونها في فرح كأنها عثرت على تحفة اثرة في جوار الحللى ..
 ولم تكن تستعمل الكلمات الفرنسية الا اذا احتاجت اليها ،
 ويستطيع في دقائق ان يرمع الكلمة منها وبين اي صديق حديد ..
 وهي منالمة ايضا .. ولكنها لا تعطى منها الا بقدر حاجتها اليه
 كسيدة مجسم .. انها تعرف على النيران لتكمل نجاحها كسيدة
 مجسم .. وترسم لوحات بالزيت ، لتقال عنها انها ترسم بالزيت
 .. وتقرأ عن تشييكومسكى ومان حوح لا يعونها حديث عنها في
 احد الصالونات . ان الس عندها « كعمدها الناس » وكالجانم
 « السولير » احدى بضعه في اصبعها . وكالمرء « العيزون »
 احدى بضعه فوق كتفها .. شيء سريين به امام الناس !
 وكل هذه الصفات التي يصف بها خيرية ، تتصلل امام صعبها
 الاولى النارة التي تحدد شخصيتها .. الطموح .. انها طموح
 الى أبعد الحدود . كأن في أعماقها بحرا لا قرار له ستطع كل
 ما تلقبه منه .. لم تكفها العبارة التي تركها لها أبوها النائبا في
 حصر الحديد .. ولم تكن بكفها الخمسمائة مدان التي يمتلكها
 زوجها البك .. مكنت فشتري أسهما ، وسبع أسهما .. وتدخل
 مضاربة في بورصة القطن .. وشترى أراضي وعمارات ثم تباعها
 ويربح عليها .. بل كانت تدخل في مشاريع عجيبة .. كانت تشارك
 بعض القانونيين في مناقصات حكومية .. وكانت شريكة في مثل
 مشاريع قصر النيل .. ثم كانت تلعب القمار بشراهة ، وتأخذ

الريح ، وتحد دائما من يدفع لها الخسارة .. كان طموحها يبلغ حد اليأس والحسرة ، ولكنها كانت تستطيع أن تغلف هذا الطموح في قالب اجتماعي جذاب ، بحيث لا تنفر منها ولا تخافها ، إنما تحدد نفسك أسير لباقتها ، ونكائها ، وجمالها ، وخفة دنها ، فتسلمها نفسك لفتى بك في البحر الذي لا قرار له .. بحر طموحها !

وقد عرفتني لأنها وجدت في متنفسا لهذا الطموح .. واحتلتي بكل اهتمامها ولباقتها ونكائها .. ولم تحاول أن تفريني بشيء آخر .. ولكني كنت أريد هذا الشيء الآخر .. كنت أريد أن أضيقها إلى محبوتي الكبيرة .. مجموعة النساء اللاتي حصلت عليهن .. وكانت جميلة .. عساها السوداوان اللتان تترتان دائما كأن في كل منهما شعلة من نور .. وحاصها الكثيفان .. وأنفها الصغير المرموع .. وشفتاها الواسعتان الضاحكتان ، اللتان تكشفان دائما عن أسناتها الحلوة كالبها سماره مسرح ترتفعان عن مسرحية ساحرة لا تنتهي فصولها .. وجسدها المليء .. وبشرتها الناعمة السمراء .. و .. و .. ولكن ليس كل ما أغرائي بها هو جمالها .. كان جمالها آخر ما أغرائي بها .. إنما كنت أريد الاستيلاء على نكائها ، وعلى لباقتها وعلى شهرتها في المجتمع المضرى .. وعلى طموحها ، وعلى أسها الباشا ، وزوجها البك .. كنت أريد كل ذلك في فراشي .

وقد عرفتني أتى أريدها ..

عرفت نكائها .. وعرفت أن كل لباقتها لن تغنيها عن أن تعطيني نفسها .. وعرفت أن رغبتى ستظل دائما معلقة بيننا تحول دون أن تقوم سننا صداقة مستقرة ، وتغاهم مستقر .. فأرادت أن تشبع في هذه الرغبة ، لتنتهي منها .. فأرادت أن تعطيني جسدها لا تفرغ بعد ذلك لنكائها .. فأرادت أن ترضي الحيوان لتغاهم مع الإنسان .. وبكل بساطة ، منحني نفسها

.. جاءت الى فراشي ملا تكلف ، كأننا كذا على موعد في النادي
لنلعب مباراة في التنس ... لم تحاول أن ترسم مأساة حولنا ..
ولم تحاول أن تقنعني بأنها صحت شيء من أجلي ، أو محبتي
شيئا عريرا لديها .. ولم تحاول أن تجعل لهذا الشيء ثمنا .
أو يصح في قائمه الحساب بيننا .. وأشد ما حرصت عليه بعد
ذلك ألا تعاملني كعشيقة .. لم تفرض لنفسها حقوق العشيقه .
ولم تدعني أنكف معها أسلوب العنشق .. لا عيرة ..
ولا مسئوليات .. ولا مطالب .. لا شيء سوى مباراة مبتعة في
السس .. وحسدها دائما بحث أمرى كلما أردته .. وكأنها كانت
واثقة أن اليوم مسئلي سريعا عندما أمل هذا الحسد . وأحصل
عليه دكها ولباقنها وخمه دمها والمجنع المشر المني بالحصاد
الذي تحيط نفسها به ..

وهذا ما حدث فعلا .. بدأت أمل حسدها . ولكني لم أملكها
هي .. بل امي شعرت كلما ازدادت ملام من حسدها أنني أريد
حاجة إليها .. الى دكائها .. والى الاوقات السعيدة التي أقصدها
معا وسط الناس .. والى الخدمات الكثيرة التي تؤديها لي ..
وكانت خدمات مختلفة .. بعضها تشترك فيه مع عبد العاصم
بك .. كانت نقل الى أخبار الورراء وأصحاب النفوذ .. وبأني
الى مشاريع الحكومة قبل أن تعلن ، ثم كانت تقود الى كثير
من النساء .. نساء اصيلات لم أكن أعتمد أنني سأصل اليهن
إذا .. ولكن حبره قادهم الى .. ولم تكن تقودهم الى غربة
نومي .. لا .. انها أحرص من ذلك .. وأرقى من ذلك ..
انما كانت تكفي بخلق المناسبات التي تجمع بيني وبينهم ، بعد
أن تضع في أن كل مهن كمية تأثير طموحها .. ثم تترك الباقي
على .. وعلى لماتقي حتى لا يحرمي من لذة دكائي ..
وهكذا استقرت العلاقة بيني وبين خبيرة .. أصحبا
أصدقاء .. نفهم أحدا الآخر جيدا .. نفهم بعضنا بالإشارة ..

وبالتلميح . وبسطرات .. واصبحت بالنسبة لى كعبد العظيم ..
تعرف الكثير من أسرارى . وأعرف الكثير من أسرارها .. وعن
طريق هذه الصداقة — لا عن طريق الحسد — استطاعت أن
برصى جانبا كبيرا من طموحها .. أخذت منى الكثير .. اكتسبت
من ورائى ثروته .. ولم أندم على ما أعطيتها لها ، فقد كانت
خدمتها لى مساوى أكثر مما أعطيتها .. كانت دائما تحقق لى كل
ما أريده منها ..

هل تستطيع أن تحقق لى الشرف ؟ !
هل تستطيع أن تقتنى ثأرى رجل شريف ؟ !
هل تستطيع أن تساعدنى على أن أعال رضاء ابنه موطف
صغير ، كرسلا لى فى المدرسة ، ومات وهو يتعمع عى ؟ !
وأطلت النظر فى وجه خديرة ، وهى واقفة أمامى تنظر الى فى
دهشة كأنها لا تعرفنى ..

وسمعتها ترد :
— جرى ايه يا حسين .. ما تنكم .. مالك .. حصل انه ..
اللى يشومك بتهيا له أنك خسرت مليون جنبه ؟ !
ورفعت كأسى وبللت به شمتى ، وقلت وأنا أرفرف كلمانى من
صدرى :
— أقعدى يا ربرى ..

والقت معطفها من فوق كتفها ، وجلست وهى تفرع قمارها
من بين أصابعها ، وقالت ضاحكة :
— ما مرعلش قوى كده .. إذا كنت خسرت مليون ، لسه
عاصل سنة .. يا بوبك بكفوك وبكفونى !

كنت واب لا أنظر إليها .. وفى صوتى لهجة الحد :

— أنا مش زعلان .. أنا حيران !

قالت وهى ترمع شفتيها عن أسنانها الضاحكة :

— أخسر .. انت طول عمرك محير الناس ، حليك بحرب
الحبرة ولو مرة !
قلت وأنا أتشهد :

— أنا ناتكلم حد يا ريري .. انا حيران معلا !
قالت وقد بدأت شعلتنا النور سوهجان في عسها كتبها محاول
أن تنير لى بهما الطريق :

— خير يا حسين .. انت مخوفنى ؟ !
وعدت أتشهد ، وقلت وأنا أنظر في كأسى :
— شوفى يا سسى .. باه أنا اعجبت .. وقررت أن أهتم
بعيله صديق كان معاى فى المدرسة ومات .. الله يرحمه .. حسبت
أرد حميل كان له على ، محبت عيله وسكنها هيا فى العبرة دي
.. وعملت كل اللى ممكن يمشها عيشة نضيغة .. كويس كده ؟
قالت ريري وهى تحاول أن تفهمى :
— كويس .. لغاية هنا ما فيش حاجة تحير .. وسبحى
لقب ماعل خير !
قلت نون أن أصحك :

— صاحبى الله يرحمه كان راحل مقير .. وعيلته على اد الدال
.. عمرهم ما سكنوا فى عمارة زى دى .. ولا شافوا ياس رب ..
ويمكن ما يعرفوش ياكلوا بالشوكه والسكينة .. رحت النهارده
أزورهم لقنهم مش عارقين يعيشوا فى الشقة .. مش عارمين
ميمة النعمة اللى هم فيها .. بصورى امى لقنهم حاطين صميجه
نعلير فى الصالون الأبيضون ؟

وقالت خبرية وهى تنقسم :

— وده اللى محيرك ؟ ؟ ..

قلت وأنا أنظر إليها مستنحدا :

— أبوه ..

قالت :

— ولا بهيك .. خلاص .. سييب الحكاية دي على ..

قلت في حرع كائن أحاف عليكها منها :

— حاتم على إيه ؟ ..

قالت في بساطة :

— خاعلهم اراي يعيشوا .. مش ده اللي انت عابره ؟ !

قلت في ضعف ،

— أبوه .. بس دول ناس طيبين قوى .. وباس بلدى ..

خايف انهم ما يفهموكيش ..

قالت :

— مالكش دعوة .. هم كام نفر ؟

قلت وأنا ادير عيسى عنها حى لا أرى وتم كلامى عليها

— بمرين .. الأم وننتها !!

وارتمعت الشيطان عن الأسان الصاحكة ، وقالت :

— أبوه قول كده من الصبح !

ورمعت لها عينين بدعورتين ، وقلت كائن اصد عنكما

مصلحة :

— صدقي يا ربرى ، أنا مش عاجز مفهم حاجة .. كل اللي

عاجزه انى أرد حمل صاحى .. اى اشوف الأم وبسها عايشين

كويس !

قالت وهى تقوم ونحده الى البار ، وتعد لنفسها كأسه من

الويسكى .

— حد مال حاجه .. انا قول بى .. البت بطلع عندها

كام سمة ؟

قلت في حدة :

— ما أعرفش .. واعلمى معروف بلاش حداثة !

قالت :

— مش بس أعرف علشان أعمل حسلى .

قلت :

— بكره حاتشوفيهيا .. ست ما سرمش حاجة في الدنيا ..
من سنات البيوت بتوع زمان .. ويكن عندها اتنين واربعين ..
اسما تان اكر من كده !

قالت :

— والسبب ؟

قلت :

— سببها سر سنة .. ولا يمكن تبقتاشر !

قالت :

— كويس .. بعنى اد بنتى شويشت !

قلت :

— حاتملى ايه ؟

قالت :

— مالكنس دعوة .. الا فوتر !

ورمعت كاسها امام وجهي ، كانتا تشهر امامي الخطيئة ، ثم
اسقطت الخطيئة في جوفها ..

واخذت تحاول ان تسري عني ، دون ان تدري سبب هذا
النور النفسى الذى اعانيه وبعدو في رقراتي ، وفي القلق الذى
يطل من عيني .. ثم المقطت معلميها ، وسطرت الى نظرة احيره
كانها تحاول ان تعرف سرى .. ثم قالت وهى مائسة من ان
تمهينى :

— انت النهارده دمك تقبل قوى يا حسين .. اورغوار باه .
اما معزومة على العشا !!

وسركننى وقد دلها فكاؤها على ان من المبعث ان تلج على
معرفة سرى .. ولو الحث ، فانى اما نمسى لم اكر يومها اعرف
سرى !

بركننى وانا ممسوس .. وشيء في صدرى بعذبنى ويكاد يكتم

أعاسى .. كنت أعلم اتى بدعوى خيرية قد بدأت انقاد للجريمة ..
وانى لن اكون شريفا .. لن اكون شريفا أبدا وأنا أحاول أن
أحدثكم الى دىاي ، بذل أن أحاول أن أعيش فى دنياكم .. لن
أكون شريفا وأنا أحاول أن أنصر دكائى على صميرى .. وأحاول
أن أنتصر عليكم ، لا أن أنتصر لكم ..

وقمت فى نفسى المهركة دانها التى قامت يوم كنت أحاول
أن أغتنى فى الامتحان وعيها والدك ترفباني ، كمعنى رجل النوليس
.. كنت أقول لعمسى « دعهم يعيشوا كما يريدون .. ماذا تريد
من أرملة طيبة ومناة بنيمة مسكينة ؟ » .. وكان صوت آخر
يقول لى فى حبت كأنه يغرنى : « هل تدعهم يعيشون فى فقر ..
أبها أرملة صديقك ، وابنة صديقك .. وأذا كان صديقك قد
مات فقرا لأنه كان معطلا ، مما دنب عائلته لعيشى فى مقر ،
ونحبل سعه غمليه ؟ .. تقدم اليهم .. أنتدهم .. قدم لهم النعيم
.. متعهم بالحصاء .. و .. » .. وبعود الصوت الأول يقول
فى صعب كأنه يسرحمى : « أنهم سعداء فى فقرهم .. أن
السمادة فى القصة ، وقد كانت الأم وابنتها قانعتين .. لم يأملأ
يوما فى حياة غير التى يعيشان فيها .. أنك تريد أن تحطم قناعتها
.. تريد أن تتوث روحيهما بالطموح والطبع .. أعد عنهما ..
أنا أعلم مدى قسوتك ، ومدى خسروتك .. فأرحهما !!

والمهركة تشد فى نفسى .. ثم لا أكتفى بأن أتل شفى
بالوسكى ، فأشرب الكأس كلها ..

وبسكب الخمر على نار المهركة متزدد أشعالا ، ومن
خلال النسبة الذهب التى تذلع فى نفسى أرى صورة انشاب الذى
كان يقف على الرصيف المقلل للعماره .. وأعود أسائل نفسى :
من هو ؟

هل هو حبيبك ؟

وأحسست بالخبرة .. نوع معين من الخبرة .. أحسست

كان هناك من يضاربني في بورصة القطن .. كان هناك من
ينافسني في مناقصة حكومية .. كان هناك من يريد أن يأخذك
منى !

احسست بنفس النحفز والعناد الذي احس به وأنا لواحه
اعدائي رجال الأعمال ..

لا .. لن يأخذك أحد منى !

ولكن ، لماذا ؟

الست بمثابة ابسى .. ليس من حق ابنتي أن تحب .. وإن

تزوج ! !

وعدت أحاول أن افزع نفسي بأنك ابنتي .. حاولت أن اضع
في رأسي وى قلبى احساس الاب كما اتحيل احساس الاباء ..
حاولت كثيرا .. ولكنى لم أستطع .. لم أستطع أن اتصورك
ملكا لاتسار آخر .. لم أستطع أن اتصور رجلا آخر يمتلك
حسدك ، وروحك ، واهتمامك ، وعمرك .. انى لم اسع اليك
كل هذا تسعى ، ولم ادفع كل هذه الاموال ، لافرك الى فراش
رجل آخر ..

هل الاناء ملائكة ؟ .. هل ينحرون من كل انثية ، الى
حد أن يصيغوا اعمارهم في تربية بنات ، لا لشيء الا ليهوون
الى رجال آخرين ؟ !

انى لم استطع أن اكون ملاكا ..

ان عقلى لا يستطيع أن يحتفل منطلق الملائكة .. لا استطيع
أن اتخلص من انانيتى الى هذا الحد ..

ومنذ هذه اللحظة كتب عليك وعلى العذاب ..

منذ هذا اليوم ، أصبحت شيئا آخر غير انة محمد امدى
السيد .. أصبحت شيئا املكه .. وأحرص على امتلاكه .

ولكن ، كيف امتلاكك ، وأنا أحاول أن اكون رجلا شريفا ..
أحاول أن اتال احترامك ورضاك عى .. ؟

ان كل الناس تحقرمنى .. كلهم استطعت ان اشترى
احرامهم .. ولكن انت .. كيف استطعت ان اكسب احرامك .
دور ان امحى بك لانسان عبرى .. لشاب يقف على الرصيف
المقبل ويرمع عينيه اليك . وامت بطلين عليه من الثمرة تلك
مفدحين بنفسك انيه ؟ ..

وقمت وانا احمل أثقالا من حديد نرسب في صدري .. وعادرت
عشى في اعلى العمارة ، وعدت اثنى بينى وانا اعذب من مسمى ..
لم اكن أبدا اعانى من مثل هذه الحره .. ولم اعذب أبدا مثل
هذا العذاب !

وانقضى يومان ثم حددت مع خيرية موعدا لزيارتكم ..
وجاءت ترتدى ثوبا اسود محتشبا ، وخضعت الطلاء من موق
وحبها . وعقست شعرها خلف رأسها . فعدت كزوجة شريفة
محافظه .. لا كسيدة من سيدات الموضع ..

واسمعت رعبا عنى عندما رايتها .. اسمعت محبة لذكائها !!
وحملتها في سيارتى الى العمارة .. وقمرت اسمامة ساحرة
الى شمعى خيرية عندما منحت لنا الباب هذه الحانية الضعيفة
الغبية ..

ودخلنا الى الصالون .. ولم يكن قد نصر منه شيء ..
ملا ترال رائحة البراب تموح منه .. ولا ترال الالحة والوسائد
القديمة فوق الأريكة الأوبيسون .. ولا ترال صفيحة التلفزيون
حت المتعد المذهب .. ولمحت خيرية كل ذلك . وانسمت
اسمائها .. ولكنها كتمت الاسماء مريعا وبظرت الى كعبها
بتقول لى : « اطمئن .. كل شيء سيتغير » .

وجاءت والدك وهى لا تزال في نفس الثوب الاسود . وحول
عنقها طرحتها السوداء ، وقالت في نبرة مسملة وهى مبتلة
بحو خيرية وبدها محدودة اليها :

— اهد وسهلا .. أنستى ، ونورتى .. انتظلى يا حبيبتى !

وقالت حيرة - وهى تحاول أن تقلد أمك فى لهجتها :

— الله ينور عليكى يا أحى .. والنسى ده أنا مكسومة موت ..

كان على الأمل لآرم آحى أعمرى فى المرحوم .. أنا ما عرغش

الا أول أمارح من حسين ماشا .. ده أنا البيه بناعى كان دابسا

مشمى عن المرحوم أيام ما كانوا مع بعض فى المدرسة .

وقالت والدتك وهى سحه إلى الشربة لتشد الحبل الذى

ترفع به « لنشيش » :

— المركه ميكى .. كتر حبرك ..

واضطرت أن تساعد والدتك فى رفع « شيش » الشربة ..

كأنى مضطركى اكون معكم أن أقوم بأعمال الحدم ..

وعمر الصوء الصالون .. ولحيت والدتك تنظر إلى خيره

فى نفس . ودكاؤها السادح يطل من عينيها ، كأنها تحاول أن

تعلمها حدا .. وربما راعها جمالها . وربما راعها أنانيتها ، رغم

ما بذلته حيرة لسدو محتشمة .. واحسست أن والدتك قد

بدأت سحطت فى حركاتها . وأن صوبها قد انحصى قليلا عما كان

عليه وهى ترحب بنا .. واعتقدت أن مهمته خيرية لن يكون

سهلة ..

وحلمنا .. والألحمة والوسائد الضخمة فوق الأريكة

الأوبسور ، وصفيحة القطر تحت المنعد الذهب ..

وداهشت عندما بدأ الحديث يتصل بين والدتك وخيرية ..

لقد استعصمت حيرة كل نفاقها وكل دهائها حتى أرالت تحط

والدتك بسرعة .. وأصبحنا نتحدثا كصديقتين .. وخيرية تحاول

جهدا أن تدور الحديث فى حدود حياة والدتك . دون أن يتعالى

عليها . أو تكشف لها عن الحياة الأخرى التى تحياها .. كأن

خيرية تعيش نفس الحياة مع والدتك .

ودخلت انت ..

ورفعت عيسى اليك . ثم خففتها سرعاً . ومدت يداك
المعركة تتحرك من جديد في صدري ..

وصاحتك حرة ثم شدتك اليها وقلبتك وهي تقول :

— ما شاء الله .. ده انت او بنتى شويشت تمام ؟ .. انا
حاصرته بها وسبقوا اصحاب ..

وهررت رأسك وامت تنسمين بلا افعمال . ثم خفت
تستمعين الى الحديث الذى عاد يصل بين حرة ووالدك ..
ونمديد طول الوقت الا امطر اليك .. والا ادع عسى تلتصق
بعبئك ..

وبعد فترة قتت انت وخرجت من الغرفة ..

وتطرت خلفك بكل عبنى ..

نظرت الى مواءك الرقيق الذى يبدو في ثوبك الاسود . كأن
آهة حزينة تخرج من صدر عاشق .. والى خصرتك النحيل ..
والى ساقيك المتسقين .. والى قدميك العسمرى ..
هل كل ذلك يمكن أن يكون ملكاً لرجل آخر ؟ !

وهل انت فتاة تطمع فيها رجل ؟ !

الست صغرة على طمع الرجال ؟

ولكن هذا الشاب الذى يقف على الرصيف المقابل للعمارة ..
انه بطمع فبك .. بطمع في هذا الحسد الرقيق ؟ !

لذلك خرجت الآن لسطلي عليه ؟ !

حربت عبنى وراءك حتى اختنست داخل الشقة .. ثم .. ثم ..
واقفاً واتا اقول لخيرية ووالدك :

— يظهر انى مالبس فعاد معاكم .. اما اسبكم سلاموا ؟ .. لا .
الستات !

وقالت خيرية :

— مع السلامة يا حسين .. انتى ابعث لى العريسة بعد نص
ساعة !

وقالت لها والدك :

— نص ساعة ليه يا اخنى .. ما نخليكى قاعده معانا !
ونظرت اليهما نظرة طويلة .. الى عالين مختلفين ..
هل يحتمعان فى عالم واحد ؟
وخرجت ..
كانى اهرب من نفسى ..

وانعصى اسوعان لم احاول حلالهما ان اراك .. كنت يائسا
من نفسي .. كنت يائسا من انى استطيع ان ارقى بنفسى الى
مرتبه الشرف .. وكنت مسلسما للمعركة التى بدور فى صدرى
استسلاما عحيبا كئسى استعديها .. ولم اكن ادرى سر هذا
الاستسلام .. لقد واحبت هذه المعركة طول عمرى ولكنى لم
استسلم لها . ربما لانه كانت لى آمال وأطماع بنصرى على الشىء
الذى يحرك فى صدرى .. تنصر ذكائى على محاولتى ارضاء
واندك وس اعجبه .. ولكنى أصبحت بلا آمال ولا اضعاع .
لقد حققت كل آمالى وأطعنى .. بل حققت اكثر مما كنت أطمع
فيه . والملائى الى امكها يستطيع الآن ان سمو نموا طبعيا على
حساب اناس . دون ان يكافى بهذا .. فلم يكن هناك دافع
قوى يستطيع ان ينصر ذكائى على شىء الذى يحرك فى صدرى
.. اى على صميرى . وفى الوقت نفسه كان ذكائى من القوة
والعناد بحيث لا يستطيع صميرى ان ينصر عليه .. مكنت فى
هذين الاسوعين . اعشش بين فويين متوارتين .. ذكائى
الشرس . وصميرى .. وأحيانا يرحح كفة الشر . وأحيانا يرحح
كفة الصبر .. وانت دائما منصبة أمامى . احاول ارضائك
حصا . مأتمنع عن أدبة اناس .. وأحيانا اثور عليك . وعلى
نظرتك الهادئة العميقة التى تتقب صدرى ، مأندمع فى أدبة

النفاس .. وكل ذلك بلا تعمد .. انها عشت بلا ارادة .. كنت
قرمان .. قرفان من نمسي .. واحسن بالمثل من حياتي .. ثم
بعد هناك حديد .. كل شيء شبيب منه حتى ايداء الناس ..
ليس من جديد في حياتي الا انت وامك !

وفي خلال هذه الفترة كانت حيريه بروركها كل يوم يعربا ..
كانت تتسلل في حياتها رقة وهدوء وصبر .. ولكنها كانت
كمد العظيم لا يستطيع ان يفهم سر اهتمامي بها ..
وقد اتصلت بي بالتليفون ، وصاحت ضاحكة :

— اسمح لي اقولك يا حسين ان دوتك اسط قوي .. ايه
الست التي اتلميت عليها دي ؟ دي رى البجم ، ما بنحركش
ايدا .. يظهر انك شعت من الحاتوه وابتديت تدور على اتعيش
الدره ؟

قلت لها وانا احاول ان اتبعها :

— صديقي يا حيريه .. ده ما فيش بيبي وبينها حاجة ايدا
.. صديقي انا مش علوز حاجة الا اتنى ارد حميل صاحبى اللي
مات ..

وقالت مساحره :

— بصدقك ياخويا ..

وسألتها :

— وعملت معاهم ايه ؟ !

قالت :

— ما بحافش .. لازم احلى المحم يقحرك !

وانت حديثها وصحكانها لا تزال رن في اذنى ..

ودهت لزيارتكم .. كنت في حاجة الى ريارتكم لاهرب من
الملل الذى عشت فيه .. ذهبت بلا موعد مقد كنت استيهت من
اقناع ممسي واقناعكم باننى صاحب السم .. وعهدت قتل ان
ادخل الى العمارة ان اتلمت لاحقا عن الشاب ذى القميص المموج

والشعر المنكوش الذى يسكع على الرصف المقاتل .. من
أره .. وأحسست كأنى تجبت معركة !

ومحت لى الباب نفس الحائلة الصغيره العنيه .. وثبتت
شفتى امتعاضا ، وأنا أزيحها من أمامى ..

ولكنى ما كنت أخطو داخل المائلون حتى أحسست أن
« البجم » بدأ يتحرك فعلا ..

أحسست ببعض أنفاس خيرية ..

لم أر الوسائد والأحفه القديمه موضوعه فوق الأوبيسون ،
ولم أر صفحة الخطير تحت المقعد المذهب ..

انه يقدم كير 'حرزبه خبيرة فى خلال أسوعين فقط ..
انه نصر يستحق عليه التهنئة !

وحاءت أمك .. أن شينا قد معير فيها هى الأخرى .. أن
حرسه استطاعت أن تتسلل إليها وأن تطيحها بأفاسها ..

أى شيء تغير فى أمك ؟ !

وأحدث أهد ذاكرتى لأقارن بين أمك كما أراها الآن . وكما
رأيتها آخر مرة .. وأنا أحس احساسا عبقيا بأن هناك تعييرا
حدث لها ..

ثم اكتشمت الشيء ..

طرحتها .. الطرحة السوداء !

كانت أمك كما رأيتها آخر مره مربوط طرحتها فوق رأسها ربطا
محكما ، بحيث يحفى تحتها شعرها كله ، وحرءا عريضا من
حسبها ، ثم تسدل الطرحة لتخفى تحتها العنق كله .. كانت تلف
طرحتها على طريقة التذابات فى مآتم الأرياف ، ولكن وضع الطرحة
بعير .. لم يعد كما كان .. انها الآن تضعها ببسالة فوق رأسها ،
على طريقة هوائيم القاهرة .. بحيث تكشف عن حبيبها كله وعن
حرء كبير من شعر رأسها .. ثم تقع فوق كتفها دون أن تلف
حول العنق ..

ولأول مرة أرى لون شعر أمك ..

انه في مثل لون شعرك .. لون الفندق !

ولأول مرة أرى عنقها .. انه في لون العجاج .. ان كان العجاج يشوبه بعض الاصفرار كأنه احمرن طويلا في محزن تاجر البعاديات .. وكنت اعتقد ان لون بشرتها يميل الى السمرة .. كانت الطرحة السوداء تلتقي عليها ظلا قاتما .. ولكنى أراها الآن في لون العجاج المشوب ببعض الاصفرار !!

وابتسمت بينى وبين نفسى .. كأن ابتسامتى وسام اعلقه عنى صدر خيرية .

ولم تتقدم أمك لترفع « الشيش » ائذى ينسدل فوق باب شرفة الصالون ، كما تعونت كل مرة .. بل تكاسلت وهى منجبة اليه ، كأنها تدعونى لان أسبقها واقدم عنها بهذه المهمة .. انه تقدم آخر .. الفضل فمه لخيرية !

وقد سبقتها فعلا الى باب الشرفة ، ورمعت منه « الشيش » .. واتسمت ابتسامتى فى صدرى ، كأنى أصع على صدر خيرية وساما اكبر ..

وجلسا .. والدتك وأنا .. وقئت لها وقد قفزت ابتسامتى من صدرى الى شفتى :
— على الله مكرنى راضة عن خيرية هاتم .. مش لسه متزورك ؟ !

وقائت أمك وهى تحاول ان تجمع طرحنها حول عنقها . ثم لا تلبث ان تتركها تنسدل على كتفها لتكشف عن العنق العاجى المشوب بالاصفرار :

— والنس دى ست طيبة .. وماين عليها بنت اصل ..
أول ما عرفت انى زهقانة وماعرفش حد من الجيران ، وهى ماتتسفيش .. كل يوم تفوت على ونقعد ندردش سوا ..
قئت وأنا أشفق على سذاجة أمك :

أمل .. دى ست كريمة !

قالت ، وقد بدأت لاحظ أنها تحاول تقليد خيرية في بعض
حركاتها وكلماتها تقليداً ساذجاً :

.. لا .. وست بيت من كله .. ما فيش حاجة الا وتنهم
فيها .. ده اول ايمارح دخلت معايا المطبخ ، وعملت دقية مسقعة
تود الروح .. انما ما قدرتش تتعد لغاية ما تاكل منها .. كان
لازم ترجع علشان تنفدى مع الانفدى بناعها .. تصدى اليه
بناعها !

وكنت اتفهقه .

وخفضت على اعصابى كل قواى حتى لا انفجر ضاحكا .
لم اكن استطيع أن اتصور خيرية واقفة في المطبخ تعد دقية
مسقعة .. دون أن أضحك !

ولكن رغبتى في الضحك ماتت سريعا ، وانا المص على وجه
أمك مرحبها بخيرية وسعادتها بها .. كأنها وجدت فيها دنيا
جديدة .. دنيا لا تخافها ، ولا تجذرها .. وبدأت أشفق على
أمك .. أشفق عليها من سذاجتها .. أن فكاهها الساذج وحذرها
الطبيعى .. هذا الحذر الذى تنهيه به الطبقة الوسطى الصغيرة ..
لن يستطيع أن يحميها من خيرية ..

ودخلت انت ..

ونظرت اليك نظرات سريعة متقطعة ، أحاول خلالها أن
انفدى عينيك .. كنت أبحث عن تأثير خيرية عليك .. أحاول أن
أحد شيئا قد تعير فيك ، كما تغيرت أشياء في أمك ..

ولم يكن شيء قد تغير ..

أنك كما أنت .. وكما رأيته آخر مرة .. ثوبك الاسود
البسيط .. وشعرك انناهم المسدل فوق كتفيك .. وشعناك ،
الرقيقان .. وعيناك انهادنتان النابتان اللتان تثقان صدرى

دونكن ربما قد تغبر شيء .. ان وجهك التحيل أقل حزنا .. وبين
شفقتك ابتسامة هائلة لا تفتقر ..

انك سعيدة !!

لماذا أنت سعيدة ؟

هل هي خيرية ، أم هو هذا الشاب المتسكع على الرصيف
المقابل للمصارة ؟ !

وتضايقت لأنى اعتقدت أنت سعيدة .. تضايقت .. لا أدري
لماذا .. ثم قلت لك ولما لا أنظر إليك وأحاول أن أضع فى حديثى
لهجة الأب :

— هائلة أيه دلوقت يا هدى .. بتضبعى وقتك ازاي ؟

وانطلقت فى صوت فيه رنة شببك وسعادتك :

— طنط خيرية جابت لى بترون جديد .. انما حلو قوى .
وقاعده بانصله !

ولم أفرح بك ..

أحسست وقد بدأت خيرية تتسلل إليك وتحدثك ، انى اخذع
نفسى .. واضرت .. هل كنت أتمنى أن يكون الفضل فى سعادتك .
يرجع الى هذا الشاب المتسكع ، لا الى خيرية ؟

وأضيت رأسى كأنى أفكر .. وسقطت عيناى فوق ساقيك ..
ساقيك المتسختين كان فنانا صنعهما من نور .. ومن خلال ساقيك
رايت صورة هذا الشاب المتسكع مرة ثانية .. وحاولت أن أبعد
هذه الصورة .. حاولت أن أسمو بنفسى عن هذا التفكير ..
لماذا أتصور هذا الشاب كلما رايت قطعة من حسدك .. وإذا
كنت تحببته ، فلم أربط هذا الحب بهذا الحسد .. لماذا لا أسمو
بتفكيرى .. لماذا لا أضع نفسى فوق شهوة الامتلاك .. لماذا
لا أرغلك عن مستوى الأسهم والسندات والعمارات وكل ما يمتلك
.. كل ما أبيع فيه واشترى ؟

انى لا أستطيع !

ورغم ذلك هانى أريد أن تحترمينى .. أن تعترفى بى كرجل
شريف !

وسمعت والدتك تقول :

— دى حتى خيرية هاتم عازمانا بكرة على الضد .. علشان
هدى تتعرف ببسها .. وانبى الست دى ناعبة نفسها معانا
قوى !!

وقلت انت ورنين السعادة لا يزال فى صوتك :

— دى عايزانى أعلم شوشت التفصيل .. بنقول ان مالهش
مولة لبال على حاجة أبدا ..

قلت كلتى أنتهد :

— انا شايفكم مسوطين قوى من خيرية !

وقالت أمك :

— آه والبى يا اخويا .. دى ست ما تعميش .. وأهى.
خفت عنا غريبتنا فى العمارة دى اللى ما حدش فيها عايز يعرفه
حد !!

ونظرت اليك .. ان ابتسامتك فيها كثير من السخرية ..
كانك تمسخرين من خيرية ومن أمك !

وقلت وأنا أهم بلقيام :

— عنى خيرة الله .. مش عايزه حاجه يا تفيده هاتم ..
مش عايزه حاجه يا هدى !

وقالت أمك وكأنها نسيت نفسها فى محاولتها تقليد خيرية

— متشكرة قوى يا حسين ..

ثم استدركت بسرعة ، وهى تلف طرحتها حول عنقها كنسها
تدارى غلطتها :

— متشكرة قوى يا سعادة الباشا !!

ونظرت إليها دهشا .. لقد سادنى « حسين » .. ملا لقب

كما سادني خيرة .. ولاند ان خيرة قد جدتها على كثيرا ، وكان
اسمى في حديثها دائما ، ملا لقب !

واخفيت دهشتي وقلت وانا اصافحها :

— اسماعن بآء يا تفيدة .. هاتم !

وبعد ان اسكت برهة قصيرة سريعة قبل ان انطق بلقب

« هاتم » .. حتى اشجعها على ان يتبادل رفع الالقاب ..
وصافحتك ..

وتعمدت هذه المرة ان اسطر في عينيك كاسى استك رايك
في .. ورايت في عينيك نفس النظرة الهائنة الثابتة التي لعودت
ان اراها في عيني والدك .. كانت تتقدين صدرى .. كأنك تعرميننى
جيذا .. كاسى لن استطيع ان اخذك عن حقيقتى !

وسحبت يدي من يدك سريعا ..

وبرئت من العمارة .. وخرجت الى الشارع في خطوات
مسرعة .. كاسى في حاجة الى جرعة من الهواء ارطب بها الشيء
الذى يحرك في صدرى ويكاد يكتم انفاسى .. وما كدت اهم
بوضع قدمي داخل السيارة ، حتى لمحني ..

هذا الشاب اندي يتسكع على الرصيف المقابل للعمارة ..

ودققت النظر فيه كاسى انظر الى احد منافسي في البورصة .

لاكشف نيانه ، واحتر عوده . قبل ان اسلط عليه ضرباتي ..

انه لا يزال يرتدى القمص والبنطلون .. نفس القمص
والبنطلون اللذين رايته بهما اول مرة .. وكأنه لا يملك غيرها !

وقد ترك القمص مفتوحا عن صدر قوى زاخر بالشباب ..

وشمر عن اكمامه ليكشف عن عضلاته .. وكان كل ما يملكه ،

وكل ما يحاول ان يغريك به ، هو هذا الشاب ، وهذه
العضلات ..

ووجهه يلوح سمرة تشتعل بدمائه ، فيبدو في لون النحاس

المصهور .. ولم استطع ان اكتب عيسى عن وسامته .. عن هذه

الخطوط القوية التي ترسم وحنثيه وذقنه وشغفيه .. وشعره
الذى ترك خصلات منه تتطاير فوق رأسه ، ملا تعبد .. كأنها
رايات الثورة يلوح بها في وجه الحياة .. وكان رأسها وجهه ينظر
إلى أعلى .. إلى شرفتك .. ثم كأنه أحس بعدد يترص به ،
فأدار وجهه بحركة سريعة إلى ناحيتي .. ونظر إلى ..
ورأيت عينيه ونظرته ..

عيناه السوداوان كأنهما بحر صاخب في ليلة حالكة .
ونظرة شعرت خلالها كأن آلاف من الناس ينظرون إلى .. كلهم
شباب ، وكلهم غاضبون !
وأحسست بالخوف ..

مر الخوف سريعا على قلبي .. دون أن ينوقف .
لحظة حين .. لم تمر بي من قبل !
واسرعت واختفيت داخل السارة .. كأنى أهرب .. أهرب
من آلاف الناس .. يطلقون كلهم من كمين نصب لي .. من
عينين عاضتين كأنهما بحر صاخب في ليلة حالكة !
وأحسست بنفسي أنجمع للانتقام .. الانتقام من آلاف
الناس !!



وتضبت لبلى وهذه النظرة الغاسقة معقطة فوق رأسي ..
تطل على من السفن ، ومن فوق الحدران ، وأراها محائى فوق
الوسادة .. وأضع رأسي تحت الوسادة ، فأراها تحت الوسادة .
إن هذه النظرة رأيتها من قبل .. رأيتها في عيون ناس كثيرين ..
ناس كانوا يلتفتون حول سيارتي الكاديلاك الكسرة ثم يطلقون
على هذه النظرة .. وناس كانوا يمرون أمام قصرى ثم يطلقون
على هذه النظرة .. وناس كانوا يسمعون عن ثرائى ثم يطلقون
على هذه النظرة .. ناس من الشارع .. كأن عيونهم فوهات

مهندسات يطلق الرصاص على صدرى .. وقد استطعت أن
اطمئن هذه البطرة في عيون الكثيرين من الحفتمس بشركاني
وانضت عليهم من نعمتى ومالى .. ولكن ، هل أستطيع أن
اطمئن هذه النظرة في عيون كل الناس الذين يملأون الشوارع ؟ ..
وهل أستطيع أن اطفئها في عيني هذا الشاب المشكع على
الرصيف المقابل لمبارة شارع النيل ؟ !

وقمت في الصباح ورأسي ثقيل بحبل ملنا من الصداع ..
ولكى فكائى ثائر ، وهو فى ثورته بحر رأسي بعنف .. بحرها
الى المعركة ، كانه بحر مدفعا ضخما ليصبه في موقع استراتيجى
حصين .. استعدادا لاطلاق القذائف ..

وذهبت الى مكتى مبكرا عن موعدى .. وحسبت في انتظار
عبد العظيم ، وأنا انظر في ساعتى بين الحين والحين .. وحبل
الى انه لن يحى أبدا .. ومدات أثور .. ان اعصابى ليست
كما يعودتها .. وخيل الى انى سأهب في وجه عبد العظيم عندما
أراه وأصغعه تلهين لانه تأخر في الحى الى .. ولكن عبد العظيم
هاء أخيرا . ولم أهب في وجهه ، ولم أصغعه .. بل بذلت كل
جهدى لأسطر على اعصابى ، واستقبلته بنفس الانسانية المتعالة
التي تعودت أن أستقبله بها ..

وحلس عبد العظيم في المقعد المريح قبالة مكتى .. وكان
يبدو هادئا مرتاحا ، كانه لن يقوم من هذا المقعد أبدا .. ثم
أخرج سجارة واشعلها ، وأخذ يشد أنفاسه في بطء وتلفذ ..
كاننا نحن الاثنين خالسان في مقهى ، ولمس وراعا ما نفعله الا ان
نقرأ وجوه المارين من أمامنا .. كانه لا يعرف انى ثائر . وكأنه
لا يعرف أن لى أعداء كندرس استعداد للقضاء عليهم .. ثم تكلم ،
وخيل الى انه يتكلم في بطء شديد لا تحتله اعصابى .. بدأ
معرض على أعماله القذرة .. وأنا استعرض هذه الأعمال بعينين

تلسيقين .. كنت قاسيا في هذا الصباح .. كنت أحس بعداوة كل الناس ..

وقال عبد العظيم :

— مفتش الضرائب في شركة المقاولات ماعسا قوى .. عامل لنا مشكلة في كل دفتر ..

وتأطعته ساخطا :

— وعملت فيه ايه ؟

قال :

— كلمت الورير امبارح في حملة الجمعية الخيرية ، ووعدنى

انه حينقله سوهاج ..

قلت غاضبا :

— مش كفاية .. لازم تفهم يا سى عبد العظيم ان مفتش

الضرائب مش ممكن يتجرا علينا الا اذا كان مسنود .. لازم

المدير بتاعه يكون مشجعه على كده .. يبقى مدير المصلحة لازم

يشال .. دور له على مضيحة توديه في داهيه !!

وطر ائى عبد العظيم في اعجاب ، وكأنه اشتاق الى هذه

القسوة منى ، وقال وابتهامته الملوثة قد اتسمعت موق شفبه

الظيطنين :

— حاضر !!

وقلت في عجلة :

— مبه ايه كمان ؟

قال :

— وزير الموبن عابر يصدر امر استيلاء على القمح اللى

شترناه من كندا .. وحايخله التسعيرة !

قلت واما الهث كائى أجرى مع عبد العظيم في مساق :

— التسعيرة كام ؟

قال :

— اربعة جنيه للأردب ا

قلت :

— وواقع علينا بكام ؟

قال :

— ثلاثة !

قلت :

— بيتي الصغيرة لازم تكون سته جنيه للأردب .. احنا مش بنلعب .. كلم رئيس الوزارة ، واذا ما وامتش حول الشحنة للعراق .. وحط البلد تقعد من غير قمح ، علشان الوزارة تستط في يومين ، وبحرموا بتحددنوا علينا .. ه الشحنة مش اسمع على المركب ؟ !

قال وقد وصل اعجابه بي الى حد أن بدأ منهوتا :

— لسه !

قلت :

— خلاص .. اعمل اللي ماتولك عليه .. وادي أمر لكتمن المركب انه ما يترغش الا لما نقول له !
قال من خلال ابتسامته الواسعة :
— حاضر !!

وبدا عبد العظيم يلهث معي كأنه لم يكن ينتظر أن يحرق معي هذا الصباح كل هذا المشوار الطويل ..

وانتهى من عرض كل ما عنده من أعمال شركاتي .. أعمال شركاتي القذرة .. ثم صمت فترة ، وعاد يخرج من جيبه سيجارة أخرى ويشعلها ، كأنه يترك لي الفرصة لأبدأ في عرض أعمال الخاصة عليه ..

وقلت وأنا أميل الى الوراء كأنى أستعد لموضوع أكثر خطورة :

— مافيش حاجة ثانية ؟

قال كأنه يشجعني على فتح الموضوع الأكثر أهمية :

— مامش .. من اسماعيل ائندى عبد الحواد احو الست
تغيدة هاتم ، له مشكلة صغيرة ..

وكنت قد سميت خالك .. سميت اسماعيل ائندى .. فقلت
كلنى اتذكر شيئاً بهذا :

— ماله ده كمان ؟

قال فى امتعاض :

— مش عاينه الثلاثين جنيه اللى سقتهم من شركة اسكندريه
.. وكل يوم بيعت لى جواب .. عاور يزود ماهيته !
قلت وأنا انظر فى وجهه عبد العظيم .. وقد تذكرت الكراهية
اللى يحملها لخالك :

— وعملت له ايه ؟ !

قال :

— رفعت ماهيته لخمسين حيه ، وعيخته مدير خربة فى
الشركة !

ورأيت الخيل ائندى بدا عبد العظيم ينمه حول عنق خالك ..
الجدعة القديمة التى تعودنا ان نلحاً اليها عندما نريد ان نذل
أحد موظفى الشركة .. ان نضع نقوداً كثيرة بين يديه .. آلاف
الحبشات تملأ عينيه مساحا ومساء ومغريه بنمفسها ، كأنها سبتان
حسناء تتراقص أمام محروم .. ثم تهمل فى مراقبته .. حتى
يطمع فى هذه الأموال .. أموال الشركة .. ويحلسها .. ومضبطه
.. ويسك به من عنقه .. ثم نصنع به ما نريد !!

هل أترك خالك يتع فى هذه الخدمة ؟

ونظرت الى عبد العظيم من تحت جفنى ، ورأيت فى عينيه
بطرات تحفر كأنه يستعد لثور فى وجهى اذا حاولت ان أصده عن
ادلال غريمه .. وسمعت صوتاً يتردد فى صدرى كأنه يقول لعبد
العظيم : « يا شيخ حرام عليك » .. ولكن هذا الصوت لم يرتفع

الى شفى .. لم اكن فى حالة اسطيع معها ان اشمق على
'حد !!

وسكت برهة . ثم قلت لحد العظيم وانا لا انظر اليه ،
كمادتى عنديما اريد ان اوحى اليه بعملية خاصة :
— والله الصاعة دول تاغى قوى !!
قال فى شماعة :

— ليه .. حصل منهم حاجة .. عايرين اكر من كده ايه ؟ !
قلت كانى اؤنيه :

— لا .. مش عايرين حاجة .. اتما طهر ايه مش بالنسابة
التى كنت متصورها !

قال وقد خيل الى ان لسانه قد تدلى ليلحق فى دماغكم :
— ازاي ؟ !
قلت :

— انت عارف انى مهم البننت هدى .. باعتبرها بنتى مهم
انما لاحظت عليها شوية حاجات ما تطمنش !!
قال كانه يتمحلنى :

— زى ايه ؟ !

قلت وانا اتنهذ :

— ماقدرش اقول لك بالصبط .. يمكن البننت مطلومة ..
انما كل مرة ازورهم ميها الاتنها واقفة فى اللكون . والاقى شاب
صغير واقف فى الشارع مبص لها ويشاور ..
وتال عبد العظيم وهو يتطلع لعامه :
— وده يطلع مين ، الشاب ده ؟
قلت :

— والله مااعرفش !

قال ونظرته الخبيثة تملأ وجهه كانه يهم باليهام مريسة :
— ازاي الكلام ده .. لازم نعرمه .. يهكر يكون بيضحك

عليها .. لارم ناهد بالناس كويس .. دى تربية الناس مسئولية
كبيرة !

قلت وأنا ازفر انفسى فى افتعال :
— فعلا .. مسئولية كبيرة .. ما كاشى ناقصنى
الا المسئولية دى !

قال وهو يهم بالقيام وقد دب فيه نشاط غريب :
— اطمئن سعادتك .. ولا يهيك !

وخرج من مكتنى فى خطوات واسعة ، وأنا انظر وراءه فى
تساؤل كائن انظر الى حمار ملكه انطلق فى حلمه المساق .
وفى مساء هذا اليوم سهرت فى قصر الاميرة شويكار ..
كانت هناك حفلة صاخبة جمعت كل المجتمع الراى .. ولم اكن
احب ان اتردد على هذه الحفلات .. كنت افضل دائماً ان اقيم
حفلة لىفى . اجمع فيها عشيقاتى ، واعدائى .. ولم يكن لى فى
الحياة سوى عشيقات واعداء .. ولكنى فى تلك الليلة كنت فى
حاجة لان اكون بين الناس كثيرين .. الناس الذين يكونون هذا
المجتمع الراى .. انى فى هذا المجتمع احس بقدرى ، واحس
بانصارانى .. واحس بانى سيد !

وخطوت بين الناس وصعومهم تنشق امامى .. كائن السى
موسى اشق المحرمصاي .. والهمسات ترفنى على الجانبين ..
ومطرات فى عيون النساء تدلنى ، وبظراب فى عيون الرجال يخشع
لى .. الى ان راعت حيرة وحدتى من يدي واجلسنى على
مائدتها .. وقالت وهى بهمس فى اذنى وبين شفقتها التسمية .
كانها تلقى نكتة :

— الجماعة يسلموا عليك !!
وبللت شمعى من كاس الومسكى الذى وضعته امامى ..
ولم ارد عليها !

ولصقت كتفها بكفى واحبت رأسها نحوى حتى اعرفت
وحى فى طبقات شعرها . وقالت فى دلال :

— بلغنى أنك كنت عندهم امارح ؟

قلت ورائحة العطر تملأ انفى :

.. ابوه .. ولاحظت ان النجم ابتدا يحرك .. البركه ميك !!

قالت صاحكة وهى ترفع كأس الوبسكى الى شفيتها :

— ولسه .. انما لو كانت واحدة ثانية ما كانتش ماحد سمى

يومين .. دى ست معتدة خالص .. وعلى فكرة .. النهاردة

خدتها ورحا شيكوريل .. وعلى التلى عطيه هناك .. بقت

خايمة تمسك القماش بصواعها .. وعلى طول تنال عن

المن .. فضحتنى قدام البياعين .. وبالزور لما حليتها تشتري

حاحات مشرة جيبه .. ومارشيتش مشتري الا لما قللتها ان

لك حصص خبسين فى المة . وانها تقدر ما تدفعش . ونسعت لك

الماتورة ، وبعدين تحاسبك .. دى بحيله موت !

قلت :

— انا عارف انى باعك بالناس دول يا خيرية !!

قالت ضاحكة :

— نعلك راحة ما سعادة الباشا .. انما قوللى .. اه

رايك فى أسهم الشركة المصرية ؟

وعرفت أن خبرية بدأت تقاضينى الثمن ، وظلت :

— مالهم ؟

قالت :

— مش عاجبنى .. نفسى اشتري اسهم فى شركة العزل !!

قلت دون أن أهتز :

— حاضر .. بكره ابعت لك ميت سهم !

قالت وهى تربت على ماقى من تحت المائدة :

— ربما يحليك لى ما حسين .. وفيه حاجة ثانية !

وطرت اليها نظرة غاضبة كأنى أحذرها من أن تنمدي في
طبعها .. وتلقت النظرة باسمه وقالت :

— انت مش حترك شيفون للست تقيدة .. انا تعبت من
ريارهم كل يوم .. على الأقل الطيمون يساعدي شوية !
قلت وأنا أدير عيني عنها :

— ما أطنش ..

قلت في تعجب :

— ليه .. خاف عليهم من التيمون .. ابتديت مغير
يا حسين !!

قلت :

— انت عمرك ما حاتمدرى تمهميسى يا خيرية .. اغير ايه
ويتاع ايه .. انا خايف على البنات الصغيره ..
قلت :

— خايف عليها من ايه .. دى ما حدش يحاف عليها امدا ..
دى ما بتكلمش كلمتين على معضهم ، وما تعرض حاجه في الدنيا
الا الخطابة !

قلت وأنا أقمص ابفسامة ساحره

— ده بس متهيلك !

قلت :

— متها لى ازاي !

قلت في حسرة :

— دى طول النهار قاعدة في التلكون وواحد واقف لها في
إنشارع .. ساعة ما حيرك التلمون .. حاتسب التلكون ونعسل
تكله !

قلت في دهشة :

— صحيح والننى !

قلت :

— صحيح !

وصحكت ضحكة عالية وقالت :

— أما أنا عبيطة صحيح .. حتى الت دى كمان .. وده بطلع
مين الواحد ده ؟ !

قلت فى أسى :

— ما اعرفش .. أما أنا خايف عليها قوى !

قالت :

— تلاتيه شونير .. ولا مكوحى .. بعضى حايلون ايه ؟ !

قلت وقد اشتد من الأسى :

— ما اعرفش !

قالت :

— أنا اعرفك لكاه

قلت :

— حاسرى ارى .. اذا كنتى بتقولى أنها ما بتكلمنى ..
ده تلاتى أما بنفسها ما تعرفش ؟ !
قالت فى ثقة :

— ما تكش دعوه .. بكره اجيب لك الأخبار كلها !

وتدخل بيما الأصدقاء .. أقصد الأعداء .. وقطعوا علينا
حديثا .. واندمحا فى حديث آخر .. وانطلقت من صدورها
ضحكات تنزعها من صدورها .. كأنها تخرج من مصانع حديد ..
وتصعدت أن أطيل السهر . كنت لا أريد أن أعود الى البيت ..
لا أريد أن أكون وحدى ..
ولكن عدت مرغما ..

عدت بعد أن أحكمت الحصار حولك .. عبد العظيم وخيرية
.. كلاهما يحاصرك .. عبد العظيم يحاصرك خارج البيت ..
وخيرية تحاصرك داخل البيت ؟ !

.. وعشت في انتظار أن تصلنى معلومات عن هذا الشاب الذى يتسكع تحت شرفتك .. وكان عبد العظيم قد نصب حوله شبكة هائلة ، ليصطاد بها كل شيء عنه ..

انك لا تتصورين ماذا يستطيع أن يفعل عبد العظيم .. ان تحت أمره بوليسا خاصا ، أشبه بالبوليس السياسى .. وقد بدأ هذا البوليس الخاص يعمل في دائرة جديدة .. كانت اختصاصاته من قتل قاصرة على دوائر المال ورجال الأعمال وموظفى الحكومة .. لم يعمل من قبل في دوائر الناس العاديين الثمانين ، أمثال هذا الشاب المتسكع !!

وقد تسببه أحد رجال عبد العظيم حتى عرف ابن يسكن ، ومن هناك عرف عنه كل شيء ..

ان اسمه عادل فتح الله .. ويسكن في حي شعرا قريبا جدا من بيكم القديم .. وقد تخرج في كلية التجارة ومضى عليه عام دون ان يجد عملا .. وهو من الشباب الوطنى المتحمس ، وسبق أن قضى عليه في عدة مناسبات سياسية .. ودخل السجن مرتين .. ومعروف في وزارة الداخلية بأنه من زعماء الطلبة .. ومن مثبتي الثورات .. و .. و .. وأموه يعمل موظفا في الدرجة الخامسة بوزارة الأوقاف .. وله أخ لم يتم تعليمه وبشتغل كاتب حسابات في ورشة .. واخت مخطوبة على وشك الزواج

.. وأمه سيده طيبة معرومة في الحى بالطيبه والورع .. والحق
كله يعرف أن عادل جدك مند متين .. وأنتك صدمته لأخيه ..
وأنتك سيطلتك للرواح بمجرد أن يحد عملا .. ولم يجزؤ أحد
من أهل الحى على أن يشوه هذا الحب .. أو يمسكها بكلمه خارجه
.. أن عادل محبوب من كل الناس .. وعلاقته بك علاقه بحرمها
كل الناس .. ونكس الناس يقولون أنك منذ أسقلت من حبيهم .
أسطعت عن زيارة أخت عادل .. وأن أمك أصبحت بعار من
مشروع الحوار . ومال الحلاق الذي يقع دكانه في شارعكم
القديم « يقولوا أن منه واحد ناشأ عبر ببحور البست الكسره
.. ناشأ في الدنيا عحاب . ناه حد يصدق أن السب بعده
مرات الرجل الطيب محمد أمدي السيد . سقى مرات واحد
ناشأ !

وعادل لم يئس ..

أن حابر نواب العماره براه بين كل يوم وآخر . وهو يسير
على أخصب المتابل وبربع عيبه الى شرمك ، ويراك وأنت
واقعه في استقبال عيبه .. وعم حابر يشهد أنك لا بحرحي
أذا وحدك .. أنك دائماً مع والحدك .. ولم يحدث إلا مرة واحدة
أن رآك بحرحي وحدك من باب العماره .. ثم يسير مسرعة
الخطا على شاطئ البيل وعادل حلفك .. وظل عم حابر يسلكها
بعينه حتى عينا في آخر الطريق .. ولكك عدت بعد منرة وحيرة
لم يسفرق أكثر من ربع ساعة .. عدت مسرعة الخطا أصا ،
وصعدت الى شريك .. وكانت هذه هي المرة الوحده التي
تخرج فيها وحدك خلال السنة شهور التي انقضت على أنفالكما
الى عماره شارع النبل .
ولككما تراسلان ..

أن فتحيه الحاديه الصغيره الغيبه . نزل كل صباح وتفتح
صندوق الخطابات الحاص بالسكان ، وتمش فيه عن خطابات ..

وفي فترات مساعدة تخرج منحنى من العبارة وفي يدها خطاب ثقيله
في صندوق البوسنة القريب ..

هذه هي المعلومات التي عرمتها عن عادل .. وعرفت منها
لمدا عارضت في الانتقال الى شارع النيل .. ولماذا بكيت كثيرا
ألمها .. وعرفت منها : لماذا تحبين حزيه يوما .. وسعدته
يوما .. وعرمت منها سر هذا الهدوء والاطمئنان والترفع ..
انه الحب .. حب عادل ..

ماذا أفعل به ؟

ماذا أفعل بكما ؟

انى لا استطيع ان امانس عادلا في حيك .. رحل في الحامسة
والخمسين « تنافس فتى في الرابعة والعشرين .. مسحيل !!
وامت بالذات .. انك لا تطعمين في مالى ، حتى اغريك به ..
وسيت في حاجة الى نفوذى حتى اعريك بنفوذى .. هل يمكن ان
يحبنى هذا الحب المحرد النظف .. كما تحبين عادل ؟! ..

ووجدت نفسي اقف امام المرأة وأطيل النظر في وجهي ..
ولاول مرة اكتشف هذه الأحاديث السود حول عيني ، كأن عيني
قد بوسدتا ظلام العرس .. وقد كان غرورى وبهايت النساء على ..
سعلاني اعتقد ان هذا السواد منه ما يعتر النساء .. كتبت اعتقد
انه كحل .. صنعته يد الله .. ولاول مرة انصا ارى الشعر
الابيض بملأ رأسي كأنه رايات الامتسلام للرمز .. وكنت
اعتقد - لغرورى ان الشعر الابيض فيه سحر يحذب النساء
.. كالورد الابيض .. وكتوب العرس .. ولاول مرة ارى حدى
مهدلين .. وارى شغى باهتين كان الرمز قد انصص منها
لون الحية .. وارى حسدى منتقها .. قصيرا .. كأنه كيس
مستفح بالذهب ؟

هل يمكن ان يحسى هذا الشيء الذى هو أنا ؟

هل يمكن ان تهجرى عادلا من احلى ؟

ولكن .. كيف أجروا على هذا التفكير ؟
بأي حق ..

ولماذا لا أترككم لحكمكم .. وأبارك هذا الحب .. واجمعكم
في بيت سعيد .. لماذا .. لماذا ؟

لماذا لا أحول اسمك ، بعد أن اشتيت الملايين ؟ !
لماذا لا أشبع من الدنيا ؟ !
لماذا لا أحترم نفسي ؟ !

لقد حاولت كثيرا .. ولايام طويلة .. ولكن فشلت ..
فشلت في احترام نفسي .. وكنت كلما أطلقت التفكير في عادل ..
ازددت تمسكا بك .. وتطور تمسكي بك ، الى رغبة فيك .. ثم
أصبحت رغبتي منك شهوة .. أصبحت اشتيتك ، بكل ما في
الاشتهاء من دس .. اشتيتي جسديك .. واشتيتي شفيتك ..
وأشتيتي خصرك .. وأشتيتي ساقك .. اشتيتك كما لم اشتته
امراة من قبل .. اني دائما اشتيتي الصعب .. اشتيتي ما يملكه
الآخرون ، اشتيت عشيقات الآخرين ، وزوجات الآخرين ،
وبنات الآخرين ، وأموال الآخرين .. والآن اشتيتك أنت ..
لأنك لست لي ، ولا يمكن أن تكوني لي .. شيخ في الخامسة
والخمسين يشتهي فتاة في الثامنة عشرة .. هل تدوين ما في
هذه الشهوة من عذاب .. انها أشبه بضرب الشيطان .. انها
أشبه بلسع النار .. انها أكثر من ذلك .. انها الأرق !

ورغم ذلك مكان على أن أكبت شهوتي .. أكبتها بعنف ..
فلم أكن أستطيع أن أطلقها .. كانت هذه الشهوة كحيوان يشع
أحمسه في صدرى وأخاف أن أطلقه أمامك فتخاف مني ..
وتحتقريني !

كنت أجن من أن أريك حقيقتي ..
وكنت لا أزال أطمح في أن أتال احترامك يوما .. نال احترام
نفسى !

ماكنيت بان احطم حيك لعادل .. ان امزق قلبك دون ان
تدري انا سر عذابك ، وانا المسكين المخروز في كبك !
كيف ؟ !

لقد كان عبد العظيم ياتى الى كل يوم بخبر عن عادل .. وكان
يلاحظ وقع هذه الاخبار على .. رعم المجهود الذى كنت ابدله الاندو
امامه هادنا .. وكان يفكر مثنى فى وسيلة يقضى بها على عادل ..
وقال يوما وهو ينظر الى كانه يشفق على :
— انا مثنى عارف الحكومة سايمة اله لاد اللى رى سى عادل
ده .. ازاي ؟ !

فلت وان لا اطر اليه حتى اترك له الفرصة ليسد د حطته :
— ليه .. مائه عادل ؟ !

تال وهو يعضل العصب :

— ده شيوعى .. ده شيوعى خطير .. ده طول الليل
والفهار قاعد على تهوة فى شرا وحواليه ثوية عمال بيدرس
لهم الشيوعية !

تلت وانا ابتسم ساخرًا :

— يا شيخ حرام عليك !

قال وقد ارتفع صوته :

— حرام على ازاي .. ده شيوعى حدا .. ده عصو فى
اللحة المركزية .. ده متصل بسالين رأسا .. أنا لازم أبلغ
عنه مدير الأمن العام .. بيسكه ويؤديه فى داهية .. أنا عارف
الحكومة بتعمل ليه .. دى حكومة نابية ؟ !

وكنفت اعلم ان عادل ليس شيوعيا .. وعبد العظيم ايضا كان
يعلم أنه ليس شيوعيا .. ولكن كانت تهمة الشيوعية فى ذلك
الوقت يمكن ان توجه ائى انسان نريد الحكومة — أو أريد أنا —
ان ننخلص منه .. ورغم ذلك مقد استقبلت اقتراح عبد العظيم
منبسمها كئلى ارتحت لمجرد تصور عادل فى السجن .. بعيدا

عك .. وفكرت مره .. مره تصيرة .. ثم فجأة صرخت في وجه عبد العظيم :

— أوعى تبلغ عنه .. ولا تعمل فيه حاجة .. انت فاهم .. انا باقولك اهو .. مش عايز عادل ده يجرا له حاجة ادا !!
وتراجع عبد العظيم الى الوراء وفي عينيه خوف اثارته فمه صرختي .. وقال ولساته يرتج :
— ده .. ده .. ده شيوعى !

قلت وانا انظر اليه بكل عسى .. النظرة التي يعرف بها مدى سيطرتي عليه :

— بلا شوعى ، بلا زفت .. اسمع الكلام من غير مناقشة !
وسكت عبد العظيم ، وتدلى رأسه فوق صدره ، وفهد كأنه يخرج من صدره ريح الشر ..

وكنت مملا لا أريد لعادل أن يدخل السجن .. لم اكر مشعنا عليه .. ولم تسبى نوبة حير وشهامة .. ولكي تنهت الى أنه لو دخل السجن مرة أخرى فسيزداد بطولة أمامك .. يصبح بطلا حميلا يسحق مزيدا من الحب .. حنك .. وقد بدمعك انحب الى أن تقدمي على تضحية من لعله ، وتزدادي بعصها على انتظاره ..

أن تحول عادل السجن ، هو وسام يعلقه على صدره ، ويتباهى به أمامك .. وأنا أريد أن تكرهه .. أريد أن يبني منه .. أريد أن اتمك بأنه لا يسحق حنك .. واقنعك به حسب غادر .. واجعلك نصورين أنه هحرك .
وقال عبد العظيم بعد فترة صمت طويلة ، وكأنه يئس من فكائه :

— آمال بمكر سعادتك تعمل فيه ايه .. نسيه كده راح حى تدام الصبارة ، وواكل عقل هدى ؟ !

ومهمات عندما ذكر اسمك ؛ كأنه يعايرني بعاهتي .. وتلت
وأنا أخفى عنه عيني :

— أنا متهيأ أن عادل ده جدع أس حلال .. أنت مش
ستقول انه عاطل ؟

ونظر إلى عبد العظيم كأنه يستعد لـ يرى صاروخا ينطلق
من رأسي ، وقال :

— أبوه .. ما حدش عايز يشغله !!

قلت في هدوء :

— شوف له شغلة !!

قال وكأن أمه قد خاب في فكائي :

— أشوف له شغله فين ده كمان !!

قلت كأنني أنهى عملا :

— شركة التصير للماحم كانت عايزه موظفين .. اسعته
هناك !

قال في غيظ :

— اودبه البحر الأحمر بقعد هناك بين العمال عشان يعمل
لما ثورة !

قلت وأنا أنتسم له لاهديء من غيظه :

— ولا ثورة ولا حاجة .. الشبان اللي ري دور اول ما يلاقوا
أكل عيشهم .. يطلوا مياة !!

قال وهو يصيح شتمه كأنه شخص سوء خطه :

— أنا مش مطمئن للمشروع ده !!

قلت :

— حثيها على مسئوليني .. وإذا عمل حاحه برحمه بعد
شهر ولا شهرين !!

قال :

— وإذا ما رضيش يشتغل ولا يسافر ؟

قلت :

— نبقى نفكر فى حاجة تانية ؟

وقام عبد العظيم ووجهه كتلة من الغرف ، وما كاد يصل الى الباب حمى عاد والتفت الى قائلا كأنه ينهني الى شيء نسيته :

— انما ده أول ما خيلتى شغل حايتكم على هدى ويتحوزها ..
قلت :

— ما يتحدرش .. أنا دلوقت أنوها .. وأنا اللي لازم
أوافق ؟
قال :

— ده لسه باعت لها حواب اسارح :

قلت وأنا اضع بين كلمانى مغرى يمهه عبد العظيم :
— ما تشوف لك حل فى حكاية الحوات دى .. اظن
مايفيش لازمة لها ؟

قال وهو يفتح الباب ويخرج :
— حاضر ؟

ولم يكن من الصعب على عبد العظيم ان يحول دون وصول
الخطابات عادل اليك .. كل ما حدث ان جابر المواب اصبح يفتح
صندوق الخطابات قبل ان تمنحه خادمك الصغيرة العبية ..
وقرات أول خطاب من عادل حصل عليه جابر المواب ..
ولم اكن ادرى ان الخطابات الفرامية بين حبيبين فى عمر
الشباب .. يمكن ان تكون مثل هذه العفة .. ويمثل هذه
السياسة .. انه لا يتغزل بك .. ولا يشكو .. ولا يتاوه ..
انما يحدثك حديثا واصحا جادا عن مشروع الرواح .. عن
بيكما .. وعن الابواب التى يطرقها ناحيا عن عمل .. ثم يحدثك
عن اخته ، وعن أمه .. وعن ..

وهنا انطلقت عيني تلقهم السطور ، والكلمات تقفز فى وجهي

كأنها تصغى .. سمعات كثيرة ، قاسية مؤلة .. انه يقول
اك :

« اى لا اسطيع الى الآن ان اقع بما يقوله عن هذا الباشا ..
.. انك تعلمين انه يرد حميل والدك عليه .. وتقولين انه لم
يبد منه ما يسيء اليك ، او الى عمى نفيده .. هذا كلام لا اسطيع
ان اصدقه أو افنعه به .. اى اعلم أنك صالحة مما تقولين ..
ولكن هذا لا يعنى انك لست محدوعة فى هذا الباشا .. ان هؤلاء
الفاشوات لا يردون حميل احد عليهم .. ولا يفعلون خيرا لوجه
الله .. لاند ان هناك شيئا وراء كل هذا .. شيئا لم اكتشفه
بعد .. وهم يقولون فى شعرا انه سيمتزوج عمى نفيده .. ويروون
حكايات اثنه بالأساطير ، يحاولون ان يفسروا بها هذه الممجرة
الى حدثت فى حيهم .. وقد كدت اقاطع اهل الحى كلهم ، ولم
اعد اذهب الى دكان الاسطى حليل الحلاق .. فأتى لا اطيع ان
أسمع حديثا عنكما .. اى واثق من ان عمى نفيده لا تفرط فى شيء
يشيها ، ولكن المقاومة لها حدود ، والاغراء ليس له حدود ..
ثم انى احس احساسا عميقا بأنك أصبحت تعيش فى ديبا ليست
ديباى .. ديبا بعيدة ، محيية ، تثير فى صدرى روح العداء ..
وكم كنت اتنى ان اراك ثابته فى شعرا .. فى بيتكم القديم ..
اراك تعيشين مثلنا .. فى ساطة .. وتزورين احدى .. و ..
ولكن ربما كانت عمى نفيده على صواب اذ قاطعتنا وقاطعت
حيها . انك لو حثت اليها الآن لالفت حولك الناس ، واحدوا
منظروا اليك كمخلوق عجيب .. ولكن ثقى اى لم أناس ..
سأحد عملا .. وسيتزوج .. ولو اضطرت ان احطم الدنيا ..

واعذب قراءة السطور .. كأنى أعرض وجهى مرة ثانية
للمسمع .. ثم خطبت يدي على مكتى .. وقمت أروح وأعدو
فى العرمة . كالأسد العاصف . وقد امتلا صدرى بالثورة حتى

لم يعد فيه مكان لضميرى .. وانطلقت منه طاقة رهبة ..
تتحدى .. وتدمر ..

لم يعد عادل انسانا يحبك ..
ولكنه أصبح انسانا لا يحبني !!
انه يريد ان ياحتك متى حى لو كنت كريما معك .. حتى
لو اعترفت لكما بحكما ..
ان المعركة اعطت ..

معركة بينى انا ، بكل هبتي ، ونفوذى ، وثرائى .. وبين
هذا الشاب النامه الذى لا يدري به احد ..

ورغم ذلك فقد كنت مضطرا ان اكنم غيظى .. وان امود
المعركة فى هدوء حتى لا احطىء فاجعل من عادل شهيدا ، فيسمو
فى عينيك وفى قلبك .. كنت اريد ان احطم حب عادل فى قلبك .
قبل ان احطم عادل نفسه !

وفى خلال اسبوعين ارسل لك عادل ثلاثة خطابات ..
استوليت عليها .. وفى الاسبوع الثالث مرلت الحادية الصغيرة
العبة من العمارة وفى يدها خطاب .. وتلقاها عم حابر البواب .
ليسألها فى لهجته الامرة التى يخاطب بها كل حدم العمارة :

— رايحة عين يا بت !!

وقالت الصغيرة وهى ترتعد اهلها :

— رايحة ارمى الحواب ده فى صندوق البوسنه ..

قال :

— حواب لمين ؟

قالت :

— ده حواب من ستى هدى .. باعتاه لخالها فى اسكندرية :

قال :

— وربنى كده !

واحد منها الخطاب : وقرا عليه اسم عادل .. ثم مادي

أحد مساعديه من نوابى العبارة ، وأعطاه الخطاب . وأمره أن
يضعه في صندوق البريد .. ثم قال لمحبته الحادية :

— أرحمى أنسى يا بنت ..

وقالت مبهجة وهى ترمع :

- دى سسى تموسى .. دى موصياتى أرمى الحواب فى
الصندوق سمسى !

وصرح فيها عم حابر :

— ملاش مرقعة ساب .. سنك موصياتكى . ولا اسى الى
عابره نلعى فى السنك . على مين اللعب ده .. ادا كنى حايمة
من سنك ما تقوايش لها حاجة !

وسكنت محبة أمام سطوة حابر النواب .. وظلت سنك ،
ثم عادت البك دور أن يقول لك شيئا مما حدث .. بل اقتسبت
أنها وصعت الخطاب بيدها فى الصندوق ..

وجابنى خطابك ، ومعه تقرير بكل ما حدث ..

وقراته .. أنك تشادين عادل .. « عزيزى عادل » ..

ولكن الحروف كلها سطو بالحب .. أسى مراتب الحب ..
الحب العف الحول الذى يلف فى غلالة ، ويصن عن أن يعذب
عن نفسه ولا يعرف إلا طريقا واحدا .. طريق الزواج .. وفى
الخطاب دموع تانى أن يصيح عن نفسها بحفى حلف السطور .
أنك بشكى له من بأحر خطاباته عمك .. ويقولين أن خطاباته
أصبحت الباءة الوحيدة التى تدخل منها الحياء .. ويروى له
حبا خطر لك فى يومك . وشياء من منه .. ثم يقولين له :

« أن الناس الذين يحبطون بنا بغيرون دهشى .. كأن لى
وراءهم هم إلا اللبس والقلع ، والتهور ، وحصور الحملات ..
اسى أحسن انهم مسحورون منى عندما أحدثهم عن ثوب صمعه
بمضى .. أو عندما يرونى اكفى حصرتى .. وقد حاولت
« شوشيت » أنه طلع بمبرمة التى حدثتك عنها أن تعلمنى أرفقى

مروضت ، وأحدث نرقص أمامي وأنا أشفق عليها .. أنها عبيطة ..
ليس في رأسها إلا الرقص .. وقد تصايقت جدا ، جدا ،
من هذه الحياة .. أسي في كل يوم أتمنى أن أعود إلى شبرا ..
وصورة طبط وبسيمة لا تعيب عن قلبي لحظة واحدة .. ودائما
أكرهما .. و .. « ..

أسي هذا الحد تحبينه .. ؟

كل هذا الثراء الذي أحطت بك به ، لم يهلك عن شبرا وحنيك
ألمها ؟ .. أمك كوالدك .. غاوية فخر !!
ورغم ذلك ملئ أتركك لمصبر والدك !!

وقد رايتك خلال هذه الأسابيع .. كنت أزوركما دائما ..
وبدأت المح غلالة من الحزن العميق الصامت تلف حول وجهك
الحبل .. لقد ارتدت صمما .. وانطواء .. وفي عينيك نظرات
حائرة . كارك سعديين ولا تدريس سر عداك .. وكنت لا تكادين
مطلسي سنا حتى يعودى إلى عرمك .. ثم تأتي النامرة ثالثة
.. ثم يعودين إلى عرمك .. والنظرات الحائرة في عيسك ..
تظراب مسائه .. في تناولها ألم .. سائلين بها كلامنا ..
وسائلين الحدرا .. وقطع الأثاث .. وسائلين الله .. ابن
عادل .. أين عادل ؟!

ولم أكن أستطيع أن أواجهك بمعنى .. كنت كالمحتال الذي
محمى عسبه عن صحبه حتى لا يفسح احتياله .. وكان الشيء
الذي في صدري ينحرك بصف ، ومكتم أنعاسي ويمزق رنتي ،
ولكني كنت أحتل ، وأمنى نعمي بأنى بعد أن أعود عك عادل ..
مستسيغه .. وسنكون هذه آخر حريمة ارتكها وأوثيك بها ..
وبعدها مستخلصي لى . وسأستطيع أن أكت أشتهاى لك ..
وسأندو أمامك بطفنا نعا لسخذي متى والدا . شعر بحتانك ..
واحترامك !

ولكن عادل لا يزال مسكع أمام الرصف المقابل .. وهو سدو

دائما عصفا لا يرفع رأسه اليك كما يعود .. انه يشكو في
حطاناته انى اسولى عنها — من اهلك له . وعدم الرد
عليه .. ونهيك بأن الحياة الجديدة التى يعيش فيها قد أسرك
وانسك وعدك ..

وقد حاولت انت مرة أن نحرى اليه . عندما مر يوم محب
شريك .. ولكن حيريه وأمك حائلا دون خروجك من البيت ..
وكان يجب أن أمنع عادل من مسكه محب شريك ..
.. يجب أن أسعه حالا قبل أن يصبح سكما امر الحطانات
المسروقة !!

ماذا أمل ؟ !

ولم أجد تفكيرى كثيرا .. انها وسعت حظه مسطحة سدو
من ساطعها كسها حظه سادجه !

أعقت مع حزمة على أن بدعوك اب وأمك لنضية يومين
في غربها الغريبه من القاهرة .. وكنت أقصد من ذلك أن أسعدك
عن العماره الى أن أخلص من عادل .. وقد قتلت والدتك
الدعوة . واتقدت اب وراءها في اسمسلام .. كنت يأسه الى
حد لا تستطيعين معه الا أن تستسلمي ..

وبعد ذلك بدأت أجد بقه الحظه عن طريق الامانات الى
أعقدها مع عبد العظيم .

جمع عم حامر البواب اعوانه وير سوا لعادل حين مر أمام
العماره .. وأقضى يوم ويومان . وثمرته أيام . وعادل لا يظهر
.. وأنا جالس في مكنتي في امطار الأناء . كأتى أقود معركة
حقيقه .. وخبرته نصل من بالثيمون ويسألني :

— متى يرجع بأه يا حسين .. أنا عدى مواعيد في مصر ؟ !
فأقول لها في رجاء :

— خذكو عندكم كمال يوم .. عشتار خاطري !!
وفي اليوم الرابع مر عادل أمام العمارة .. ورفع رأسه الى

شرفتك . فوحدها مطقة .. وتمدى العماره ، ثم رجع يسير
إليها مرة أخرى .. وهنا انقصر عليه احد أعوان عم جابر ووقف
في وجهه سارخا :

— أنت بتعمل إيه يافندي أنت ؟!

وقال عادل وعيناه تضطربان :

— وأنت مالك .. باشم هوا !!

وصرخ فيه الرجل :

— باشم هوا .. ده أنت بتالك ست اشهر رايح حاي

تدام العماره .. ما شمعش شم هوا .. يافندي يا هرؤ .. يا ..

ورفع عادل يده ولكن الرجل في وجهه .

وفي لحظة كان كل أعوان عم جابر وأسمهم بوابو الحى ، فوق

عادل .. وخرج من بينهم معنو وقد تمزقت ثيابه وتورم وجهه ..

وعدت أنت من عزمة خيرية ..

ولم يعد عادل يمر من تحت شرمك .. لم تقع عليه عيبك

منذ ذلك اليوم .. ولكنه أرسل اليك خطابا استخويت عليه ،

يروى لك فيه ما حدث له ، ويؤكد لك انه لم يعد يمر إمامك

لا خوفا من البوابين ولكن حرصا على سمعتك في الحى ، وأنه

كان يستطيع ان يجمع أصدقاءه وأهل شبرا وينتقم لنفسه من

هؤلاء البوابين . ولكنه لم يفعل .. حرصا على سمعتك أيضا ..

ثم يقول لك . وقد بدا الناس يتسرب الى سطوره ، انه عرضت

عليه وظيفة في شركة القصير على ساحل البحر الأحمر ، وأنه

يفكر في قبولها .. ولكن قبل أن يقبلها سيقيم على محاولة

أخيرة .. سيرسل لك والدته واحده ليخطبك اليه .. ليعرصا

عليك الزواج .. ليأخذاك منى ؟ !

هل تستطيع ان تأخذك منى ؟ !

وفي خلال هذه المرة الطويلة كانت مظاهر الحياة التي
تلتكها اليها قد بدأت تتسرب الى بيتكما .. كانت خيرية تدفع
والدتك برغى ، ولكنها لا تكف عن دفعها .. وكان يميل الى أن
خيرية قد بدأت تتلذذ من هذه المهمة التي كلفتها بها .. أصبحت
كالعالم الاحصاءى في رواية « بجماليون » الذي صنع من احدى
بنات الشارع ، سيدة من سيدات الطبقة الراقية ..
وتد دعتكما خيرية لزيارة في بيتها لترىكما كيف تمبش ..
وأخذت أمك في زيارات لبعض صديقاتها لقرىها أن البيوت كلها
معروشة بالمقاعد الأوبيسون المدهمة .. وكانت والدتك بذكائها
سحاول في كل مرة تزور منها خيرية أو احدى صديقات خيرية ،
أن تتعلم شيئا جديدا .. كانت تخطو خطوات مترددة بطيئة ،
ولكنها خطوات لا تتوقف .. وكانت ترهب هذه المظاهر الجديدة
التي يواجهها ، ولكن الرهبة بدأت تخف يوما بعد يوم .
وكنتم لاحظ كل طور يطرأ على والدتك وعليك بدقة ..
كالى أرقب بحيرة كيميائية مثيرة .. لاحظت أن كعب حذاء والدتك
قد أرفع قليلا .. ولاحظت أول مرة سقطت فيها طرحتها عن
رأسها .. ثم لاحظت أول ثوب ملون ارتدته .. وكان لونه
رماديا .. ثم لاحظت أول مرة علقت فيها أمك من عند الحلق
الذى صحتها اليه خيرية .. ولاحظت أول مرة نثرت فيها ثلثلا مر

« أربيع » .. ولاحظت ضحكتها وهى تتسع يوما بعد يوم ..
ودخل بيكم أول سمرجى .. لقد كان يعمل عند خيرية وأهدته
لكما .. ثم دخل أول طباح .. ثم لاحظت أول ثوب ترتديه أمك
وقامت بتفصيله بمس « انخياطة » التى تصنع ثياب خيرية ..
وأول ثوب حاهز ترتديه انت .. لقد قالت لى والدتك أنك
عارصت كثيرا ، لأنك لازلت تصرين على أن تصنعى ثيابك بنفسك
.. وقلت لى انت : « ده أنا أقدر أعمل بثمنه سبع فساتين »
.. ووضعت تحت أمركما سيارة وسائقا .. وكان هذا السائق
يلمى أباركما أولا بأول ، وكان رسولا بينى وبينكما ، بدلا من
النظيرون الذى كنت أصر — حتى ذلك الحين — على عدم ادخاله
فى بيتكما .. وأخيرا .. طردت أمك الحادمة فتحية .. الحادمة
الصغيرة العيبة .. ويوم طردت أحسست أن هذا هو اليوم
الأول الذى انتقلنا فيه من حى شبرا .. وأحسست أن أحدا
لن يجرؤ بعد اليوم ، على أن يفلق باندكما فى وجهى ..
وكل هذه التطورات كلمتني ثما عالى ..

كانت والدك قد أقبلت على الشراء ، بعد أن تعودت أن
تحيل حساب ما تشتريه على .. وكنت أنا الذى أدفع أجر
السفرجى ، والطباخ ، والسائق .. وثنى سزير السيارة ..
ورفعت المبلغ الذى أدفعه لكما كل شهر ، خمسين جنيها أخرى
بعد أن شكت من مصروف المطبخ !!

ولم أكر سعيدا وأنا أدفع من جيبى كل هذه النفقات ..
كنت كلما تسلمت فائورة ، أو دمعت مخصصاتكما فى أول كل
شهر ، أحس كأنى أقتطع من لحمى قطعة أرميها فى البحر ..
وكنت أسائل نفسى : لماذا .. لماذا .. وكان يخيل الى
أحيانا أنى جنت .. ولكن كان فى أعماقى دائما أمل يغرينى بأن
أستمر فى هذا الحنون .. كنت اعتقد أحيانا أنه أمل فى أن أصبح

رجلا شريفا ، يعطى دون ان يأخذ .. وكنت أحس أحيانا ان هذا الأمل يحضى تحته دافعا خبيثا .. دافعا لأن ائذل والدك هيكما .. ان أستولى على زوجته وعلى ابنته بعد أن عجزت عن الاستيلاء عليه .. دافع لأن أمتلك كل الفاس .. وأدلهم !! ورغم ذلك .. رغم كل هذه التطورات التى خطرت على حياة والدك .. فان طبيعتها لم تتغير .. تغير ثوبها ، وحذاؤها ، وتسريحة شعرها .. ولكنها هى نفسها لم تتغير .. رغم أنها حاولت ان تتغير .. حاولت ان تغير عقليتها .. وحركات يديها .. ونظرات عينيها .. ولكنها لم تستطع .. لم تستطع أيضا ان تضيف الى بيتها هذه اللمسة التى تعبر عن رقى الذوق النسائى .. ملا يزال فى الحمام ملشت غسيل وقنقاب .. وقد وضعت فى الزهرية وردا صناعيا مما يباع على رصيف شارع فؤاد ، الى ان اقمعتها خبيرة بان البيوت الراقية لا تدخلها الا الورود الطبيعية .. كانت أمك كالغراب الذى حاول ان يتبدل الطاووس فى مشينه ، فلم يستطع ، ونسى مشيته الأصلية .. وأصبح يقفز قفزات مضحكة !!

وكنت قد تعودت أن أتناول طعام الغداء عندكما أغلب أيام الأسبوع .. وعالما ما تكون معنا خبيرة وأحيانا كثيرة يكون معنا عبد العظيم .. ولم تكن ندعو والدك الى سهراتنا .. كنا نعطى عنها فى الليل ..

وكأنت أحاديثنا قد تبسطت ، ووجدت منافذ كثيرة .. ثم نعد نحس بالافتعال ونحن نضادل الأحاديث معكما .. كان كل ما نحرص عليه الا نكون ماجنيين .. الا نمس حياء والدك أو حياك .. كنا نعلم ان أكثر ما تحرصان عليه هو الشرف .. الشرف كما تعمه الطبقة الوسطى .. هذا الشرف المتعلق بالجسد .. وقد استطاعت خبيرة ان تكتسب ثقة أمك بأن

أنتعنتها انها امرأة شريفة لم يمسها رجل الا روحها .. وان كل
نساء الطبقة الغنية شريفات .. جدا !

ولكنى بدأت لاحظ ان والدتك تعاملنى معاملة ارق مما
يقتضيه شرف الطبقة الوسطى .. كان وجهها يتهلل بمجرد ان
ترانى ، كانتا ترى في وجهى ليلة القدر .. وكانت عينها لا تستطاع
عنى فاذا التقت بهما عيناي تصاعدت الدماء الى وجفئها ، وارخت
جفئها كالغبراء .. وكانت عندما تصافحنى احس بيدها ترتعش
في يدي .. وكانت تكاد تدلننى .

شكوت مرة من حذائى عقب الغداء ، وخطمته .. فاشترت
لى في اليوم التالي شسبها واحتفظت به لى في بيتها ..
وكنا مجلس على مائدة الغداء ، فلا يهتم الا لى .. كل من ده
يا حسين .. ده انا الللى عملاه بنفسى علشان حاطرك .. كل
يا حويا ده انت ششقى ، وتتموت نفسك .. انا من يوم ما عرفت
انك بحب الوبكة ، اديت امر للطباخ ان ما حدش يصل الوبكة
في البيت ده الا انا .. الخ !!

وكنت التقت الى خيريه ، وأنا أسمع هذا الكلام ، فأحدها
تسسم ، وتحفى تحت اسمائها صيحة كبيرة ..
وأعود أنظر الى والدتك .. الى عبقها العاجى المشرب
بالاصفرار .. العاج الذى اختزن طويلا في محل العادات ..
والى عينيها اللتين يطل منهما نكاؤها الساذج .. والى وحشيتها
المنفجحين كأنهما شهرتا تماح طابعا حتى بدا العفن يدب فيهما ..
والى شفسها المصوممين في رفق كان احدهما تحصى الاخرى .. من
شفتى غريب .. واتسائل :

— ماذا تريد هذه المرأة ؟ !

انى لا اريد شيئا .. مستحيل .. لا اريد شيئا انا !
ولكن المعالجة الكبرى كانت يوم دخلت والفت الى جدل
حجرة الصالون .. فلم أجد صورة المرحوم !

وانتسمت في صدرى ابتسامة خبيثة .

هل انتصرت عليه ؟ !

هل طردته ؟ !

هل عرف وهو في منزه انى كنت على حق في اختيارى الطريق

الذى سلكته ، واذى رفض ان يسير معى فيه ؟ !

هل اتسع باني اسطيع ان اشترى كل شيء حتى روجته

وابنته ، واضعها في بيت ليس فيه صورته معلقة فوق الجدار ؟ !

ولاحظت امك انى اطليل النظر الى مكان الصورة .. المكان

الشاعر .. فقالت وهى تخفى عينيها عنى :

— اُصلى بعث اغبر البرواز .. ملاكثش مائى مع الصالون !

وتدفقت الدماء الى وحيثها .. الى التفاح الذى دب فيه

النعطن .. ثم تشاغلتن عنى ، وتطاهرت بانها تعدل من وضع أحد

المقاعد لتندارى ارتماكها .. واحذت ارقبها بعين خبير .. خبير

في النساء ؟

ولكن ، ماذا تريد !

ماذا تريد امرأة من الطبقة الوسطى ، من رجل مثلى .. امى

اعطيتها من مالى أكثر مما تطمع فيه .. فماذا تريد أيضا ..

وسألت خبيرة على انفراد :

— انتى قلتنى ايه عنى لتفيده !!

قالت وهى تضحك :

— ولا حاجة .. قتت لها انك معجب فيها خالص ، وانلغة

منعشرها ست بيت ممنازة !

وسكت ..

انها الطريقة التى تعودت خبيرة ان تقود بها النساء الى

مراشئ .. ان تسقط في ادب كل مسهن كلمة تشير بها لمبوحها .

وعادت خبيرة تقول :

— على فكرة .. أنا لسه مصممة ان فوذك انحط توى !!
— احفلك بايه .. أنا مش عايز منها حاجة ..
قالت :

— ما فيش لازمة .. أنا عارفك كويس !

.. وكنا مدعوين الى الغداء عند خيرية .. أنا وأمك وعبد
العظيم .. ولم تكونى معنا .. تعمدنا أن نتركك فى الست ، مقد
كنت أريد أن أحدث أمك عنك .. كنت أريد أن أعدها لزيارة أم
عادل وشقيقته ، اللتين قال عادل فى خطابه ، انه سيرسلهما
ليخطبك اليه ..

وجاءت أمك تنازح فوق حذائها العالى ، تميل أحيانا الى
الأمام كأنها تكاد تسير على ركبتيها ، وتميل حيناً الى الوراء كأنها
تكاد تقع على ظهرها ، وتضطر لكى تحفظ توازنها أن تتنى ساقيها
وهى تسير ، فتدو كشخ يخب فى قفطانه ..

وقامت خيرية تستقبلها ، فاندفعت عليها أمك وقبعتها فوق
كل من وحسبها ، بينما خيرية تنظر الى من وراء ظهرها كأنها
يقول لى : « عاجبك المصائب دى ؟ » .. وتجاهلت نظرة خيرية ،
وانحنيت أقبل يد أمك ، وهى تصافحنى .. كانت المرة الأولى
التي أقبل فيها يدها .. كنت فى حاجة يومها الى التودد اليها ..
وتد حاولت أمك أن تسحب يدها قبل أن المسها بشفتى .. ولكنى
أمسكت باليد ، وضغطت عليها بأصابعى ضغطة خفيفة ، ثم
ضغطت موتها بشفتى .. أحاول أن أثير معنى خاصا فى رأس
أمك ، وقتلها .. واستسلمت هى .. لقد رأتى أقبل يد سيدات
كثيرات .. ورات رجالا كثيرين يقلون يد خيرية .. وعرفت
أنها عادة يقرها محتسنا .. ورغم ذلك فقد غلبها طامعها — طامع
الطبقة الوسطى الصغيرة — وقالت ويدها ترتعش بين أصابعى :
— العفو يا باشا !!

ورمعت رأسي ونظرت اليها .. الى وجنتيها اللين طابتا
حتى بدأ العطر يدب فيهما ، وقد احتقنتا بدماء الحياء غبدت كل
مهما كانها دمل كبير .. ونظرت الى عينيها وقد أرحتهما كأنها
عروس تعيش في حلم ليلة الزفاف .. وقلت :
— أنتي النهارده شيك خالص ، يا تبيده !!
وازداد ارتباكها وهي تقول :
— كله من خيرك !

ثم سارت في خطوات أكثر ترنحا ، ومدت يدها الى عبد
العظيم الذي صامحها وهو يشيح منها بوجهه ، كأنه يبتعد بأنمه
عن رائحة كريهة .. أن عبد العظيم يكرها .. ويكرهه .. ويكره
خالك .. يكره المشروع كله الذي يدور حولكما .. لا أدري
لماذا .. ربما لأنه لا يستطيع أن يفهم هذا المشروع ، ولا أن يفهم
ممراته ودوافعه .. لا يستطيع أن يفهمني !

وجلسا يتحدث .. حديثا عاديا نحرس خلاله على أن
يسامق أمك ، وعلى أن ندو شرفاء .. الى أن قالت خيرية :
— دى هدى اليومين دول بقت زى الورده .. ده انا اعرف
شوية شبان معجبين بيها جدا .. ابن المرحوم شريف باشا ،
وابن الاميرة انحى ، وابن خليل باشا عند الله .. وغيرهم
كثير .. كلهم بيتقولوا انهم ما شفقوش بنت بالادب ده
ولا بالجمال ده ..

ولمعت عينا أمك ، كأنها امعكس عليها بريق قاترية جواهرجي
.. ثم احففت نظرتها سريعا ، وقالت كأنها تحميك من الحسد :
— والسى ده هدى همتانة ومش عاجباني اليومين دول ..
بس لو كنتك تسمن شوية !
وقلت قل أن تعمق أمك من أحلامها .. الأحلام التي تراك
فيها زوجة لابن باشا أو ابن اميرة :

— الحقيقة احنا لازم نمكر فى جواز هدى من دلوقت ..
مانيش حد يا نفيدة تعرفه وينفع لها ؟

ومد عند العظيم وجهه الى كانه محاول ان يقرأ عيني ، ثم
كور شفتيه العليطين كانه ييصق على الارض ..

وفالت امك وهى تضع اصبعيها تحت فمها .. لا تزال
بنت بلد .. كأنها لا تجلس على مقعد اوبيسون مذهب ، ولا ترتدى
ثوبا حاكمه لها مدام « سلفاتى » ونمعت ثلاثين جيبها ثبنا له ..
وقالت :

— والنسى ما اعرف حد .. اما لما كنا ساكنين فى شبرا

.. و ..

وصاحت خيرية تقاطعها :

— شبرا .. هدى تنجوز من شبرا !

وقلت معقبا كاتى اخبط امك على رأسها خبطة اخرى لانيها
من ذكريات شبرا :

— لا .. لا نعيد .. هدى لازم تحوز واحد يعرف يعيشها
زى ما هى عايشة دلوقت !

قالت امك وهى تدبر عينيها بينى وبين خيرية كأنها تعففر لنا :

— ماهو انا كمار باقسول كده .. ده انا حتى بالامارة ،

لا باروح شبرا ولا بقيت اعرف اللى فيها !!

ملت وانما أضغط على كلماتى :

— بكره يجروا وراكى .. ويطمعوا فى هدى !

مالت كأنها تطمننى :

— ومين يديهم وش .. ده بدهم .. ده انا فاهياهم

وعاجياهم وخابزاهم !

وانتسمت وانما اسمع اسلوبها فى الحديث .. انى احاول

ان اعمل المستحيل .. اذ احاول ان ارتقى بها من طبقة لطيفة ..

واحسست كآسى اشفق عليها .. وى شفقى كثر من السحرة
والأزدراء !

وقمنا الى مائدة الغداء .. وطافت بنا الاطباق ، وأمك نعلق
على كل طبق كأنها تخشى أن يعصنى :

تعمرى يا حيريه ، كان حق الطماح يزود السنة فى الرز
شومه !

وقالت خيرية وهى تحاول أن تقلدها فى حديثها :

— لك حق يا تفنده يا أختى ..

وطاف الطبق الثانى ، وقالت والدتك عندما رأتنى مقبلا عليه :

— برضه اللحمه عابزه سوا .. ده انا باعمل اللحمه

ام شفتساق ، انها ترد الروح !

وقلت أمك كآسى أريجها من مخاوفها :

— الحقيقه يا نعيده ألى ياكل من أيديك ، ما بقدرش ياكل

اكل اى طماح .. ده اتقى ست بيت عحيه ..

وعادت الدماء تتصاعد الى الوحتين اللتين دب فيهما ابعطن

.. وسكنت وقد أرخت جفניה كأنها اقتنعت بأنى أطلقها للزواج ؟

وبقل عبد العظيم عينيه بينى وبينها ، ثم كور شمعيه الفليظتين

كانه بهم مرة أخرى بأن يصق على الأرض ، ثم عدل عن رأيه

وابتلع بصقته !

وانتقل الى الصالون بعد أن انتهينا من الغداء ، وتعبدت

أن اجلس بجانب أمك .. وهى تتعد عنى ، ثم تقترب ، ثم

تبتعد .. كأنها بدول ساعة خربة .. أو كأن أنفاسي تثير فيها

رعشه ..

وطافت بنا كئوس « اليكير البيرمنط » وتناول كل كأسه

وبدت أمك يدها .. ثم عادت وسحبته .. وقلت لها مشجعا :

— ده نعناع .. بهضم !!

ورشفت من كآسى كآسى القى عليها الدرس الأول ..

وبطرت أمك الى خبيرة .. فتجاهلت نظرتها لتنتقمها ان شرب
« البيرمفت » امر عادي لا يستحق تبادل النظرات .

ولم تنظر الى عبد العظيم ، ولو نظرت اليه لراى عينيه
سحلقا فيها ، وانماسه تنهدح ، كأنه يرتقب سيف الجلاد مرغوعا
فوق رقبة برىء !

ومدت أمك يدها والنقطت الكاس ، ثم عادت وترددت ،
وقالت والكأس قريبة جدا من شفيتها :

— منهيأ لى انه خمره !!

قلت ساخرا ، هازئا بها :

— خمره ايه .. باقولك ده روح النعاع .. عمرك ما شربتي
روح النعاع !

وجرحتها لهجتي الساخرة ، وكأنها ارادت ان تثبت لى انها
ليست جاهلة ، فقلت :

— بس انا باحبه مغللى !

قلت :

— نوقى ده بس .. ده معمول فى فرنسا ، ويبيجى جاهزا
معنى فى القزاز !

وعادت تنظر الى فى تردد .. ثم تغللت على تردها ، ورفعت
الكأس وقدمت بكل ما فيها الى جوفها .. ثم ازدرد وجهها وسعلت
سعالا حادا ، واخذت تصرب على صدرها سدها ..

ولم يضحك أحدا .. كلما ضحكائنا فى صدورنا ، حتى
لا نخرج كبرياءها .. وقالت وهى لا ترالى تسعل :

— يا .. ده ثقيل قوى .. مش كنت تقوللى يا حسين ..
أخص عليك !

وقالت خبيرة :

— أنتى اللى لازم عندك برد !

وقلت وأنا أحبط بدي على طهرها لأساعدها على التخلص
من نوبة السعال :

— عرفتى بأه أنه نفعان ؟ !

قالت :

— بمس ثقل قوى يا حبيب .. دول زى ما يكونوا جاسوا

لمدان نفعان وعصروه فى كبايه !

وضحكت .. وضحكت خيرية .. واكتفى عبد العظيم بان

ينقسم ابتسامه كبيرة .. كأنه يحس الخطيئة وهى تسمى نحو

حسد جديد !

كان هذا هو أول كأس فى حياة أمك ..

كأس من خمر النفعان ..

ولم أكن أدري أن كأسا واحدة .. يمكن أن تجر وراءها

بحرا من الخمر !

وقلت لوالدتك بعد أن استراحت من نوبة السعال ، قلت كئيب

أفكرها :

— تفكرى هدى سحور دلوقت ، ولا لسه بدرى ؟

قالت :

— والنس ما انا عارفه يا خويا .. انها هى عدت الستاتير

سنة !

قلت :

— على كل حال العريس نحت ايدى .. انها انا باشوف

نسنى شوية .. يعنى حاتسمنجل على ايه .. انا حاجوزها

احسن جواز فى البلد !

قالت :

— اللى شوفه يا باشا .. ما هى بنتك !

واطمأنتت .. عرفت كيف اثير أطماع والدتك فى زوج ثرى

مثلى ، لا يعود بك الى حى شبرا .. ولا يكون : عادل !

وبعد أن خرجنا ، اتصلت بخيرية في الطيفون ، واتفقت معها على بقية الخطة .. قلت لها أن والددة عادل وأخته ستزورانكما يوم الخميس صباحا ، لتخطبك اليه وانها يجب أن تكون بحافب والدتك حتى تعسد هذه الزيارة ، بحيث لا تعود أم عادل تفكر في زيارتكما مرة ثانية .. وحتى يئأس عادل من هذا الزواج .. وأوصيتها أن تعمل على إبعادك عن البيت اثناء الزيارة ، وأن تعمل على ألا يصلك خبرها ..
وتم كل شيء كما أراده ..

وذهبت خيرية اليكما في الصباح الباكر من يوم الخميس .. ولم يكنى ، لا أنت ولا أمك على علم بالزيارة المرتقة .. فقد اكتفى عادل بتحديد موعدها في خطابه .. الخطاب الذي استولت عليه ..

واستطاعت خيرية أن تقنعك بأن تذهبي مع انتهيا الى الضباطة ، وهكذا أخرجتك من البيت .. وجلست مع أمك في غرفة نومها .. تتحدثان وتسلط عليها كل ذكائها ولباقتها الى أن ارتفع رنين حرس الباب كأنه يعلن رفع الستار عن الفصل الاول من المسرحية .. وجاء السفرجى يبلغ أمك أن بالباب سيدة تقول أنها « الميت أم عادل » وكريمتها .

ورسعت أمك حاحبها في دهشة وقالت :

— دى ست شفيقة جارتنا في شبرا .. يا ترى ايه اللى جانبها دلوقت .. ده أنا ما صدقت انساهم !
وقالت خيرية :

— لازم وحشتيهم .. ولا عايزين يطمنوا عليكى .. ما هو سعد ما الخير يرل على واحدة ، كل حبابها بفتكروها .
وقالت أمك :

— تكونش جابة تخطب هدى ، ما هى من زمان بتكلم عليها !
وقالت خيرية :

— خصوصا ان هدى اخطوت قوى من بعد ما سبتم شبرا !!
وقالت امك كانها تحاول ان تتخلص من عبء ثقل :
— انا يا قول بلاش اقابلهم .. السفرحى بروح يقول لهم
اسى خرجت ..

وقالت خيرية فى ذكاء :

— بالعكس .. انتى تتألميهن وتمهيهن اترك فاهاهن كويس
.. وان ما فيش لازمة للمرواح والمحي .. انا حاقوم اقبالهم ،
واسييك انتى تلسى .. المسى احسن ما عندك ، علشان يفهموا
انك ما بتقتيش بتاعة زمان .. ويعرفوا مقامك كويس ..
واقنعت والدنك ..

وخرحت خيرية لتلقى ام عادل واخوته .. قابلتهما بانف مرفوع
ونظرت اليهما باحتقار .. ووجدتهما حائرتين .. تطوف اعينهما
بين قطع الاثاث وجدران البيت ، كأنهما دخلتا قصرا مسجورا ..
وبدأت نحادثهما باللغة الفرنسية والام وانفتحا نظران اليها فى
تعجب ، كأنهما نظران الى مخلوق عجيب .. ثم قالت ام عادل
وهي لا تزال فى ذهول :

— مش ست تفيدة ساكنة هنا ؟

وازدادت خيرية تعالبا .. انها عندما تتعالى تصيح كالسكين
لا يتحرك الا ليحرق .. وقالت بالعربية المكسرة :

— أبوه .. تفيدة هاتم ساكنة هنا .. انتم مين ؟!

وقالت ام عادل وهي تتنهد كأنها تستعين بالمصر :

— احنا حاسبها من زمان .. من أيام شبرا ؟!

وقالت خيرية فى مرود :

— بنشتغلوا ايه ؟!

وقالت أخت عادل فى حدة ، ودموعها تكاد تفر من عينيها :

— بنشتغل !! بنشتغل ده ايه ؟!

وقالت خيرية وهي لا تزال محتفظة سرودها :

— يعنى خياطة .. أو ..

وقاطعتها أم عادل فى هدوء :

— لا يا حبیبى .. احنا أصحاب ست نفیة ، وجالین نزورها ؟

ثم نظرت الى انتنها كأنها تأمرها بأن تهدأ وتتحمل ..

وعادت خیرة تقول :

— المدام فى الحمام .. بحب نقول لها حاجة ؟

وقالت أم عادل :

— لا .. نستناها !!

ونظرت اليهما خیرة ، وهزت كتفها ، ثم قالت :

— طیب .. نديها خبر !!

ثم عادت الى والدك ، وقالت صاحكة :

— ده أنا خوفتهم خالص .. يطهر انهم جماعة بئدى ..

عمرهم مائتاتوا واحده لابسه كويس ، دول كانوا حياكلونى بعينهم ..

ولم تضحك أمك ، كانت واقعة امام مرآتها مرسكة .. واكثر من مرسكة ، كانت خائمة من مواجهة ماضيها النظيف .. من مواجهة حى شبرا .. كانت تعلم أنه رغم طهارتها ، فان شيئاً ما فى حياتها الجديدة يمكن أن يدافع عن هذه الخطيئة .. ورغم ذلك فقد كان ذكاؤها الصادح يلح عليها أن تدافع عن هذه الخطيئة .. عن حياتها الجديدة .. عن الاطماع التى ألوح بها ألم عينيها ..

وارتدت أمك أغلى ثيابها ، رغم أنه لم يكن ثوباً يصلح للصباح .. واكثرت من وضع البورة على وجهها .. وصمتت شفتيها بالأحمر .. وارتدت حذاءها العالى .. وتحلّت بكل ما اشترته — على حساسى — من الحلوى .. وكانت تفعل كل ذلك ، كأنها تتحدى .. كأنها كانت تعلم ما يناقله عنها أهلو شبرا ، فأرادت أن تتحداهم جميعاً ..

وتركتها خيرية ترندى ما نشاء ، وقالت لها بعد أن انتهت
من زينتها :

— ده انا بابنه حنك زى ما اكون وصيفة !
وضحكت أمك ، صحكة حواء عالية ، كأنها تسجمع بها
شجاعتها .. ثم خرحت فى خطوات مترنحة مترددة ، للاقاة
ضيوئها .. وخبرة وراءها ..

وقامت أم عادل فرحة ، واحتضنت أمك بين ذراعيها ..
وبدأت تقبها فوق وجنتيها .. وحاولت أمك أن تقاوم ، ولكنها لم
تستطع ، فاستسلمت لمواظمتها ، وبادلت أم عادل القنلات ..
وكأن أم عادل لم تكن قد رأت أمك عندما دخلت ، وعندما
احتضنتها وقبعتها .. فقد بدأت تنظر إليها فى دهشة بعد أن
انتهت من تقبيلها .. نظرت إلى ثوبها .. وإلى المودرة التى
يكسو وجهها كأنها طلاء رخيص سكه مبيض فوق حائط قديم ..
والى الصفة الحمراء التى تكسو الشفتين كأنها شربتا من دم
قيل ، ولم يجدوا من يفصل الجريمة عنهما .. والى الكعب
العالى الذى اخمض صاحبتة .. والى الحلوى اللامعة كأنها قطع
من رجاح فى صندوق زينة .. نظرت أم عادل إليها طويلا ، ثم
انقلبت دهشها الى خيبة أمل ، وانقلبت خيبة الأمل الى شفقة ،
ثم الى رثاء صامت ..

واحتضت أمك شقيقة عادل ، وضمتها الى صدرها ، وهى
تقول فى لهفة :

— ازيك يا سماد .. ازيك يا حبيبتى .. ده انتى وحشتينى
قوى !

وقالت سماد :

— الله يسلمك يا عمتى .. آمال قين هدى !

ونجاهلت أمك سؤال سماد وجلست وهى تقول :

— وحشتينا يا ست شفيقة .. كده برضه لا تسألى ،

ولا يا ناس اسم مين ؟ .. ده انا بقالى سسه ونحس ما شمش حد
منكم .. وازاي مى لنح الله .. و ..

واحست حيريه ان امك بدأت تشي نفسها فى عمار عواطعها
.. تنسى حياتها الجديدة واطماعها ، وتعود الى شبرا ..
لواحبها بنظرة قوية كأنها بسقها وتذكرها بما اتفقوا عليه ..
وقالت ام عادل وهى لا يرال تنظر الى امك فى رثاء :

— انتى يا اختى اللى قطعت خير ، ولا حد سمع عنكم ..
ده لولا عادل اسى دلنى على السم ما ككش عرفت آحى ..
هى فين هدى امال ؟

وقالت امك فى خجل وهى تدارى عينها عن خبيرة :
— راحت للخياطة !

وقالت ميماد :

— هيه هدى بقت تروح للخياطة ، دى بتفصل احسن من بت
خياطة .. دى ماكش حد فى شبرا بينكم الا عن خياطتها ..
وضحكت خبيرة ضحكة عالية خليعة وقالت بحاول ان يعثر
الحو بينكما :

— انا مش مصدقة ان هدى تعرف نمسك ابره .. دى
بتروح لخمس خياطات .

ثم نظرت الى امك واستطردت :

— انتى عندك ميماد عند الكوامر يا مدام .. بحس بلعيه ؟
ونظرت ام عادل الى امثها كأنها تسألها عن معنى كلمة
« كوافير » ثم التفتت الى امك وقالت فى لهجة حدية كأنها تريد
ان تتحمل كل شيء فى سبيل انها :

— وياترى هدى حتنأخر عند الخياطة ؟

وقالت امك وهى تدبر عنينا بين خبيرة وشقيقة كأنها تخاف
بينهما :

— اطن كده .. اصلها بتعمل بروفة !!

وقالت خيرية لأمك :

— مش نقول للشونير بروح للجواهرجى علشان يسأل عن

الخاتم و ..

ثم قالت نهيس في ابن امك أمام الضيفتين ، هبسا طويلا :

تذكرها فيه بما يصب عمله ..

وتصايقت شفيقة من هذا الهمس ، وأخذت تتبادل النظرات

مع استها ، ثم قالت كأنها قررت أن تنهى هذه المهزلة :

— قوليلي يا نمده .. اننى مش ناويه بحوزى هدى ماه ؟

وقالت أمك وهى لا تنظر اليها :

— والله ابن حليل باشا عبد الله ، طالمها .. انها أنا شايقة

اننا نستنا شوبة ؟

وصاحت سعاد كأنها لا تصدق اذنيها :

— ابن باشا !!

وقالت خيرية وهى توجه الكلام الى أمك كأنها تسفكت

أن توجهه الى الضيفتين :

— انها هدى تفضل تتجوز اس الأميرة أنجى ؟

وصاحت سعاد :

— ابن اميرة ؟ !

ولم تقل أمك شيئا ، كأنها تعبت من تمثيل دورها ، وتعت

من حيرتها ، ولم تسفطع الا السكوت ..

وقالت أم عادل وهى تضع في حديثها لهجة ساحرة كأنها

تنتقم لنفسها :

— نسننن ماه يا مدام .. بوه .. قصدى يا نمده .. والننى

اصلى انلصطت ، واحترت ..

ولم يرد أمك على هذه المسخرية ، وقالت في صوت خافت

وهى تقف مودعة :

— وازى مى عادل ؟

وقالت شيمتة :

— كويس يا اخى .. سألت عليكى العافية ..

وقالت سعاد كأنها تفرح لسانها لأمك :

— نس يا حسارة .. ماهوش ابن باشا !

ونظرت إليها أمها نظرة قاسية .. وتحاملت أمك ما سمعه ..
.. وادعت خيرية أنها لم تفهم شيئا ..

وخرجت الضيفتان دون أن تتبادلا القللات مع أمك .. وألفت
أمك نفسها على مقعد بعد خروجهما ، ثم ألقت رأسها بين يديها .
وظلت ساهمه مده طويلة . وخيرية توصيها ألا يقول لك شيئا
عن هذه الزيارة ، وهى نهر رأسها فصمت كأنها لا تملك إلا أن
يطمع أوامر خيرية .. ثم أجهشت بالبكاء ..

وتركتها حربة تكى ، كمن ينرك الدماء تسيل من عنق
الذحاجة بعد ذبحها ..

وهكذا حققت ما أردته .. وانت لا تدري !

أعدت عادل عك .. مزقت أمه في الرواح منك .. ومرفت
أمك .. مرفت حبك .. ولكن هل انتهت حرائمى .. هل أصبحت
لى .. هل تستطيعين الآن أن تحبى .. أن تحبى ولو كآب ؟ !
لقد رأيك يومها .. جئت لأناول طعام العداء معكما بعد أن
خرجت الضيفتان .. ورأيك .. رأيك أشد نحولا مما كنت
بالأمس .. كان البيت قد أملا برائحة الجريمة .. رائحة سامة
تأكل من لحمك ، وتحرق دماغك .. وخيل الى أنه لم يعد منك
إلا عيان تنظرا الى نظراب غريبة .. بطرات أحافها وأحزول
أن أحفنها فتجذباني اليهما بقسوة ، لتضعاني تحت شعاعهما .
كأنهما يتهماني .. كأن هاتين العنيتن يطهران أسى أما المحرم ..
أما المتهم الوحيد ..

وكنيت وأنا أرى نحوك ، أحس كأن شيئا فى صدري يصهر

ويصنعه السحول هو الآخر .. شئ في صدري يمرض .. ويأكل فيه العمن .. واحاول أن اتخلص من هذا الاحساس .. أحاول أن أنسى جريمى ، فألقاد الى حريمة أشع منها لعلها تغطي جريمى الأولى ..

وخرجت من الست ، كأنى أهرب منك .. أهرب من نفسى أنى احتقرها .. وعندها احتقر نفسى ، احتقر معها كل الذين حولى .. احتقر هؤلاء الذين ينحوى تحت أقدامى ليجمعوا الذهب الذى ألقه عليهم .. وأصب شهوة حيثة الى التهدى فى ادلالهم .. والفسوة عليهم .. وذبحهم الواحد بعد الآخر .. ابهم يعدون حقيرا فلاند أنهم أحقر منه ..

وحصرت فى هذا المساء اجتماع مجلس اداره شركة الخطوط المصرية . وحلست على رأس مائدة الاجتماع ، وأنا أوجه نظرات الاحتقار الى حصرات الأعضاء الأماصل .. أن سنهم رئيس وزراء سابق يبدو دائما جدا صارب كأنه يفرص معركة لا تنهى .. وحاحاه معقدان دائما كأنه عقرى الكون يبحث مشكلة القدر .. ويسبل رأسه الصحم كرأس العجل فوق حسده الملتئى لفصير . ملا تدرين ايها المائل : رأسه أم حسده .. وبين لأعضاء الأفاضل اثنان من الوزراء السابقين .. وثلاثة من أعضاء مجلس النواب .. وأنا انظر الى كل هؤلاء باحتقار .

أن أحدا منهم لا يستطيع أن يحايل هذا الاحتقار ، ولا يستطيع أن يعنى عن شفتى المفلوتين اللين أواحهم بها كأنى أشمئز منهم .. ورغم ذلك مهم يقاؤون هذه التعابير على وجهى بالإنسام .. كأنى انعطف عليهم باحتقارى لهم .. ويخرج رئيس الوزراء السابق عن وقاره الكذب ويطقى بكفة يمتتح بها الاحتقار ، لعلى أضحك لها .. ملا أضحك وأرد عليها بمزيد من الاحتقار .. فتتسع ابتسامته !

وركب مغربي على شاب يجلس في آخر مائدة الاجتماع ..
شاب نه وجه مستدير كأنه .. وحلده لامع مورد كأنه يغيره
كل يوم بطلد حديد « أجلسه » .. وبداه ناعمتان مصوغتان
بالمسك .. وهو يميل في جلسته . ويتأوه ، ويؤفر ، كأنه
أمرأه بين عشرة رجال ..

هذا الشاب هو مدير الشركة !!

وكل كعابه أنه سيب رئيس وزراء أسقى .. وقد سقطت
وزاره بسبه .. ولكنه بقي في منصبه لأنى كنت معه عقدا مدته
أربع سنوات . يتناول خلالها مكافأة قدرها أربعة آلاف جنيه
في العام .

وأحسبت أنى لا أستطيع أن أطيق وجهه .. كنت أبحث
عن مريسة ألهمها في هذا اليوم .. عن جريمة تقتل هذا الشيء
المريض الذى يعيش في صدرى .. وقررت أن يكون هذا الشاب
هو فرستى وصرخت في وجهه :

— أنت قاعد في الاجتماع ده بصفتك ايه ؟ !

وبوغت الشاب .. وكف عن التأوه والنشى . وازدرد وجهه ،
وقال متلعنما :

— أنا .. أنا مدير الشركة !

قلت صارخا :

— لازم نعلم يا أمدى أن مدير الشركة مش من حقه يحضر
اجتماع مجلس الإدارة ؟ !

قال وقد بدا العرق يتصب على وجهه :

— بس أنا مدير وعصو مجلس إدارة كمان !
وصرخت :

— مين اللى قال الكلام ده ؟
قال :

— العقد ساعى ستول كده !!

قلت :

— اتفضل قوم هات العقد ده ، لما اشوفه !
وإدار الشاب عيبه بين الأعضاء الأفاضل الموقرين ، فلم
يكلم أحد .. رغم أنهم يعلمون أن عقده ينص فعلا على أن يكون
مديراً وعضو مجلس إدارة ..

وقام الشاب وخرج ، ثم عاد بعد نصف ساعة يحمل العقد ..
واخذه من يده وأنا أقول :

— ورينى لما اشوف !

ولم أحاول أن أرى شيئا مما فى العقد أو اقرأ حرفا منه ..
كنت أعرب أنه عقد صحيح ، وأن الشاب على حق .. ورغم
ذلك فقد قلبت العقد بسرعة ، ثم أمسكت بالصفحة الأخيرة منه
اللى يحمل توقيعى ، ومزقتها .. مزقت أمصائى اللى عليها ..
هكذا بكل بساطة .. ووثاجة !

ثم أعدت العقد قائلا :

— انفصل .. خذه واشرب ميثه .. حضرتك ما بتتش
عصو مجلس إدارة ولا مدير .. وأعمل اللى عايز نعمله ..
روح ارفع قضية !
وصرخ الشاب :

— يا لص .. يا مجرم .. أنا حاويفك فى داهية .. انت
صاحب شركة أنت ، ده انت زعيم عصابة ..

ثم حاول أن يهجم على ، مهيب الأعضاء الأفاضل الموقرون
كلهم مرة واحدة ، وكل منهم ينامس الآخر فى محاولة إبعاد هذا
الشاب عنى .. ثم أحرحوه عنوة من غرفة الاجتماع .. وأنا
جالس فى مقعدى ابتسم فى هدوء .. كانت شتائم الشاب لى
كالمرهم على جرحى الذى ينزف من صدرى .. كانت ترضى هذا
الشيء المريض الذى يعيش فى داخلى ..

وعاد المجلس الموتر الى الاعتقاد ، وقال رئيس الوزراء السابق :

— يستاهل .. الحقيقة كان عبء على الشركة .

وقال عضو مجلس النواب :

— كان لازم سعادتك تعمل الحكاية دي من زمان .

والنمت الى عبد العظيم الذى يجلس دائما على يمينى فى كل

اجتماع .. فرايته يتشم .. ابتسامة كبيرة هادئة .. كأنه

يلغنى رضاء الشيطان عنى !!

وقد حاولت ليلتها ان اعيش فى رعاية الشيطان ..

تضيت ليله عريضة فى شقى الخاصة .. كنت أحاول خلالها

ان أنسى .. أنسى انى مزقت قلبك .. وجبك .. وأملك .

ولكنى لم أنسى ..

كان بينى وبين النسيان بحر من الحرائم يجب ان اخوضه ..

وبعد ان خصنه ، وجدت على شاطئه الآخر جنة .. جنة نقاة

ينزف منها دم الغيتات ..

حاولت كثيرا ان امتنع عن زيارتكم بعد ان حطمت حبك ،
ومزقت املك .. ولكنى كنت كالمجرم الذى ينساق الى مكان
جريمته ، ليعذب نفسه بأثارها .. ليرى جثة القتل - ويبكى
عليها .. وكنت أنت الجثة التى تجذبني اليها .. جثة الحب
الذى قتلته .. وكنت أفسد عنك أياما ، ثم أحد نفسى مدفوعا
البك ، كأني أعزل نفسي بأن ليس هناك حبة .. وليس هناك
قتيل .. وأنى لست مجرما .. ثم لا أكاد أراك فى صهرك وهزالك .
وعينيك اللتين بثخان صدرى ، حتى أرى الجريمة .. أراها
منصبة أمامى وأصعها يشير الى كانه يطالب بالثأر ..

هل كنت تحمين عادل الى هذا الحد ؟

الى حد ان نضمنى كل هذا الصمت ، ويثوب حسدك كئنه
يتبخر فى آهاتك ؟

وهل هذا الحب موجود ؟

أنى لم أعرفه .. لقد أحبت الثراء ، أحبت العوذ ، أحبت
النجاح ، أحبت العبارات والأطيان .. ولكنى لم أحب اسائنا
آخر لمجرد الحب .. أن الانسان شيء اشتريه ، أو يشتريه
غيرى . أو شيء يشترينى اذا كان أقوى منى .. الرجال عمل
أشتريه ، والنساء مبة أشتريها .. فهل أردت أن تشتري
عادل ؟ ولكن . لماذا ؟ ان الدنيا مليئة بالشباب ، لماذا تعذبين

نفسك كل هذا العذاب ؟ ثم لماذا الشياطين .. أنا مثلا ، إلا أستطيع
أن أسعدك أكثر مما يستطيع عادل ؟ ! أسعدك بثرائي وغنوتي ؟ !
فلماذا لا تكونين ذكية كأمك ؟

لقد فكرت في تلك الأيام أن أتزوجك !

لا تدعشى .. لقد فكرت معلا أن أتزوجك .. خيل الى ان
الطريق الوحيد للتكفير عن جريمتي ، ولاتقزاع ابتسامة منك ..
هو ان اعوصك عن عادل بنفسى .. ان أمنحك آخر ما أستطيع
ان أمنحه .. اسمى !

ولكنى لم اكن أستطيع أن أتزوجك .. ولم اكن أجرؤ حتى
على مجرد الاستمرار في هذا التمكيد .. انى لو حاولت ان
أتزوجك فساهدم كل ما بنيته .. سامضح نفسى .. سايدو
أمامك كانى اطالب بالثمن .. وهذا ما لا أريده .. انى أريد ان
أبدو أمامك وأمام أمك ، وأمام نفسى ، كانى رجل شريف ..
أريد مكمما أن نحترمائى .. وأريد أن أحترم نفسى .. أريد
أن أكون كانيك .. وأريدك أن تحببى كنب .. وان تحرمبى
كائب ..

وقد حاولت كثيرا أن أبدو كائب ..

ولكنى في دخلة نفسى لم أكن انا .. كانت شهوة املاكك
طوث دمايى .. وكان الشئ الذى في صدرى يتحرك كأنه يش ..
كأنه يتوجع .. كائى أحمل في صدرى مريضاً يلفظ أنفاسه ..
لا يريد أن يموت ، ولا يريد أن يصحو .

وكان يجب ان أسكت هذا الشئ المريض ، كان يجب ان
أحد علاجا له .. ولكنى فشلت .. لأنك لم تساعدبى على
أخفاء شهوتى .. لم تحاولى أن تفتنمى بى .. كنت دائما تنظرين
الى من بعيد ، وتنقنين صدرى بعينيك ، ثم تتعفمين عى .. تتعفمين
من كل النعم التى أسعها عليك :: عن مائى ، وعن اسمى الكبير .
وعن نفوذى ، وعن نجاحى ، وعن كل هذه المخامة التى أحيطك

جها .. وقد حدثت كثيرا عن نفسي لعلى افنتك بها .. كنت
أجلس معك ومع أمك ، وأقص عليك أخبار تبرعاتي للجمعيات
الخيرية .. وأخبار النوادي الرياضية التي أشجعها وأنفق
عليها .. وأخبار الوفاء العمال وللوطنين الذين أرزقهم وأرزق
عائلاتهم .. وكنت أحرص على أن تصل اليكما الصفحة التي
مكتب عنى ، ونشيد بكماعتي .. و .. و .. ولكن كل هذا لم
يتسك .. كانت أمك تستمع الى ، فتقفز الفرحة فوق وجنتيها ،
كان كل حلحة من خلجاتها تزغرد ، ثم تقول :

— ربنا يخليك للناس يا باشا ، ويزيدك من نعمائه ..
ويا بخت من نفع واستنفع ..

أما أنت فكان لا يبدو عليك شيء .. كأنك تستمعين الى كلام
لا تصدقيه .. وتظل يداك تحيكان في ثوب ، أو تطرزان قطعة
من قماش .. دون اهتمام أو توقف تحية لهادي الذي أسرده عليك
.. وأظن أنا مريضاً بعينيك حتى التقي بهما لعلى أرى فيهما
افتقاعاً ورضائك .. والتقي بهما ، ملا أجد فيهما شيئاً سوى
هذه البطرة الهادئة العميقة التي تنقب صدرى ، وانتسامة باهتة
حريفة .. كأنك نسيمين لماسة كنتك عليك .

ومطعت أكثر من ذلك ..

حاولت أن ادفعك الى حياة مرحة لعلك ترحين .. وحاولت
أن أحيطك بالثياب لعلك تحسین مشبك .. وأدخلت التليفون
الى ستكم بعد أن اطمأنتت الى أن عادل قد سافر فعلا الى
القصور .. لعلك تحدين في التلهمون شيئاً يخرجك عن عزلته وعن
صمتك ..

ولكنك لم تستعلى التليفون الا عندما كنت اطلبك أو تطلبك
خيرية أو ابنتها ، فتردين علينا كأنك تؤدين واحداً ثقيلاً .. لم يكن
يسمعل التليمون الا أمك ، وكأبها وحدث فيه لعبة مسلمية ، فلم
تكف عن استعماله .. انه دائماً مشغول ، كأنه تليفون قماة

مراهة .. ولم يكن يحدث الا حيريه . وبعض صديقات حيريه
 اللالى يأممن منها .. ثم لما بُسِت من ان تشغل يومها كله
 بالحديث مع خيريه وصديقاتها بدأت تشغله بالحديث مع
 الحياطات . والحلاقين ، واصحاب الدكاكين التى سررد عليها ..
 ثم حاولت أكثر من ذلك ، فحصلت شوشة انة خيريه
 تصحك الى نادى الحزيره .. وقد عارصت شوشة فى ان
 تصحك .. قالت الأمها ، انك لحمة ، وباردة ، ولدى .. وان
 كل صديقاتها واصدقائها سيهرعون بك .. وعارضت أنت أيضا
 .. كنت تعارضين فى كل مرة يدعونك فيها للخروج من البيت .
 كالك تحامين الدنيا ، او كأنك تكمين من الدنيا بهذه الحدران
 الأربعة التى تحيط بك .. او كأنك تكمين من الدنيا بنفسك ..
 ولكن أمك وأمها الحبا عليكما الى أن ذهبتا الى نادى الجزيرة ..
 وكنت أنا هناك ، حالسا بالقرب من حمام الساحة ..

ورأيتك تدخلين موحهك الحريس النحيل .. وعودك الرقيق
 المنتصب .. وليس فيك من علامات الحياة سوى خطاك .
 واسسامك الباهتة الصعفة .. وثوبك الغامق البسط .. لماذا
 احسرت هذا الثوب ؟ لماذا لم تنقى ثوبا أبيض مرحا .. كالنهار ..
 كالشباب ؟ ! .. لماذا كل ما اراه منك قائم ، بكم صدرى ..
 وبزهق انفاسى ؟ ..

ولم ترمنى وأنا فى جلستى أرقبك .. كنت بعيدا عنكما .
 وعباى قرستان حدا منكما .. ورأيت « شوشة » واتسامها
 تسلط نصف وجهها .. مرحة .. منطلقة .. بفر فى خطواتها ..
 وتلفتت حولها ، وتطل فى وجوه الناس بحراة .. وكل قطعة
 من جسدها تتحرك ، وتكلم ، وصدرها لا يكتفى بالكلام ، مهيم
 .. وأنت بجانبها كأنك فى عالم آخر .. كأنك الهدوء بجانب
 العاصفة .. الماء بجانب النار .. أنت الانسان الذى يعيش

في قلبه .. وهي الانسان الذي يعيش في حسده .. والقلب
قنوع ، والحسد لا يشبع !!

وتساءلت من منكها الحياة ؟

أنت أم هي ؟

القلب أو الجسد ؟

لا أدري .. ولكن الحياة التي عشتها أنا هي حياة شوشيت
.. حياة الجسد .. متعة الجسد ، والثراء الذي ينعكس على
الحسد . والعمارات التي تصم الجسد .. والنموذ الذي يتباهى
به الحسد ..

لم يكن لي نصيب من حياة القلب .. نصيب كنصيبك ..
ولم أستطع يوما أن أجمع بين حسدي وتلى .

وصاحت شوشيت بمجرد أن دخلت الى النادي :

— ديدى .. هشام .. مدحت .. هاي .. هاللو ..

والف حولكما فريق من النائم والشار يهللون في وحه
شوشيت .. ثم نظروا اليك كأنهم يظنون الى مخلوق طلع عليهم
من عالم آخر .. عالم بعدد .. عالم الفقراء .. نظروا الى
ثوبك البسيط .. ووجهك الحالى من المساحيق .. وشعرك الناعم
المسدل خلف رأسك في بساطة دور أن يتدخل فيه يد الحلاق .
وقدمك الهم شوشيت ، وفي عينيها نظرة أسف ، كأنها
تعذر لهم عن تقديم الهم ، وعن صحبتها لك ..

وجلستم حول مائدة ، وأخذوا جميعا يتحدثون ما عدا أنت
.. ووجه اليك واحد منهم حديثا فلم تردى عليه سوى بكلمات
مقتضبة .. لم أرك تضحكين ، كما يضحكون .. ولم أرك
سحسبين لشيء كما ينحسبون .. كنت كأنك سرحانة .. فميم
سرح مكره ؟ في عادل ؟ ! إلا تستطيعين نسيانه ، حتى وسط
كل هذا الصخب الذي يملأ النادي ؟

وبدا الشار والفتيات ينصرون من حولك الواحد بعد الآخر

.. ويفرقون في الملاعب .. لم سق معك الا شويشت واحدى
صديقاتها .. ثم انصرفت ايضا شويشت وصديقتها .. وتركاك
وحذك .. دور ان تعترضى .. ودون ان نحاولى اللحاق بهما ..
بل كاتك حذت الله ان تركاك وحذك .. وعدت تسرحين فى خيالك
.. ونظراتك تضيع فى الافق ..

ولم تنخل عيائى عك .. وكنت احس بانى اهم بالقيام من
مقعدي واهجم عليك ، واحملك عنوة وألقى بك وسط الشبان
والبنات .. وسط الحياة التى احياءا .. وسط الضجيج ..
ضجيج الأجساد التى تلعب وتعزى وتهف .. ضجيج حياتى !
وعادت شويشت بعد فترة ، وجلست معك ، وعلى وجهها
طبقة سمكة من الامتعاض .. كان محرد جلوسها معك هم
كبير !

ثم جاءت ست أخرى ووقفت تحدث شويشت ، ولحبت انت
ان ثوبها قد تمزق ذيله قليلا .. فقلت لها :
— ده فستانك مقطوع !!
سكت كل هذه الادة ولم تنطقى الا عندما وحدث ثوبا
مقطوعا !!

ونظرت اثمناه الى حيث اشرت لها الى مكان المزق ، ثم
هرت كتفيها وقالت :

— ما يهمش .. عمري ما حيت العادى بمسبان الا وانقطع .
وقلت انت مورا كاتك تقديم حذمه خيلة :
— تحبى اخطئه لك ؟

وبدت الدهشة على وجه العاة ، وقالت فى سحر :
— تعرفى ؟ !

وقلت انت فى تياه :

— أمال .. ده قطع صغير ؟ !

وسحت حمسة يدك بسرعة . وأحرحت قفلة واردة . وصمبها

سرعة عحيه كأنك تعرفين الطريق إلى ثقب انرك حيدا ..
وامسكت بديل ثوب الفتاة ، وأخذت ترتقين فيه ..
ووصعت العانة يدها على فيها حتى لا يسمي صحتها
الساحرة ..

وعطت شوشت وجهها بيدها كأنها نخفي خلفها منك ..
والنف الشبان والبنات حولك يرقبونك ساحرين ، ويكتمون
ضحكاتهم .. ثم بدأ كل من في النادي يرمك من مكانه كأنه
يرقب شيئا غريبا .. يرقب بهلوانة في سيرك ..
وامطلقت البكات من حوئك .. قال واحد :
— يظهر أنهم حابوا حياطة محصوص للنادي ..
وقالت سيدة :

— باين عليها شاطره .. انا حاسب لها هدمم الحدامين
نخيطهم .

وقالت احدى الأميرات :

— ايه ده .. مين دى .. ما يصحش الدادات يفتعدوا مملنا
.. ميه لهم مكان محصوص .. هناك .. بعيد ..
وكل ذلك وأنت منحنية على طرف الثوب مبهكة في رفقته .
دون أن تدري ما يدور حولك .. دون أن تلحظي هذه الانتسابات
الساحرة والضحكات المكومة التي يسقطها فوق رأسك البنات
واثثناسر الملتعون حولك ..
ومعاً اشارت صاحبه الثوب الى شاب يقف بعيدا ،
وصرحت ،

— شريفآ .. هاللو .. شريف ..

ويظهر أن شريف لم يصمها ، فحرت اليه بعد أن شددت
ثوبها من بين يديك وأنت لا تزالين منحنية فوقه .. وشددت
مع الثوب الامرة والغطة ، فحرت أصمك ..

وضحك كل الناس .. كل أعضاء نادي الحزيرة .
ورفعت أنت رأسك في دهشة .. لا تدرين لماذا جرت الفتاة ،
ولا لماذا يصحك الناس .. ثم اكتبت بأن مصصت بشفتيك قطرة
الدم التي استقت من أصبعك ، وأنت تنظرين وراء الفتاة في
خان ، واستسامتك الحريئة موق شفتيك كأنك تعدرينها ،
وتصححين عنها ..
وقمت أنا مفناطاً .

قمت كأنى أهرب من نفسى .. كأن هؤلاء الناس يضحكون
على أنا .

انى لا أستطيع أبدا أن انتقل الى دنيائى ..
لن أستطيع أبدا أن أجعل منك الفتاة التى أريدها .. حياة
مؤمن بايمانى ، وتطلع فى مطامعى ..

سظليل دائما ملتصقة بأبيك الموظف الصغير فى وزارة
الأشغال .. ملتصقة بعقلية أليك ، وقناعة أليك .

ان أباك أقوى منى !!

وأنت أيضا أقوى منى !!

وأنا انسان غاشل .. ابها أول مرة أحس فيها انى فاشل
.. مثلت رغم الحرائم الى ارتكبتها فى سبيلك .. فى سبيل ان
أربط حياتك بحيائى ..

وقد ارتكبت كثيرا من الحرائم قبل ان اعرفك ، وكان النجاح
الذى حققته لى هذه الحرائم يعوضنى عن الاحساس بالجريمة ،
ويعبر ارتكابها .. ويكنى عندما ارتكبت جريمة ولا احقق من
ورائها نجاحا او نجيحة ، فانى أحتاج الى جريمة أخرى .. لعلنى
انجح .. ولعلنى اعصى احساسى بالجريمة الاولى ..

وأصبحت فى حاجة الى ارتكاب جريمة أخرى جريمة اكبر !
هل تفهميننى يا هدى ؟

ان المجرمين ليسوا دائما من هواة الجريمة ، انهم احيانا
تاولون الهرب من الجريمة ، فلا يجدون سبيلا للهرب الا بارتكاب
جريمة اخرى .. وينساقون الى سلسلة من الحرائم كل جريمة
اكبر من الاخرى .. كنهم يتحدثون ضمائرهم وهم في حديثهم
للمصير يحاولون حنقه .. يحاولون قتله .. ليستريحوا منه ..
وتهذا نفوسهم ، بلا ضمير !
وهكذا بدأت اندمج الى جريمة اخرى بعد جريمة محظوم
حكك .. وكانت جريمة اكبر .

وكنتم مدهوا الى تناول العشاء عند خيرية .. كنا اربعة فقط .. خيرية وزوجها ، وانا وعبد العظيم .. مجرد سهرة خلصة نحتاج اليها بين الحين والحين ، عندها نريد ان نستريح من المجمع ..

واستأذن زوج خيرية بعد العشاء ، ودخل الى غرفته .. وثام .. ولم يكن في ذلك مفاجأة لى او لعبد العظيم .. او لخيرية .. فهذه عادته .. انه شخص يهتم كثيرا بصحته .. ونظام حياته .. ينام كل ليلة في الساعة الحادية عشرة مساء بعد ان يشرب ثلاث كنوس من الوبسكى بالضبط .. ويستيقظ في الساعة .. ويذهب الى نادى الفروسية في الثامنة والنصف .. ويركب حصانه حتى العاشرة .. ثم يعود الى بيته في العاشرة والنصف ليتناول افطارا نسما يراعى فيه ان يضم كل انواع الفيتامينات .. ثم يذهب الى مكتبه — وهو مكتب شركة كبيرة لا يفهم من أعمالها شيئا الا انه عضو في مجلس ادارتها ، ويبقى فيه نصف ساعة ، ثم يذهب الى نادى سليمان باشا ليلعب بلياردو ويشرب كأسا من « الأمريكانو » ثم يعود الى البيت في الثانية تماما ليتناول « قهوة » ، ثم يذهب الى نادى الجزيرة في الرابعة تماما ليلعب الجولف .. و .. و .. وهو دائما سعيد ، ما دام مطمئنا الى صحته ، والى لون وجنتيه ، والى سلامة عضلاته ، والى ان

وزنه لا ينقص نصف كيلو أو يزيد نصف كيلو .. وليس في ذهني ما يمكن أن يعكر صفاءه .. أنه لا يتراكتنا أو محلات يمكن أن تشعل دهبه .. ولا يهدم شيء صغير أو كبير يمكن أن يحدد من تفكيره شيئاً .. أنه أنسا سعيد .. سعيد مجرد وجوده .. وليس بيبه وبين خيرية ما يمكن أن يسمى حياة زوجيه .. أنه لا يحاسنها على شيء ، ولا يسألها عن شيء .. كل ما يطالبها به هو ألا تفكر هدره ، أو تفتي عليه أي لون من مسئوليات الحياة ، أو تطالبه بشيء ، أو تترك نظام حياته .. وربما رآها يوماً محمورة ، أو رآها مرة بقل رجلاً ، فلا تثار أعصابه . ولا يهز شارب الأصر المرموع الذي يتأهي به .. أن رأسه يرفض أن يحتل الشك في تصرفات خيرية .. وأعصابه أبرد وأقوى من أن تحاسنها .. وحتى لو عابت عن البيت أياها لا يكلف نفسه حسابها .. أنه سعيد .. سعيد جداً .. ما دام مطمئناً إلى لون وجنتيه ..

هذا هو شريف بك زوج حبره ، كما يعرفه محتبها .. أنهم يعرفون كل مواعيد ، حتى المواعيد التي ينتقل بها من غرغته إلى عرمة روحه .. مواعيد محددة بالاصط . محسوب حسابها حساباً علمياً ، حتى لا تؤثر في صحته !!

ولم سعيد الموقف بعد أن قام شريف بك ليلاً ، فإن كل ما يستطيع أن يفعله في غيبه يستطيع أن يفعله في حضوره . ونحن مطمئنون إلى سعادته !
وقال حبرية :

— نبحوا نلعب بيوكر مكشوم ؟

ولم استرح إلى الفكرة ، لم يكن أعصابي ليئها تحتل أن أحلس إلى مائدة البوكر .. كب أريد شيئاً غنياً .. شيئاً جديداً .. أريد جريمة بخرجني عن إحساسى بعشلى معك .. عقلت لخيرية كاني التي إليها بمفاحاه :

— ايه رأيك نسعت نجيب تفيده ؟

وقالت خبيرة متأففة :

— دى رمانها نامت . وشسعت نوم !

قلت كلنى الح عليها :

— حريس .. بمكن تكون لسه صاحبة .. قوسى اضرى

لها تليفون !

وقال عبد العظيم وهو يكور شفتيه كانه سيبصق على

الأرض ، ثم يعدل ، ويبطع بصقته :

— ما احنا انقبنا على ان الجماعة دول يبقوا فى النهار سر ..

خلينا بروق بالتليل !!

وعادت خبيرة تقول :

— والنبى عايز من تفيدة ايه بلوقت ؟ !

قلت وانا اخفى عينى عنها :

— اهو نضحك عليها شويه .

قلت وهى تنظر الى كاتبها تحاول ان تفهمنى :

— والنسبى انا مش تادرة افهمك يا حسنى .. مقالك مسيحت

واست محبرنى .. ما بقول لى عايز منها ايه ، وتحلص .

قلت :

— وحياتك ولا حاجة .. اصلى كل ما اشونها وهيه سخاؤ!

تقلدك اموت على نفسى من الضحك .. قوسى يا شححة اضرى

لها تليفون ..

وقامت خبيرة واتصلت بأمك فى التليمون .. ووحدتها له

نتم بعد .. واستطاعت ان تقنعها بأن تأتى الينا .. ولم تكن فى

حاحه لإجهد كبير لاتماعها ، كان يكفى ان نقول لها اتمنى موحود ..

وانها سترانى !

وقال عبد العظيم بينما خبيرة نتحدث فى التليفون :

— نسعت اقول لك .. الحدع اللى اسمه عادل .. عامل

دوشه في التصير .. واندا بنم العمال وعازي يميل لهم بمانه ..
وبطرت اليه شحرا ، وقلت في حسم كاني اعنفه لمحاولته
عساد سهرتي :

— مشى وقته !

وارسلنا انسائق الى امك ، وعاد بها .. ودخلت علينا وهي
بدارجح موق كعب حدانها العالئ .. سبل الى الامام حتى تكاد
تسير على ركبتيها ، وسبل الى الخلف حتى تكاد يسقط عنى
ظهرها .. وقد اهبت كثيرا بربها ، أكثر من عاديها .. فقد
كانت اللية الأولى التي تجمعنا سويا .. ولم تكن خيرة بحاشيا
وهي تتزين ، ماكثرت من كل شيء .. أكثرت من الكحل حول
عينيها ، ومن « الريبيل » موق حيوميها ، ومن البودرة فوق
وجهها وعينيها .. ورسمت بأصبع الأحمر فما آخر حول شفيتها ؟
ربما كانت تحاول أن تقلد به نم خيرة .. وبدت في كل ذلك كأنها
لباتشو جاء اليد من السيرك قبل أن يسمح المساحيق عن
وجهه .

ونظرت اليها في شماعة ..

هذه هي روجة محمد اغندي السعد ..

هذه هي زوجة الزميل الشريف النزيه الذي رمى أن يتعاون
معى منذ كنا معا طالين في مدرسة الفنون والصبايح ، والذي
تحدثانى بشخصيته .. ثم استطاع أن أخذه في طريقى أو ألقنه
بنفسى .. الزميل الذى تعف عنى طول حياته حتى انه رضى
أن يحضر حفلة بكرسى ؟ .. لعله الآن بدم في قبره .. لعله
الآن يخضع لى وهو يرى روحته وشريكة حياته العوبة في بدي ..
الهو بها .. وأضعها أمامى كالسوخ لتضحكى .

وقالت أمك وهي تصافحنا :

— سحنونى من النوم يا جماعة .

وأيسكت يدها وانحنيت اقلها ، واضغط موتها بشفتى ؟ .

وانا اخفى ضحكى فى صدرى ، ثم رفعت اليها وجهى ، وقلت
لها وانا انظر اليها بكل عينى كالى ابثها حى :

— اصلك وحشتينا يا تفيد .. ما يقتش قاعدتنا تحلى
الا بوجودك .

وتسلل العطر الذى سكنته على نفسها الى انفى .. لاند
انها عطرت نفسها بكل انواع العطور التى اشتريتها لها ،
فانى لم استطع ان اميز رائحة « الارجيح » من « حى رفيان »
من « نام » ..

وقالت خيرية :

— احنا كنا باولين نلعب كوتشينة ، قلنا نيجى طلعى معنا ..
مدل ما نامى كل ليلة رى الفراخ ..

وقالت امك توهى تظفت حولها :

— امال مين شريف بيه ؟

وقال عبد العظيم :

— نام .. انسم الله عليه ..

ونظرت اليه كاتى احذره من ان يمادى فى افساد الجو الذى
نحبط به امك .. ثم التفت الى خيرية قائلا :

— كوتشينة ايه يا شحجة .. دورى لنا شوية اسطوانات !!

وبظرت اليها مطرة تفهمها .. نظرة تعهم منها انى اريد
تهنئة حو خاص .. وكنت قد قررت ليلتها ان احر امك خطوة
اخرى الى الفساد ، بحيث لا تشعر انها تنقاد الى فساد ، انها
كل ما تشعر به انها تتلقى دروسا جديدة فى تقاليد المصنع الذى
انقلت اليه ..

واعدت خيرية كاسا من الونسكى وقدمته الى امك ، فقالت
فى شك :

— انه ده يا خيرية ؟

وتأت خيرية فى بساطة :

— ويسكى .

ثم رفعت كأسها الى شفيتها وقالت :

— الا موتر .

ونظرت اليها امك في تعجب .. لم يكن قد رامها من قبل

وهي تشرب الويسكى .. وقالت :

— لا يا اخنى .. ما شربوش .. كناية على السماع اللى

اسمه البيرمو اللى هو النعناع !

وقالت خيرية وهى تنزل الكأس عن شفيتها :

— انا الحقيقة جربتة قبل النوم استقريحت فيه قوى ..

كاس واحد ، يخلى الواحددة تمام مرتاحة ..

وتلت وأنا انظر الى امك ساخرا ، واتناول الكأس من يد

خيرية واضعه على مائدته صغيرة امامها :

— اهو حلى الكاس قدامك ، عشنان تبقى زيبا .

وقالت امك :

— ده كان عندنا في شبرا واحد صاحب كاية .. انها كانت

حائنه تقطع القلب ..

وقالت خيرية كأنها تؤنب امك :

— يظهر شبرا دى حتفضل معششة في دماغك على طول ...

ما خلاص يا نفيده .. ما سنا شبرا من زمان .

ومكست امك رأسها كأنها تعتذر عن ذكر شبرا ..

ووضعت خيرية في « البيك آب » عدة اسطوانات راقصة .

ثم عادت متحفة الى عبد العظيم تائلة في دلال وهى تفنن له

قراعيها :

— قوم ارقص يا عبد العظيم !

وقام عبد العظيم وقد تهلل وجهه ، واحتضنها قائلا :

— اوى .. ارقص ونص !

واخذ يراقبها ، وامك حائسة بجابى يراقبها باعين مشدوهة

.. ثم قالت لى هابسة :

— الى يشوف عدد المظلم بيه بيرقص مع خيرية ، يقول
انه سحيبها .

قلت وبين شفتى ابسامة ساحرة :

— ليه ؟ !

قالت :

— ده حاسنها قوى .

قلت كائن اعايرها بتفكيرها :

— وماله . ماكل الناس بترقص كده .

ونظرت الى نظرات حائره . كئيبا بمعنى ان تصدقنى ..

ثم قالت فى ارتباك :

— بعنى تسمح لست ساعتك ترقص كده ؟

قالها فى صوت ضئيف ، والدعاء تتصاعد الى وجعها

المهدلتي ، كئيبا كانت نفس نفسها .

قلت وانا احاول ان اشعرها بانها ملاحرة فى عقليتها :

— طيبا .. الرقص مش عيب .

قلت وهى لا تنظر الى وامامها نمسك بحرف الأريكة الى

نجلس عليها :

— ممكن عششان الست بساعتك احليزية .. انما لو كانت

مصرية و ..

وقاطعتها قائلا :

— مرضه كنت احبها ترقص .. ما دام انا بارقص مع

ستات اصحابى . بيتى لازم هيه كمان ترقص مع اصحابى ..

انتى فاكده ان الرقص عيب .. ابدا ..

وتركت خيرية عبد العظيم فجأة : ثم جاءت الينا وشدت

متفيدة من بدها ، وهى تقول :

— تعالى لما اعلمك الرقص يا تعيده .. تعالى والنسى ..

وقالت أمك وهى تتشئت بمقعدها :

— لا .. كله الاكده .

وقالت خيرية ، وهى لا ترال نشدها اليها :

— تعالى يا شبخة .. ولا برضه حلتولى شبرا .

ومست كلمة شبرا كبرياء أمك ، فزاحت مقاومتها . واسلمت

نفسها لخيرية ، وهى تقول :

— أصلى مشى واخذه على الحاجات دى !!

وقامت واقفة ، ولمت خيرية ذراعها حولها ، وبدأت تخطو

بها على الاتقام .. وانطلقت منى رغما عنى ضحكة كبيرة ..

وكم عبد العظيم ضحكته سدا كأنه يكى .. وخيرية أذابت

ضحكتها فى انسامة تقفر فوق شفقيها ، وهى تقول لأمك :

— مش كده يا سميدة .. بهى .. اعطلى ريس .. واحد ،

اسين ، ثلاثة ..

وكانت امك حائرة مرئكة .. تحاول أن تقف فوق كعب

حدانها انعالى .. ملا تستطيع ، وتحاول أن تنقاد الى خيرية-

متكاد تقع من فوق الكعب العالى .. وفى عينيها نظرات مرتعشة ،

وفوق شفقيها ابتسامة ملهاء .. والدماء تجمعت فى وجنتيها

فمدت كل منها كئها^{٢٠} ديل كبير .. كانت كطلمة يحطو حطوانها

الاولى .. طلمة مسكية أصست بنضخم فى الخدد فدت كبيرة ..

وقالت خيرية :

— خدى بالك من المريكة .. امشى على حسب الطلمة ..

بهى ..

وتركها خيرية ، واحدت ترقص امامها وحدها .. وأمك

تقول :

— والسى بلاش الحكاية دى يا خيرية .. بهى هو ضرورى

انرقص ده .

وقمت أنا واقفا واقتربت منها قائلا :

— انى مش عارمه نعلمها يا خيرية .. سببها لى ..
أنا حاضها !

وقلت أن يشه أمك الى ما أتوبه ، احطنها بدراعى .. وضعتها
الى صدرى بقوة .

وبحركة لا ارادية انعدت أمك نصفها الأسفل عنى .. عن
حسمى .. فندت كأنها رعم «٦» .. ثم نظرت الى حسمى مدعورتين
كأنى سادحها .

وقلت لها وأنا أبصاهل نظرها :

— اقنى كويس .. حلى حسمك دغرى !!

واهترت شفاهها كأنها بهم بالكلام .. ولكنها لم تتكلم ..
وبصعها الأسفل لا يزال مسعجا الى الوراء .. بعيدا عنى !
هذه عقلية بساء الطنقة الوسطى ..
كل ما يحافون عنه هو النصف الأسفل ..

كأن الشرف له مناطق محدودة .. وما يحدث خارج هذه
المناطق مباح . لا يمس الشرف .

وحاولت أن احطو بها .. ولكنى لم أستطع ، فقد تصلبت
قدمها . كأنها سمرها فى الأرض .. وعيناها لا تبال مدعورتين
كأنى سادحها .. وقالت فى صوت متهدج ، من بين أنفاسها
المفلاحة :

— بلاش يا حسمى .. بلاش والننى !

قلت وأنا لا أزال أصعطها الى صدرى :

— يا شبيحة اتلحى .. امشى مع رجليه .

وطب عليها نوحى ، ووضعت حدى على خدها .. وحاولت
أن أجعلها تنحرك . فلم أستطع .. قدمها لا تبال مدعورتين
فى الأرض .. وبذاها أصحنا قطععين من الثلج فى يدي ..

ووجهها يتقد ناراً .. وأنا انفخ انفاسي في اذنيها كئى انفخ و
النار لنشتد .. ولجأه نزعمت أمك نفسها من بين نراعى بقوة ..
قوة عجيبه لا قبل لى على مقاومتها .. وهرعت الى مفعد وحطمت
عليه ، وهى ترتعش .. وثالثت في حزم :
— لا .. لا .. مش عايزه اعلم الرقص .. مش حاتم
الرقص عمرى .

وتلفت حولها ، كأنها تبحث عن ثقب تهرب منه .. ثم
مدت يدها المربعشة في افعال ، والتقطت كأس الوبسكى من
فوق المائدة الصميرة .. ورفعته الى شفيتها .
كانت تريد أن تهرب من خبيثة ، فلم تحد مهراً الا في كأس
الخطايا .

وسكتا حيماً ..
كانت حمرة بنظر ائى كأنها تقول : عاصبك كده !!
وأنا اسبح واحاول الا تلتقى عيناى بعينى أمك حتى لا ترى
مهما سخرىتى بها ..

وعند العظيم يرفع كأسه ائى شمسه ويطل عليها بعينه من
فوق حافة الكأس . ثم يحس ويلتقط قطعة من الخيار .. كأن
ما يحرق حوله شيء عادى شاهده كثيراً ، وعرف نهايته ..
وثالثت أمك وهى بعد الكأس من بين شفيتها :

— ياه .. ده مر قوى .
قلت في غضب معتدل :
— ما بشرىش منه .
وبطرت ائى أمك كأنها تلومنى على عصى منها .. ثم كأنها
معتذرة لى وثالثت :

— أنت زعلت منى يا حسين ؟
قلت وأنا أهز كتمى :
— ادا .. اسى على حق .. ما كنش لازم سحبنى الرقص .

وقالت خيرية كأنها تقدم لنا شيئا جديدا :

— أنا باقول نقوم بلعب كتشينه .

وقالت أمك بسرعة كأنها تحاول أن سدمج فينا وتقترب اليها :

— أنا ما اعرفش اللعب الا الشايب .

وقالت خيرية :

— نكرة .. باللا نلعب الشايب .. أنا لسه فاكراها من

يوم ما كنت بالعصا مع دافتي .

والتفتنا حول المائدة ..

ودون سابق اتفاق .. النقط عند العظيم ورقة « الشايب »

وعلمها .. نتي أحد اطرافها ثنية خميفة .. وأشار لنا بعينيه

لنعرف انه علمها .. هكذا بحكم العادة .. عادة عند العظيم ..

ولم بعد بيننا من لا يعرف ورقة « الشايب » الا امك .

وانفقنا عن طريق تبادل النظرات على أن تقع ورقة الشايب

في يد خيرية .. ثم كتمنا انسامنا في صدورنا ..

وبدأت الأوراق يطوف بنا ..

وقالت خيرية خلال اللعب :

— أنا مش عارفه شريفه هانم حتفضل نحب محمود باشا

لعابة امتي .. ده مش سائل فيها خالص ..

وانتهت أمك ، وقالت :

— هو مش عايز يتجوزها ؟

تالت خيرية كأنها تنهم امك بالقضاء :

— يتجوزها اراي .. مش لازم الأول يحبها ، وبخرجوا

سوا .. وبعرفوا معص كويس .. دي ست عندها خمسة وثلاثين

سنة .. ماهيش صغيره ، علشان بيحي واحد يتحوزها على

طول كده !!

ونظرت الى خيرية كأنها تقول لي : « كويسه دي » !

وسرحت أمك بأفكارها .. كأنها كانت تقارن بين حالها معي ،

وحال شربنه هاتم مع محمود باشا .. وكأنها اكتشفت شيئا
جديدا .. اكتشفت أنها لكي تتزوجني يجب أن تحطو خطوات
أخرى كثيرة ..

واضطرت أن أقول لها كي انتهها حتى تنيق من خيالها :
— ما تلعبى يا تقیده ..

واهتزت كمن نستيقظ من النوم على مفاجأة ، واخذت تلعب ..
وانتهى اللعب ، بأن سقط « الشايب » في يد خيرية ..
وكان على أن اصدر عليها حكما كما تقضى اصول اللعب . فالتفت
الى عبد العظيم وقلت له وأنا اضحك :

— جبرنى يا وزير !

وقال عبد العظيم في منتهى انجد كانه فعلا في مجلس الحاكم :
— التداير لله يا ملك !

وتلب بعد برهة كأتى افكر في قضية عويصة :

— حكما عليكى يا خيرية يا نفت الناس .. بان كل واحد
بينا ييوسك موسى .

وصمقت خيرية بيديها فرحة ، وقالت :

— مرسى يا مولاي .. ده حكم لنيد قوى .

ونقلت امك عينيها بيننا في دهشة ، ثم كأنها خافت أن تفسد
عليها لهونا . فانسمت ابتسامة مترددة ..

وفمت وقلت خيرية فوق وحنثها قبلة سريعة .. بريئة !

وقام عبد العظيم في منتهى الوقار كأنه يؤدي مهمة رسمية
خطيرة ، وقلها فوق رأسها ..

واتسعت ابتسامة امك .. لقد اطمانت الى أن قلنا بريئة ..

واننا ليهو .. محرد لهو برىء .. وقامت وقلت خيرية قلتين ..
قللة على كل خد !

وبدأنا تلعب دورا ثانيا ..

واتفقنا نحن الثلاثة — أنا وخيرية وعبد العظيم — على أن
نترك الشليب يسقط في يد امك ..

وانتهى الدور . وامسك امك بورقة الشاي في يدها .
وقالت وهي مرحة ، كأنها تسيطر امسة جميلة .

— يا ترى حاكموا على بله ؟

والدب الى عبد العظيم في وعر مائلا دون ان اسمع :

— فمرنى يا وزير .

ومال عبد العظيم في منتهى الحد :

— الدانير لله يا ملك ..

ومكرت برهه . ثم رمعب رأسي كننى سائلكم .. ثم حمصها
قل ان انكم كننى في حاجة الى التفكير من جديد .. ثم تلت في
صوت عميق :

— حكما عليك ما يعيده يا ست الناس ..

وسكت مرهة ..

ووجه امك مهلل مانعرج . وعمداها مطلقان شمسى ..
ثم استطرقت :

— حكما عليكى بانك تقومى بحبىى كتابة بيه ..

وانهارت حناجات وجه امك ..

وكست حبه الامل ملامحها ..

وقامت - وعادت بكوب الماء .. وفي عسيها طمقة لامعة
كسها بهم بالكاء !!

.. لقد كاتب والدك محاول ليلها ان تندمع مينا .. ان
مشعرنا نابها واحدة منا .. كاتب مسعده ان نذهب الى آخر
الحياة ما دامت معا ..

وكانت في دخلة عسيها سمسى — وحر بلعب باوراني
انكشسه — ان يقع ورقة الشاي في يدها كما وقعت في يد
خبره . وان يتوم ويقننها كما قتلنا خبره .. ولكنى سمعت ان
اصدمها في امانبها .. وسمعت ان احكم عليها — عندما وقعت
ورمه الشاي في يدها — بان يتوم ثنائى الى بكوب ماء . حنى

اشعرها بأنها أقل منا .. بأنها مجرد امرأة تشفق عليها .. وأن
عليها نكى برمع لدا . ونكى تمبش في محبتها . أن تصحى
أكثر .. أن سحرر .. وأن سخلص من معاني لشرها كما سمعها
.. هذه المعاني الصفة . التي يدمعها لأن نعد عبي مصمها
الاسمل وأنا أعنيها الترقص .
يأذا ابل بها كل هذا ؟
لماذا أعفها ؟

لا أدري .. ولكن كانت بي رعبه عيبه في ادلائها .. في
أن اسحق منها كل المعاني الأشرعة التي نطمت عن الطمعه التي
عاشت منها .. الطمعه الصوع المسببه التي صمها مع روحها
بحد امدي السيد ..

أنى لا أستطيع أن أكون قنوعا ولا مسسلبا . ملاسحق
القباعه والامسسلام . ولاسحق ممها محمد امدي السيد .
ووالدك ، وانت ..

وانهينا من اللعب بأوراق الكتشينة .
وحسنا سخاوت . ونحن الثلاثة — أنا وخبريه وعبد العظيم —
نسمد تجاهل أمك .. وهى بيها حائرة . يدو كالعيطه . وتدبر
عسبها بيها في بلاهه . وتصحك عندما بصحك . وبسعل الاسماع
عندما سحدث .. وبحاول طول الوقت أن يقلد خيرية .. إذا
فأنت خبريه كليه بآل مئها . وإذا نظرت خبريه الى عبد العظيم
مطرت انه هى الأخرى . وإذا شربت خيرية من كأسها شربت
معها أمك .. وهى سطر إلى بين الحين والحين كأنها تسألنى
رأى في صرمانها . وهل سمع روحه لى ؟

رأى في صرمانها . وهل سمع روحه لى ؟ !
وقد شربت خبريه لبها كثيرا .. وشربت معها أمك كثيرا .
دون أن يشكو من مرارة طعم التويسكى .. فقد خافت أن نعيد
شكواها . مسدو كأنها ليست من طبقنا .. ثم بدأت بدو مبهودا
كبيرا لتجمط بمواربها . وبدأت بكثر من الحديث وهى تحاول أن

مستطر على لسانها حتى لا يجرح كلماتها مريحة .. وبدأنا نسمع
البحر ، وبحر نكم ضحكاتها !!

وكنيت أعبد أن البحر تطلق لسان شاربها بها في أعماقه .
أو بها يصر عن حقيقته .. ولكن البحر في هذه الليلة أطلقت لسان
والدتك بها يحاول أن يدعه .. أطلقت لسانها بأطباعها وبصور
العالم الذي يطلع اليه .. وقالت وهي تمسك لسانها بثقتها
حتى لا يذلي من سبهما :

الراحل النائم ده ما سحبتش المسور ساعة .. الحاف
إلى شعنه عنده ، بلدى حالص !

وكنيت نصف « المومير » أى « البصيا » .. ومد ردت
عنها حيريه مائلة وهي نذاري عنها صحتها الساحرة .
— ما لكش حق ب بعدده .. ده عامل حاص للأميرة أحيى .
أما حاص :

والتوى لسان والدتك وقالت وهي تحيط على المائدة بكفها :
أه معنى الأميرة أحيى .. طط في الأميرة أحيى .. دى
عامله رى الأموات .. ولا معنى علشان ما هى أميرة .. يا أميرة
إلا الناس الأمرا ..

ثم قالت على نفسها واستطردت قائلة :
— سحكت الأميرة أحيى ب حسين .. مش بالذمة رى
الأموات .. ولا لازم الواحد يكون أميرة علشان يحسك !
قلت وأنا أهم بالقوام :

— أبدا .. بس قولى بأه علشان أوصلك !!
وطرقت إلى في حزر . كأنها حامت أن تكون فد أعطسى ..
وسكت كبتها يحاول أن يسترجع كل كلمة قالها لتكشف أن
أخطأت ..

واشتقت عليها .. وانسببت لها اسميه صغيره كئى
أطمئنها إلى أنها لم يخطئ ، ثم وصفت بدي تحت ذراعها محاولا
أن أرمعها عن مقعدها .. وحملت قليلا عندما أحست بدي

بلامسى حـسـدهـا .. ولكـمـها عـادب واسـسـلـبـت كـأـنـهـا تـدـكـرت
الـحـمـاء الحـديـده الـى بـعـشـهـا . وتـدـكـرت التـقـالـيد الـتى نـبـح للـرـحـل
أن بـضـع بـده نـحـت دـراـع امـراه ، دـون أن يـعـتـسـر ذلـك مـاسـسا
بـشـرفـهـا ..

وقـامـت . واسـطـاعـب أن بـكـون أكـثـر بـواربـا .. وودـعـنا خـيـريـة
حـتى الـباب . وانا لا أراـل اصـع يـدى نـحـت دـراـعـهـا ..

وـحـرـحـنا الـى الطـريق .. والسـاعـة حـاوـزت الـثـانـه صـابـحا ..
ورـكـب عـبد العـظـيم سـيارـه ، وـهو بـودـعـنا بـطـرات بـطـل مـن
سـي جـعـيـه المـلـوئـي .. بـطـرات بـعـر عـن حـبـه آمـنه . كـأنـه لـم بـكـى
بـسـطـر أن يـسـهـى بـرـجـه الطـويل فى حـدمـى .. وفـى خـدمـه نـزـواى
، أن بـراى مـع مـثـل هـذه المـراة !!

ورـكـب امـك بـحـاسـى فى السـيارـة ، وند اطـاح الـهـوء الطـلـق
حـده الـحـمر مـن رآسـهـا . وان كـانـت بـشـوتـهـا لا تـزال باقـيـة ..

وبـدأت انـع مـعـها أسـلـوبـا حـديـدا .. أسـلـوبـا رقيقـا يـثـير اطـمـاعـهـا
مـن حـدد .. وزـحـفـت بـيـدى حـتى لـامـست بـدهـا ، وثـلـت وان أنـظـر
الـهـا كـأى اطـارحـها العـرام .

— أوـعـى نـكـوى ابـصـابـت الـلـة يا تـفـيـده ؟

واـحـسـت بـارـعـشـة فى بـدهـا ، ثم سـحـبـنـها بـرمق . وقـالـت .
— أنا خـايـفـه أنا الـلى اكـون ضـايـقـتـك .. أهـلـى وانـسى لـسـه
مـشـى وـاحـده عـلى الرـقـص !

قـلـت كـأى أطـمـنـهـا :

— رـقـص ايه يا شـيـخـه .. بـعـنى شـايـمـاسـى بـارـقـص كل بـوم ..
دـه بـكـن بـمـوت انـسـة ولا ارفـصـشـى ولا مـره .. انـها كـلـها مـسـأـلة
مـحـامـلات .. سـاعـات الـواحد يـصـطـر بـرـقـص .. أهـلـ ايه ..
اذا كان النـاس كـلـها كـده .. انـما بـعى وبـسـك . أنا لا أحـب الرـقـص
ولا الـلى بـيرـقـصـوا ..

وقـالـت فـرحـة :

— والذى حد بنا حمسي .. يعنى مش ضرورى اتعلم
الرقص ؟
قلت :

— ابدأ .. هوه التلى يقعد معاكى يمكر فى الرقص ؟
وانتسم فى ارياح كأنها 'عصيت من عذاب كبر ، والنفثت
الى وهى يميل براسها مخوى كأنها تشكرى فى دلال .. ثم
سلفت بدى مرة اخرى ، وامسكت بدها ، ماسفست ،
وبهدت نهده كبيره مغنله ، حيل الى معها ان بالوبا اربع موق
سدرها وانرغ ما فنه من هواء ..

ونظرت انها مامع .. الى وحنيتها اذلين طاسا حى دب
ميمها العطر .. والى عيبها وقد خسا ما فنهها من دكاء ساذج ،
ولعت ميمها احلام كسرة .. والى شفتيها المضمومين كان كلا
ميمها يثقب بالاحرى ، وكلا ميمها يشفق على الاحرى .. بطرت
انها طويلا .. ليس فيها فطما شىء معربنى بها .. ليس فيها
شىء من صفات المراه التى اتسبها .. ولكن الدافع الخسث الذى
سحرك بين حسى يدمعى الى ان اتالها .. انها شىء امثلكه ..
انها بعش من مالى .. ثيبها - وحليها ، وهذه الاصناع التلى
تكسو وجهها .. كل شىء فيها دمعت شبه من جيبى .. ملماذا
اتركها .. ولمرض انها لا يسحق .. لنمرض انى كنت عيبا
مد اقدمت على هذه الشروة .. بروة اعانة عائنة محمد امندى
السيد .. ملماذا لا اسعد من عنائى .. اسعيد - على الاقل -
الاحساس بانى امتلكت كل شىء فى هذه العائلة .. انا لا احب
المطل ، ولكنى اذا اتسريت حرمة فحل ، محير لى ان اكلها ،
من ان ابركها ليعرى او التلى بها فى عرض الطريق ..

كنت اقول لتسمى هذا الكلام ، ثم اسبع صوما آخر سمعت
من داخل ، وبرد على قائلا : الا يستطيع ان نسبو بنفسك ..
الا يستطيع ان تكون شريفا ولو فى هذه الحالة .. الا يستطيع

ان يكون فاعل حير .. اترك هذه المسكينة :. اتركها .. انها
تقرر العرس .. انك تبدو معها ككلب ينق في صندوق زبالة ..
اتركها لوجه الله .. اتركها لعلك ترضى عن نفسك .. لعل
هذا الشيء الذى يتحرك فى صدرك ويحكم انفسك - يراح ؟!
ووصلت بنا السيارة الى باب العمارة .. وهذه المناقشة
لا تزال دائرة فى نغس .. ووجدتني انزل مع امك من السيارة ..
واسير معها حتى انساب .. ثم وصلت الى باب المصعد ، ثم
قلت لها فجأة :

— سجدى تتفرحى على الشقة بتاعتى ؟ !

وقالت امك فى مذاجة :

— شقة !! شقة ايه ؟ !

قلت وانا ابتسم لاطمئنها :

— ما انا ليه شقة مخصوصة فى العمارة دى .. مخليها
عشاش الضيوف الللى بيحوا من بلاد بره ، ينزلوا منها .. وساعات
أضابق من بيتنا ، آهى استريح منها !
قالت فى دهشة :

— ده انا عمري ما سمعت عن الشقة دى .. ده انا سألت
عم حابر الابواب عن السكان كلهم واحد واحد !
قلت :

— الشقة اللى فوق .. آخر شقة فى العمارة !

قالت :

— ده يقولوا ساكنها واحد حواجه ، ومسافر ؟ !

قلت وانا اقترب منها خطوة :

— آهى الشقة دى تنقى بناعى .. تعالى امحرك عليها !
قالت فى تردد :

— بس الوقت متأخر يا حسين !

قلت :

— نعماني يا شيخه .. ان مش حاي لى نوم .. نعماني
اعطني صبحان مهوود .. اصلى معبود اشرب القهوة قتل ما امام .
قالت وهي اكثر ترددا :

— طيب ما تحي شرب القهوة عندنا !
قلت :

— بعدى هدى تصحى .

وكان ذكر اسبك مد تبه حواس والدنك ، واثار منها حرصها ،
فعمدت ما بين حاحيها كأنها بسعين بكل دكانها لى موضع
حطوبها الثالثة .. وذكر دكاه لم بسطيع أن يتعلب على أطباعها
.. على الحاد الحديدة اللي محاول أن تندمج فيها .. ثم انها
مطمسه انى .. لقد عشت فى حيانها عامين لم أحاول خلانها
ان اتل منها .. وعد رات فى المصبع الحديد مظاهر عدة كل يصل
الىا انها بصرح الشرف ثم اكتشف أنها لا محل بالشرف .. رات
نساء فى أحضان رجال براقصوبهن بمواقفة ارواحهن .. ورات
نساء يشرس الحمر والسحائر .. ورائى أقتل حبرية قتلات
برسة .. و .. و .. ولعلها فكرت كلام حبرية عندما قالت
ان المراه وهى فى الخامسة والثلاثين من عمرها لا تستطيع ان
فروح الا اذا وحدث رجلا يحبها .. وهى تريدنى ان احبها ..
ونريدنى ان ابروحها .. لأنها لا تحب لعبلا لاهسامى بها الا رغبتى
فى الزواج بها ..

وطال ترددها .. تردد فيه خوف وغبه جزع ..
وظلت صامدة ..

وحذتها من ذراعها الى ناحية المصعد الخاص الذى يصل
الى " عشر النمر " — كما كنت أسمى شقتى الخاصة -
فأسسليت ، وهى مكسة الرأس - ساهمة العنبر ، كأنها
مستسلمة للدمج ..
وصعدنا ..

وفتحت الباب بمفتاحي الخاص ..

ودخلنا ..

وبذلت أمك مجهوداً كبيراً لترفع رأسها وتنقي من أسسلاها

.. وقالت في صوت ضعيف :

— دي باين عليها أكثر من شققتنا !!

وتركها تدبر عندها في أحواء الشقة .. وتقترب في احترااس

من أبواب العرف .. وبطل منها .. وانجحت أيا إلى « البار »

وأعددت كأساً واحداً من الوبسكى ، وصعبه على مائدة صغيرة

أمامه على مقعد مريح ، وقلت وأنا أتنهد :

— أنا بظهر عجزت يا معبده !

تالت في صوت مرنك ، وهى واقفة بعدا عني ، تخافت أن

تقترب :

— معبد الشر يا أخويا .. ده أثبت لسه في عزك .. اللي

بشوفك ما يدكش أكثر من أربعين سنة ..

وسقطب عيناها على كأس الوبسكى الذي أمامي ، وأرنعشت

حمونها .. كانت بخاف أن ادعوها إليه .. كانت على حذر ..

وقالت كأنها تذكرنى :

— مش اعملك القهوة ؟

قلت :

— بلاش .. اشربها أما ارجع البيت أحسن ..

ثم غيرت لهجتي واستطردت في لهجة أمره ، كأنها حلامه

أمرها بأن ترتفع إلى درجة الأسيد :

— أقعدى ..

وجلست طائمه كأنها لا تحرو على أن نحالف أى امرا ..

جلست بعيدا عني .. فوق أريكة .. ويداها في حجرها ، وبس

شعبيها اسمامه صغيره حائرة يحاول أن تطمئن بها نفسها ..

أنها المرة الأولى التي تطلو فيها إلى رجل . في شقة حصه - وفي

الساعة الثامنة صباحا . وبينها وبينه كأس من افوسكى ..
وهى لا تدري ماذا يفعل .. هل تصحك . ام تسيسلم بحيائها ؟
هل تقرب من . ام تبعد على حذر ؟ هل تنكمر ، ام تتركى
اندا بالكلام ؟

وهى فى حريها .. وفى اسطرها لما يمكن ان يحدث . تقوم
بحركات غريبة تكاد تصحكى .. مهي نفثى حيا وتسد حدها
على مسند الأريكة .. ثم تعذل ، وتميل الى الوراء .. ثم تسجد
ويرفع النازع فوق صدرها ويفزع ما عيه من هواء .. ثم تنيل
الى الأمام وتطر بين قدميها وتغصر إحدى يديها باليد الأخرى ..
ثم ترمع الى عنفها فى لحظة سرعه كأنها تسألنى : ماذا تريدنى
ان افعل ؟ !

وأنا اطلب النظر اليها ، كالقط الذى يشفق على انهار المسكين
قل ان يأكله ..

وكى هذه المرأة لا يفتح شهينى ..
واحدب أجمع اعصابى ، واضغط عليها ، حتى اثر شهينى ..
حتى اعد نفسى لأكل امك ..
ولكنى لم استطع ..

ان اعصابى فى هذه الليلة كانت باردة لا تتحمس ، ولا تسخن .
ولا يستطيع ان توهم امك ..

ان محولى بخونى الأول مره ..
وصصبت كل عنى فوق ساقبها .. واربععت بها الى
مخدها . وطلعت بها فوق عجزها وصدرها .. وأنا أحاول
ان احد فسيما ما يثرنى ، وما يساعدنى على اذكاء اعصابى .
وما يحرك محولى . وكنت اهمس انفسى كأنى ادعو الشيطان
الى بدنى - نادلا ملاه هذا الحسد .. انه حسد وانسلام ..
واستمرام .. مشهور بالداواه .. فلماذا لا تريد ان تأكل هذه
اللله . حرم حرمة العجل .. لقد محى عليك زمن طويل منذ

كتب معاولا صعبا في الخيش الريطاني ، ثم ناكل فيه العسل
.. و ..

ولكني لم استطع ..

ان شهني لا يرال مصدوده ..

وأنا حالس في استرخاء ، لا استطيع أن أحرك ..

وبسبب من بسبي ، وعندما يئست أحدث أحاول أن ادع
بسي - وأقول في صدري : « دعها هذه الليلة .. انها أول
ليلة بطو بها .. مدعها لتطمئن اليك .. لتزداد ثمة بك .. انك
تستطيع ان تأكلها ليلة أخرى .. وابليالي كثيرة » !
وقررت ان أتركها هذه الليلة ..

ولم يكن في ذلك فصل لي .. لم أتركها ساء على حطة
موضوعه . ولا لأكتب ثقها .. انها لمجرد أن معدني لم يكن
يستطيع أن يهضم حرمة العسل .

وأني لا يرال بشي أمامي كأن حسدها يقمر نحت لسعات
عيني ، بينما يقول كلاما سخيفا .

وقلت لها وأنا أحفي عنها عيني كأنني أرحبها من لسع النار ؟
- نقوم نروح ناه يا تميده ؟ !

وبطرت الى في دهشة مشوية بحية الأمل .. لعلها كانت
يسطر أن يحدث بيما شيء .. شيء أكثر من أن يحس هكذا
قبالة بعضنا البعض . وبسبب كس من اليوسكي أبلل بل شفني
ولا ادعها الله .. بعها كاتب يسطر أن أصرح لها بحبي ..
أو أن أعرض عنها ارواح .. أو أحاول معها أي شيء ..
والا لم معنى أن بدوي في شقة خاصه في الساعة الثانية
صباحا .. وما معنى هذا البردد والحيرة والخوف والحذر الذي
عاشه منذ خلوت بها ..

وقالت وكلماتها تقع من بين شعبيها ، كأنها كلمات تخدح
مينة :

— نقوم يا اخويا !!

ثم قامت من فوق الأريكة ، وهى تقول :

— انا حتى كل يوم اطلع الشقة دى علشان انضفها لك ..

قلت وانا امد يدي اليها لتحذسى من فوق بمعدى

— اوعى .. ده ماحدش عارف حالى ان الشقة دى

بناعتى . ماحدش عارف دلوقت الا انتى ..

قالت وهى تحذبنى :

— ليه .. ودى فيها عيب كمان ايه ؟ !

قلت :

— مش حكاية عيب .. اسامى مش ضرورى الناس تعرف

على كل حاجة .. ثم ان عم جابر السواب بيطلع ينضفها كل يوم ..

قالت وهى تمصص شفيتها فى تعجب :

— امرك ..

وانحيا نحو الباب ، وقبل ان امسحه ، اسندت لها مرة

واحدة ، وانا احاول الا انظر حتى لا اعدل عما ثوبته .. ثم

حدسها الى صدرى ، وقلبي فوق حدها .. قلة تعمدت ان يطول

على قدر طافسى .. على قدر ما تحتله انفاسى ..

وارتعشت بين دراعى .. وحاولت ان تدفعنى عنها ..

ولكنها استسلمت سرعاً لقلبي .. وهذأت بين دراعى ، كأنها

استقرت بينها الى الأبد ..

واسعدت عنها .. وطعم قلبي بين شفتى كطعم التفاح

المعطر .. ورائحتها تهلاً أنفى .. رائحة عجيبة .. رائحة

الطبقة الوسطى الصغيرة .. هل تعلمين ان لكل طبقة رائحة

تميزها .. الطبقة الكادحة التى يضم الملاحين والعمال لها رائحة

خاصة يتميز بها كل أفرادها .. والطبقة الوسطى الصغيرة لها

رائحة خاصة .. والطبقة الوسطى الغنية لها رائحة أخرى ..

والطبقة العليا التى نندا من الملك وتجمع أصحاب رعوس الأموال

وأصحاب الأرض لها رائحة نهرها .. كل طبقة لها رائحة
 سمعت منها دائما ، ولا بدول مهما تغيرت ظروف الفرد الذي
 يسمى اليه .. ولو سكنت رجاية من عطر باريس على احدى
 سباب الملاحين مستظل رائحة طبقتها شمعت من وراء عطر
 عارسي .. ولو بعطرت احدى الراقصات وحدى بنات الفوات
 بعطر واحد .. عطر « أريج » مثلا .. فسيمترح « الأريج »
 مرائحة الطبقة التي تنتمي اليها كل منهما فتختلف رائحته في
 الراقصة ، عن رائحته في بنت الفوات .. ولن تكون رائحتها
 أبدا واحدة .. وقد مررت أنا بكل هذه الطبقات ، وعرفت
 رائحتها جميعا .. لم تستطع واحدة أن تخدمني في طبقتها ،
 بعسل أبهى ورعم ذلك ، فقد صبت عنديا شمعت رائحة والدتك
 .. بقززت .. ربما لأن أنفي كان قد تعود على رائحة ممعة منذ
 زمن طويل .. منذ صنعت ملابسى ، ولم أعد أشم الا رائحة
 واحدة .. رائحة .. رائحة نساء الفوات !

وقلت لها ، وأنا أحسب أنفى بأصابعى كأنى أتذكره بعد
 ٢٠٠٠ نسيت :
 — أنا كان نمسى أبوسك با تفده من ساعة ما كنا نلعب

الشباب !

ولم نحاول أن نسعد عى .. ظلت في مكانها ملنصة بصدري .
 كأنها تنتظر منى قلة أخرى ، ورأسها مدلى فوق صدرها في
 حياء .. وبماؤها مكتنزة في وحنيتها .. وأنفاسها تتلاحق كأن
 ثعبانا قد شط بعد رقاد طويل .. وقالت في كلمات خفيضة لا تكاد
 سمع :

— يعنى ضرورى أبوس ده !!

فالتفت ورأسها بريح موق كتفها ، كأنها تدعوى لأقل
 حدها الآخر ..

وقلت لها ، وقد بدأت أحاول الابتعاد عنها :

— احنا خلاص يا تفيده .. ما بقايش بيتنا تكليف !

تالت في دلال سمح وكنها غاضبة :

— ما انت بتسوس كل الناس .. لسه من شوية كنت تسوس

حيريه .. يعنى كل دول ما مشر بينك وسهم تكلف ؟

قت في امتعاض :

— لا .. انسى حاجة تانية !

قالت وقد تدفق مريد من الدماء الى وحيثها

— ازاي ؟ !

قلت وأنا امسح الباب كأتى دم اعد اطبقتها :

— باه يعنى مش عارفة ؟ !

وارعش حسدها كان كل خلعة فيه تزعرد .. ثم سارت

نحو الباب وهى سائل موق كعب حدائها العالى ..

وأنا خلفها اعصب من نفسى ..

ماذا اريد منها ؟

ماذا يردد شيخ فى الساعة والخمسين من امراه فى الحامسة

والثلاثى ولعلها بعدها نحو الاربعى — لمست حملة ولا مثيره ؟

وهل لا احد وسيله لادلال محمد امذى السيد وعائلة محمد

امذى السيد الا هذه الوسيلة .. الا ان احصل على جسد روحه

لا يسحق ان يستولى عليه احد ؟ !

وبدكرتك ..

لو كنت انت .. لكان لى بعض العذر . مان فى ثنانك

ما اشتبهه ، وما بشيرى ، وما يسحق الامتلاك . ولكن هذه

المرآه .. أمك .. يا حفظ !

ورلنا ومد حبل الى انى ابرل من شاهق .. انى أهوى ..

وركب أمك المصعد الآخر عائده الى شقيقكم .. وركبت أنا سيارتى

وأنا اشعر بالحصة .. خيبة فى رجولى .. وحبية فى احزامى لنفسى

.. وطعم قلة أمك لا تزال بين شمى طعم التماح العطر ..

ورائحها لا تزال فى أنفى .. رائحة الطبقة الوسطى الصغيرة !!

- ١٣ -

ودعيت الى مكنتى في اليوم التالي ، وانا شرير .. اريد ان
 احقق اول من يقاومنى .. اريد ان استنعم احساسى بقوتى
 وجبروتى . عن احساسى باى لا استطع ان احترم نمى ..
 عن احساسى بالحبسة والبأس من نمى ..
 وحاء عند العظيم . وهو يصع على وجهه غباعا عابسا ، كانه
 يحمل خيرا خطيرا .. انى اعرفه عندها يلعب هذا القناع ..
 ان هذا القناع معناه انه اثم بفيذ احدى حرائقنا .. فاذا انكسرت
 شركه منافسه . جاء لينبئها الى وهو بكاد يبكى .. كانه ليس
 القاتل .. وادامات عدو له وضع على وجهه هذا القناع المأس .
 وهو يستمد ليمشى في جنازته
 وقلت له :

— خير على الصبح ؟

قال :

— والله حاجة مؤسفة يا سعادہ الماشا !

قلت :

— ايه .. حصل ايه ؟

قال :

— اسماعيل امتدى عند الهواد احو السبت بميدة ..

وانتمست انتسابه صميرة لم استطع ان احبها بين شعبى ،

ثم قلت مجاريا عند العظيم في نفاقه :

— والله ؟

قال :

— بعد كل اللي عملته له سعادتك .. وبعد كل تعليمك عليه وعلى عقله .. أنصح أنه نازل اخلاص في اموال شركة اسكندرية ..

قلت في برود :

— وعملت فيه ايه ؟

قال وهو يحفى عييه تحت حمليه اللوثين ، حتى لا تفتضح شياخته :

— والله ممسنى امر سعادتك !

قلت في احتصار قاس :

— بلغ النبالة !

وغفر عند العظيم فيه دهشة ، ورفع يده كأنه يصد بها مصيبة ، وقال :

— ما بلاش انفسه .. ده برضه بقى مسيب زميلنا المرحوم محمد أفندي السيد ..

وكنيت اعلم أن عند العظيم لا يريد أن يسلم خالك الى النيابة حتى لا يملت من يده .. انه يريد أن يحتفظ به لبذله .. ليعاينه على مساومته له عند أول معرفته به .. وعند العظيم هو الذي دفعه الى الاحتلاس .. دفعه بقوة وبالحاج .. عساه صراما في الشركة حتى تتراقص اموال الشركة امام عينيه وحرضه على بيعها .. وقد حاول خالك أن يقاوم اعراء أوراق السكوب .. حاول أن يطل شريفا .. فسلط عليه عند العظيم أحد اعدائه .. موظف آخر في الشركة .. أحد معري خالك بالاحتلاس ، ويقتعه أن كل الصرامين محلوسون .. وأن أحدا لم يستطيع أن يكتشف هذا الاخلاص .. وماذا يصير شركة تملك مليونا من الجبهيات ادة مقد منها ألف أو ألفان .. و .. و .. وبدا خالك يصعفت ..

وكانت الفكرة التي قمرها فوق كفى .. قد أعرتة بمزيد من
القمزات .. لم يعد يكفيه مرسة الذي لا يجاور الخمسين جيبها
في الشهر بيما آلاف الجنهات تتراقص أمام عينيه كل يوم ..
واختلس ..

كان يكتب بمساعدة مندوب عند المظيم ايصالا وهبة ،
ويقضى قيمتها ..

وقلت لعدد العظيم :

— أمال ناوى تعمل فيه ايه ؟

قال وشفتاه تنضجان بلعابه :

— اهو نسوى الحكاية بيننا وبينه ..

قلت ووجهى جامد لا يتحرك :

— اختلس كام ؟

قال كأنه يعلن انصاره :

— أليس حبه !

قلت :

— سى ؟ !

قال وهو يبتسم :

— كفايه عليه كده !

قلت :

— طيب اعمل اللى تشومه !

قال :

— أنا نعت احبه من اسكندرية .. انها حايك بروح للمت
تمده علشان تتوسط له !

قلت فى ادعاء :

— مش ممكن اسمح لحد يتوسط لحرامى .. الحرامى لازم
ياخذ حزاؤه ..

واتسمت ابتسامة عند المظيم ..

لقد مهم شيئا كان يحشى الا منهجه .. مهم ابنى لا زلت كما انا ..
.. لا زلت شريرا حتى فيها يحصى بعائلة-محمد امدي السيد ..
.. وحام الى القاهرة .. حاء ذئلا مريجا ويداه مصمومنان
الى صدره كأنه كليهما باعترافه ..
انه لم يعد شريما ..

انه الآن لا يستطيع ان يساوم .. ليس عنده ما يساوم
عليه .. وقد كان يساوم من قبل لأنه كان انسانا شريفا ..
كان شخصية مسقلة واقفة على قدميها .. وكان يستطيع ان
يقول : لا .. ويخرج مرفوع الرأس .. ايا اليوم .. فهو لا شيء ..
.. انه مختلس .. لص .. لا يستطيع ان يرفع رأسه ..
ولا يستطيع الا ان يتوسل ويرجو .. لعلنا نسمح عنه ..
ونركه عند العظيم ببطر على الباب ساعات ، ثم ما كاد
يسمح له بالدخول ، حتى سقط على يديه يقلبها وهو مصرح :
— أنا في عرضك يا سعادة الله .. اعمل فنه اللي انت عايزه
بس استرني ، واستر ولادي ..

ونركه عند العظيم يقلب يده ثم سحبها منه في طرف ..
وأخذ ينظر اليه في احقار كأنه يبطر الى بعوضة .. ثم أخذ
يدور حوله كأنه يتمس في حثه حيوان نامق .. وقال في ثماته :
— ولما انت عايز تسبر ولادك ، كنت تسرق ليه ؟ ..
وانحمر الرجل نكبا ..

الرجل الذي كان يعبر بذكائه الرسمى .. وبإيمانه بالله ..
يبكى الآن ، لا بين يدي الله ، بل يبكى بين يدي عند العظيم ..
وقال وهو ينحن لتقبل طرف ستره سيده :
— ابوس رحلك يا سعادة البية .. ارحمنى يا سعادة الله ..
.. انا عطار .. الشيطان .. الشيطان يا سعادة الله .. و ..
وقاطعه عند العظيم :

— انتى حلى الساة ترحمك . المساله خرجت من ايدي

خلاص !

يصرخ اسماعيل افندى عند الجواد :

— البياة .. ده انا عمري ما دخلت كركون .. البياة ..
ده انا اموت تمسى !

وانهار على مقعد وهو يحشش بالكاء .. ثم استطرد قائلا :

— انا مستعد اكون خدامك لغاية ما اموت .. اعسل
معروف . ملاش البياة .. ما تدلشش عى .. واعمل فى اللى
انت عابزه ..

وحش عند العظيم وراء مكسه . واحذ ينظر الى نريسه
فى تلدد كانه يشهد دميحة نعد للشواء .. وقال فى تمهل :

— والالفين جنيه ودينهم مين ؟

قال الرجل بسرعة :

— فاصل معايا منهم خمسماية .. ومساعد ابىع عفشى

بيتى وصيعة مراتى ، واكمل عليهم ..

وقال عبد العظيم :

— ومشى عاوزنى اوديك النماة ؟

وقال اسماعيل افندى ودموعه تشق خديه :

— انا فى عرضك ..

وعاد عند العظيم يقول فى تمهل :

— ومشى عاوزنى اطردك من الشركة !

قال الرجل وهو ينهه :

— اننى تشوفه يا سعادة البيه ..

وصمت عند العظيم قليلا . كسه بعكر . ثم عاد يقول :

— ادا طردك من الشركة متى مش حاقد احصك ..

ماحدثش حاشيوف وشك بعد كده .. يسقى لازم بمسسل فى
الشركة ..

وقال الرجل فى ضعف :

— حاضر .. اللى تشوفه !

وأخرج عبد العظيم ورقة معدة ، من درج مكتبه ، وقدمها الى
اسماعيل افندى ، قائلا فى لهجة أمرة :

— خذ .. امضى على الورقة دى !

وعام الرجل المنهار عن مقعده ، وأحد بنظر فى الورقة من خلال
دموعه ، ثم ارتفع حاصاه فى زعر ، وقال فى صوت محشرح :

— ايه ده ؟ !

وقال عبد العظيم فى هدوء :

— ده وصل أمانة بأربعة آلاف جنيه .

وقال اسماعيل افندى :

— اما انا ما خدتش غير الفين¹

وارتفع صوت عبد العظيم فى وجهه قائلا :

. انت ماكر احبا حرامية زيك .. حانضى ، ولا ابلغ
العبادة ؟

وقال الرجل وهو يرتعش :

بس يا سعادة البيه انا ..

وغاطعه عبد العظيم قائلا :

— عارف انك ما خدتش غير الفين .. انها انت حافضل

موظف فى الشركة ، ولازم أطمن انك مش حاتسرق تانى .. لازم
ببقى فى ايدى سلاح احوك منه .. ما تقساش انك راجل مش
أمين .. انك حرامى .. والحرامية اللى زيك ما يحوش بالدوق
.. انها سحوا بالخوف .

وانهمرت الدموع من عيني اسماعيل افندى ، وقال وهو
يشبح بوجهه عن الورقة :

— نعمى بدل ما اروح فى داهية علشان الفين جنيه ..
يعقوا أربعة آلاف !

وصرح عبد العظيم .

— أنت راحل عني .. لأرم نعيمى لى لو كنت عمر أوديك
فى داهية كنت وديتك من رمان .. اما انا رحيك علشان ما انت
سبب المرحوم محمد امدى السيد .. وعلاش خاطر الست
أحك ، وبت أحك .. حاتصى ولا لا ؟

وقال اسماعيل امدى وهو يبكى على حافة المنعد حى
لا يسقط على الأرض :

— سر حالقع الأربعة آلاف حنه دول مين ؟

وقال عبد العظيم وقد هذا صراحه :

— مش حاندمع .. اماشا مش عاوز منك حاجة ..
حانقصل الورقة دى فى مكى لعانه ما يحطس مرة مانسه لملعها
لك ..

وهر حالك رأسه كانه بريد ان ينخلص منها . سم أراح
طربوشه الى مؤخرة رأسه . وحبب دموعه بصدقه . ثم أمسك
بالقلم وقال :

أنا بحب أمركم اللى تعملوه فى اعماله . اما بين ايديكم
ووقع بامصائه على الورقه ..

وقع « وصل أمه » بأربعة آلاف حنه . وهو لم يأخذ من
أموال الشركة سوى الفين ، شاركه فيها الموظف الآخر الذى
سلطه عنده عبد العظيم .. فلم يصله منها سوى ألف ومائى
حنه .. وهكذا ..

هكذا باع خالك حرينه وحياته لعبد العظيم .. ولى
ان هذه الورقة يكى طرح به فى السحر ثلاث سموات لى
الأمل . يكى ان يخرجها عبد العظيم من درجه . تدخل خالك
لى السحر ..

وارمى خالك على مقعد من شدة الإغواء . بينما تحو عبد

العظيم سمع في الورقة . وانسمه بملأ وجهه .. انسمه
النصر ..

ثم ألقى انسمته سريعا ، وقال لحالك :

— وناوى نقول انه نلت احك ؟ ..

وقال ارحل وانسمه تصمف كأنه يموت

— ها نقول انه . واعد ايه .. هوه ناه منه حاحه نقال !

وقال عند العظيم :

— أمكر لاش نقول لها حاحه .. نلاش مصامح .. خصوصا

ان الناشا بصايق قوى لو جد حاب السيرة دي قدامه !

وقال اسماعيل افندي في انسلام :

— حاضر !

وعاد عند العظيم بقول في هدوء :

— الموظف الذى اشترك معاك في الاحتلاس طردناه من

الشركة . وحرماناه من المكافاه .. وحصرتك مش ممكن يرجع

في وطنك .. حسمين كاتب في قسم الحسابات ومريك حاسرل

شومة : حبقى عشرين حيه بس ..

وقال حالك هامسا .

— حاضر ..

وقال عند العظيم وهو يدير عنه وجهه :

— انصل حضرتك من عر مطرود وبدره تصمف نكون

في اسكندرية .. علشان تستلم الوظيفة الحديدية !

وخرج خالك يلهث ..

هذا ما حدث بين حالك وبين عند العظيم .. بلا مباله ..

ان كل ما احثك عنه لا بشر معنى المباله الا في رعوس السدح

الانرباء الذين لا يعلمون كيف يعيش ، وكيف يعمل .. الذين

لا يرون الا ثابا الانبيه . ودمونا الحليفة . وايدينا المصحه

بالعطر . واحاديشا الساعية وابسماسا الخلود . ثم لا يرون
الامر المدسه التي حكتها بها هذه الثياب . ولا الامواس الحادة
التي يخلق بها دقوت . ولا الاطافر التي تطل من اظفد . ولا المعلى
التي تحصى وراء احاديشا . ولا الاسمان التي تبدو من حلال
ابسماسا .

وقد اسعفت الى ما حرى بين عند العظيم وحائك . وانا
تشنو . ثم يتحرك فى عصب واحد ليرحم الرجل . ولم احاول
ان اسهر بسفى عن اداء اسنان صعيص تامه لا يتحمل صعط
أصابعى عليه . كنت احس بالنشوة وانا أهبط . أهبط .
أهبط الى الاطلام طلام احدث وانشى اللذين احسهما نحو اناس
حيصا . وكان مطلقى يبرر لى هذا السلام . وهذا الطلم .
كان مطلقى يقول لى : « لقد حاولت ان تسرى هذا الرجل
بكرمك . مساومك . وطمع فك . ولو فركه لما وقف طمعه
عند حد . لطمع فى ان يهشى لحم كعك . ولكتك بالحديعة .
وبالمفاله . اشريه . امثكه . انك تستطيع ان تفعل
به الآن ما تشاء . يستطيع ان يدسح احمه ويست احمه امام عينيه .
دون ان يعرض . انك لن يملك الناس بالكرم . ولكتك بملكهم
بالخوف . ان الكرم يهوى بالناس الى ان يحفدوا عليك .
والخوف يهوى بهم الى احرامك !!

وقد خرج حالك من مكتب عند العظيم . وذهب اليكم .
ولم ينكم . ثم برو لأمك شبا مما حدث له . وربما بر لب
دهوله والشفاء الذى يبدو على وجهه . بالمرض أو بالصيق .
ولكنه حرص على الا يروى قصه .

ودهيت انا فى نفس اسبوم لاسول صعام العذاء عندكم .
والقيت به . ووقف اسمى دليلا . لا يرفع راسه . ولا يرمع
صوته بالدعاء لى كما كانت عادته . عيناه منكسنان . وشفاه
منكسل . وفامه منكسه . كنه يكاد يقع على الأرض .

ونظرت اليه باشمئزاز ، ولمست يده لمسة سريعة بذل ان اصابعه .. ثم علمت واننا اتعمد ان اثعره بانى صاحب البيت .. بانى السيد .. فقد كانت هذه اول مرة تلتقى فيها بمد تسلّم وظيفته فى الاسكندرية .

وناديت على الخادم ، وقلت له بلهجه آمرة :

— روح شوف الطناح عامل ايه النهارده ..

وقالت أمك وأحلام ليلة الأمس لا ترال نضحك فوق وحنينها :

— أنا موصاه يعمل الرر بالكند والكلاوى ..

وقلت وأنا امد ساقى امامى :

— هاتى لى الشيشب يا تفيده ، احسن الحرمة تصاتى ..

وقلمت أمك ، وعادت بالشيشب ، وانحنيت بصره بحاتب

تدمى ..

كل ذلك وخالك صامت .. لا يكلم .. ولا يثور . ولا سدى

دهشة ، انه يرانى واننا اعامل احنه كأنها عشيقتى .. او على

احسن الفروض كأنها خادمتى ، ورغم ذلك فهو لا يثور .. انه

لم بعد له شىء يثور من أحله .. لم يعد شربما .. أصبح قرىبا

حدا من عند العظيم .. كلاهما مسلوب الشرف والكرامة ..

وبكى عند العظيم باع شرمه وكرامه شمس محر .. شمس كبير ..

لقد مال بذل الشرف والكرامة . لقبك .. وبال ثراء كثيرا ..

وبال مكانة مرموقة بين رجال الأعمال . أما هالك فقد بع

شرمه بلا شئ .. باعه بسذاجة ..

وحطينا على مائدة العدا .. واننا لا ابادل خالك سوى كلمات

مقصصة ، نور ان اثير الى مأساه .. وهو يحببى مكس

العيين كأنه يتف بين يدي ربه .. وأمك مهتلة الوحده دائما ،

لا ترال الأحلام ترقص فوق وحنينها .. وبلح كعادتها فى تقديم

الطعام الى .. دور ان تراعى وجود احبها بينا .. كله

لم بعد له وجود فى الحياه الجديدة التى تحاسها .. وبكرت

بول مرة رئيسها مينا عندما اصررت على الا اقلانها مرة ثانية الا في حضور احبها .. هذا هو الاح الذي ظننت انها تستطيع ان تحتسب به .. او اندي مرصت العقاليد الشعبية الاحباء به .. انه يسعد الآن ان يسعها لقاء الورقة التي يحتفظ بها عبد العظيم في درجه .. بل ربما بأقل من ذلك .. لقاء رفع مرقته الى حمسين حسبها ..

ولم يكن حول المائدة من امراد عائلك من لا يزال يحتفظ بشخصيه الا انت .. انت وحدك .. ثم سفير ميك شيء الا انك برداديين بحولا .. نفس حديثك الحادث الذي لم تتسع آفاقه .. رغم اتساع آفاق الحياة التي يحيط بك .. ونفسى ابتسامتك الحزينه .. وبمس عيسك نعمسين اللذين بنقش صدرى ، وقد استقر ميهما ألم دهم .. اثم يحيط بك كهاله الملائكة ..

وكنت انت وحدك ، يظن ان مثل امامى .. مثبلى !
انى لم استول عليكم بعد ، مادمت لم استول عليك ..

انى لا استطيع ان احرم نفسى وأرضى عنها ، ما دمت للاحرمينى . ولا برصين عى . ولا بقتعين بحياتى ..
انى لا استطيع ان اكون شريفا .. لانك لا تعذر منى كرجل شريف ؟

وكنت ادير عيسى عك ، الا فى مرات مقطعه انادك فيها بصع كلمات .. انى ان اسوين من ساول الغداء . وقمنا الى الصالون .. وجئست مراحا . وامك بطوف حولى فى انتظار لمح منى .. ودخلت انت الى عزمك .. وثلثت حلاك فى استجداء . ثم قرر ان يحلى لى الحو مع احبه ، فاستأذن فى الانصراف .. وقال وهو بيد يده يصامحنى :

— والله يا سعادته الناشا .. أصل .. يعنى .. كنت عايز اكلم سعادتك فى ..

واسسخت أنه يريد أن يحادثني في شأنه ، فطأطأه وقلب
حدة :

— معنيس .. مشن وقتله ؟

وقال في ضعف :

— حاضر .. أترك ..

وقالت أمك وهي يودعه إلى الباب :

— مشن تقعد لما نستريح يا أخويا ..

قال ورأسه لا يزال منكسا :

— لا معلنش .. ورأيا مشوار ..

وقالت أمك بلا حماس :

— مش حانات هنا الليلة ؟

وقال وهو مهر رأسه :

— ما أقدرش والله ما تعده ما أحى .. لازم أسافر إلى
إسكندرية !

قالت بسرعة :

— مع السلاية يا أخويا .. ما نشايش انصلام !!

وخرج حالك ..

وعاد إلى أمك وحسبها برعردان موق عسيها . كأنها تزف

بعضها إلى .. وقالت في اغراء يثير الشفقة :

— مش حانسهر الليلة عند خيرة ؟

وبطرت إليها في معجب !!

أما تلح في دعوة بعضها إلى ليلة كمنه الأسس .. ليلة عند

خيرة ، ثم في شفي الحاسة ..

وقالت :

والله بس مش عارم . أما أشوف مواعيدي أنه الليلة ؟

وعيب من متعدي كأنى أطلع عليها أحلامها . وأذهب إلى

الحمام . وعند خروجي منه لمحت باب عزمك مغلقا .. ومطكتني

رعة عسفة في أن أصبح هذا الباب المغلق .. وقد خيل إلى أنى
سأراك وراءه ، كما لم أعود أن أراك .. خيل إلى أنى قد
أفاحذك وإشمامتك أكثر حياء . وعيناك ضاحكتان .. ووجهك
يضمر يصرر بالششاط .. كوحوه نيات بادي الحزيرة .. كوحه
« شوشب » أنة حيرية .. كوحه الطيقة إلى أعشى منها ..
ودون أن أقرر على الباب ، مبحنه ..

ورايك ..

راييك سديين ثديك ..

كنت تد خلعت عك ثوبك ، ووفعت وسط العرفة لا يسترك
سوى قميصك الداخلي .. وكتمك عريشان .. وصدرك الصنى
ببطلق في كريات وغرور .. وساقاك مفصلتان من نجت ثوب
الحرير .. و .. والنافذة الحشبية مغلقة .. والصوء هادىء
خافت .. وأنت كعلانة من النور .. و .. وسقط عيناى عليك ،
والنصفت بك .. أنصفت بحسدك .. عسان مهورتان .. حشعنان
.. محرمتان .. بكادان نمرقان الثوب عك ، ثم سزقل الحسد ..
ودعرب أنت عديما مبحث الباب ..

وارنسيت على وجهك صرحه مكنومه .

ثم البقظت ثوبك وحاولت أن بحمى به حسدك على .. وقتلت
في صوت مربعش ضعيف كصوت صبرى :
— أبه ده .. كان لازم تحبط على الباب ..

عاب في صوت مدحوح . وأن أحاول أن أشع لعابى حتى
لا يسيل من بين شمسى ، وعيتاى لا تزالان ملصقتين بك .
— ما حدثش بالى .. آسف ..

وسم أخرج من العرمة .. بل بتقديم اليك خطوة . وعينى
المحرمين يتقدمانى ، واستطردت في كلمات لاهته . وأنا أمد
دراعى كئيبى أهم أن أريت على كتمك :

— على كل حال اسي ري ستي .. حد يكسفا من ابوه ؟ ..
واصلى هابزك في حكمة ..

قلت وانت تتعدين عنى خطوة . وقد استقرت عيناك ، في
مطرده ناسه . حملت كل شخصيتك القوية :

— انفصل حضرتك ، وانا جابه وراك .
وخمت ..

حيت منك ..

لا ادري لماذا ؟ !

ولم تشعري انت بحوقى ، ولكنى كنت خائفا فعلا .. شىء
فى صدرى حركته عيبك فاشاع الرعب فى قلبى .. وخفضت
دراعى المرموعة .. واستغنيت بكل ارادتى لاحول عينى عن
حسدك .. وقلت بصوت حاولت الا يكون مرتعشا :

— بس ما تأخرىش ؟ !

وخرحت من القرفة .. وانت ورائى تعلقين الباب على
ممسك بالمصاح ..

وسمعت صوت مرير المصاح كأنه صوت اعصابى وهى
بعصرنى . وانا لا رلت فى شيه ذهول .. وحسدك لا يرال امام
عينى يهتر كوشباح النور .

وحاولت ان اطرد هذا الحسد من امام عينى .. انه ليس
حسدا حملا .. انه حسد محيل .. اكثر نحولا مما تعودت ان
اشهر فى الاجساد . ان العظميين اللذين يدا بهما صدرك .
ويحددان كسيك . باررئان .. اكثر برورا مما يتطلبه الجمال ..
ولكنه ليس الجمال الذى يفتسى بك .. ليس الجمال الذى اشتبهه
بك .. انه الصبا .. صباك .. اسأ فى عمرنا هذا .. عمر
الشيوخ .. عمر الساعة والحمسى .. نحتاج الى الصبا
اكثر مما نحاج الى الجمال .. بمنصا الصبا اكثر مما يفتننا
الجمال .. وقد ننازل عن كثير من ملامح الجمال فى سمل

مزيد من الصبا .. أن الصبا يعوص النقص ميب .. بعد عما
شمع نكر الذي يقرب منا .. بعيد الينا شعلنا .. حقن
دماغا سمحه من الماصي .. الماصي القوي المحل ..

ولكن لماذا أقول هذا الكلام ؟ ..

لماذا أفكر بك كحسد ، وأنا أريد أن اقنعك بأنى بمثلها
أبيك .. أريدك ابنة لى ..

لماذا ؟

الانى لا أستطيع ..

لا أستطيع أن احترم نمى ..

وعدت فى خطوات يائسة ، وألقيت سفى على الأريكة وأنا
ألهث .. كل شيء فى يلهث .. وجاءت والدك وجلست بجانبى
ملبسة بى .. ومطرت إليها فى طرف .. الى وحشيتها المملتين ..
والى شمتيها الملمسين احداها حول الأخرى .. والى الأحاديث
تحت عينيها .. والحد المهدل تحت دفتها وحول عنتها .. والى
لونها الذى يشوبه الاصفرار ، كأنه اختزن طويلا فى مخزن تاجر
العاديات .. والى نهديها المهدلين كأنهما نعبا من الوقوف جيلا
بأكمله .. والى حدها الذى لا خطوط له .. ثم صحت فيها
رغم ارادى .. كأنى ابعدي عنى شحا محضا :

— ابعدي عنى !

وانحدمت المسكينة الى الوراء مدعورة .. فعدت وسالكت
أعصابى ، وقلت فى صوت أكثر هدوءا :

— اهللى تعبان شوية .. نفسى ضيق .. يطهر اكلت كبير !

ومحبت أيام طويلة تمهدت خلالها الا اراك ، او ازور الست ..
وامك تتصل بي بالهاتفون كل صباح ومساء ، مدعوني اليها ،
يودعوني معها الى ..
وانا اتعذب ..
اتعذب بحبك ..

نعم .. انه الحب .. نوع غريب من الحب .. ان بفاعل
الشهوة ، مع غريزة الاملاك ، مع الاحساس بالمشغل ، مع
محاولة مقاومة النفس .. كل هذا ، ينبع نوعا من الحب .. حب
شرير قاس لا يرحمنى ، ولا يرحمك ..
وقد حاولت ان اقلوم هذا الحب ..
حاولت كثيرا ..

وكنت المحاولة ترهقنى ، وبحرك اعصابى .. وكنت ابدو
كما انه يرى احد من قبل .. ضيق الصدر ، لا احتيل الناس ،
ولا احصل العمل ، ولا احصل بمسى .. وكنت انزوى بعيدا ..
احبس بمسى فى بيتى . او اخرج فى سيارتى واقضى الساعات
اطوف بصواحي القاهرة .. وانا هائم ، احاطب نفسي ، واحاول
ان ادفعها عن حقيقتها .. ثم افشل فى خداعها ، وامبق من
هيامى . لاحطم شيئا .. اى شيء .. احطم كوبا ، او احطم
امراة او رجلا ممن يمشون فى دائرة حياتى .. وفكرت فى ان

أسافر الى الخارج ، وكان لدى من شئون عملى ما يدفعنى الى السفر .. ولكنى لم أسافر .. أحسست كأن هناك صفقة يجب أن أنمها قبل السفر .. الصفقة التى تتمثل بك . وفى حى لك .. ففقت مع عذابى قريبا منك ، كأنى أحس قريبا من البورصة أرقب تقلبات الأسعار ، لأضرب من خلالها ضربتى .. ثم لجأت الى محاولة أخيرة .

لجأت اليك ..

هل كنت محملا فى الانحاء اليك ؟! .. لا احدى .. ولكنى كنت أمنى نفسى بأنك قد تساعدتنى على حى .. وانك قد تستطيعين أن تحررى هذا الحب من الشهوة ، ومن الفجور ، ومن رعة النملك التى سيطر على . وتجعلين منه حيا نقياً .. حيا أنويا محردا من الأنانية .. انك اسئلة نقية شريفة ، فهل للنقاء والشرف قوة تستطيع أن تهزم الدنس الذى يبلأ نفسى ؟ ! لقد تمنيت أن تكون لك هذه القوة ..

القوة التى تستطيع أن تهزمنى ..

وذهبت اليك ..

وجلست معك ومع والدتك ، وأنا أدير عينى عنك كأنى كنت أخشى اذا بطرت اليك أن أراك عارية مرتدية قميصك الداخلى ، كما رأيتك آخر مرة ..

وقامت والدتك تشرف على بعض شئون البيت ، وتركنا وحدها .. وقلت لك ، وأنا أنظر الى الأرض ، وأحاول أن أفسح فى صوتى نبرة حنان وتواضع :

— فيه حاجة مضايقتكى يا هدى ؟ !

وتنهدت فى هدوء وقلت فى صوت خفيض :

— لا .. أبدا !

قلت :

— مدهيالى أن مه حاجة مضايقتكى .. شايعك دايميا مش ..

مبسوطة .. ومشى عارف اعمل لك ايه علشان تنسطينى ..
عمرك ما طلعتى منى حاجة .. وعمري ما عرفت ايه اللي
باصحك .. انا زى ابوكى يا هدى ، ولازم معاملينى زى ابوكى ..
ورفعت رأسك لذكر والدك ، كانك تخلين على حتى بذكره
.. ثم قلت :

— انا عمري ما طلعت من المرحوم لما حاجة ..
قلت فى تعجب :

— معنى طول عمرك كنتى كده .. زهقانه .. وساكنة ؟ !
واحتت بسرعة :

— لا .. علشان كان بابا عايش ؟
ونظرت إليك ، وسقطت نظرتى على نهديك ، فرفعتها سريعا
الى وجهك ، وقلت :

— وايا مش زى لما ؟ !
واظلت من عينيك هذه البقرة الثلاثة التى تثقب صفري ،
واستسمت استقامة صغيرة حزينة .. ولم تردى على .. فعدت
أقول لك :

— معنى كنت مبسوطة فى شبرا اكر ؟ !
وعدت تنتهدين فى أسى ، وقلت :

— أنا كل صاحباتى فى شبرا ؟
قلت :

— وهنا ما لكيش صاحبات .. ده النادى مليون بنات من
حسنك ، وكلهم تعرفينهم ؟

واحتت فى أسى حوايا بعيدا عن سؤالى :

— كل اللي يحبه رشا كويس !
قلت :

— واللى أحبه أنا ؟ !
واجبت كاتك تهربين منى :

... حضرتك حيت لنا حاجات كتير .. كسر قوى .. عن
اذك يا عمى ، أما اقوم أوصب السفرة !
وقمت من أمامى ..

وكان هذا هو كل جهنك في معاونتى على نفسى .. كلمات
كانها الصفحات ، وكأنيك توجهينها الى سجاتك .. الى رجل
يحاول اغتصابك .. وقد كنت فعلا مسحاتك ، وكنت فعلا أحاول
اغتصابك .. ولكنك لم تحاولي ان تقدمي للسجان رشوة حتى
يطلق سراحك .. ولم تحاولي ان تقدمي له شيئا يموضه عن
اغتصابك !

هل الشرف والبقاء يقدرا دائما هكذا .. موقفا سلسا ..
ويتركبان الناس تمتدى عليهما ؟ ..

لقد وقف منى أبوك موقفا سلبيا ، وتركنى أسير في طريق
الاعمال القذرة ، لم يحاول ان يقننى أو يقنعنى ، إلا بهذه النظرة
الساخرة التى كان يوجهها الى .. النظرة التى كانت تحرك
شئنا في صدرى ، ولكنها لم تكن أبدا تقننى من طريقي ..

وقد حمى أبوك نفسه منى بأن ابتعد عنى ..
ولكنك لن تحمى نفسك منى .. لأنك لن تستطيعي الاعتماد
عنى !

ونظرت اليك وأنت تطوفين حول مائدة الطعام ، وعيناك
غائتان عنى تحت حفيك .. نظرت الى جسدك .. الى الحسد
المكر الصسى .. انى أعرف سر عذابك .. انه هذا الجسد ..
لقد أردت ان تمنحني لحبيبتك عادل ، ملها حرمك من حبيبك ،
وحرمت حسدك منه ، تعذبت ..

هذا هو كل شيء ..

هكذا صور لى مملتى عذابك .. عذاب محصور في حسد ..
وما هو الحب ؟ انه تبادل أحساد لا أكثر .. فإذا لم تتبادل
جسدك مع عادل ، فيكنى ان تتبادل به مع أى رجل آخر ، حتى

نخلصى من العذاب .. ان الأحقاد كالنصاعة ، لا يهمل من
بشترتها ، ولكنها يجب أن تباع ..

هذا هو منطقى !!

المنطق الشيع الدينى ..

وأنا لا رلت أنظر الى حسدك ، بعيين محرمين ..
ولكن ، كيف ؟

كيف اشترى هذه النصاعة . وأحصل عليها ؟ !

وشعرت بانفاسى تصيق .. وأعصابى تلهب .. ورأسى
يصبح نازيز كس عشرات من الدبابير تملؤه وتلمعه .. وكلما
القيت نظره أخرى على حسدك ، صاقت انفاسى أكثر ، واشد
النهاب أعصابى ، وارتفع الأزيز .. وبدات أخط الأرض بقدى
كأنى ثور لا يطيق الحمل الذى يشده الى الود ، وأمسح على
وجهى بكى كأنى أرطب النار التى تندلع منه .. أنى ساجن ..
طباقة هائلة من الشر تملكى .. أريد أن احطم شيئاً .. أى
شيء ..

وجاعت أمك ، وجلست بجانبى وهى سبيل فى دلال سادح ..

هذه هى ..

سأحطمها ..

وملت عليها وقتلت هامما فى كلمات منلاحقة كأنها السفة
النار تطلق من فوهة الجحيم :

— أبا حاطع الشقة التى موق دلوقت . وانى حصلى بعد
شوية ؟

فألت وقد فوحتت بهذه ادموة :

— دلوقت ؟ !

قلت :

— أبوه .. دلوقت حالا !

فألت :

— مشى لما تنفدى ؟

قلت :

— لا .. ما ليش نفس .. أصلى نهار .. وعليز استريح

شويه !!

ثم قمت قبل أن أسمع ردها ، وخرجت من الشقة ونزلت
الى أسفل العمارة ا ووضعت نفسي في المصعد الحامس ، وصعدت
الى شقتي الحامس .. الى عش النسر .. وبسرعة خلعت مسترتي
وأجعت الى « البار » وأعددت لنفسي كأسا ثقيلة من الوبسكي ،
ولم أضعها أمامي لألبل به شمعتي كالعادة ، بل قدفت به الى
حوفي .. وأبيت عليه في جرعتين ، كأسه أصبه على ماري ..
ثم أعددت كأسا أخرى ، واحتفظت بها في يدي ، وجئست في
انتظار أمك ..

وحانت ..

جاءت المكبة ..

وكانت قد غبرت ثوبها بثوب خيل اليها انه اكثر اغراء ،
واكثرت من البودرة فمدت بشرها كحائط فرغ المبيض لتوه من
طلائه بالبياض ، واكثرت من اللون الأحمر فوق شفتيها فمدت كأنها
أكلت ذبيحة بدمها ، ثم لم تفصل الدم عن شفتيها ..

وخرجت من كأسى كأنى حمت — بعد أن رأيتها — أن أميق

من شرى المحزون .. وقلت لها وأنا انقسم من بين أسناني ..

أعمل لك كأسى ؟

قالت وهي تقرب مني مازحة فوق كعب حذاءها العالي :

— ده أحنا لسه نهار يا خويا !

قلت وأنا أعد لها كأسا أثقل من كأسى :

— هوه يعنى حرام بالنهار ، وخلال بالليل .. حدى يا شيخه ؛

وناولتها الكأس ..

واخذتها وهي تنسم في رهو ، كأنها نعل لي أنها أصبحت
لا تخاف الكاسي ، وقالت في جراءة :
— الا فوتر !

قلت وأنا اقترب منها حتى التصقت بها .
— في صحتنا أحنا الاثنين !
ولم أحاول أن انظر اليها .. كانت عيناي تتطراوان الى داخلي
.. الى وعاء الشر الذي بطني .. وكانت الرغبة في المحيطيم
تسندني .. الرغبة في الانتقام .. الانتقام من نوازع الشرف
التي تملكني بين الحين والحين ، والتي دفعتني الى اعادة عائلتيكم
والشرف عليها دون داع .. ودون منطق يرر لي هذا الشرف
الموهوم !

سأنتقم لنفسي من الشرف !
سأنتقم منك ..
سأسترد مالي الذي أنفقته عليكم ..
وتركتها تشرب حرعة كبيرة من كأسها ، ثم أعدته عن
شفتيها ، وشبهت في حدة . وأخذت تسعل سعالا حادا ، وتخط
على صدرها بيدها وهي تقول بين حشرجات سعالها :
— ايه ده يا حسي .. الدور ده ثقيل قوي ؟ !
قلت وأنا أريت ظهرها :
— خليكي حذمه أمان .. انتي حنمضلي خيبة طول عمرك
يا تفيده ؟ !

ثم قلبها فوق وحنتها . ونفت طعم التفاح العطر .. ورائحتها
تبلا أمني .. رائحة الطبقة المتوسطة الصغيرة مختلطة برائحة
عطور مارييس ، ورائحة الوبسكي ..
واشميت لقطني ، كأنها تلقت مني وساما ..
وابعدت عنها ، ورفعت كأسي الى شفتي ، كأني أحاول
أن اغسلهما من اثر قتلها ..

وبسالت في حياء - كأنها مناة تنلقى القنلة الأولى ، ثم قالت
في دلال :

— هو انت مأ تطلشي بوس يا حسين !

ومالت بوجهها إلى كأنها في انتظار تلقى القنلة الثانية ..
ثم رمعت كأسها ورشمت منها رشفة ثانية ، لم تسفل لها ..
ثم رشفة ثالثة .. ثم اتت على الكأس .. وأعددت لها كأسا
ثانية .. وأنا انظر إليها دون أن أحاول أن أراها حتى لا أنفر منها
.. انما عيناى تطران إلى داخلى .. إلى وعاء الشر الذى
سعى ..

وحملنا كأسينا وحلمنا فوق الأريكة الواسعة ..
وبدأت نتكلم ..

ولكنى اقتربت منها ، وأحطت كتنها بدراعى ، وأطلت النظر
إليها ، حتى سكنت عن الكلام .. أحست أن هناك شيئا سيحدث
.. ولم تكن تدري ما هذا الشيء بالضبط .. ولكنها كانت تتفكره
في صمت ..

وفجأة سقطت على شفتيها ، وعمرتها بين شفتى ..

وأسسلبت وفي عينيها نظره مبهورة خائفة .. ثم لما طالت
القنلة اسدلت خميها فوق عينيها ، ملحفت نظرتها .. وتركت
شفتيها بين شفتى .. تركتهما دون أن تضع فيهما حياة .. كأنهما
قطعتان من لحم مذخور ..

وأحطتها بدراعى الثانية ..

وتأثت في صوت ضعيف مدهور . ورائحة الوبسكى مختلطة
برائحة الطبقة المتوسطة الصغيرة ، نفخ في وجهى :

— مشر لما نتحور يا حسين ؟ !

قلت ووعاء الشر في نمسى بدوى بالخيلان ؟

— الجواز بعدين يا عيطه ..

وسكنت .. سكنت ملا حياة وبلا مقاومة .. كأنها ماتت
بين ذراعى .. ثم ..

ثم تلمكنى طاقة هائلة من الحقد .. انى احس بالحقد وبين
ذراعى حسد امرأة .. حقد اسود .. واحس كأنى انتقم فى
هذا الحسد من الناس كلهم .. من المقراء والاعتياء .. انتقم
مك .. ومن أبك ، ومن عادل ، ومن خالك .. وهذا الحسد
ليمس حسد أمك .. انه حسدكم جميعا .. حسدك أنت ..
وحسد أبك ، وحسد عادل ، وحسد خالك .. ان صوركم
منزأى لى كأنها تبعث مع انفاس أمك .. وأنا انفالى فى انتقامى
.. اطعن .. واطعن .. بلا رحمة .. وبلا نشوة .. سوى
نشوة الانتقام ..

ثم ..

ثم تركتها ..

تركت الحسد المسكين ..

وقمت واحضت الى النار ومنحت راحة سودا ورمعتها الى
شفتى .. وسكنتها فى حوقى ، وأنا مدير ظهري الى أمك ..
كنت لا أريد ان انظر اليها .. كأنى كنت أحاف اذا نظرت
اليها ان أرى دم الذبيحة مسموكا على الأرض .. ولكنى تحاملت
على نفسى ، والتفت اليها .. ورأيتها ..
رأيت بأساة مكومة موق الأريكة ..

— لم تكن نشوانة ، ولا خحولا .. بل كانت مدهوله .. كأنها
عائبة فى عالم بعيد .. عالم كانت تعيش فيه يوما كزوحة شريفة
.. وكان كل شيء مبها يسيل فى حرن كأنه الدموع .. شعرها
سيل فوق جبهتها ، ووجسها سسلان فوق وجهها .. وشعثها
سسلان فوق ذقنها .. ورأسها سائل فوق صدرها .
وانقبض صدرى حنى كاد يخفقنى ..

ونقيت صامسا لا أستطيع ان أحول عينى عنها .. انظر الى

جريمى .. جريمة اخرى .. ولم اعد اثرا .. ان وعاء الشر
هذا ولم يعد يطفى .. ولكنى اريد ان اهرب .. اهرب من امام
حريمى !

وناديتها فى صوت خافت :

— تفيده !

ولم ترد .. بقيت مستغرقة فى دهلها ..
ورفعت صوتى وناديتها وقد بدا الهلع يتسرب الى ثنى
— تفيده .. تفيده .. مالك ؟!

ورفعت رأسها فى طاء .. وثابت حولها كأنها تبحث عن مصدر
الصوت الذى يناديها ، ثم استقرت عينها فوق وجهى ، وقالت
وهى لا تزال فى دهلها :

— هيه .. بتقول ايه ؟!

وصرخت فى وجهها :

— مالك ؟

ثابت ورأسها يعود تميل فوق صدرها :

— مائش ؟!

— انها لا تحاول الآن ان تقلد خبرية .. ربما لأنها لم تترك خبرية
فى مثل هذا الموقف .. ولا تحاول ان سظاهر بالاندماج فى الحياة
الحديثة انى تعيشها ، ربما لأنها لم يكن يتصور ان هذه الحياة
الحديثة تصل الى هذه الحدود .. وهى فى الوقت نفسه لا تستطيع
ان تعود الى شخصيتها القديمة .. الى طبقها .. انها هى الآن
شئ لا طابع له .. شئ مكون فوق الأريكة بمثل مائة !
ونضايقت ..

زهقت من هذا الشئ !

ماذا حدث مما يحمل معنى النساء .. امرأة اخرى فى فراشى
سمقتها عشرات النساء !

مما هي المناسبة .. أين هي المناسبة ؟ هل هذه هي المرأة
الشريفة الوحيدة في مصر حتى تحمل كل هذا الهم ؟

وقلت وأنا أرمع راحة الصودا إلى شفتي مرة أخرى :
- أظن بقومي سترى دلوكت يا تعيده .. أحسن حد يسأل
عليكي ؟
ولم يحب ..

أما فانت واقعة وهي تضغط على ركتيها بكميها ، كأن
عمرها راد في لحظة سجين عاما .. وأراحت حصلات شعرها
السانل موق حسنها .. ثم انحنت تجمع بصعة مثالك للشعر
سقطت من رأسها فوق الأريكة .. ثم انحنت في خطوات بطيئة
بحو ألباب دور أن سطر إلى ..

وقبل أن يصل إلى الباب - التفت ونظرت إلى كل عينيها - ثم
عالت في صوت لا أسمع فيه .. صوت تكرني بصوتها عندما
سمعه لأول مرة في شبرا :

- أنت حاتحورنى يا حسين ؟ !

قلت وراحة الصودا لا تزال في يدي :

- مش وقته يا تفنده السؤال ده !!

وعادت تقول في نفس الصوت الحارم :

- أنت حاتحورنى ؟ !

قلت وأنا أحاول أن أنتسم لها :

- يا سنى الطمى .. أنا حاكلك في التليمون الليلة ..
حاكلك كبير !!

وأحنت رأسها كأنها مهزومة لا تملك إلا الاستسلام ..

ومسحت الباب .. وخرجت !!

ووضعت راحة الصودا على البار في عبق ، كأنني انق
سها عنى امك .. وأحسست برغبة شديدة في أن أضيق ..

أبصق قنلاتها ، وأبصق رائحتها ؛ وأبصق جسدها .. أبصق كل
ما لمسته منها ..

ثم دخلت الى حجرة النوم ، وطلعت بقية ثيابي ..
ونمت ..

وقمت من النوم في الساعة السادسة مساءً وأنا أحاول أن
أقع بخسائي سعيد .. بأني انتصرت .. بأني قضيت متعة ..
ولكن لا ..

ان عينيك تلاحقاني .. وشيء يحرك في صدري ويكاد يكتم
انفاسي ، ويمزق رئتي .. وأنا أحس بالقرص .. القرص من
نفسي .. أحس أنني قد نزلت .. قد نزلت .. وفي لحظة إلى حمام
من الماء الفلاني يغسل صدري ، وقلبي ، وعقلي .. يغسل عني
الطين المكوم في داخلي .

وفي الوقت نفسه أحس برعدة كأنني خائف .. خائف من
عبيك .. خائف من هذا الشيء الذي يتحرك في صدري .. وخائف
من عدو مجهول . يبرص في مكان ما .. أن كل هؤلاء
الأعداء الذين قصيت عليهم لسوا كل أعدائي ، بل يحيل إلى
أني كلما قصيت على عدو كنت في مكانه عشرة أعداء ..

أني أريد أن أستريح ..

أستريح من أعدائي ..

أني لا أستطيع أن أستريح منهم .. أنهم يعيشون في
صدري ..

وذهبت إلى مكثي في المساء وأنا يائس .. أن عشرات
الساعة ينحرون أمامي .. وعشرات الموظفين يقومون بين يدي ..
والدائر الكبيرة تصمت تحت وقع خطواتي كلها وقع خطوات
القدر .. ورغم ذلك أغنى يائس .. كل هذه المظاهر تحبطني
بهالة من الاحترام والمقدس .. وأنا يائس !..

وحاء عبد العظيم يقول لى . وبين شمسبه اسماءة كبره
كانه يرشوتى بها :

— الجماعة بنوع اتحاد المصدرين ، يقالهم اسوعين يملحوا
علشان يعملوا حفلة بكرم لسعادتك .. ومستبين ان سعادتك
محدد الموعد !

ومكرت برهه .. انى فى حاجة الى حفلة التكريم هذه ..
فى حاجة اليها لاتسع نفسى مائى اسار محترم مكرم .. وقتلت
لعبد العظيم وانا ما هم :

— بكره !!

ودهش عبد العظيم . وقال وهو يحدق فى عينيه كأنه يحاول
ان يكشف سرى :

— بس الجماعة ما بلحقوش يوضوا حاجة لكره . علم
الاقل نديهم مرصة علشان يبعثوا الدعوات ..
ونظرت اليه كاسى لا اراه ، وقتلت :

— طيب .. خليها بعد بكره !

قال وهو يتسم فى بلاهة كأنه عجز عن ان يفهمنى .
— نخليها الجمعة الحليه !!
قلت فى حدة :

— بلاش .. هم عابزين يكرموني على كبرهم .. انت عارف
انى ما احش حملات التكريم .. ثم انى الجمعة الجاية مشغول !
قال وهو يهز كتفيه مستسلما :

— خلاص نخليها بعد بكره .. الحقيقة يا ماشا دول لازم
يعدوا لك حفلة مكرم كل يوم .. اللى عملته لبلد مش شويه !!
ولم ارد عليه .. وخرج من مكنتى وهو يلتفت وراءه ليعيد
السحيق فى وجهى ، لعله يكشف سرى ..

ولم احادث والدتك بالثيمون كما وعدتها .. كنت اريد ان
اهرب منها .. من حريمى .. ومضت ان اذهب الى مادي

اسيارات .. اسى اُحد نفسى هناك فى دنيا تبرز لى اعمالى .. تبرز لى كل مالا أستطيع أن أنزله لنفسى فى ساعات ضغنى ، فى هذه الساعات التى يتحرك خلالها شيء فى صدرى .. ان الملك يذهب الى هناك ، والوزراء ، وكل رجال وسيدات الطبقة الأرستقراطية يذهبون الى هناك .. وكلهم يحترمونى ، لأنهم يعرفون انى ائدهم سفالة ، واتواهم اجراها .. وقد كنت ليلتها فى حاجة الى أن أشعر بقوتى .. كنت فى حاجة الى أن أشعر باحترام هؤلاء الناس .. وأشعر بهم حولى ، حتى أقتنع نفسى بأن هذه هى الدنيا .. كل الدنيا ..

والنفت بشريف بك زوج خيرية جالسا على التار ، يضحك ضحكته الضخمة المارغة ، ولا يصحك معه سوى سوى شاربه المرموع .. وخيرية جالسة على مائدة معدة تهمس فى أذن عبد الرحيم باشا وصدرها يسفرح فوق ذراعه .. والسيدة شهيرة هائم رئيسة جمعية السر ، ترمع يدها مكأس الويسكى .. فى صحة التفتراء .. والأميرة الصغيرة شاهندا جالسة وحولها ثلاثة من الضباط فوق كفى كل منهم أمة من أسلاك العصاة ، وشغافها نحائشان واحدا ، وعيناها تحلضان الآخر ، وساقها تحادث الثالث .. وعارب بك ينامته القصيرة وكرشه المنتفخة وائفه الكبير يحوب بين الموائد ، وكلها حط على واحدة ارتفعت من حوله الضحكات .. أنه مضحك الملك .. ويجب أن يضحك الجميع له ، ما دام الملك يضحك له .. وشديد باشا جالس على مائدة معزلة مع وزير المالية .. لابد أنه يسعى الى صنفية حديدة .. و ..

والوقت الانظار حولى .. ومرت لحظة صمت سريعة حيا بها الحاصرون مقدمى .. وادرت عيني بينهم فى نظرة متعالية .. لى ها السيد .. ان كل هؤلاء بين اصابعى .. كلهم اشتريهم واشتريت زوجاتهم ..

وشددت ظهري ، ومنحت صدري ، لأدو في هيئة الأسباد ..
وكرر لا يزال في صدري مراع كسر .. مدور مبه شيء حاد كأنه
المشمار ..

وجلست على مائدة وحدي .. وحاء مضحك الملك ليضحكني .
وقال وريحه الثقيل تحيط بي :

— سمعت آخر نكتة .. واحد مره راح بشدري عليه سحس
ملك مصر .. مالبياح سائه .. مدقن ولا من غير دقن !
وكان ماروق أياها قد أطلق لحنه ، وأطلق الناس عليه هذه
النكتة .. وعرف بك هو الوحيد الذي من حقه أن يضحك
بكت الناس عن الملك الى الملك .. ومن حقه أن يطوف بها في
أنحاء المادى ..

ومضحك عارف بك ضحكة كبيرة بعد أن أطلق نكتته ..
وربما أطلعها في تلك الليلة ألف مرة وضحك عليها ألف مره ..
وحاولت أن اضحك معه ، ولكني لم أستطع إلا محرد الاسم ..
وعاد مضحك الملك يقول :

— وميه واحده أحسن منها .. اسمع .. كل مره واحد ...
ولم احبل ..

وقاطعته وأنا اقوم من مقعدى قائلا :

— عن ادمك دقيقة واحدة ..

وقمت ووقفت بجانب شريف روح خربة عبد « النار » .
وبرك عارف بك يهر كنمه ويبحث لنفسه عن مائدة أخرى
يلقى عليها نكاته ..

ونظرت في وجه شريف طوبلا .. الى وجنتيه المورمين .
وشابه الزفوع .. انه الوحيد الذي احسده هذه الليلة .. انه
سعيد لأنه لا يحس .. لا يحس لأنه لا يعقل .. انه حيوان
سعيد .. لا يشمل رأسه هم .. ولا يحاول أن يرق بين الحطبة
والشرف .. بين رضاء الناس عنه ورصائه عن نفسه .. بين

«الروح المحلصة والروحة غير المحلصة .. ان كل هذه معن
لا وجود لها في دنياه .. كل ما في دنياه طعام حديد ، وشراب
حديد . ومراش وشر ، وبن قوي .. وامرأة يستدعيها في اوقات
مطمئة ، طبقا لأحدث التعاليم الطبية ..

ولكن شريف بك — نألف — لا يستطيع أن يعيى بسعادته
على أحد .. لا يستطيع أن يفسح في دنياه مكانا لانسار غيره ..
أنك تحس معه فتحس أنك جالس مع حمار .. والحمار سعيد ،
ولكنه لا يستطيع أن يشركك في سعادته !

ونركت شريف . وذهبت الى غرفة اللعب .. وجلست على
مائدة البكاراه .. وجاء محمود الساعى يحمل الى « فيش »
تيمته مائة جنيه .. ولكنى لو عددته لوحده تسعين جنيها مقط ..
ولم أعده . فمحمود لا يسرقنى ، ولكنه اتفاق بينى وبينه ..
ولمعت ..

وكسبت ..

وكرهت أن اكسب في هذه الليلة .. كنت امنى أن أخسر ..
كنت أريد أن أحس بنفى أعاقب على حريمى .. بأن شينا ننقص
منى حتى لو كانت هذه المائة جنيه .. ولكن احدا لا يستطيع
أن يعاقبنى حتى الحظ .. حتى الله .. اتى اكسب دائما ..
اكسب كل حرائمى .. والنقود من كثرة ما عاشت معى ، أصبحت
تكر فى يدي من تلقاء نفسها ،

وتب عن مائدة اللعب .. ونركت « الفش » الذى ربحته
لحمود لبصرقه من الخزينة ، وبعيده الى ناقصا عشرة جنيهات
أخرى ..

وعنت الى منزلى ..

وانا لا زلت مائسا ..

والجسد المكوم فوق الأريكة .. حسدا أنك لا يزال بلوح

علم عتى ..

وانتصى اليوم التالي ..

واقمت حفله التكرم .. وحلست في صدر الحفل استمع
الى الخطباء بانساء شديد .. كنت احاول ان امنع نفسي بما
يقولونه عسى .. كنت احاول ان اقتنع بنسي فعلا بانى اديت خدمات
حظي لمصر .. وللشعب .. وللعمال .. و .. و .. ولكنى
لم اقتنع وشعور الاحتقار للمحصلين بي يزحف على صدرى ..
كيف احرمهم .. وانا لا احترم الشخص الذى بكرموه .. لا احرمه
نفسى ..

وقمت بعد ان اتبهي الخطباء لأقول كلمتى .. واحدت ادر
عسى في الجمع المحشد امامى .. اتى اراهم صغارا .. صفارا
حدا .. وطلوا صامتين واعناقهم مشرئبة الى في تطلع .. وفى
شوق .. وفى ايهال .. كئسى ربهم الاعلى .. وكأنهم منتظرون
الدرر من شغضى ..

وخيت املهم ..

لم اتق خطانا طويلا كما كانوا ينتظرون .. بها قلت في صوب
محشر :

— مشكر .. مشكر !!

ثم جلست ..

ودوت القاعة بالنصفيق ..

هؤلاء المبانفون ؛ لماذا يصفون ؟

وقام رئيسهم وقتل في لهجة حارة :

— لقد اثبت حسين باننا شاكر مرة اخرى انه رحل اعمال ..

لا رحل كلام .. انه درس طبع القاء علينا ..

وكنت اتقيا من كثرة ما شربت من نفاق ..

وجرحت وانا ادوس بحدائى عنون المناقطين ..

ولا زلت بانسا ..

انى لا ادرى ما اريد ان افعله .. لا ادرى كيف اتخلص من

شعوري بالتمزز من نفسي .. انى ابطش فى عملى .. اسى امدادى
فى ظلمى وى قصوتى .. ورغم ذلك مانى اريد شمتا اكثر لبيسيتى
نفسى .. ليشعلى عن نفسى .

ومر اسبوع او عشرة ايام ، واتصلت بى خيرية فى التلجيمون ،
وبالت فى لحة حادة كانها تستمجد بى :

— ابت تشوم لك حل فى التست نميدة بابعك دى .. ان
خلاص ، ما مقلش استمجلها !

قلت فى هدوء :

— مالها ؟ !

قلت كانها تصرخ :

— مالها .. مش عارف مالها .. دى ما سمقلش ليل ولا بهار
.. من ساعه ما بصحى من اليوم سمدى شرب . وما سطلش شرب
الا لما قنام تانى .. ماين عليها اتحننت ..

قلت وانا اتهد كاتى اواسى نفسي :

— معلش ما حبرمة .. طولى بالك عليها .. وبطلها
الشرب !

قلت وهى لا تزال محتده .

— اطلها اراى .. دى كانت تيجى ترورى وبخلص على
نص اثار .. وسعدين دثوقتى سيحى ، ونحيب مزارة الويسكى
معاهما وبفضل تهلوس . ويقول كلام ما سمهمش منه حاجة ..

قلت فى رحاء :

— عاشان حاضرى .. حاكى معاهما .. وشوفى لها دكتور ..
انا اصلى مش قادر اهتم التست دى ايدا ..

وقبل ان ترد خيرية ، اسطردت قانلا :

— على فكره ، قصص الكوميات بتاعه اسوم البصدير ؟

وسرعة ابجه عقل حبرمة ابهاها آخر . وقالت فى صوت
هادى :

— ودى كومونات دى .. السهم يدفع خمسين قرش ..
يعنى اللي عنده ألف سهم يموت من الجوع ..
قلت ضاحكا :

— يا شبيحة حرام عليكى .. على كل حال انا حابعت لك كالم
سهم باركليز غلشان تحريبيهم ..

قالت كأنها تقفز فى سماعة التليفون :

— مرسى يا حسين .. طول عمرك حنين !

ثم اضطردت :

— ما تحملش هم لعميده ، انا حابوتها لك !

ووضعت سماعة التليفون ..

واحدت أنخيل أمك وهى سكرانة .. اتحمل حسدها كله
وهو يترنج كأنه مدلى من حل المشقة .. وأصيلك وراءه واطمة
كالشع . وعيباك العبيقتار مسومان الى صدرى .. نتقبانه ..
وتنمشانه لمخرها منه حثة ميت ..

ودق حرس الثيمون فى لملة تالية ، وسبعت صوتا مترنجا
محشرها كأنه خارج من تحت قمر .. صوتا يقول لى :

— مش حا تتجوزنى يا حسين !

وبعت لحظة .. ثم صحت :

— تكيفه !

وعادت تقول فى صوتها المترنح المحشر :

— مش حافتحوزنى يا حسين !

ثم ضحكت ضحكة كأنها صرير الريح .. والقت سماعة
التليفون ..

واستمرت هذه المهزلة ليلها طويلة .. كانت أمك كلما استمدت
بها الخمر رمعت سماعة التليفون وصاحت فى وجهى بصوت
مترنح محشر كأنه خارج من تحت قمر :

— مشر حاء تجوزنى يا حسين ؟ !

ثم بصحك ضحكة كأنها صرير الريح ، تلف ، سماعه التليفون
في وحيى ..
وكنت أحيى ..
أبها بعدنى ..

أبها تطلق من مأساتها شحاً يلاحقنى .. وأصبحت كلما
بصرت الى التليفون شعرت بالحوف ، كأنى أطر أى آلة
بعدنى ..

وعيرت رقم تليمونى الخاص فى مكتبى ورقم تليمون بيتى ،
ولم بعد أمك يستطيع أن يصل بى ، ورغم ذلك فأنى لا رلت
أسمع صوبها المريح المشرح يبعث من تحت قمر ويصيح بى :
« مشر حاء تجوزنى يا حسين » ؟ ! ثم أسمع ضحكها كأنها صرير
« الريح » .. ولم أكن أسمعها عندما أكنو نفسى فحسب ، بل كنت
أسمعها فى كل وقت .. أجلس فى اجتماع مجلس إدارة احدى
شركاتى ، وأكون منفعلاً فى مناقشة حادة .. أو أكون فى حملة
مسيكا فى مفارقه امرأة .. وفجأة أسمع صوت أمك يملأ أذننى ..
دون أن يكون هناك سبب يثيره .. وبلا اراده ملى أصعب أصعبى
فى ادى وأهله بعد كأنى أحاول أن أقتل هذا الصوت .. وأخس
بثقل يحتم موق صدرى . وأماضى بصيق .. ثم أجمع كل ارادى
لأصعط بها على اعصابى . وأبعد بها شبح أمك ،
وأعود الى مناقشة أعضاء مجلس الإدارة ، أو الى مغالطه
المراه ..

هل تدريين ماذا يعنى هذا ؟

يعنى انى بدأت أمقد الفدره على تركيز دهنى فى موضوع
واحد .. يعنى انى بدأت أعيش بدهى مشقت !!

وفد كانت قدرنى على تركيز دهنى فى موضوع واحد . هى

سر نحاحى .. سر هذه الملايين التي جمعها ، وسر هذا النموذ
الكبير الذى استع به .. كنت دائما أستطيع أن أحصر ذهنى فى
الموضوع الذى أحار به ، حتى لو كانت هناك عشرات المواضيع
الأخرى التى يمكن أن تشغلى .. كنت أستطيع أن أفكر فى شركة
التعدين مثلا ، حتى لو كانت شركة أخرى من شركائى على شفا
افلاس .. وكنت أستطيع أن أحصر ذهنى فى جند امراء ، حتى
لو كان ينظرنى على الباب ضابط بوليس وفى يده أمر بالقبض
على ..

وهذه القدرة على التركيز هى سر عظمة الرجال .. هى
سر عظمة نابليون .. وكانوا يشبهون عقل نابليون بدولاب فيه
عدة أذراع ، وفى كل درج موضوع .. وكان يستطيع أن يفتح
أحد الأذراع وتطل باقى الأذراع معلقة لا يشعر بها ..
يفتح درج الحطط الحربية فلا يفكر الا فى الخطط الحربية ..
ويفتح درج التنظيم الحكومى فلا يفكر الا فى التنظيم الحكومى ..
ويفتح درج مارى تريز وجوزفين ، فلا يفكر الا فى مارى وحورمين
.. وكان وهو فى ساحة القتال ، والمعركة مشتتة ، يفتح درج
النوم ، فينام - دون أن يثقته طلعات المدافع ، أو احتمالات الهزيمة
والنصر

هذا هو سر عظمة نابليون .. ولو أنه كان يفكر فى كل
مشاغله فى وقت واحد ، ولو أن عقله لم يكن فيه هذه الأذراع .
وكان مجرد حزانة تنكسر بها آراؤه واطمأنة وحططه
بلا ترسب - لأصبح مشتت الذهن .. ولما أصبح عطشا ..

وقد كنت أمحر بنائى مثل نابليون .. وأن فى عقلى أنراجا ❖
أنتج منها بـ أشياء فى الوقت الذى أشاؤه . وسقى باقى الأذراع
معلقة .. ولكنى بذات أمقد هذه الميزة .. بذات أمقد سر عطشى ..
انى كلما فسحت درجا . أفتح معه درج آخر .. الدرج الذى
يضم قصصى معك ومع أمك ..

وقررت أن أنسى .. أنساكما .. حتى استعيد عظمي . وحتى
أحتفظ لأذهني بالقدرة على التركيز ..

قررت أن أخلع من عقلي هذا الدرح الذي يفتح من تلقاء
نفسه ، ويخرج منه صوت أمك . وصورة حباتك اللؤلؤ ..

ولكى أنسى ، كان يجب أن اعترف بفشلي .. فشلي في أن
أكون إنسانا شريفا .. فشلي في أن أسطر عليكما وأقنعكما
بنفسي ..

وكدت أنسلم للفشل ..

وامتنعت عن ريارتكما بمد تركت جنبه أمك بكومة فوق الأريكة
العريضة تمثل مأبة ..

كدت أرحمكما ..

لولا عادل ..

حسبك عادل ..

كان عادل قد سافر الى القصير ليلتحق بوظيفة في شركة
المعتمد . بعد ان ينس من مشروع زواجها .. وبعد ان حانت
امه واحه لخطبات اليه ماستقليلها أمك وخيرية استقالاته
بالطرد ..

واعتقد انه خرج من حناك وحناى الى الأند : وان هذه
هى نهاية قصته معى ..

ولكن عادل بدأ بفضل هناك بالعمال .. لم يكن عاملا ..
ولكنه عي وكبلا لادارة الحسابات .. والمعرض ان يرتفع
المؤمنون بأنفسهم عن العمال .. اما نحاول دائما ان نضع
سبها حائرا طبقا . وان نضع الموظفين بأنهم طبقه أرمي من
العمال .. نضعهم بأنهم « اندية » يريدون الحلة والطرموش .
ويجلسون فوق مقاعد مريحة وراء مكاتب انيقة . ولا يغمسون
أيديهم في التراب ، ولا يحوضون بأقدامهم في التراب ، ولا يمشون
صنوبرهم بدرات التراب .. اما التراب من نصيب العمال
وخدمهم ..

وحتى نفقى على هذا الحائز بين الموظفين والعمال . كانت
الشركة بمعد ان نسي للموظفين بيوتا معدة عن عيشى العمال ،
وان يقدم لهم طعاما وشرابا أرقي من طعام وشراب العمال ،
وان يخصص لهم ناديا لا يدخله العمال .

تستأجر شركاتى وحدها . ولكن كل الشركات معتمد بفصل
بين الموظفين والعمال . خوف من أن يحتل طائفة الموظفين
مجاميع العمال . مستفتح وعيهم . وسحرك أطباعهم . وسيت
زمنهم من بين أصابع الشركة ..

وكانت انشركات بفصل بين الموظفين والعمال يستعمل كل
طائفة على حساب الأخرى . ونصرف كل طائفة بالأخرى ..
واحدى وسنه تفصل بينهما هي أمامه هذا التحاجر التلقئ
سبها .. هي انواع كل طائفة بانها تنهى الى طئفه لا تشمل
الأخرى ..

ولكن عادل حاول أن يحطم هذا التحاجر .. بل حصه معلا ..
مكس يسهى من عمله ليذهب الى العمال .. انه يحتل بهم في
المناجم .. ومقصى لئاليه ساهرا معهم في عشتهم .. يعنى
أعانيهم . ويبرح مرهم .. وسعرف انهم واحدا واحدا . وسعرف
الى مشاكلهم مجبعه ومشاكلهم مرادى .. بدأ يعمس بده في
التراب اندى يعمسون فيه أمئهم . وبحوص بدميه في التراب
اندى يحوصون فيه بأفئهم . ويملا صرد بالتراب الذى يملأ
صنورهم ..

وكان هذا يكفى لكى تفصله الشركة .
ان احتياط احد الموظفين بالعمال . سبب كاف لمعسل من
اى شركة ..

ولكن عادل لم بفصل ..
أنا الذى حببته من الفصل .. ولم يكن عادل يعرف انى
أنا اندى أحبه . بل لم يكن يعلم أن هذه الشركة اننى بفصل
مها أنا الذى أسيطر عليها . وأنا الذى أملك اعلف أسبها باسم
شركة اخرى ..

وما حبته من الفصل رعم الحاج عند العظيم . فقد كان أهون .

على أن يبقى مباعه في العصر ، من أن يبنى مباعه الى
الناهية . .

ولكن عادل لم ينف عند حد . . لقد أصبح احتلاطه بالعمال
مثل نشاطا مخططا . . ليس نشاطا شيوعا . . انه لم يكن يحدثهم
عن كارل ماركس . ولا ينطق كارل ماركس . . ولم يكن نشر
مهم كراهيه الطباع . . كان فقط يبيع وعيهم على حقوقهم .
ويفسر لهم اسباب ماسعهم . . كان يقول لهم ان هذا الماء العطر
الذي شربونه والذي تسنورده لهم اشركه في مراكب عبر البحر
الأحمر . . يمكن ان يكون ماء صالحا لو تازلت الشركة عن حرم
من ارباحها ، واتامت خرايات صحة ، وسيرت مركبات لنقل الماء
بدلا من مركب واحد . . وان هذا الطعام الحاف الحشن الذي
ياكل منهم بغير ما سكون منه . يمكن ان يكون طعاما غنا لو اتامت
الشركة مطبا كبرا ومحرا بخوار المنصم ، يقدم لهم طعاما
ساخنا ، وخيرا طازجا . . و . . و . .

وبذات نعمة جديدة يبدو في احاديث العمال . .
بغية حظرة . .

لقد كانوا راضين بهذا الطعام وهذا الشراب . . لانهم هم
انفسهم لا يستطيعون ان يحصلوا على خير منه . . ولكن عادل
اقنعهم بان الشركة يستطيع ان تقدم لهم ما لا يستطيعون ان
يقدموه لانفسهم . . اقنعهم بالا يكتفوا بالحياه التي عاشوها في
قراهم قبل ان يصبحوا عمالا . . وان يسعوا الى حياة ارمي . .
انهم يميلون ليرجعوا ، لا ليعيشوا . .
وبذا التدمير . .

لم يكن تدمرا حاصعا ، ولكنه تدمير محصور في موضع كلمات
ينطق بها هذا العامل او ذاك في مناسبات عابرة . .
والشركات تحسب حسبا كبيرا لكل كلمة يداولها العمال
. . ان كلمة واحدة تكفي ليدل على اتجاه التيار . .

وانسبار بدأ ينحه اتجاهها لا تطمئن اليه الشركة ..

ان العمال يريدون طعاما أفضل . هؤلاء الكلاب .. ان
اى طعام افضل مما عاشوا عليه في قراهم ، وعاش عليه آباؤهم
وأجدادهم .. لقد جاعوا من قري الصعد فبل ان يدخل بطونهم
شيء سوى قصب من الحذر يسمونها « التناوى » وقطع من
الملح انثرح يسمونها « المش » .. والآن لا يعجبهم الطعام
المحفوظ .. يريدون طعاما مسحبا ، ولحبا ، ولينا .

والشركة ليسب مسبعة لاحابه هذه المطالب .. ان احابتها
معهاها ان نقل الأرباح . وعندما نقل الأرباح ينخفض سعر الأسهم
.. واصحاب الأسهم في القاهرة لا يرضون بان ينخفض ثمن
اسهمهم .. ثم انت لو جمعتا هذه المطالب . فهل يكتفى بها
العمال ؟ ! من يضمن لنا انهم سيكتفون ؟ !

اما لو حققنا هذه المطالب فسينتشر حروها الى باقى العمال
في الشركات الأخرى الى شمل قطر كله .. ان مطالب العمال
لا ميس شركة واحدة او شركتين* .. انها تمس نظاما اقتصاديا
كاملا بشمل مصر كلها .. وبحر نفاوم هذه المطالب لنحمي هذا
النظام .. النظام الذى يسح لى ان اكون مليونيرا ، وان احبط
بملاسى وعمودى ..

ما العمل ؟

لقد كان يكتفى ان ارفع عادل من بين العمال حتى يهدأ
بطونهم ويرضون بما يقدمه لهم من طعام .
ولكنى لا زلت اصر على ان يبقى عادل في التصير ..
وبدأت الشركة تتحد الاجراءات ليهدم عادل وهو بين العمال .
بهذه اهم عيوبهم .. وانشركت لا نعر أبدا عن هدم هؤلاء
المعوزين الذين يصور انهم دعاة للانسانية ..
وكان الاجراء الأول الذى اخذته الشركة هو انها بدأت
تخلق طبقة أرستقراطية بين لعمال ..

أن العمال أيضا يمكن بعضهم إلى طبقات بحارب كل طبقه
الأخرى ..

وحلق النظمه الأرستقراطيه العماليه لا يستلزم أكثر من
أن سقى الشركه نريقتا منهم - وترفع أجورهم وبعضهم رؤساء على
بقية العمال ..
وهذا ما حدث ..

اسفد الشركه حسه أو سبه من العمال العاديين ورمعهم
إلى طبقه الرؤساء .. رفعت أجورهم - ومنحهم امتيازات
كثيره .. ورمعت أيديهم من التراب - وأصبحت مهمهم أن يقوموا
بوق رموس العمال - ويمسوا نحبهم - ويثيروا بينهم روح
النفاق - والصنف ..

أن الشركات تستطر على العمال من خلال اصابع هؤلاء
الرؤساء .. من خلال النظمه الارستقراطيه العماليه ..

ومد بدأ هؤلاء الرؤساء معلا في شسب العمال من حول
عادل .. وأحذابهم إلى صومهم بطريق ارشود حينا - والنهيد
حيثا .. ولكهم لا يستطيعون رشوة كل العمال .. أن رشونهم
حيثما بهتانه رفع أجورهم .. وانشركه سرمص أن سرمع أجورهم
.. والتهديد أيضا لا يمكن أن يشملهم جميعا .. أن المهيد
لو شملهم حيثما مسيرداد النعمهم حول عادل - وميصص من
السبل عليه أن سحرهم في ثوره ..

وذلك لم يستطع طبقه الرؤساء أن يجذب إليها الا قته
من العمال وظلت الأغليه ملثفه حول عادل ..
وبدأت المعركة تشتد ..

وبوى عند اعطيم القناده سمسه - وهو حالس حلف مكس
الوثير في القاهره .. أن هذه المعارك لا سرك قنادسها للرعوسيين -
انها بتولاها أصحاب الشركه أنفسهم .. انها معارك يتوقف عليها
كل كنان الشركه ..

وفي انبعاثه الأخرى كان عادل يدير معركته وهو جالس على الأرض بين العمال .. يعنى اعانهم . ويهرج مراحهم . وينظم لهم مباريات في السحطية . وبلا صدره بالتراب الذى يملأ صدورهم ..

وأطلق عبد العظيم طلقة ..

أمر بأن يشاع عن عادل أنه حاسوس . يعمل لحساب البوليس السياسى ، ولحساب اصحاب الشركة ..

وبدا عملاء عبد العظيم يطوفون بين العمال ويشيرون إليهم . لماذا يحتلظ بكم .. ماذا بهيه اذا اكلم او لم تاكلوا .. من ابنى الأملدية يتعدوا على الأرض .. ده حاسوس .. ده كل يوم سهر فى اودنه ويكتب عن كل واحد منكم تقريراً !!

وتشكك العمال فى هذه التهميات .. رمصوا أن يستحيوا لها . وفى الوقت نفسه لم يستطيعوا أن ينزعوها من رؤوسهم .. فبدأوا سيطرون الى عادل بحد . وبدأوا يطلقون فى وجهه حائنا من قلوبهم .. وبناقشوه كأنهم بحسروه لا كأنهم بسشيرويه .

ولكى يثبت الشركة هذه التهميات فى أذهان العمال . أصدرت قراراً ببيع عادل علاوة . بلا سب ، وفى غير موسم العلاوات .. ثم لكى يريد هذه التهميات تكتد . أصدرت قراراً بنقل حبسه عمال من أقرب اعمال ابى عادل . ابى مرغ الشركة فى الاسكندرية عملوا كحمايين . ثم أطلقت اشباعه بال هؤلاء العمال قصص عليهم فى القاهره . ساء على التقرير الذى يرسلها عادل الى البوليس السياسى .

وبدأت حبه عادل تنبت ..

بدأ العمال يديرون ظهورهم لعادل كلما مر بهم . وسكتون عن حديثهم كلما جلس اليهم ..

وكف العمال عن المطالبة بتحسين طعامهم . وبدأوا يصممون كل حديثهم فى مدافسه . هل عادل حاسوس . او لا ؟

وسئم عند العظيم في مكتبه .. انتامه النصر .. وجاء
الى ليعدم بقريره « قاتلا » :

— اهو دلوقت بقدر بحلى عادل في العصر . واحبا مطمئنين
.. الولاد دول منسين . انما عضيمهم طرى .. ما ينتحلفوا
حطة !

ولكى عظم عادل لم يكن طرما الى الحد ادى تحيله عند
العظيم ..

انه لم يئس ..

أحس بالاشاعات التى تدور حوله ، وعرف لمادا محتته الشركة
علاوه ، ولمادا بقت همه من أصدقائه ، ولمادا اتصرف العمال
عنه .. عرف كل ذلك ، وجمع كل ما استطاع ان يجمعه من
معايير ، ثم سار في خط مستقيم الى عشش العمال ..
وطلب منهم ان يسمعوا الله ..

ورمى العمال .. رفضوا ان يحنسوا حوله ، كما يعودوا ..
.. رفضوا حتى ان يبادلوه النحية ..

وجلس عادل على الأرض مخوار اخدي العشش . وأعلن
انه من سمر من مكانه الا اذا استمع له العمال ، ولو اضطر ان
يقع الليل كله حالبا في العراء ..

ومرت ساعات وأعمال لا يلعبون حوله ، ويرقصون ان
يسمعوا الله .. وواحد منهم سمر أمامه على عجل ، ثم يسرع
ليرسم الى زملائه بعدا عنه .. وآخر يظل يرققنه من وراء
حدار عششه ، ثم يسحب رقبته ، ويهمس لزملائه : « ده بسه
فاعد !! » .. وعامل صغير لا يتجاوز الخامسة عشره من عمره ،
يسل على أطراف أصابعه ، ثم يعف أمام عادل ويظهر اليه
كأنه ينظر الى حيوان عجب .. ان طيه يهوى الى عادل ..
لقد لعب معه مره البصره .. وعلمه التحطيط .. وضادل معه
كعب كثيره .. وظل العامل الصغير واعفا ينظر الى عادل ..

قلته يهفو إليه ، ورأسه ملء بالإشعاعات التي سمعها . إلى أن
أشار إليه عادل .

— تعال أقعد يا محمد ..

وقال محمد في صوته الصبي :

— ماأقدرش يا سم عادل .. أحنا بمنعنين اننا ما نقمعش
معاك !

وقال عادل وهو ينسم في هدوء :

— طيب تعال علشان أقول لك حاجة سلعها للأحباء !

وتقدم العامل الصغير في خطا متلصصة وحلوس بحوار
عادل ، وما كاد يدخل حتى خرج عامل ضخم من وراء إحدى
العشش ، وصرخ في وجه الصبي :

— قاعد نعمل انه هيا يا وله .. قوم فز .. حتك البار !

وقام الصبي مذعورا .. وحذبه العامل الضخم من ذراعه
وختفى به خلف العشش ..

ولم يتكلم عادل ..

ظل جالسا في مكانه لا يتحرك ..

والساعة بلغت الواحدة صباحا ..

والعمال لا يزالون ساهرس في مكانهم بداولون في أمر عادل ..

وبدا حماسهم في مقاطعته يفر خلال الساعات الطويلة .

وبدا حب الاستطلاع يسيطر على بعضهم .. انهم يريدون

أن يسمعه .. يريدون أن يعرفوا لماذا جاء .. وهو مصمم كل

هذا الصميم على الحديث اليهم .. وبدأوا ينقشون ، بعضهم

بطالب بالاستماع إليه ، وبعضهم بطالب بالاستمرار في مقاطعته

حتى لو ظل جالسا في مكانه طول عمره ..

وأخيرا استقوا على أن يرسلوا إلى عادل رسولا من بينهم

ليستمع إلى أقواله ..

ورعص عادل أن يقول كل ما عنده للمتدوم ، انها اكفى

بأن يقول له . أن من حقه أن يدافع عن نفسه أمام أصدقائه
العمال ، قبل أن تصدروا حكمهم عليه .. وهم لن يحسوا شيئا
بالاستماع اليه ..

وعاد المدبوب الى زملائه ..

وبتقشوا طويلا .. ثم نطق انصار الاستماع الى عادل ..
انهم فعلا لن يحسروا شيئا بالاستماع اليه ..

وخرج العمال من مكانهم الواحد بلو الآخر وانعكست
ظلالهم فوق الأرض وموق حذران العنثش ، كأنها حيوش من
الوهم ترحف نحو أهل بعيد .. والتعوا حول عادل صامتين ..
بعضهم جلس على الأرض . وبعضهم ظل وأما .. وغيوبهم
تلمع في ضوء القمر من فوق وجوههم السمرء .. عيون سحدي ،
وعيون عاصفة ، وعيون مشعقة . وعيون عاتية صاحكة تسحب
بالأمر ولا يرى منه الا موضوعا مسلما لبضه سهرة المساء ..
وطال الصمت ..

صمت ثقيل ..

ثم تكلم عادل في صوت بطيء هاديء :

— أنا سمعت انكم تقولوا على اني حاسوس ..

وساد انصبت .. لم يكن العمال يتوقعون أن يواحبهم
عادل بهذه الصراحة ، والبساطة ..

واحدوا يبادلون البطرات . وينحج بعضهم ، وسهل
أحدهم سعالا حادا . وطالت مره الصب .. ثم انطلق العامل
عند أبواب محمود يصبح في حدة . وفي غضب مغل :

— ايوه أنت حاسوس ..

ونظر اليه عادل ، وانقسم ابتسامة ساحرة ..

ونال الرئيس عند الفتح وهو عامل تقدم ورع :

— الحقيقة الكلام ده سمعناه يا سي عادل امسدي ..

وماحياتش نصدقك .. انما ..

وسكت الرئيس عبد الفتاح ..

وقال عادل وهو ينظر اليه في احرام :

— اما ايه يا ريس .. ايه الدليل على اى حاسوس .

وانطلق العامل عبد النواب صارحا :

— الدليل .. هو فيه دليل اكثر من كده ؟ .. ده ايت وبيت

حمسة منا المحتفل .. مغربهم من هنا . وانقصر عليهم في

مصر ..

ونظر ابيه عادل في احتقار وقال :

— الحمسة دول ما انقصرش عليهم .. دى اشاعه مطلعاها

الشركة علشان تفرقنا عن بعض .. علشان يفتنكم بأى حاسوس

.. وادى شعرايف حاي لى من رملاننا الخمسة ..

واخرج عادل ورقة برقيه من حنسه . وقراها : * وصلنا

الاسكندريه سالمين واسلمنا العمل . بحساننا الى جميع

الاحوان * ..

ثم بدأ يده بالبرقيه الى الرئيس عند انصاح قائلا :

— خذ يا ريس .. اقرا نفسك .. وادا ما صدقتوش ،

اسألوا مكتب التفرام . يوريكم الاصل ..

وسرت هبهات بين العمال .. وبحميت رؤوسهم فوق

رأس الرئيس عند انصاح . بقراون معه البرقيه ..

ثم قال الرئيس عند انصاح وهو يعد البرقيه الى عادل :

— الحقيقة احنا صدقنا ايهم انقص عليهم ..

ورد عادل بسرعة :

— يغدر اى واحد قبكم بيعت لهم حواب ولا بتعرف علشان

تأكد زيادة .

وقال احد العمال :

— مصدتيك ..

وقال آخر :

— حقت علينا ما سى عادل .. الحقيقة الواحد مش عارف
صدق مين ولا مين .

وانطلق العامل عبد التواب وقد بدأ صوته يرتعش فى انفعال :
— انت بتقول ان الشركة هى اللى بتشيع عليك انك حاسوس ..
ولما الشركة رعلانه منك قوى كده ، كانت بتصرف لك علاوة
ليه .. انت لسه قايض علاوة الشهر اللى فات ، وكلنا عارفين
.. ولا ايه يا جدعان ؟ !

وهز العمال رءوسهم فى صمت ..
وقال عادل :

— الشركة صرفت لى علاوة ، علشان تخلصكم تصدقوا انى
حاسوس .. لو كنت حاسوس صحيح ما كنتش صرفت لى
علاوة .. كانت غطتني قدامكم ..

وقال عبد التواب :

— لا يا شمع .. باه كده ؟ !

وقال عامل من بعد :

— سى عادل بينكم كلام معقول ..

وقال الرس عبد الفتاح ؟

— على كل حال .. احنا بفضنا من الموضوع ده ..

وقال عبد التواب :

— معنى الشركة ما كنتش تقدر ترمذك بدل ما تصرف لك
علاوة ؟ ..

— يعنى اقول لهم ارفعوني ؟ .. يمكن الشركة ما رضتش
رفعوني علشان خاطركم .. علشان ما تعملوش حركة ،
انتشوفوني انرفدت بيسكم ..

وقال أحد العمال :

— والله انا شلما ان سى عادل مظلوم ، الراحل عاش
هانا ، واكل ولما عيش وبلح ، وما شفتاش منه الا كل خير ..

وباقى الأفندية الذى قاعدتين على المكاتب نازلين مينا حصومات ..
وعاد الرئيس عبد الفتاح يقول :

— أنا باقول بفضنا من الموضوع ده ..

وقال عادل :

— أنا عشت معاكم لأنى طول عمرى عايش مع العمال ..

كنت عايش معاكم فى شبرا .. واخويا عامل .. وعمى عامل ..

واس عمى عامل .. أنا تربية عمال .. وأنا مش عايز منكم

حاجه .. كتب اقدر أومر على بسى السبع وما احيش هنا الليلة

.. انما ما هيش على انى أخرج من وسط عيلى ، وأنا متهم منهم

.. منهم بيهمة حقيرة وسخة .

وقال عامل يقف بحوار عادل :

— تعيش يا سى عادل ..

وقال العامل عبد التواب فى حقد .

— احب حستدى بخطب .. ياللا بينا ب رحاله .. الفجر

قرب بطلع علينا ..

وهب عادل واقفا وصاح كأنه سد بصوته الطريق :

— استنا شويه يا عبد التواب .. احطبة لسه ما خلصش ..

ثم التفت الى باقى العمال قائلا :

— احب اقول لكم ان ادا ما كنش أنا حاسوس .. معاه

بمتنا حاسوس غيرى ..

وأرتمعت الهمهمات ..

وقال الرئيس عبد الفتاح :

— ما بلاش السيرة المقدلة دى ..

وقال عادل فى قوة :

— لازم نعرف من دلوقت مين معانا ومين علينا .. احنا

ما فكرناش نحارب الشركة .. انما الشركة هى اللى بدأت

تحارب .. نحاربنا عتقمان طلعت أنها تصرف لكم أكل نصف ..

والشركة لها جواسيس بيكم .. الحواسيس دول هم اللي
أشاعوا امي جاسوس .. هم اللي حنوا ببعدونى عنكم ..
فاكرين انى انا باعرضكم عليها .

صاح فريق من العمال :

- تصنك مين .. مين الحواسيس دول ؟ ..

وصرخ عبد التواب :

— اتكلم عن نفسك مس ما سى عادل .. مالكش دعوة
معيرك .. السلام عليكمو .. الحكاية زادت قوى .. السلامو عليكمو
يا جدعان ..

ورفع عادل صوته :

— عندك يا عبد التواب .. اسمح لى سؤال واحد .. انت
يومنتك كام ؟

والتمت انه عبد التواب . وهو يخطو خارج الجمع ، وقال :

— وانت مالك .. ما انت عارف بتسأل ليه ؟ !

وقال عادل :

— بس ما بحرش .. اتقف مكانك وحاولنى !

وقال عبد التواب وقد بدا وجهه يمتقع :

— انت فاكرنى خايف منك ؟ ..

وبدا العمال يحيطون بعد التواب ، وعيونهم مسحفر كأنها فى
انتظار مفاجأة .. وقال واحد منهم :

— ما يحاوب امال ..

وقال آخر :

— مالك يا عبد التواب .. مال وشك اصفر كده ؟ ..

وقال عبد التواب وهو يرتعش :

— يا عالم .. يا هوه .. ناه بيحوا مع الاسدى على انا ؟ ..

ده انا واكلمها معاكم ..

وصاح فيه عادل :

— جاوب على سؤالى .. جاوب يا عبد النواب ..

واحلب عبد التواء فى صوت خمض :

— يوميتى ثلاثين قرش .. عايز ايه بآه ؟ !

ومال عادل وهو يقترب منه فى حطا ثاسة :

— ومحوش أد ايه يا عبد النواب ؟ ..

وقال عبد النواب وقد بدا صوته يذوب فى رعشه :

— محوش .. هو حد يقدر يحوش .. أخوش منين ؟

قال عادل :

— وما خدنتش علاوة من الشركة ؟

وقال عبد النواب فى ذل :

— ما خدنتش ..

ثم رمع صوته قلبلا كأنه يتعلق بأحر حبط من كرامته :

— انت فاكرمى زمك ، ساخذ علاوات من الشركة ؟ ..

ومد عادل أصابعه سعة وقمض على صدر حناب عبد النواب

وحذبه اليه ، وقال له فى صوت عميق وعنفاء مركزتان فوق

وجهه :

— أمال الثلاثين حنيه اللى انت مخبيهم فى حشية محدتك ،

جنتهم منين !

وارتمعت ههومات العمال ..

وصرخ عامل :

— ما تتكلم يا عبد النواب .. ما ترد !

وقال آخر :

— ثلاثين جنبه حتة واحده !

وقال ثالث :

— ياس المرطوس .. ده انت لسه مستلف منى حتة بخمسه

أول امبارح !

وقال رابع :

- ما هو الذى كان يقول عيسى بنى عادلا امه جاسوس ..
والنعت اليهم عادلا قائلا :
- ما بزعقوش يا جماعة .. بلاش صوننا يوصل للمكاسب ..
انكم يا عند التواب .
وقال عند التواب :
- انت كذاب .. انا ما عنديش .. ما عندش فلوس ..
عمري ما شفت فلانين جيبه .. ما ..
وقاطعه عادلا قائلا :
- يا ريس عند امتاح . اخبار خمسة من الرحالة بحوا
معابا انا وعند التواب .. علشان ينحققوا من كلامي ..
وتال الرئيس عند امتاح . وهو يمضمض شبيه كانه سرخم
على اخلاق الناس :
- ما بلاش .. انا بقول نصفنا من السيرة دي !
وصاح احد العمال :
- بلاش اراى يا ريس .. لازم نعرف الحقيقة !
وتقدم عامل آخر قائلا :
- انا آجى معاك يا بنى عادلا ..
وصاح الرئيس عند القناح :
- احوالو المكب خد خير . حطنتها على دماغنا .. انا
بقول نصفنا من السيرة دي !
وتقدم عامل آخر :
- وانا آجى معاكم ..
وصاح عند التواب وهو يحاول ان يتخلص من قصة عادلا *
— سيبى .. بقول لك سيبى .. انت مالكش حق نفسنى
.. بنى حق تمسشى .. والله لاشكك .. والله ..
ورمع عامل صخم كفه العططة وهوى بها على قما عند
التواب . وهو يقول :

— ما تسكت يا وله ..

وصاح عند التواب .

— حاي .. الحقونى .. حابمونونى .

وكنم عادل صوبه بكفه . وقال ملعبا الى العمال :

- مشن عانزين ريطه .. ما حدش يرفع صوبه .. خللى

انحكاكه بيبا ..

ثم امسكت الى اثنين من العمال ، واستطرد :

— امسكوا معايا التواد ده .. ما بخلهوش يرفع صوبه ..

بيثلا بيب .

وتقدم عادل نحو عابر اليوم ومعه خمسة من العمال

بحر حروون بسهم عدل التواب .. وقد سدوا شمبيه بكف غليطه ..

وانجه عادل مائثره نحو « العرشه » اللى ينام عليها عند

التواب وامسك بوساديه ، ومرتقا بدينه ، وأخرج من بين خبوط

القش المحشوه به . أوراما قبيها ثلاثون حبيا ..

وحاول عند التواب ان يتخلص من اذى زملائه . ويهرب ..

مهوت كب غليظة مرة أخرى على قفاه ..

وانهار عند التواب ..

واحشش بالكاء ..

وركع على قدميه ، ونعلق بساقي عادل متوسلا :

— انا فى عرضك يا سى عادل .. المسامح كريم يا سى

عادل .. الشيطان كان اشر منى .. حنعملوا فى ايه ؟ ..

ما تموتيش ..

وقال عادل :

- ما تحامش . مشن حانعمل فيك حاجة : كمانه اللى

حصلك ؟

وعاد عادل ورفاقه الى بقية العمال وهم بحر حروون بسهم

عد التواب .. ولوحوا امامهم بالثلاثين جبها اللى استولوا عليها

.. ونار العمال .. وحاولوا أن يعنكوا بعد اتنواب .. ولكن عادل صدهم .. وأطسهم حوله وقد أقمهم بالهدوء .. ثم بداوا يبدأولون فيما يحب عمله .. وانتصر رأى عادل .. وكان رأيه إلا يصلوا شيئا .. أن يكتفوا بفضيحة عبد النواب بينهم .. وأن يردوا إليه الثلاثين حنيها .. وهو أن يجرؤ على الاستمرار في التحسس عليهم بعد ذلك .. ولكن عبد النواب رمض أن يأخذ الثلاثين حنيها .. ربما لأنه خاف من طمع نقيّة رملانه معه .. وانفقوا على أن يسلمها أمته للأسطى عبد الفناح ، على أن يسممر في اقماع الشركة بأنه يعمل حاسوسا بحسابها ويتر منها مريدا من المال . بسنمه أمانه للرئيس عبد الفناح .. ولكن عبد اتنواب لم يكن الحاسوس الوحيد للشركة بين العمال ..

كان هناك حواسيس آخرون .. وقد بدل عادل جهدا كبيرا حتى اكتشف حاسوسا واحدا ، ولكنه لم يستطيع أن يكشف الآخرين .. ان الآخرين يقومون بحادثه ..

.. وحاميا تقرير بكل ما دار في تلك الليلة بين العمال .. كل
كلمة قيلت . وكل همسة . عرساها في الصباح التالي ..
وواحتت الشركة مشكله اعامل عند النواب ..
ماذا نفعل به ؟
هل نطرده ؟

لا .. ان طرده معناه اسأ سحلى عن اصدقائنا .. معناه
اسأ يلقى درسا على العمال . حتى لا يحسبوا احساننا ..
هل نلقيه بين زملائه ؟

لا ايضا .. ان وجوده لم يعد له جدوى . بل اصبح خطرا
علما .. انه قد يصحح غيره من الحواسيس الذين يعملون
احساسا . ثم ان ادلال زملائه له هو اذلال للشركة . وسيحاف
بقية الحواسيس . ويرددون في تأدية مهامهم .

ورغم ذلك فقد كما مضيين ان يبقى عند النواب في مكانه
مدة من الزمن حتى بهذا نموس الاعمال من حوله . وحتى لا تندو
الشركة كأنها بعرفت بأنه كان حاسوسا لها .. وقد عاش عند
النواب هذه المدة يحصع في دل لزملائه .. كان يحامهم . ويخاف
الشركة في الوقت نفسه .. وكانوا يعاملونه في احتقار قاتل ..
يرمضون ان يحسب بينهم لساو امداح الشاى بعد اسهاء العمل ..
ويرمضون ان يشاركهم طعامهم .. ويبصتون على الأرض كلما

مر بهم .. والنعمى يخلو له ان يصمعه على قماه .. ثم يلعبون
عليه بحره من اعمالهم .. تعالى يا واد با عبد المواب شيل
المقطف ده .. يا واد با عبد النواب تعالى شيل عنى الفاس ..
شيل يا ابن المرطوس .. ثم صفعه على القفا ..
وعند النواب يهمن فى امسى : حاضر .
ثم يصى قماه ..

ومحاذ . وبعد مرور حوالى شهرين ، اصدرت الشركة قرارا
سرغية عبد المواب الى درحه ملاحظ عمال ، ورمعت يوميه الى
حمسين مرشبا ا ثم نقلته الى مجم آخر بعد عن المنجم الذى
كان يعمل به ..
وارمعت هبهات العمال ..

ولكنهم لم يستطيعوا ان يعملوا شيئا .. وربما تمبى الكثيرون
مهم فى حخته مفوسهم ان يخطوا بالبرعه الى بالها عبد النواب
حتى لو اشعلوا حواسيس للشركة ..
وعاد الى العمال حديث النصسى .. كان هذا الحديث قد
انتهى منذ ان افضح امر عبد النواب منهم .. كانوا قد اقمبعوا
بانهم طهروا صفوفهم ، وأنه لم يكن بينهم حاسوس الا عبد
النواب .. ملما بعد عبد النواب عنهم ، بدأو يحثون عن جاسوس
آخر .. ان طبعه الشر هي التشكك بعضهم فى بعض .. وادا
لم يحدوا بيهم حقيقه ، اشدد هذا التشكك .. وقد كان عبد
النواب هو الحقيقه التى اكشمتها العمال وحصروا حولها اذهانهم .
ملما انعدت عنهم هذه الحقيقه ، بدأ كل منهم بحث فى ذهبه
عن حاسوس آخر بين رملائه .. عن حقيقه تصور شكوكه ..
والشركة نرحب بهذه الشكوك التى يثور بين العمال بعضهم
وبعض ..

وقد يكون للشركة حمسه حواسيس ولكن الشكوك نرفع
عدهم اى حمسين . وبصبح كل عامل يشك فى رملته .

ولا يطمئن اليه . ولا يشركه في سره وأمانه . ولا يعاين معه في هدف . . . وبذلك تضيع وحدتهم ، ويسكت الهمسات ، ويضعف سادل الآراء بينهم . . . ويصبح الشركة هي الأموى !

إن الحواسيس الذين يعملون لحساب الشركة فعلا ، أقل معاً من الجواسيس الذين يطفهم حيال العمال . . بل أن الشركة قد لا تكون في حاجة إلى جاسوس . إلا سحبق حوله جوا وهما من الحسب ، يحيف العمال ويشقتهم .

وفد حوى عادل أن يدد هذه الشكوك التي سيطر على أديمه العمال . . كان يقول لهم أنهم يحب أن سحدوا وأن يطمئنا بعضهم إلى بعض . والا يبهوا أحدا إلا اذا كان في يدهم دليل الإسهام . .

ولكن العمال طنوا رغم هذا يتبادلون الشكوك ، وإن كانت شكوكهم قد تددت من حول عادل . . ماذا نفعل بعادل ؟

إن لم بعد يستطيع أن يطرده من الشركة . . أن طرده معناه أن يجعل منه شهيداً . . بطلا . . وسيثير بين العمال معاني البطولة وأرعمة . . وسحاوون بعد طرده أن يبحثوا لأنفسهم عن بطل آخر . . عن رعيم آخر . . أن حمال النفس يبحث دائماً عن حاسوس ، وعن بطل !!

والشركة لا تريد للعمال بطلا من بينهم . . أن عادل على الأقل ليس عاملاً . . ووجوده محجب ظهور بطل من العمال . . ولذلك بقى عادل في وطنته . . واكتفى مدير الشركة بأن استعداه ، وحذره في رفق من اختلاطه بالعمال . .

وعند العظم في مكتبه بالماهرة يكاد يحن . . أنه لم يسحر على عادل . . أنه لم يكسب المعركة بعد . . أن عادل أقوى منه ، وأقوى من ذكائه ، وأقوى من كل صاربه . .

وإن شامت في عند العظم . . وأشعر بسعادة غيره وإن

أراه حائرا في محاربته عادل . لا يعرف كيف يمسك بعنقه ..
وقلت له وهو يقدم الى مفريره عن احاطة في شركة القصير ،
وانسامنى نكاد تنصح شماتتى فيه :
— بظهر ان الحدد عادل ده ، عضبه مش طوي زى ما كنت
ماكر !

فقال وهو يسدل حمويه على عيبيه حتى يحى هربيه :
— انا ما كنش من رأيى انه يمين في القصير خالص ..
مسعدك اننى امرت بكده !!
قلت وأنا ادعى العصف

— يعنى ايه .. تصدك ايه . يعنى بسعه سوط انشركة
ولا ايه ؟ !
قال :

— مش مصدى .. امها لو نظناه مصر .. يمتى ارجع ليا !
قنب وانا انبسم في سحرية :
— والله حسارتك با عبد العظيم .. ماه عاير سقله مصر ..
يعنى ما نقاش ما يعود في القصير .. ده احنا لو حينا كل واحد
ناعنا لصر . مش حيفصل في الشركات كلها حد .. قوم انحدع .
وشوف لك طريقة معاه ..

ومط عبد العظيم شعبه كانه يهم ان يصق . وعقد ما بين
حاحيه ثم حط مسدى المعد كعبه وممر واقعا . وسار نحو الباب
مدق الأرض بدميه ، كانه في طريقه لارتكاب حربه قتل ..
واطلقت وراءه انتباهه كبيره .. انسامه الشمس !

وقد بعدت الا اضح لعبد العظيم حطه يسير عليها في معامته
عادل .. تعهدت الا اشراكه بمكاري .. فرحل الأعمال الباحج
هو الذي ترك معاونه يقدمون له امكارهم وحططهم .. هو
الذى دلى على اكسابهم المسئولية كلها ، ولا ينحل بانكاره
الا عندما يفتنون . عندها يعجز رؤوسهم عن التفكير ، وتعجز

أكتافهم عن حمل المسؤولية .. اننا نشترى من مصوبينا أفكارهم
 وخططهم التي يحدسوا بها . ماذا اعميائهم من التفكير . فكأننا
 لم نشتر منهم شيئا . . كأننا نجمع لهم رؤوسهم بلا مقابل .
 والواقع اني لم أكن حريصا على حالة الشركة في العصور ..
 والتقارير التي كانت ترمع الى عما يجري في الفصير . ليست
 أشجع من التقارير التي ترمع الى عما يجري في بقية الشركات ..
 ان في كل شركة انسانا مثل عادل يحاول ان يكون بطلا . وبشدة
 بالكلمات الصحيحة ، ويثير العمال .. والعمال في كل الشركات
 لهم مطالب ولهم منافع .. ان هذه المنافع حرة من أعمال
 انشركات . وها في كل شركة ادارة حاصه ، وميراثيه حاصه ..
 وقد استمر عادل في نشاطه . دون ان يثبته بتحديد مدير
 الشركة له ..

وكانت خطوته التالية ان اخذ بحص العمال على مكوب
 نقابة لهم ..
 نقابة !!

ابكرة النقابات ..

هل تدرب ما هي النقابة ؟ انها شركة يكون داخل الشركة
 .. شركة لدى بي حق دارنها ولا السيطرة عليها . شركة
 كاملة لها مجلس اداره . ولها سياسة وأهداف . ولها مصالح ..
 ورأسمالها يكون من اندرع العمال وجهدهم وعرفهم ..
 وكلما تكونت نقابة لعمال احدى شركاتي ، احسست كأن
 دراعى انفصلا عني ، ووقعا أمامي مناقشاتي الحساب .. لمادا
 نجركنها هكذا .. لمادا نرفع احدنا ونحسم الآخر .. لمادا نجهدنا
 .. اننا اليوم لا نريد ان نعمل .. نريد احاره .. و .. و ..
 ثم نواجهي دراعاي بعدد مطالب . والا رفضنا العمل ، ورفضنا
 اطاعة أوامري ..

هل يستطيعون تصور هذا الإحساس .. انه شيء أشبه

بمرض يسميه الأطباء « مرض الحساسية » واسمه باللاتينية « الرحي » .. ويشعر المريض به بحساسية مرهقة في أحد أجزاء جسمه .. كأن يحس دائما بألمه .. أو بلسانه .. أنك تعرفين أن أمك قائم فوق وجهك ، ولكك لو أحسست بوجود هذا الأنف ، واستمر احساسك به ، لأصبح هذا الاحساس مرضا .. مرضا مطع يسبب لك حالة عصبية نرك حياتك كلها ..

وعندما نكون نقابة في إحدى الشركات ، يحس صاحب الشركة بالعمال .. انه يعلم أن العمال كانوا موجودين في شركته قبل تكوين النقابة ، ولكنه لا يحس بهم الا بعد تكوين النقابة .. ويلامه هذا الاحساس في كل تمكيره ، وفي كل نصرمانه .. ما رأى اتقانه في كذا .. وما رايها في كيت .. وماذا سيكون موقفها إزاء هذا التنظيم .. و .. و .. ويصبح هذا الاحساس مرضا لصاحب الشركة . يسبب له ولشركته حالة عصبية مستمرة ، تحتاج في كل يوم الى علاج .. لذلك نكره النقابات العمالية .. ونحاربها ..

وليس في العالم كنه صاحب شركة ، يرحب بهذا المرض أو يستسلم له ..

وقد استطاع عادل أن يجمع توقيع عشرين عاملا على طلب تكوين نقابة باسم « نقابة عمال شركة مناجم القصير » .. هو الذي كتب صيغة الطلب ، ثم أعاد كتابته الرئيس عند التفاح بحط يده . ثم طاف عادل بنفسه بجمع توقيعات العمال .. ثم أرسل الطلب في خطاب موسى عليه آلى ورارة الشئون الاجتماعية .

ووصلت المنا هذه الاناء ..

وكان من السهل علينا أن نترك هذا الطلب ينال في درج الموظف المحض بورارة الشئون .. اننا ندمع مكافأة شهرية

لموظف المحصر حتى يسم موق مكبه ، وننام معه كل الشكاوى والمطالب التي يرسلها اليه عمالنا ..

وكنا نعيد أن اقامه عادل في القصر ، ستحول دون ملاحظته لهذا الطلب في وزارة الشؤون ، ولكنه كلف صديقا له محاميا بهل في القاهرة ، ملاحقه الطلب ، وارسل اليه بوكلا باسم العمال **الموتعين** ..

ولم يكن هذا المحامي ايضا يستطيع ان يوقف الموظف السائم ، او يوقف الأوراق التي في درجه .. ان ما نجمعه له يكفيه لأن ساء الى الاند .. ورغم ذلك فقد كنا في حاجة الى حجة قانونيه نعرض بها طلب تكوين هذه النقابة .. لا نواجه بها وزارة الشؤون الاجتماعيه .. ان الوزارة كما قلت لك بائنة .. بل لنواجه بها العمال في القصر حتى يسكنوا عن مطلبهم ، وحتى لا يتهموا الشركة بمحاولة عرقلة تكوين نقابهم .

واحد عبد العظيم الى خطة تديمة ..

أوعز الى موظفي الشركة بأن يقدموا طلبا آخر الى وزارة الشؤون بتكوين نقابة لهم باسم « نقابة موظفي وعمال شركة مناخم القصر » .. وقدم هذا الطلب معلا الى الوزارة .. وعرف به العمال .. واسسم الموظفون والعمال .. العمال يريدون نقابة لهم .. والموظفون يريدون نقابة لهم ينضم اليها العمال .

ومن خلال هذا الانقسام أصبحت الشركة بريئة .. لا يستطيع احد أن ينهبها بعرقلة تكوين النقابة ..

وأصبح الموظف المحصر في وزارة الشؤون - بريئا ايضا .. فهو لا يستطيع أن يسمح بتكوين نقابتين بشرك ميهما عمال شركة واحدة .. ان القانون يمنعه من ذلك ..

وأصبح عادل حائرا .. حاول أن يوفق بين الموظفين والعمال . فلم يستطع .. فقد كان الموظفون يكرهونه ، لأنه ستاعد عنهم ، ويتعالى على عقليانهم ، ويهتبر نفسه أرقى ثقافة

سبهم .. وكانوا يكرهونه على الأخص للانتقام الأعمال حوله ..
كانوا يكرهونه لأنه زعيم .. ولأنهم نسوا رجاء !
ومضت شهور طويلة والموظفون والأعمال يحدثون في
موضوع النقابة . ويعقدون اجتماعا ماثلا بعد اجتماع ماثل ..
والشركة مطمئنة هادئة .. لا أحد متهمها .. ولا أحد يشك في
نماذجها . وليس هناك ما يدعو إلى التجمع في وجهها .. إنما
الانهايات والشكوك بسادتها الموظفون والأعمال .. ويصنعون
بعضهم في مواجهة بعض ..

وعلى مر الأيام بدأ اليأس يذب إلى قلوب العمال .. وبدأ
حماسهم لنقابتهم يبرر ويتخلل ويدروه رياح البحر الأحمر .
لم يعد عادل يستطيع أن يحنط حماس العمال .. أن كل
ما يقوه لهم ليس منه جديد .. ولا يثير الحماس .. أن العمال
يريدون شيئا جديدا .. يريدون شيئا ملموسا .. يريدون أن
ينجحوا في مطلب من مطالبهم ، حتى يحمسوا لمطلب آخر ..
لقد هزم عادل ..

هزمه عند العظم في معركة النقابة .

ولكن عادل لم ييأس ..

سكنت عن حدث النقابة . ولكنه لم يسكت عن إثارة العمال ..
إنه لم يكف عن الإحباط بهم .. أنه دائما معهم .. يمس يديه
في التراب الذي يغمسون فيه أيديهم . ويحوص في التراب الذي
يخوضون فيه بأقدامهم . ويملا صدره بالتراب الذي يملأ صدورهم
.. لقد أصبح جزءا من حياتهم ..

وقد مضت الشهور ، وهو هادئ .. يشرب مع العمال
الشاي ، وينظم لهم مباريات القحطيب . ويسادل معهم النكات ،
ويشترك مع الرئيس عند الصباح في حل المشاكل الفردية التي
تثور بينهم ..

ومحاة حرج عليهم بمشروع جديد .

ولم يبد حديثه في مبدأ الأمر كأنه يتحدث عن مشروع ..
كان حالها معهم بين عششهم يساول معهم اكواب الشاي في
احدى الامسيات .. وقال العامل حسنين ابو على وهو يصب
الشاي :

— انهارده الكائين رفع سعر ناكو الشاي .. بقى بحته
خمسة . حنة واحدة ..

وقال العامل عمران :

— يا سيدى ما بدفش .. معنى هيه جت ؟! اي !

ورد عادل بسرعة :

— ناكو انشاي بيقف على الكائين بتلايه تعريفه . يعنى
بيكسب ما فى الناكو الواحد تلايه صاع ومصر ..

وقال عمران :

— من حقه يحكم .. ما هم عارفين انا موت لو ماشرناش

شاي .. وحانحيب الشاي مين فى المصى ده ، الامن عندهم ؟ ..

وقال الرئيس عبد الفتاح :

— ختقم يعملوا تسعيرة زى اللى فى مصر ..

وقال حسنين ابو على :

— وديه مصر حاسه بيا .. لما جبعملوا ربها !

وقال عادل فى هدوء :

— ويعملوا تسعيره له ؟ .. ما احنا سمعت نحيب الشاي

ساعا من السوبس .. يوصل لمائة هنا الناكو بتلايه تعريفه ..

وقال عامل يخلص بعندا :

— يعنى كل واحد يحطه الشاي فى جواب ؟

وقال عمران :

— انا حانحت لامي اوصيها على ثوية شاي ..

وقال الرئيس عبد الفتاح :

— وحانجيب الشاي اراى يا مى عادل .. يعنى نفتح
كنتين مخصوص على حسابنا ؟ ..
وقال عادل فى حماس :

— أبوه .. نفتح كنتين على حسابنا .. كل واحد فيكم يحط
قرشين ، نبعث نجيب بيهم صندوق شاي .. واللى عايز ، يشتري
من الصندوق ده .. مثلاته تعريمة ألباكو .. ونلم الفلوس ونبعث
نجيب صندوق تاتى .. وبالشكل ده الكنتين بتاع الشركة
ما يقدرش يتحكم فيكم ..
وقال حسنين أبو على :

— طيب والصابون .. ده الكنتين ببيع الحته بسته صاغ ..
ورد عادل بسرعة :

— ونمعت نجيب صابون .. وسكر .. وقماش .. ولا الحوحة
لحد !

وسكت العمال كأن الفكرة قد أصبحت أخطر من أن
يناقشوها ..

ثم قال الرئيس عبد الفتاح :

— ودى تبقى ازاي الحكاية دي .. يعنى تتعمل ازاي ؟ ..
وقال عادل يوضح فكرته :

— نعمل جمعية .. لها مجلس ادارة منكم .. ونحط فى
الجمعية دي خمسين جنيه مقسمة لبت سهم .. كل سهم
تمنه خمسين قرش . يعنى لو كل واحد وفر من يوميته خمسة
صاغ ، بقدر بعد عشر أيام يشتري سهم .. والجمعية دي تمت
واحد السوبس يشتري البضاعة .. وتيجي تبيعها هنا متمنا
زائد المصاريف .. وماحدش له حق يشتري الا اصحاب الاسهم
.. وعندما بيع البضاعة ، سمعت نجيب بالفلوس بضاعة غيرها
.. وهكذا ..

وظل العمال ساكتين ..

لقد بهرتهم الفكرة ..

وقال الرئيس عبد الصالح :

— والله كلامك معمول يا سي عادل .. سر الرك على

التنفيذ !

وقال عادل :

— التنفيذ سهل

وقال عمران :

— بمعنى حاشى دكان ؟ ..

وقال عادل :

— مش ضرورى دكان .. البضاعة تنحط فى أى بيت ..

وبعد ما الفكرة تمشى نبقى نطلب من الشركة بدنا حنة ارض

تبنى عليها دكان ..

والتفت الرئيس عبد الصالح وقال :

— ايه رايبكم يولاد ؟ ..

وقال حسنين أبو على :

ابا محوش خمسين قرش .. مسند احطهم .. وبا راحم

باحم !!

وقال عبد الرحمن الحجاوى :

— مش بس نعرف البضاعة حاشى ازاي ؟

وقال عادل :

— نبقى رى ما اى حاجة نبقى .. نشحن على المركب !

وقال عبد العظيم مهران :

— والفلوس حبقى مع مين ؟

ورد عادل ملا ملل :

— مع مجلس الادارة ..

وهم عامل آخر ان سلكم . ولكن عادل قاطعه قائلا :

— اذا كنتم موافقين انتخبوا مجلس الادارة دلوقت .

وقال عامل :

— مش يمس لما نفهم الاول ..

ورد عادل :

— يبقى مجلس الادارة يفهمكم .. ما تتممش الا لما تمهم !

واغرت كلمة الانتخاب عقول العمال - فصاح واحد منهم :

— انا انتخب الرئيس عبد الفلاح ..

وقال آخر :

— وانا ائخه مرتين .. يعيش يا رئيسنا ..

وقال ثالث :

— مين المرشحين ؟

وقال عمران :

— كنا مرشحين .. انتخب اللي يعحك !

وفي نفس اللحظة تم انتخاب مجلس الادارة برئاسة الرئيس

عبد الفلاح .. وعين عادل مستشارا للجمعية .. وبدأ في جمع

النقود مقابل أسهم .. وهي اوراق مكتوبة بخط اليد ..

هكذا بكل سلطة ..

انهم يكوون جمعية تعاونية .. دون ان يعرفوا ان ما يعملونه

هو تكوين جمعية تعاونية .. وان الجمعيات التعاونية اُشنت

للقصاء على طبقه الوسطاء .. على طبقه التجار .. وان التجار

الذين يبيعون الشاي والسكر والصابون والقمائن لعمال شركة

القصير .. هم نحن .. اصحاب شركة القصير انفسهم ..

وكانت الشركة هي التي يملك « الكائنين » وهي التي يديره

.. وكانت تبيع من ورائه .. تبيع ما يوازي احوار اعمال كلهم

تقريبا .. فالعمال هناك لا يعملون بأجورهم الا ان يصدوها النسا

تقريبا .. فالعمال هناك لا يفعلون شيئا بأجورهم الا ان يصدوها

الينا عن طريق « الكائنين » ..

وكنا من خلال هذا « الكائنين » نرداد نحكيا في العمال ..

تتحكم في مصالحهم بسيطرتنا على الثأى والسحائر التى نبيعها لهم . ونتحكم في راحتهم بسيطرتنا على الصلوات وكل لوازم حياتهم التى لن يحدوها الا عبيدا .. في « الكانتين » .. وبمصل هذا الكانتين كنا ندائن كثيرا من العمال . وبمصل هذا الدين كنا نهمل عليهم شروطنا ونقتد اقدامهم في سلاسل الشركة .. ان هذا « الكانتين » هو اقوى مظاهر سيطره الشركة على العمال .. وعادل يريد ان يحرر العمال من سيطرتنا .. هكذا ، وبكل بساطة ..

كانا عاملون .. كانا كونا شركائنا بعلتنا !! وارسل مدير الشركة الى عبد العظيم تقريرا كاملا بكل ما دار في هذا الاجتماع .. ارسنه مع مندوب خاص .. وهو لا يهم كل هذا الاهتمام الا اذا حدث حادث خطير .. وهذا حدث خطير !

ومرر عبد العظيم ان سطر . الى ان يجد ثمره ينفذ منها لحظم هذه الجمعية الناشئة . ويحظم معها عادل .. كان يستطيع ان يعص هذه الجمعية باشارة من اسمه . ما ان انشاء مثل هذه الجمعيات يطلب ادبا خاصا من وزارة الشؤون . والعمال ثم يحصلوا على هذا الاذن .. ولكن عبد العظيم لم يكن يريد ان تقب الشركة موقعا صريحا في محاربه هذه الجمعية .. لقد علمته الجارب ان محاربة العمال حربا صريحا ستهي عالما بحساسة الشركة . حتى لو حبر العمال اصبا .. ان هؤلاء العمال عندما يثارون يصعدون كقطيع من الثيران الهائحه انهماء . يحطمون في طريقهم كل شيء حتى لو اصطدموا بحاجر من السكاكين يحرقهم جميعا . وانتظر عبد العظيم ..

انتظر طويلا ..

ونم تكوين الجمعية . وعطيت اسهمها .. جمع العمال من

سهم خمسين حبيها . وقرروا ان يكون اول اعمال الجمعية هي
استيراد صندوق شاي . وصندوق سكر . وبدأوا يناقشون
في ارسال مندوب عنهم لشرائهما من السويس . ولكنهم وجدوا
ان صفقات سعر المندوب وعودته ، قد ترمع ثمن ماكو الشاي الى
أكثر مما قدروه . كما أنهم لم يحدوا شخصا مطمئن انه
يستطيع ان يحصل من الشركة على اذن بالتغيب عن العمل . .
ماقترح عليهم عادل ان يرسلوا النقود الى صديق له في السويس .
وهو يتولى شراء الشاي والسكر ، ويشحنهما الى القصير .
ووافقت الجمعية . .

وسلم عادل من الرئيس عدد العناج عشرة خبثات ، قام
بارسالها الى صديقه عن طريق البريد ، مع خطاب يشرح له
فيه مهمته . .

وعرف عبد العظيم اسم صديق عادل . . عن طريق مكتب
البريد . . فمكتب البريد في القصير حاصص للشركة أيضا .
وفي السويس ، وضع هذا الصديق تحت رماه اعوان عبد
العظيم . . تسعه الاعوان عندما اشترى صندوق الشاي وصندوق
السكر . . وتنبهوه عندما قام بشحنهما على المركب المحرة الى
القصير . .

والعمال في القصير ، يخرجون من الصباح ، ويجمعون
لتحدثوا عن صندوق الشاي والسكر . . كأنهم يتحدثون عن
أمل كبير . . عن كل آمالهم . . كأن كلا منهم في انتظار حبيبه . .
لم يكن هذا الصندوق ، مجرد صندوق شاي وسكر . . كان
أكثر من ذلك لقد حمل منه عادل شعارا للتحرر شعارا للعمل
الحماي . . شعارا للزهو والاعزاز بالتمسك
ووصلت المركب التي عليها عادل . . وذهب العمال في
موكب كبير يتقدمه الرئيس عند الفتح لاستقبال الصندوق . . كان
بعضهم يرتدي ازيى حلله ، كأنه ذاهب في استقبال عروسه . .

وكان بعضهم يحمل على وجهه اثار اب الحد والاهتمام ، كانه
كر غشاة وأصبح انسانا مهيا ..

وسألوا عن الصندوق ..

ولكن الصندوق لم يصل ..

مستحيل .. لا يمكن . لابد ان هناك خط .. ان العمال

لا يصدقون واحدا يدمرون اعيانهم في الصناديق التي تنزل من
المراكب الى الرصيف ، يعلمون يفترون على صندوق يحمل اسم

الرئيس عند الفتح .. ولكنهم لم يجدوا .. كل الصناديق يحمل
اسم الشركة .. شركتنا ..

وصعد عادل ومعه الرئيس عند الفتح واحدا يدمرون في

المركب كانوا سيقعون بالصندوق الصانع .. ثم تحدثوا الى
القبطان .. واطلعه على بوليصة الشحن .. ولكن القبطان هــ

كنهه بلا مبالاة .. انه لا يعرف قومه هذا الصندوق . ولا يعرف
الامال المتعلقة به .. وقال لهما في برود : انه اذا كان لديهم شكوى

مقدموها في مقر شركة النواخر ..

ونزل عادل والرئيس عند الفتح ..

وطلع اليها العمال في ليله .. وما كادت عيونهم تسقط

على وجهيهما حتى اريدت انظراب ، و رنخ الحصور ..

ان الصندوق لم يصل ..

عد سرق خلال الطريق ..

سرقه عند العظم ..

سرقته انا ..

وعاد المركب دليلا ورعوس العمال منكسه . كانوا يسرون

في حيازه .. حيازة الامل الكبير ..

ثم بدأت عيونهم تسقط فوق عادل .. عيون منها ناس ،

وفيهما امل خائب ، ولا تحلو من اتهام ..

وهمس عامل في اذن زميله :

— أدى أخرة التي يمشی ورا العيال .

وقال آخر في صوت خفيض :

— تلاقى الحدع اللى في السويس لهدف القرشين ..

وقال ثالث :

— دى شغلانه كبيره .. ما أحماش قدها .. ده احنا عمال

غلابه ، ايه اللى مهمنا في التحارة ..

وقال رابع :

— يكوشش سى عادل بصحك علينا .. ما هم الجماعة

الأمنية دول ما يهوماتش أمان ..

ووصل الموكب الى مدينه العمال .. وحلّس الرئيس عبد

المفتاح على الأرض في السماء الواسع . وحلّس بحانه عادل والبفّ

حولهما بقية العمال ..

ومرت فترة صبت طويله .. والعينين كلها تحط فوق وجه

عادل كأنها جيش من الذباب ..

ومل العمال الصمت .. وبدأوا يتنحنحون .. وأصوات

سعال «سعل ترمع هنا وهناك .. والهيمسات بدأت تنجم في

صوت كطنين الزنابير .. ثم ارتفع صوت عامل قائلاً :

— يعنى الشاى ما وصلش يا حدعان .

ورفع الرئيس عبد الفتاح عينيه وبطر بها الى الجمع الملتفّ

حولّه كأنه بأمرهم بالسكوت ، ثم مال بعنقه ناحية عادل وقال :

في صوت وقور كأنه بصنح حنسة التحقيق :

— تسكر ايه اللى حصل يا سى عادل ؟

ورفع عادل رأسه وقال في قوة :

— حصل بحريب .. الشركة هربت الصندوق .. اسم

ما تعرموش الشركة تقدر تعمل ايه .. تقدر تعمل حاجات كتير

.. والمشروع ده كان ضد صالح الشركة ، وكنت منظر انها

تتأخره .. انما مش بالطريقة الوسخة دى ..

وقال عمران وهو يدير وجهه عن عادل كأنه لا يدركه . يرى
خيبة أمه فيه :

- والشركة مالها في الحكاية دي كمان .. هو كل حاجة
مخسر هيا الشركة :

وقال آخر :

- أخنا عايزين الكلام المفيد .. الصندوق ما وهدش به لا :

وهب عادل واقفا على قدميه ، وقال في حده وقد شعر
بالدهام الموجه إليه :

- عشرة حصة إلى استثمرتهم من الجمعية . خادعهم
من حبى البهارة .. وحاسامر سمى اثوب انه الذى حصل
هناك .. واما الجمعية لازم يحصل .. لازم نحاول مرة ثانية ..
لازم نكسب المعركة ..

ولم يجد عادل لكلامه صدى بين العمال ..
ظنوا مسكتين .. كأنهم يصفعونه بسكوتهم
وشق عادل طريقته بهم . وسار في خطوات عصبية عاضيه
الى بيته ..

وفي نفس المساء دفع رئيس عدد الفلاح عشرة خبثات . ثم
استأذن من الشركة في إجاره عادية ، وسافر في اليوم التالي الى
السويس ..

ولم يجد هناك أثرا لنصائح الشركة تدل على سرفة
الصندوق . وكل ما استطاعه أن يجمع قصيدة على شركة النواجر
.. باسم صديقه الذى يؤتى عمليه الشحن . مطالبا بالمعوص ..
وعاد عادل الى القصير يحمل صندوقا آخر .. صندوق شاي
وسكر ..

ولكنه عاد متأخرا ..

لقد حل الرئيس عدد الفلاح الجمعية ، وأعاد النفود الى

المساهمين .. وعاد العمال يخضعون لسيطرة « الكاسين » ..
وانصر عبد العظيم مرة أخرى .. واستراح من شمتاني
قبه ..

ومرت شهور ..
وحاضى عبد العظيم يحمل في يده خطانا . وباوله لى وهو
يقول فى سخرية .. كأنه يسخر منى :
— الأستاذ عادل أبدا بيعت حوانات من حديد !!
وأخذت الخطاب فى لهمة ..
انه خطاب من عادل اليك .. استولى عليه عم جابر العواب
وستنه لعبد العظيم .

وسحبه بأصابع مريشة . وأحدث اقرا سطوره بعينين
تربعثان .. بدقات قلبى .. انه لا يزال يحك .. ولا يزال
بأمل فى رواحك .. انه لا يستطيع ان يمتنع نفسه بأنك تحببت
عنه .. لاند أن هناك بدا أعدت سبكا .. ويهدد وبشر ، وبعد
بقطع هذه المد .. ثم يقول لك فى أسلوبه العف الذى يلف به
حه :

« لقد هربت الى القصير لعل اتسك .. ولكنى وحديثك
هنا .. وحديثك فى قلبى . وفى الحلاء الواسع الذى أطلق منه
عبنى ، وفوق قمة الحبل ، وبين أمواج البحر . وعند الأملق
ساعة الشروق وساعة الغروب .. لا .. انى لن أستطيع ان
اتسك .. بل انى هنا أعمل من أحلك . وأحارب من أحلك .. ان
الذى جدعك وجدع والدك ليس فى القاهرة وحدها ، انه هنا
فى القصير أيضا .. انه فى كل مكان من مصر .. وهو يخدع مصر
كلها .. يخدعها فى أرزاقها وفى مستقبلها .. ان الذى فرق بينى
وبيك ليس ثلثا واحدا .. انهم كل الناسوات .. وانى أحاربهم
هنا و القصير ، وسأتى الى القاهرة لأحاربهم فى القاهرة ..

وسأصل لك بعد ان اهرمهم جميعا . واعود بك الى حيا ..
الى شعرا .. و .. » ..

وعصرت الخطاب بين اصابعى . كئى احاول ان اُحقق
كلهائه .. ثم حاولت ان اسمم : ولكنى لم استطع . وثقت لعد
العظيم فى صوت يحشرجه الضغط :
— وايه اخار مى عادل ؟ !

قال فى هدوء بعد ان لمح تأثير الخطاب على :
— عامل اضراب ..

وصرخت :

— اضراب .. اضراب ازاي ؟ !

قال وهو لا يزال محتفظا بهدوئه :

— حرص العمال على تقديم ثلاثة مطالب .. صوت للعمال
المتزوحين . والسماح لهم باحصر عائلاتهم الى انقصر .. ومنح
كل عامل احازه لمدة شهر ونصف فى العام بحجة ان الاحازة
الاعتيادية تسمع فى الاستاذ من انقصر الى بلدة العامل .. ثم
الحصر الطارح .. وقرر العمال منح الشركة مهلة ثلاثة اسابيع
لاهابة هذه المطالب . والا .. الاضراب .

قلت واما لارئت ثائرا :

— وباوى حصرتك تعمل ايه ؟

قال كانه يفيظنى :

— امر سعادتك ..

— يا احى ثوبك لك طريقه تخلص من عادل ده .. اى
طريقه !

ونظرت الى عبد العظيم بكل عبنى .. نظرة هائلة !
وبطر الى عبد العظيم كانه يحاول ان يكتشف ما وراء عبنى ..
ولهم عبد العظيم ما أعنيه ..

وسكنيا نحن الاثنين . كأننا قد اتخذنا قرارا مخيما . الحمد
لنفسنا ..

هل فهمت ما فهمه عند العظيم ؟
نقد منهم عند العظيم انى أمره بقتل عادل ..
معهم .. القتل !!

لا سمحى .. ولا تصرخى هتعا .. ان الكثيرين من مثيرى
الاضرابات يفتلون فى حوادث مدبرة .. كل مصدبهم سيارة ..
أو يسفطون من اعلى ساء .. أو يرمم احسادهم داخل آلة ..
حوادث تبدو كمجرد قدر طائم . ولا يبدو من ورائها اثر للشركة ..
بل ان الشركة عادة تقوم بدمع تعويض سخى لعائلته القليل ..
قبل الشركة !

وللشركات مطلق اسبابى يصطرها الى هذا الاحراء ،
النصف .. ان مثل واحد يوم عمل عشرات العمال .. ملو ته
الاضراب مسيدخل البوليس ؟ وبدور بيته وبين العمال معركة
مسهى بمثل اكثر من عامل .. ولكى ينفذ هؤلاء العمال من القتل .
يحب ان نخذهم من الاضراب . ندب ان يقتل صاحب فكرة الاضراب
والمحرض عليها ..

انه منطق .. منطق انفسانى .

وقد كانت الاضرابات فى العصر اخطر منها فى اى مكان
آخر .. بالحكومة لا محس بما محرى فى القصور ولو أحست
به لما اهتمت .. ان عقل الحكومات لا يستطيع ان يسع نشتم
هذه المناطق المائسة من ارض مصر .. ولو اعلنت العصير او واحة
سيوه استقلالها لما عرمت الحكومة المصرية بالحر الا بعد قراءة
صحف الصباح .. ولذلك لم يكن الحكومة تستطيع ان تضيف
العمال هناك .. انها لا تملك القوة الكافية لاختصمهم .. وما دام
الاضراب ليس فى القاهرة ولا بشرقته عمال الشركات ، بالحكومة
مسعدة .. غاية السعادة .. والعبء كله يقع على الشركة فى

مقاومة العمال . الى ان نصل قوات الحدود بعد اربعة او خمسة
ايام ..

ورغم ذلك منم تكن حظورة الاصرابات في التفسير هي التي
جعلني اسدر امرى بالتخلص من عادل .. انما كان تحديه لى
في خطابه الملك .. احسبت ساعتها ان المعركة اصحت سنه
وببى شخصيا .. احسست في كتمان ثوره كل المقراء على ..
احسبت كُن كل الناس اصحوا كعادل ، وكلهم يحترسون ..
وكلهم لا يعرفون يقوى ويعودى .. ماطلقت في صدرى طاقة
الشر والبطش .. وقررت ان اقتله .. كائن اقتل كل هؤلاء
الناس الذين لا يحرموسى .. كائن اقتل شينا في صدرى .
لا يحترمنى ايضا ..
امرت بقتله ..

وعادرت مكنتى قتل ان يفادره عبد العظيم . ودهت
الملك .. كائن حفت ان ياخذك منى عادل ، قتل ان يقتل ..

ودهشتت عندي رأيت أمك .

ليست هذه هي تقدة ..

إن الماساة حطمتها .. حطمت كل شيء فيها .. حطمت عظامها ، وحطمت كل حلو وحدها ، وامسحت كتله مخبة من العجين .. ليس فيها قطعة مئاسكة ، وليس فيها قطعة صلبة .

وكانت حائلة على الأريكة تهتز وترتعش كالعجين الرخو .. وقد رفعت إحدى ساقيها ووضعها تحيها ، واكتشف عنها الثوب فبدأ لحم الساق مهدلا كالعجين المسكوب .. عجين في لون الدراب .. وأمامها على مائدة صغيرة أدوات الشاي .. ابريق صغير وفنجال ..

ورفعت رأسها عندما أحسبت بمقضى .. ولمعت عيناها سريع خاطف . وهبت بالقيام من جلسها .. ولكنها لم تستطع أن تقوم ولم تستطع أن تحتفظ سرق عينيها .. معاد كل شيء فيها رخوا كما كان .. كل ما استطاعه أن جذبت طرف ثوبها فوق ساقيها العارية ، وقالت في كلمات مترنحة :

- أنت حيت يا حسين .. وحشتني !

وافترت منها .. وجلست بحانها على الأريكة .. وهبت على أنفاسها مشبعة برائحة الخمر .. رائحة كثيفة كانها شربت

برميلا كاملا .. ودققت النظر فيها . كائن امحص مريضا ..
 ان وحسبها ازدادسا عطنا ، اصحنا كالمرقوق المعطس .. لا كالتفاح
 المعطن .. وارنسبت فوقهما بقع عابضة مبرء .. ولاحت من
 تحت الجلد شرايين ربيعة محيطة كأنها شقوق في حائط على
 وشك الانهيار .. لبس وجناها فحسب .. بل ان انمها ايضا قد
 احتس من ناثير الحمر ، مدا معطنا يكاد يسقط من فوق وجهها
 .. وحفونها محيطة معطنة .. وشمها ممطنتان .. ودقنتها
 معطن .. وانماها معطنتان ..

واخذت احيل عيني فوق الوجه المعطس . وتلى ينقص ..
 وشيء في صدرى يمزق .. لقد اشفت عليها حقيقة .. شمة
 يشوبها كثير من التقرز والاشمنزاز .. كتبت انقرز منها ومن
 نفسى .. ولكنى لم اسطع رعم شفقتى ان اتهم مأساتها ..
 لم اسطع ان اقدر ان هناك مأساة يمكن ان تحطم انسانا الى
 هذا الحد .. هل الشرف به كل هذه القيمة عند هؤلاء النساء ..
 نساء الطبقة الوسطى الصغيرة ؟

ربما ..

امهن لا يمسرن انفسهن اكثر من متعة للرحل .. ليس
 لديهن شيء يقدمنه سوى هذه المتعة .. فاذا قدمنها بلا زواج .
 اعترن انفسهن قد خسرن كل شيء .. خسرن الحياة كلها ..
 ان حباتهن كلها معلقة بهذا المعنى الصيق للشرف .. ليس
 للحياة معنى آخر .. ليس فيها شيء آخر .. ليس فيها سوى
 امرأة تعطى نفسها لرحل على يد مانون ..

ربما كان هذا هو سر مأساة امك بعد ان عاشت طويلا
 حياتها في هذا المعنى الصيق للشرف .. فلم يعرف ان الحياة
 اوسع من ذلك بكثير . واجمل من ذلك بكثير .. وأرحم من ذلك
 بكثير .. لم يعرف ان الحياة تتسع لكثير من التحطاي .. بل ان
 امك لا تعرف ان الخطيئة نفسها ليست معنى صارما محدد ..

إنها معنى يصيب ويوسع حسب مقتضيات الحياة ، وحسب
النبي والمصمق .. أن زواج الرجل من أربع نساء يعتبر خطيئة
في بعض البلاد .. وفي بعض البلاد تستطيع المرأة أن تحتفظ
بخمسة أرواح نون أن يعتبر ذلك خطيئة .. أن الخطيئة في مصر
نسبت خطيئة في باريس .. والخطيئة في حى شبرا ليست خطيئة
في حى الزمناك .. والخطيئة كما تفهمها أمك .. ليست هي الخطيئة
كما تفهمها خبيرة ..

لماذا لا يسع عقل أمك ليفهم هذا المعنى الواسع للحياة ؟
إنها غبية ..

إن مأساتها — كما أمهمها — ليست سوى مأساة غناء !
إنها عيبة كأمك ، الذى فضل أن يعيش فقيرا محبة انه
رجل شريف !

وقد دفعها عاؤها الى أن تهرب من نفسها الى الحر .. أن
كل الناس يهربون من أنفسهم .. ولكن الأدباء لا يهربون الى
الحر .. يهربون الى نواحي أخرى .. يهربون الى زعامة
سياسية .. أو يهربون الى الثراء والنفوذ ، أو يهربون الى
المر .. أنا أهرب من نفسي الى أطماعي ، ولو كنت مشلت
في تحقيق أطماعي لاختنفتى نفسي .. وعند العظيم يهرب من
سفاليه الى اكتناز المال ، ولو لم يجد المال لما استطاع أن
يستمر في سفاليه .. وزوج المرأة التى اتخذها عشيقه يهرب
من نفسه الى محاولة الاستعادة منى ، وإذا لم يستقد منى
نار لشره .. كل الناس يهربون .. وأمك الفسة اختارت أن
يهرب الى الضر ..

وقلت لها في صوت مشفق بشوبه المقرز والاشمزاز :
— مالك يا تعيده .. مالك عاملة في نفسك كده ؟
وبرنحت انتسامة فوق شعنتها ، وقالت في صوت أحمر
حشرحه أنخرة الحر ، وهى تمسح بكفها فوق وجهها :

— والنقى يا احوبا ماكنشى عارمه امك حاي .. لا انزومت
ولا حطيت تواليت .. مش كنت تدبنا حمر قبل ما سحى ؟ ..
ما امت اصنك بتلك زمان ما جشش ولا سالت ..
قتت واما ادير وجهي عنها حتى اتقى رائحة الحمر :
— كنت مشغول يا مبيده .. كنت مشغول قوى ..
قالت وهى بتسم انفسامة ساحرة كأنها تكذبني :
— عارمه يا احوبا .. كن الله في العمون !!
ثم مالت برأسها نحوي وهيمت :
— تحب اعمل لك كاس ؟
قلت منقرزا :

— ده احالسه الطهر يا تفيده .. كاس ايه .. وده وقته ؟ :
قالت تكرر الكلمة التي سمعتها منى يوم كنت أعدها
لفواشي :

— يعنى هوه حرام بالنهار ، وحلال بالليل ؟ .. اشرب
يا شمش !!

قائما وفي صومها رمة خاصة كأنها بذكرنى بكل حوادث ذلك
اليوم المشؤوم .. وأحتها في حدة :
— لا .. مش عايز اشرب !

وصحكت ضحكة بلا صوت ، اهمرت لها كيلة العحي . ثم
رفعت ابريق الشاي وصبت منه في العجل ..
انه ليس شاي ..

انه وبكى ..
وطرقت انها بعنين بسمين . وقفت في دهشة :
— ايه ده .. ايه ده يا تفيده ؟

وعادت تصحك بلا صوت ، ومالت جسدها على حتى خبل
الى أن العحين كله فد اسك على صدري ، وقالت هامسة :
— أنا اصلي باحط الوبسكى في ابريق الشاي ، علشان اخيه

من هدى .. ما هو منتى کہاں بقت صدی .. کل ما تلاقی قزازة
باحدها تدلقها فی الحوض .. ونکسرھا وترمیھا فی صحیحة الریالة
.. اما ولا یهیک .. بقت تلوقت باخی القزازة فی حه مش ممکن
هدی تعرفھا ..

مات واما ارداد اشفاقا علیھا ، وازداد اشمنرازا :

— اعننى یا عبده .. انت بالشکل ده حاتمونی نفسك !

قالت فی اسی :

— یا ریت یا اخویا کان الومسکی سموت .. انا نمسی
اموت .. عایزه اموت ..

قلت اقاطعھا :

— بلاش الکلام ده یا نفیدة .. بس بطلی شرب . وانی
نرحمی کوسه زی ما کنی .. ما حدش فی الدسا بشرب کده
اندا .. ما هی خیریة بشرب . اما ما بشربش کده ..
قالت فی حدة وقد برقت عیھا بريقا مخیبا .
— ما بحش سررة خبریة .. خلاص انا ما بعرفھاش ..
مش عایزه اعرفھا .

مات وقد بدات اصیق بها :

— عنشان بتصحک شطلی شرب .. ما انا کہاں باقولک
ما مشربیش ..

قالت وهی لا تزال محتدة :

— انت کما بتکرهی .. انت بتصحک علی .. انت
خدعنی ..

واحشيت بالنکاء .. وحسبت دموعھا صوتھا ..

وترکتھا تنکی ..

وعادت تقول بعد ان هدات دموعھا . وبدات یجففھا بکم
نومھا کأنھا طفلة صغيرة :

— قولى يا حسين .. طمنى .. انت حا سحورنى ولا لا ؟ ..
با مصحككش على اعمل معروف ؟ !

قالت وانا اضبط اعصابى بقسوة حتى لا اضعف :
الحواز مش سهل رى ما انتى مأكرة يا تبيده ..
ما سيشش انى متحور .. وفلوسى كلها باسم مرانى .. لازم
اشوف الاول حاخض ازاي .. ولازم تسفى وبصرى .. ولازم
تعوفى من اللى انت فيه . عشان ما اتجورش واحدة سكرانه
ليل ونهار ..

قالت وهى تنظر الى نعيمها كانها تحاول ان تكتشف
حقيقتى :

— قللى مش مصدقك يا حسين .. يعنى حا يتجوزى على
ايه .. لا حمال ولا مال .. غيرش انا اللى كتبت مغفلة .
مت وانا انتقص واقفا :

— سسك من الموضوع ده دلوقت .. هه مين هدى ؟
قالت وهى تهر كفتيها وتنسم كأنها تسخر من مصنفها :
— فى أودتها ..

وناديتك بصوت عال :
— هدى .. هدى ..

ثم حرحت منحها الى غرفتك ، وأمك برمع الى شفتيها فحان
الشاي ، وترشف منه الويسكى ..

اتحيت الى غرفتك محتدا . كنت أريد ان اصرح فى وجهك
كأنى الومك على الحال التى وصلت اليها أمك .. كنت أريدك
ان تقديها منى او بنفدى منها .. وهذه هى عادى كلما واجهت
جريمه من جرائمى .. ان أسبها الى أقرب انسل الى ، والومه
عليها ، وأحمله مسئوليتها :

والتيبت بك حارحه من غرفتك بعد ان سمعت صيحتى
وبغلقت بابها وراءك كأنك بحميتها من ان ادنسها بقدمى ..

ونظرت اليك ..

وواجهتني عيناك الهادئتان انهيبقتان . تنقلان صدري ..

واحسست شئ يكاد يكتم أماسي . ويمزق رننى ..

احسست بنفسى أعود سريعاً .. طالبا مدرسة العيون

والصدايح .. وأبوك أماسي . لا أستطيع أن أثور عليه .

ولا أستطيع أن أسطر عليه ..

وانسلت منى حدى .. وقتت فى هدوء وأنا أدير عيني حتى

لا تلقيان بعينيك :

— أمنى سليه مايا بالشكل ده ليه ؟

وأحت وعساك لا برالان نظران لى :

— مايا عمرها ما كانت بالشكل ده !

ثلت وكانى اؤتب نمسى :

— انما اهى بقت بالشكل ده .. ولارم بشوب لها حل ..

لارم نبتذا !

واحبت وكان صوتك ينبعث من داخلى :

— لما كنا فى شبرا .. ما كانش بحصل ده كله !

وثلمت .. احسست كأنك نغززين فى صدري مكينا ،

ومرحت :

— بعضى حيطان الست ده . مش رى الحيطان اللى فى شبرا

.. احنا حاتفصل طول عمرنا نقول شبرا .. اللى عنده اسمعاد

للمساد هما . بقدر يمسد فى شبرا كمان ..

تب فى هدوء كان كلامى لا يصل اليك :

— السمات فى شبرا ما ببشموش ويبكى !

ورفعت عيني اليك ، وقتت كانى اتوصل :

— هدى .. احنا لارم نعاون علشان سقد مامك .. مش

ممكن نسيبها بالشكل ده !

واظلت من بين شفتيك اسماة حريئة خسقة ، كك بك شكين
في كلامي ، وقلت بلا مبالاة :

— انا عملت كل اللي اندر عليه .. الباقي على رب !

قلت وانا حائر ماذا اقول :

— امنعها من الشرب .. كسرى كل الغرايز .. ملاخيش

قراره انت .. اتي عارمه انها محط الويسكى في ابريق
الشاي ؟ !

واجبت في هدوء :

— عارمة .. وعارمة انها مخيبة قراره في مرتبة السرير ..

قطعت المرثة وعلمها مخزن للقرايز ..

قلت في دهشة :

— وساكنه على ده كله له ؟ .. ازاي تسببها تعمل في

نفسها كده !

واجبت وانت لا زلت هادئة :

— ما افندرشى اعمل غير كده .. لميت نومه كل القرايز اللي

في الست ، راحت خارحة بالليل بقميص النوم علشان تشتري

قزازه .. ولولا لحقتها ، كنت وصلت الشارع .. وفصلت سعيط

وبصرح لغاية ما اسطريت انزل نمسي اشترى لها قزازه ..

وسكت .. ولم اكلم ..

لم اكن اعتقد ان امك قد وصلت الى هذا الحد ..

ولم اكن اعتقد انك انت ايضا تصلين الى حد أن تخرجي

لشرا راحة وبسكى نشرها امك .. ترى لو كان ابوك مكانك -

هل كان يعمل مثلك .. وهل لو كنت بكيت له ونحس طلبه ، كان

اشفق على ، وتركى اسرق وانهب في اموال الناس ؟ ..

لعلك اردت ان تنفذي امك من خطيئة كبرى ، بحطته اخذ

.. ولعلك عرفت ان امك ليست خاطئة ، ولكنها ضحية ..

وعدت انظر اليك ..

انك لا تسكينى .. ان وجهك صامت خال من التعابير ..
 من المصيبة أحزنك كل ملامحك ، ووثقت تجميلها في استسلام
 .. استسلام الثراء .. وما أعجز الثراء عندها مستسلمون ..
 وقد حلت .. لم بعد بك شيء سحل . ورغم ذلك ترددين
 حولاً .. عجيبة .. أتى كلها تماديت في جرائمى ، أرددت أنت
 حولاً .. كأن جرائمى تأكل منك .. كأن كل صحاياتى هو أنت
 .. أنت .. الشيء الذى يعيش في صدرى .. أنت بصيرين ،
 والشيء في صدرى يضرر معك .. أنت تتسمين ، والشيء في
 صدرى يتسمم .. ولكنك لا تتسمين أبداً ، ولا هذا الشيء ..
 اب .. هذا الشيء .. ان هذا الشيء هو ضحيتى الأولى ..
 وقلت لك في خست وفي صوت ضعيف كالى تلميذ أركب حريمة
 ويريد أن يطعن الى أن أستاذة لم يعرف بها :

— يا نرى ايه ألقى حتى ما بقفت كده .. ما تعرمش ؟ !!
 وأصحت في أحضار :
 — ما اعرمش ..

وفرحت .. مريحة التلميذ الصغير عندها معتقد أنه حدع
 أسناده .. انك لا تعرفين ماذا حدث بينى وبين أمك .. انها لم
 تطعك على شيء .. ان الحمر لم تعش سرها وسرى .. بل ربما
 كانت تسمنى بالخمر على الكتمان ..
 انك لا تعرمين ..
 ابى لا زلت بريئاً ..

وكفى لا .. ابى أحس في أعماقى بأفك تعرفين .. ربما لا تعرفين
 التفاصيل .. ولكنك على الأقل تعرفين أنى أنا السبب ..
 وم أوقف عند هذا الإحساس طويلاً .. ان مصر كلها تعرف
 أبى السبب في كثير من مصائبها .. ولكنها لا تعرف التفاصيل ..
 وما دامت لا تعرف التفاصيل ، فهي لا تستطيع أن تثبت على
 شيئاً ..

وعدت أنظر إليك ..

وبذات أسهل : ماذا يعجب عادل منك . الى حد ان يثير
معركة منه ونسى من أهلك .. مل معركة بينه وبين كل باشوات
مصر . كما قال في حلفائه الاخر لك ؟ !

وطمعت بعمى قوى وجهك التحيل .. وفوق صدرك البكر
المكبر .. وفوق حسبك الصسى التحيل .. وسائقك المسقيين
... و ...

ماذا يعجب عادل منك ؟ هل هو في حاجه الى صباك كما انا
في حاجة اليه ؟ لا اظن .. ان شأنه بعينه عن صباك .
ربما يعجبه منك الشرف ؟ !

لمادا لا يكون الشرف من نصيبى انا .. لماذا اتركه لعادل ..
انه يحاول ان يصل الى هذا الشرف عن طريق كفاح يعتقد انه
كفاح وطنى .. وانا مسحاول ان اصل اليه ايضا .. ولكن
كيف ؟

لقد خيل الى ساعدها ان انسى حكاية امك ، ثم أبدا في مطارحتك
الغرام .. ان اقول لك انى احبك .. وانى اريدك .. وان كل
ما بقى لى من حياء قد جمع منك .. لم أعد أريد الا ان آخذك ..
الا ان تكوس لى .. ثم اروي لك القصة كلها .. واقول لك انى
اسال ضعيف .. رغم كل ثرائى وفودى فانا اسال ضعيف ..
شئ في صدري يضعمنى . ويحمل من ابيك رجلا اقوى منى ..
وانت ايضا اقوى منى .. ربما لان الشئ الذى في صدرك لا يضعمك
.. ربما لانك راضيه عن نفسك .. لانك قنوع . لانتك في عنى
عنى .. وانا اريد قولك .. اريد ان اسيطر عليك .. اريد ان
احطبك .. احطم هذا الشئ الذى يشعربى بضغنى ..

ولكن كيف أتول لك هذا الكلام ؟

انى لا استطيع ..

انه كلام كتب عليه ان يطل حبيسا في صدري . يملئ في

أعماقنى ، لانى أحاول أن أكون شيئا لا أستطيعه .. أحاول
أن أكون منك بمثابة أب ، وأن أبدو أمامك انسانا شريفا .. استأب
محترما !!

وقلت لك وعيناي لا تزالان معلقين فوق نهديك :
— ألهى .. أنا حاضل كل حاجة علشان مامتك تعوق مر
الى هيه فيه ، وترجع زى ما كانت ..
وبطرت الى كائنك سائسة منى . وقلت فى برود :
— رفا يشفيها ..

ونركك ، ومررت بالصالون وامك لا تزال جالسة فى مكانها
شرب اوبسكى فى مجال الشاى . وقالت عندها راسى :
— انت خارج يا حسين ؟ !
قلت فى حدة :
— أبوه ..

واشارت الى لأقرب منها كنها تريد أن تطلعنى على مـ
خطير .. ثم قالت هامسة :
— قول لى « طمنى » مش حاتنحوزنى يا حسين ؟ !
وقلت وقد ارتفع صوته فى غضب :
— ما قلت لك سببك من الموضوع ده دلوقت ..

ورخحت من البيت وأنا أسمع اناب ورائى كالى أخدمه
صوت أمك .. حرحت حانقا .. نائرا .. ماذا يريدون منى ..
ماذا يريد الناس منى .. انى أجمع العمال من الأرقه وأمنحهم عملا
سكسون ميه ، فبثورون على ويمشروننى عدوا لهم .. وأجمع
حربى الحامعات من موق أرصفة المقاهى وأعطهم عملا . مشورون
على ومطالبون بالزيد .. وأمنع أمك مرحولسى وفحولسى فتنور
على وتطالبنى بالزواح .. وانقلك أنت من حى شبرا وأمسك فى
عمارة اتيقة على النيل . مشورين على ويكرهننى .. ماذا يريدون
ليرضوا عى .. لمعرفوا نفعنى عليكم ؟ .. انى فى غنى عن

رصانده .. لا اريد منكم اعترافا بعملى .. ولكنى سادلكم
عجيبا .. جميع الناس .. ساملكم بالذل !
ورغم هذا عدت اليكم ..

كان مجرد تصورى ان هناك شخصا آخر يطعم فلك .
ويريد ان يأخذك منى .. يدفعنى اليك ..

كنت اعود كل يوم لأرى أمك فى حنيسها تشرب الويسكى فى
فنجال الشاي .. لم تعد تخرج من البيت .. ولم تعد تحاول
ان تنسج فى المحسج الحديد الذى نقلته اليها .. ولم يعد لها
احد من الصديقات اللاتى عرفهن فى هذا المجتمع .. ان خبره
لم يعد تطبقها . ولم تعد اطماعها التى نحققها عن طريقى تكفى
لنفسها .. وبقه الصديقات طردنها من سوبر .. لقد حاولت
عقب مناسبا ان تتردد عليهم لمانسى من ، لثرى فى خطاياهن
ما يحفف عنها حليتها . ولكن افراطها فى الشراب ، كان يفقد
نوارها فى سوت العديقات . وكان يكشف عن حقيقة الطبقة التى
تنتمى اليها .. منمن منها .. وطردتها من بيوتهن .. طردتها
بكل وقاحة .. مطبست فى الست وامامها الويسكى فى فنجال
انشاي .. لم يعد لها الا الخمر .. الخمر فى الصباح والمساء ..
فادا اعدب عنها الخمر جنت .. اصبحت مذنونة فعلا .. عسان
مذهولتان مذنوبتان .. وشفتان منمرجتان مرتعشتان .. وجمد
يرثعش ويسففى .. وصراخ وعويل .. كان قد حل بها شيطان
لا بهذا الا اذا حرع الخمر .. كثيرا من الخمر !

وانت بجانبها .. كل ما حرصين عليه ألا تخرج بفصحيا
الى الشارع .. متريكنها للخمر يعرق منها مصيحتها .. وتختنين
فى عرقك . حى نومرى عليها عذاب رؤيتك وهى فى هذه
الحالة ..

واهمل البيت الذى يعيشون فيه .. لم يعد أحد منهم به ..
ان الإناث « الأوبيسون » قد كسبه بقع كبيرة من آثار الخمر

وبغايا الطعام . . . وأواشى الزهر . . . والنحف والمماص . . . كسر
معظمها أمك في بريحها . . . ومائدة صغيرة مركزة على ثلاث
سفن وصاعت الرابعة . . . ورائحة الدراب مويح في كل مكان .
والخدم لا يدخلون النكم لأنهم يهربون من المرأة المسكرة . .
إن المأساة بطعم السمت كله مصباتها . . . وأنا أحاول ابتعاد
أمك . .

أحاول ابتعادها لأنقذ نفسي من الحثة التي طوح إلهي . .
حثة حريمي . . ولأبراج من صوبها وهي تهف : « مشر حشجورى
يا حسين » . . ولأنترب اليك مائتاذها . . من يدري ، ربما بعد
إن أنقذها آتال رضائك واحترامك . .
وانت لها بطبيب . . .

ومال الطبيب إليها وصلت إلى قمة الادب . . وإن علاجه
يحتاج إلى وقت طويل ، وعذاب طويل . .

ولم يطلع العلاج . . لأنك كنت أضعف من أن يرى عيسك
عذاب أمك . . كنت كالطبيب الذي يقتل مريضه ليرمحه من آلام
مرضه ميتوس من شفاؤه .

وكانت أوامر الطبيب تقضى بالاشرب أمك إلا كئيب واحد
في اليوم ، ثم كثيرا من الأدوية والمسكنات . . ثم مراقبة دقيقه
حتى لا تلحأ أمك إلى حدع نشرب بها مزيدا من الأحمر . . بالدم
عندما يصل إلى هذه الحالة يركز دكاؤه كله في الحصول على
مزيد من الأحمر . . وقد يصل إلى حد الاحرام . . قد يسرق . .
قد يقتل . . في سبيل كئيب . . لم تحبيل أمك العلاج . . ولا أتب
.. لقد حنت في أول يوم . . وانتانتها أزمة عنيمة . . أخذت
تصرخ ونصيح . . ثم منع على الأرض سحت قذمتك . . ونكي
ونوسل اليك أن يحضري لها أريق الشاي . . ثم سؤى كئ
لسعات من البار تكوي حسدها . . ونصق ابعاسها . . وبحل

الك انك سمعيت .. مسرعين ومخضرين لها ابريق الشاي ،
ملينا بالويسكى ..

وفي اليوم لثاني حاولت ان تحدّثك ، حتى اخرجني من البيت
وسرّكها نحت عن الحمر .. ولكّك لم يحدّثني ، وظللت نحتها
في عزمها والباب مطلق عليكما .. مائتاتها الازهر العبيدة ..
وجعت عليها مره ثلثه .. لم يحملي عذابها .. واحصرت لها
ابريق الشاي !

وفي ايوم الثالث .. حطمت كل ما في البصرة .. ثم بطرت
الك بعينين مخنوسين .. انك بكرهك .. انك عدونها الوحيد ..
ومحاة ألّفت حسدها كله عليك وحاولت خضك .. وابست مرياعة
.. حائفة منها .. حائفة عليها .. واستطعت ان تتخلصي منها
قل ان نصل بذاها الى عنتك .. واحصرت لها ابريق الشاي ..
وهذأت ..

ويئست أنت ..

ولكني انا لم اُنس .. ابى اكره انيس .. ومد أصبحت
أمك باليسه لي مشروع حب ان سم .. صغته أعمر منها
لعلى ابح .. كتب كأي اقترت شركه على وشك الافلاس
واحاول ان اُنقدها .. لا احاجني للمال ، وانما منط لأحرب ذكّئي
.. لآتحدي الماشلين .. لأشعر بقوى ..

ولكن كيف ؟

ومصت ايام كثيرة ، وانقاد أمك هو المشروع الوحيد الذي
أفكر فيه ..

وبدا بيكرى ينفذ اسماها جديدا ..

ان أمك وصلت الى حالتها هذه تنحّة أزمة نمسية . عيب
ان سحت بشرها ، دون ان تنهي بضحتها الى رواح .. مهل
لو مروحت أمك ، براح من اربها العيسه ، ويقطع عن الحمر ؟
وهل يحب ان سروحني انا ؟

لماذا لا تروح غبرى ؟ !
 ان اى زواج يستمره امك ردا لشرعها !
 ولكن من ؟
 من تزوج !!
 لماذا لا يكون عبد العظيم ؟
 هل برضى عبد العظيم ؟

ودخل على عبد العظيم بقدم الى تقرير الصباح .. تقرير
 الأعمال المتقدرة ..
 وقتت به بعد ان انتهت من مناقشة التقرير :
 - وايه احبار شركة القصير .. واخبر عادل ؟
 قال فى هدوء :
 - لسه ما واصلش احبار .. اما انا مطمئن .. كل حاجة
 حمشى زى ما احنا عارفين !
 قلت وانا اسعد ، كانى اشكو له :
 - مين كان عارف ان عملة محمد اسدي اسعد ، حتسب
 لنا المنفعة دى كلها !
 قال وهو ينظر الى من تحت عينيه كانه يشعر بانى اجره الى
 شىء اريد :
 - سعادتك اشفقت عليهم .. والشفقة دايما تحر وراها
 المصائب !
 قلت فى تأثير :
 - دى الست بيده حالها بيت وحشه قوى .. سكرانه
 ليل مع بهار .. مش عارف اعمل لها انه ..
 قال كانه يتخلى عني :
 - ما تعملش لها حاجة .. ما مش غايده .. دول ماس
 ماسيلوس .. اخوها حرامى .. وهى مكيرة .. وبى عادل

ساع اميرات .. احس حاجة اننا نرجعهم شبرا زى
ما كتوا ..

قلت وانا انظر اليه نظرة قوية كتنى آمره ان يخضع لى :
— مش ممكن بعد اللى عملناه ده كله يتخلى عنهم .. انا كان
نمسي اشومهم باسم كويسين وعائشين كويس ..
وكور شغفيه كانه بهم ان يمسق على الأرض ، ثم هر كفيه
وقال فى اسنويه المماق :

— والله كلك خير يا باشا .. انما مي يقدر !
قلت بعد برهة :

— تعرف ايه اللى حلى تميده بقت كده ؟
قال وهو بيدى اهتماما مفتعلا ليرضنى
— ايه ..

قلت وانا انتسم ابتسامة هادئة :

— عايزه تتجوز .. وكانت فاكركه انى انا اللى حانجوزها ..
ما قدرتش بقدر ولا تمهم اى اشغفت عليهم وانى باحاول ارد
حميل زميلى محمد افندى انسد .. انما امتكرت ، رى ناس
كبير ما امتكروا . اى معحب بها وعاز انجوزها ..
قال وهو يدبر رأسه عنى :
— مغفلة !

واستطردت متجاهلا تعطيعه :

— انما انا متأكد انها لو اتحوزت حانطل مسكر ونرجع رى
ما كانت !

قال فى برود :

— ودى مين يتحورها ؟ .. ده شكلها يصد العيس !

قلت وانا اتجاهل تعطيعه أيضا :

— والله انا نفسى بحور واحد منها .. واحد مش عريب
علينا .. علشان ما نخلش بينا غريب !

وعند سطر ابنى . وقد بدأت عيابه تضيقان كأنه ينظر بهما
من خلال صباب ؛

مثنى ماثم .. سكر سعادتك مين يرصى ينجورها .
ده الساعى اللي على باب مكنى ما يرصاش ..
ثلب وقد بدأت اصح فى صوبى رنه الحد كائن تحت عملا
خطيرا ؛

— لا .. برسى .. ابى يوم ما يتجوزها حيدلنا .. وادا
كيا بصرف على بيده مدين حنيه دلوقت . الساعى ساع حصرتك
حينهم حسابه .. وحايىر اموالنا .. وحيعمل لنا فى كل
يوم غصده ..

وسك عبد العظيم .. واسعت عيابه كأنه بدا يلح من
خلال الصباب شينا .. واسطردت قاتلا فى كلام طبئة كائى
اعنى كل حرف اتول

— ادا كانت بيده حصور سنى يا متحورنى أنا ، يا تتحورك
ابى !

وسك عبد العظيم ..

لم يثر ..

اشعل سمحاره واحد بيت دحانها فى الهواء ، وعقد ما بين
حاحسه كنه يحاور ان بحد معى حلا .. يحاول ان يكون اقدر
معى .. ثم البعت الى وقال فى حدة :

— اعفنى أنا يا ماشا من الموضوع ده !

ومظرت اليه وبين شمس ادسامة بسخف به ..

ان عبد العظيم رعم كل عذاره ، وكل سعاله ، وكل حروونه .
يحبط فى حبه مقطعة منظمة ، لم يحاول ان يدبها ، ولم يعرضها
اندا ندس .. زوجته وعائلته .. لقد تزوج مد أكثر من ثلاثين
علا .. بعد ان نقلنا مركز أعمالنا من بورسعيد الى القاهرة ..
وكس رواحه هو مشروعه الوحيد الذى لم يشركنى فيه .. بل

لم اعرف انه تزوج الا بعدها بشهور ، ومن خلال حديث عابر ..
وحتى هذا اليوم لم أر زوجته .. ولم أر ابنه الكبير الا في مناسبة
أو مسامتين - ولم أر بناته أبدا .. ولم يدعني أبدا الى بيته ..
انه لا يدعو أحدا الى بيته ، وعندما تضطره أعماله الى إقامة مأدبة
فهو يقيمها دائماً في النادي ..

هذا الجانب من حياة عبد العظيم ، ظل الى الآن سرا مغلثا
على .. سرا لم أحاول اكتشافه ، انما كنت اتركه له ، دون أن
أحاول أن ادخل فيه .. كرما مني .. فلم أكن أدخل عليه بأن
أرك في حياته قطعة نظيفة .. وربما أثارني يوما هذا السر ..
كنت أعجب من هذا الإنسان الذي يفرط كل هذا التفريط في اعراض
الناس .. وسخل كل هذا السخل بعرضه .. ربما كان هذا نوعا
من مركبات القمص .. انه وهو يقود زوحات الآخرين الى فراشي ،
يحاول أن يصنع نفسه فوق الجميع ، فيضن بزوجه ، لا على فراشي
الآخرين فحسب ، بل على عمونهم أيضا ..

وقلت له وقد عرفت أن مشروعى يمس عتدة النقص فيه ..
يمس القطعة الوحيدة التي يحتفظ بها نظيفة !

— اعمك ازاي يا عبد العظيم .. يعنى أروح اتجوزها انا
.. وتبقى فضيحة واسمنا ينزل في السوق ؟ .. ثم مين حايعرف
.. ده حتى المأتون مش ضروري يعرف !
واتسمت له انتسامة فهم منها ما أعنيه ، وقال وهو يقوم
رافعا :

— حاضر .. أمرك !

واسبقوقته قبل أن يصل الى الباب قائلا :

— يعنى ما تفتش حاجة النهارده عن شركة السحر ..

قال :

— ما حصلش حاجة جديدة ، والحكومة لسه مصيبة على

مرتتها من موضوع الضرائب ..

قلت :

— أنا مش عاجزى الحال فى الشركة دى .. لازم يمسكها
واحد قوى .. واحد يعرف بمشيتها ..

وابسم عبد العظيم ابتسامة كبيرة وقال :

— والله ده راى من زمان !

وشركة النحر كانت دائما المطمح الكبير لعبد العظيم .. كان
يريد أن يمين نفسه عضو مجلس الإدارة المنتخب لها .. وكنت
أصن عليه بهذا التعمين ، لأحتفظ به كسلاح أثير به أطماعه ..
وقلت وأنا ابتسم له ، ابتسامة أمنيه فيها بالمنصب الكبير :
— ننتى نتكلم فى الموضوع ده بكرة !

وخرج عبد العظيم ..

واتصلت بعدها مباشرة بخيرية .. وذهبت إليها فى بيتها ..
واطلعتها على مشروعى الجديد .. مشروع زواج نفيده سمع
العظيم .. وقالت خيرية كأنها تشفق :

— يا خير ! .. وعبد العظيم رضى ؟

قلت مبتسما :

— ما هو مش حيتحوزها قوى ..

قالت وقد فهمت :

— قول لى كده .. اما انت مفترى صحيح .. انها والنبي
تفيده ما نستاهل التعب ده كله .. دى وليه خرفاته !
قلت :

— أصلى خايف تعمل لنا فضيحة وهى سكرانه .. أهى
حاجه نسكرتها بيها والسلام .. وعليكى انتى تقنعها بالجواز ده !
ولم تكن مهمة خيرية سهلة ..

لقد انقضت أيام وليال طويلة ، وهى تحاول أن تصل الى
عقل امك من خلال أبخرة الخمر لتقنعها بالزواج من عبد العظيم

.. وكنت أمك منه كلما رنت في أنفها كلمة الزواج .. كأنها ترى
من خلال هذه الكلمة نور الأمل الكبير ..

وقالت لحيرة في إحدى فترات انتباهها :

— ده إنا كنت مأكره حسين هو اللي عايز يتجوزنى !

وقالت حيرة وهى تحاول أن تنفذ بقية من عقل أمك :

— ولسه يا אחتى عايز يتجوزك .. انما مش قادر .. دى
مرانه انجليزية ، وماسكه من زوره .. لو اتحوز عليها بفلس
عانى يوم !

وقالت أمك وهى ترمع الى شفتيها فنجان الشاي :

— ما احورش الا حسين .. ماليش دعوه .. انتى اصلك
مش عارفه .. ده وعفى بالجواز ..

وقالت حيرة وهى تزيج فنجان الشاي عن شفتيها :

— والنبي بطلى شرب يا عميده يا אחتى .. ده انتى عدىتى ..
وماليش حاجة حاططلك الشرب الا الجواز .. هيه المست لها ايه
الا الحوار .. يعنى مأكره انى يااحب جوزى .. أبدا والنبي ..
انما هو اللي سترنى .. ومخلبنى ست ..

وبعدت أمك كأنها تفكر ..

ان الحوار بالنفسه لها هو الكرامه ، وهو المستر ، وهو
النبت السميد الذى قضت فيه شبابها ، ومعظم حياتها .. وعادت
تقول :

— انما ده عند العظيم بيه كن عارف ان حسين بوحبنى ..

قالت حيرة :

— أبدا .. ولا عارف حاحه .. وهو لو كان عارف كان بعنى

نك ..

قالت أمك :

— مش عارف حاحه أبدا ؟

قالت خيرية :

— أبدا .. ولا حاجة !

ومدّت أمك يدها الى منحن الشاي ، ثم عادت وسحبتهما ؟
وقالت :

— بس سى عبد العظيم بيه عايز يتحورنى ليه .. لا مال
ولا حمال ؟

وقالت خيرية وهى تستعين بالصبر :

— يا مستى .. كل مولة ولها كمال .

وقالت أمك :

— أنا مش مصدقة .. مش مصدقة أبدا !

وقالت خيرية :

— صدقى يا احتى .. بس وامتى اسى ، وكل حاجة تم ..

وامتى عشار خاطر هدى .. دى هدى امرمطت معاكى ..
ولا يستركم الا راحل يملأ عليكم البيت ..

وبأثرت أمك عندما سمعت اسمك .. وصمتت طويلا ..
ثم حرت دموع صامته فوق وجنبيها .. وخيرية سطر اليها بلا تأثير
.. انها تقوم بعمل تقص عليه احرا .. عمل لا دخل للعواطف
فيه ..

وقالت أمك وهى تمسح دموعها بكم ثوبها :

— معكرى نوم ما اتحور ، ربنا حايبوب على من الهاب ده ؟؟
وقالت خيرية :

— طبعاً .. هو انتى بتشرى الا من ضيقك ..
وقالت أمك فى لهفة :

— صحح والنسى يا خيرية .. صحح مش حارح اشرب ..
صحح ؟

وقالت خيرية :

— انا اعرف اكثر منك يا سعيدة .. ده بوبه حورى ساب
البيت ، ومن يوم ما سابه فضلت اشرب لغاية ما رجع نانى ..
ورمعت أمك عنينا ، وصاحت فى حرقه
— يا رب . يا رب بوب على !

واقبعت أمك بالروح من عند العظيم .
هل امنيت أنت ايما ؟ ..
لا اظن .. ولكك كنت يائسة .. كان اى شىء يحدث لأمك
أهون عنك من الحالة التى نعيش فيها .. كلت كأيك تظن
الى الأشياء نظره سلبية .. تمهيبها .. ونحسين بكل ما فيها
من دس .. ولكك لا مقاوميتها الا بالباى عنها ..
وحدد يوم عقد القران ..

واسطعت أمك ان تقوم نفسها ، فجمعت من اقبالها على
أحمر قتل الموعد بأيم .. وبدأت كتله العحين تتماسك شيئا ما
.. بدأت عساها يستقران ، وشعساها المنرجبان فى بلاهة تنطقان ،
وجسدها المترنح يستند على عظامه ..
لقد بدأت التجربة تنجح ..

وأردت ان أحصر نفسي بحاج التجربة .. وررركم قلبها
سام .. واسطعت ان أضع أمك بهوه بطروفي الكاديه الى
سعتى من ارواح بها .. وان أضعها بأن ما حدث سنا كان خطئة
سبعمرها الله .. وابى مضطر ان أحصر عند العرا لآسى صديق
عند العظيم وأثرب الناس انه . ماداً لم أحصر ربما ساورنه
شكوك ..

وحل اليوم ..
واحبهما ..

أمك وقد ارتدت ثوبا محشما ساعديها فى أحساره حربة ..
ونم مصع من المساحيق الا القليل .. ان قدسه الروحاح جعلنها

بحشتم .. جعلها أقوى من المجتمع الحديد الذى دخلت فيه ..
 أن الرواج فى نفسها شيء كبير .. شيء يأمر الله .. وهى تحاول
 أن تبدو نطيفة محترمة وهى تتلقى أمر الله .. وحلست فى صدر
 الصالحون .. ووحشاها المعطشان يرتعشان فى حياء بشر الشعقة ..
 وقد أرحت حسيها موق عسيها فندت كمرىض يحتار دور البقاة ،
 ويحمد الله على شغاله .. وأنت حاسها تريدن ثوبا رمادى
 اللون .. صنعته يدك .. أسدل على حسدك التحيل بسامه
 أحفت كل خطوطه .. وكنت تدرس شاحنة .. أكثر مما عودت
 أن أراه فبك من شحوب .. ضعفة ، أضعف مما أنت .. وجاء
 حالك من الإسكندرية .. دليلا .. لا يستطيع أن يرفع رأسه ..
 بل لا يحاول أن يفهم ما يدور حوله .. أن أخته مزوج من عبد
 العظيم .. لا بدري لماذا .. ورغم ذلك لا تتساءل .. وخبرته ..
 وأنا .. و .. وجاء عبد العظيم .. المريس .. جاء وهو على
 عجل .. جاء متأف ، كأنه يريد أن ينهى من أقدر عمله و
 حياته .. وجاء معه المأذون !
 المأذون !!

هل تذكرين هذا المأذون ؟

انه أحد أعوان عبد العظيم .. أريدى حبة وقطعتا وحبى
 تحت أسطه سحلا .. فأصبح مأذونا .. بأمر عبد العظيم .
 انه مأذون وهبى ..
 انه خدعة ..

وبدا المأذون الكاذب يثلو صفة العقد .. وسعلت أنت ..
 ثم ألسنتك نوبة سعال حادة .. وشعرت أن شئنا فى صدرى
 يسعل معك .. شئنا نكاد نحقق !
 وانتهى المأذون من تلاوة صيغة العقد .. وكب وثيقى
 الزواح .. وقمتها أنا وخالك كشاهدين ..
 ثم أعطى المأذون الورقتين لعبد العظيم ..

وطامت علينا أكواب الشرابات ..
وقامت خيرة وقبليت أمك .. وهبت بأن تنقلك ، ماناسك
نه السعال من جديد .. لماذا نسعلين .. أن سعالك محف ..
نه يمزق صدرى !

واقترب خالك من عبد العظيم وقال فى دل :
— أقدر أشيل الورقة بتاعة اختى معايا ؟

وقال عبد العظيم وهو ينظر اليه فى صرامة :
— لا .. الورق كله أنا اللي باحتفظ بيه .. والا ايه ..
يا اسماعيل افندى ؟

ومراجع حالك سريعا .. انه يعلم أن عبد العظيم يحتفظ
بورقة أخرى .. يحتفظ بوصل امانة قيمه أربعة آلاف حيه
بوقعا عليه من حالك .. ولهذا تراجع .. وسكت ..

ونظر اليها عبد العظيم ، وركز عينيه على وجهى برهة فى
نظرة لم يحروا عليها من قبل ، كأنها نظرة احقار . ثم قال :
— عن ادكم با جماعه .. أنا مصطر أنزل .. عندي ميعاد !
ونزل ..

هكذا سريعا . دون أن ينظر الى عروسه ، أو حتى يقول
لها « مبروك » ..

واشدت بك نوبة السعال .. وقمت بلهثين الى غرفتك ..
وقامت وراءك أمك .. وشعرت بالضيق ..
شئ يكمن أنفاسى ، ويمزق رئتى ..
لماذا أنضايق ؟

لقد حسرت رواحا وهيبا .. وماذا فى هذا .. انى أشئ،
شركت وهيبه .. وارفع الأسعار فى النورصة رمعا وهيبا ..
وأخمسها حفضا وهيبا .. وأعين الورراء والكراء فى محاللى
ادارة شركاتى ، واجعلهم أوهاما .. وأسرع للصعيان الحسوة

تبرعات وهمية .. وأعد وعودا وهمية .. و .. و .. فلماذا
أنضابق كل هذا الضيق من زواج وهمي ؟
لقد أنقذت أمك انقلابا وهميا .. لفشنى الى حين .. لتسكت
الى حين .. ومصر كلها ينتقونها بالأوهام .. وتميش بالأوهام ..
ويمسكت شعنها بالأوهام .
فلماذا حدث أكثر مما يحدث كل يوم وكل ساعة ؟
ولكن الصبق يشتد بى ..
وروحى تكاد تزهق ..
وصوت سمائك يصلنى من غرنتك كأنه طعنات مصوبة
الى جنبى ..
انى أريد أن أهرب من نفسى ..
أريد شيئا يلهينى من هذا الضيق ..
شيئا عنيئا .. كبيرا .. مثيرا ..
أريد جريمة ..

وبدا احساسى بالعصبى يفتدى توارنى .. توازن عطفى !
وقد كان عطفى يعمل دائيا كالآلة المنظمة الدقيقة . وسبح
صمعا واحدا من الصناعة .. المال .. ومزيدا من المال .. ولم تكن
عواطفى تستطيع ان تصل الى عطفى ابدا . او يحده به عن
طريقه .. لم يكن للكرهية . او الحب دخل فى حكمى على
الأشخاص . أو فى معاملتى معهم .. وقد تعاون مع رجل أكرهه ،
وأصرب بالشلوات رجلا أكرهه .. ان العواطف أشبه بقطم الحجارة
الذى تقع بين بروس العقل فسطحها . وتمسد الآلة المنظمة
الدقيقة .. ومعظم مصائب الناس نفع من تأثير العاطفة على
العقل .. ان العقل وحده لا يخطئ الا نادرا .. وأناس الاعساء
فى نظرى هم العاطفيون !!

وليس من السهل على كل انسان ان يحصى عقله من
عاطفته .. انها عميلة شائعة محتاج الى ارادة قوية . وإلى
اعصاب لا تلين . وإلى قسوة . وإلى شخصية عازمة .. وتد
كنت دائما أمخر بارادتى ، واعصابى ، وقسوى . وشخصى ..
ونكنى بدات أمقد كل ذلك .. بدات عواطفى الخاصة يعطب على
ارادى واعصابى . وبالتالي تؤثر فى عقتى . ثم مؤثر فى
تصرفاتى ..

وأذكر أنى التقيت فى هذه الأيام محسنين ماشا شهاب :

انه عضو مجلس ادارة في كثير من شركاتى ، ومحترف رياسته
وزارة ، وانا اكرهه .. اكرهه كالعصا .. انه شيء قصير عريض
أشبه بالفنطاس الفارغ .. ويضع على وجهه دائما قناعا من
الحد والحزم ، فيبدو كأنه رجل خطير ، ويبدو كل شيء يعمل
كأنه عمل خطير .. اذا جلس على مائدة الطعام يبدو كأنه يصح
تصميم مصنع ، وادا جلس في السينما يبدو كأنه يقرأ تقريرا
سياسيا ، وادا سار على قدميه ليشم الهواء يبدو كأنه يقوم
بعملية جراحية .. ورغم ذلك ف وراء هذا القناع شخصية ضعيفة
جنيئة تناع في أسواق السياسة والاقتصاد بأرخص الاسعار ..

وقد كنت دائما في حاجة الى هذا الفنطاس الفارغ .. فلن
شخصيته الضعيفة الدنيئة كانت ترشحه دائما لرياسة الوزارة
في كل أزمة .. اذا أراد الانحليز تنفيذ سياسة لهم ، جاءوا به
رئيسا للوزارة .. واذا أراد الملك تحقيق بعض أطماعه جاء به
الى الوزارة .. وكنت أضعه في شركتى انتظارا لهذه الثمرات
الى يتولى فيها الوزارة ، حتى اذا تولاها حقق في سرعة عجيبة
نسيم « الوتاحة كل ما أريده وتريده شركتى .. ومن أجل
ذلك كنت أحمى عنه كراهيتى ولا ادعها تنسرب الى عقلى فنفسد
تعلونى معه ..

ولم يكن حسنين باشا شهاب يخفى الماكفآت التى يتناولها
تظهر عضوبته في مجالس الادارة ، بل كان يطلب منى دائما
« نصيحة » .. ونصيحتي تنسوى في الأسواق المالية ألونا من
الجنيهات .. مكفى أن أنصح أى مضارب في البورصة بأن يشتري
أو يبيع ، فيصبح من الأغنياء ..

وجاءنى حسنين باشا شهاب فى ذلك اليوم يطلب منى
نصيحة .. وكنت جالسا على البار في نادى السيارات ، وأمامى
كأس لائل بها شفتى .. ورفعت اليه عيني ، فأحسست بموجة
طاعية من الكراهة لم أستطع أن أحول بينها وبين التأثير على

عقلى .. كانت ارادى مساعدتها اصعب من ان يتف حائزا بين
عقلى وعاطفتى ، فأخفيت عنه عينى ، وقتلت فى لهجة جادة :

— اشتريت أسهم شركة الطوب الحرارى ؟

قال وهو يحاول ان ينظر فى وجهى :

— لا ..

قلت فى همس وحزم :

— اشتر !!

وانفجرت اسارير حنفيى ناشئا شهاب . وانصرف عني
وهو يسير على أطراف أصابعه كأنه لئس .. كنه استولى على
حاملة نقودى ..

وكانت شركة الطوب شركة وهمية ، أسسها جماعة من
الأجانب واليهود ، وطرحوا أسهمها فى السوق بسعر رخيص ،
ثم قاموا لها بدعاية واسعة ، واستولوا على ألبانها ما همين
معظمهم من أصحاب الارامى الذين يتسولون فى القاهرة . والذين
لا يفهمون شيئا من شئون الشركات انما يدعون انهم يبيحوا من
ادعائهم دليلا على مدينتهم ونفائهم .. بل استطاعت الشركة
ان تسع أسهمها الى بعض أقطاب الاحزاب . الذين شج
أطماعهم على رءوسهم ، متبعون فى عهديات النصب ..

كنت اعرف كل هذا عن شركة طوب وقد اشترت أسهمها
عندها كانت رخيصة ، واذاغت الشركة ذر دحزنى مساعدتها كوء
من الدعاية تحفذب به الاعبياء .. فلان اسمى يكفى دائما لنجاح
اى شركة .. ثم انطمرت الى ان ارتفعت الاسعار وبعث
ما اشتريته .. بعته للأغبياء .. ورمذت .. ربحت نقود الاعبياء
.. وكنت ائنظر بعد ذلك أن يمر الأجانب واليهود بالاموال التى
جمعوها ، وتسقط الشركة وتعلن املاسها .

واشترى حننيى ناشئا أسهمها بما لا يقل عن خمسين ألف
حصه . وبعد اسبوع واحد حدثت الكارثة ، وفر المؤسسون ،

ومعهم أموال المساكين .. وقامت صحة في مصر كلها ..
ولكن ضجة حسبي باشا كانت أكبر من الضجة التي قامت في
مصر .. وقد صب صبغه كلها على .. وكنت أستطيع أن أواجه
ضججه وأن أنسى عليه . ولكن عقلى تنبه ، واستعد عن عاطفبي
.. أن حسبي هذا أداة مامعة لشركائى ، ومن أخطأ أن أعطيه
أو أحسره . فاستحسنت كل ارادتى لانتع ثقل ظله وسحابة
مظهره الخطير .. وأرسلت له عبد العظيم ليعترضه ويحسب
له خسارته .. لم أنفع له خسارته من حبي ، بل عوضه عنها
« بنصبحة » أخرى استرد بها كل ما غفده ..

استرد من أموال الأغنياء ؟

وبرك هذا الحادث أثرا كبيرا في نفسى .. فقد زرع أمانى
بارادى وعقلى .. أصبحت أخاف من نفسى على أعمالى ..
واخذت أسأل مرة أخرى عن سر هذه الأزمة النفسى
التي تضعضعتنى ؟

ماذا أريد حتى أرضى نفسى ؟

لا شيء .. لا شيء أطلاقا أستطيع أن أعطيه لنفسى أكثر
 مما أعطيتها .. لى أسأل شمع .. وربما كان الشمع يسبب
نفس الأزمة النفسية التى يسببها الحرمان .. ولما كان شمعى
هو الذى يثير فى هذه الدناءة الى حد أن تصيحى أنت شيئا أريده
.. عناية نسبت أحمل من عرمت ، وأجس فيها شيء أكثر أغراء
 مما لى . ولكنى رغم ذلك أريدها .. أريدها الى حد أن أصبحت
 شيئا هاما كبيرا مصوره لى أطماعى .. انها مجرد دناءة ..
الدناءة التى تعقب الشبع ..

وقد أصبحت أروركم دور أن ترعشى كبيرا رؤية أمك ..
كانت قد انصرفت بمعظم تفكيرها الى أعداد نفسها للرباب الى
عبد العظيم .. وكانت قد اعتدلت في حياتها .. كانت تقاوم
أيمانها للخطر مقاومة شديدة لتصنع من نفسها روحا كاملة كما

كانت في حياتها الأولى .. ولكي تشغل نفسها من الخمر عادت تهتم ببيتها ، وعادت تتودد الى خيرة ، وأخذت تعد ثيابا جديدة كثيرة .. ثياب الزوجية .. وكانت تضعف أحيانا لتمتد يدها الى كأس .. ثم الى كأس أخرى .. ثم تفر من الكأس ، وتدخل غرفتها وتغلق على نفسها الباب ، وتغتابها نوبة هستيرية قاسية ، تتحمل عذابها في صمت ، حتى تزول عنها .. وأحيانا كانت تهرع إليك ، وتنام بجانبك حتى تحميها من عطشها الى الخمر .. وكنت تفهم حالتها ، دون أن تصارحها بها ، فتأخذينها بين ذراعيك ، وتضمينها الى صدرك .. كأنك تحمينها من شيطان كبير في صورة كأس تشكب فوق جسدها .

ولم أتأكد من أن أمك بدأت تعود الى حالتها الطبيعية الا عندما سألتني مرة عن حالة عبد العظيم المأثية .. لقد عادت الى ذكائها الساذج ..

عادت الى اطعامها الغبية .. اطعام الطبقة الوسطى الصغيرة .. نفس الاطعام التي تلذتها الى ..

وقلت لها وأنا ابتسم وأحاول ان أخفي عنها ابتسامتي :

— أطمنى .. التي أمرغه ان عبد العظيم غنى جدا .. واللى

مش متأكد منه ، انه يمكن يكون أغنى منى !!

قالت وهي تتسم في حياء كأنها تخجل من اطعامها :

— يا خسر .. هو فيه حد أغنى منك أبدا ؟ !

قلت :

— مين عارف .. أصل عبد العظيم ما يحبش يتكلم عن نفسه

كثير !

قالت وهي تتنهد :

— اتسا ده يظهر مشغول قوى .. ده انا ما بشغوش

الا معاك ..

ونظرت اليها في عجب .. هل احبت عبد العظيم أيضا .. كما

أحسنى ؟ .. وهل هو الحب ، أم الطمع في حياة أفضل ؟ ..
ربما كان كل نساء هذه الطبقة لا يحسن .. انهن يقس الرحال
بما يستطيعون أن يوفروه لهن من أسباب الحياة .. كم مرتبه ..
ومادا يملك .. ولا شيء آخر .. أن محاولة التحلص من العقر
ومن الضيق الذي يحيط بنساء هذه الطبقة يجعلهن يطلعن بين
الحب وبين الرغبة في حياة أكثر راحة وهناء .
ولكن ليس كل النساء ..

أنت مثلا .. أنك تحسن عادل .. أن أي حياة مرمية لا يمكن
أن يفتك عن عادل .. ربما لأنك — كأبيك — ليس لك هذا
الذكاء الساذج أنذى تتميز به أمك ..
وقلت لأمك وأما حاول أن أصرها :

— أصل عبد العظيم راحل محافظ .. بلأقيه مسكني الدحلة !!
وهزت رأسها في صمب ، كأنها لا تصدقني .. ثم قالت بعد
برهة :

— إذا كان راحل محافظ ، سقى لازم زعلان وهو شامك
داخل حارج عندنا كل يوم ..
قلت بسرعة وقد فوجئت :

— يا شيخخة حرام عليكى .. دا راجل منكك انك زى اختي
وهدى زى بنى .. ما هو حضر الموضوع من اوله ..
وعادت سسكت ، وتثقل عننها حولها كأنها تنحث عن كأس ..
ولم يحدث أن بعد أن تم هذا القرار الوهمي بين أمك وعبد
العظيم أن حاولت أن تذكرى بما كان بينا .. بل لم أر في عينها
منظرة تم عن أنها تذكر شيئا مما كان .. كانت تحرص فعلا على
أن تفصل خطيئها بالنسيان .. وكانت تريد بكل ارادتها أن
تعود امرأة شريفة ..

ولم يحاول عبد العظيم أن يبذل جهدا لارضاء أمك ، او حتى
لتغطية الدعة التي اقعها بها انه تزوجها .. وكان يخاف أن

تسرب اخبار هذا الرواح الوهمى الى المجتمع ، كان يخاف
جدا ، واسعه خوفا عنها وعن زيارتها ، ثم يذهب اليها الامى ،
وبعد الحاح منى .. وكان يجلس بيننا كأنه يؤدي واجبا ثقيلا
فقرا .. ولا ينظر اليها الا مسحوا .. ولا يحدثها الا بوقاحة
.. حتى اضطر ان أكره فى جنبه ، لينتبه الى بادية دوره ..
فيتسم لها انسامة كريمة كأنه يعفها بأسبابه ..

وهى تحتل كل هذا فى صر صامت .. كأنها تستطيع ان
تحتل اى شيء ما دامت قد أصبحت زوجة ..
وانت ساكنة دائما .. لا تقطين شيئا الا أن تنظري بعينيك
وتزدادين هزالا .

ربما أسعدك شماء أمك من أدمائها ، ولكن سعادتك لم
تغير منك شيئا ..

وربما كنت نشعرين بكل ما يدور حولك .. فلم تطمئنى الى
زواج أمك من عبد العظيم .. بل ربما أحسست بأن هذا الزواج
خدعة .. محرد زواج وهمى .. ورغم ذلك فانك لا تقطين شيئا
.. أنك كضيمى .. كلاكما مقف منى موقعا سلبا .. لا يستطيع
أن يحطمنى ، ولا يستطيع أن يقومنى .. ولكن فقط يعذبنى !

وقلت وأنا أطر اليك بعينى ضيقين كأنى أحاول أن اصل
الى أعماقك ، كما نحاولين أن تصلين الى أعماقى :
— انت صحتك مش عايشانى أبدا يا هدى !
قلت فى هدوء أشبه بهدوء ثوح القطب الشمالى :
— أبدا .. صحتى كويمه !

وقال عبد العظيم وهو يحاول أن يبدو كزواج أمك :
— دى محتاجة تغيير .. لازم تخرج من البيت وتشم هوا ..
طول ما هى قاعدة المعدة دى صحتها مش ممكن تحسن !
وقدت كنت خاطرا طرا على رأسى فجأة :

— لك حق يا عبد العظيم .. قومي يا هدى البسى ، وتمالى
معاييا أنسحك في العرمية شويه ..

قلت وأنت تنظرين الى :

— لا .. متشكره !

وقال عبد العظيم كأنه يستعمل سلطانه عليك :

— قومي يا هدى مع عمك الباشا ..

ومطرت اليه كأنك تفوسطين اليه أن يرحبك ..

وقالت أمك ، وقد خطر لها اننا سنتركها وحدها مع عبد
العظيم :

— ما تقومي يا بنتى .. ده حرام كمان تحبسى نفسك الحبة
السوده دى !

وقلت كأنك تهين بالكاء :

— مش عايزه اخرج يا ماما ..

وقالت أمك وهى تحاول أن تسترد سلطانها القديم عليك :

— لا .. قومي .. علشان خاطرى ؟

وقمت الى غرفتك وأنت تزمزمين ، وتسمع جسدك بعينين
نهمتين نحلمن عنك الثوب وتفشان فيما تحته ..

وعدت ترتدين ثوبا بسيطا في لون سماء الصيف .. واحد من
تلك الأثواب التى تصنعينها بيدك وتحفن بها خطوط جسدك ،
قلا بضيق مع خصرك النحيل ، ولا ترتفع مع نهديك ، ولا تستدير
مع سائيك ، انما تسدل في خطوط مستقيمة كأنها خطوط مسار
بفسدل موق كنز حى يصنين به على اعين الناس ..

وانتسمت لك في حاس كأنى احاول أن اطمنك على نفسك
منى ..

ونظرت الى بعصبك العبيقتين .. النظرة التى تثقب صدرى ..
وهمنا بالخروج من البيت ، وقال عبد العظيم وهو يهم
معنا :

— خذونى معاكم يا جماعة ..

وتفرت رأس أمك كأنها تكاد تنفصل من جسدها ، ونظرت إليه فى دهشة ، ثم تهدلت نظرتها وكست وجهها سحب من خيبة الأمل .. وأضنت رأسها ، وسكتت ..
وقلت له كئى الومه :

— ما تحليك أنت يا عبد العظيم .. مشى تقعد مع العروسة شوية !

وثاقى عبد العظيم وهو يتنسم ابتسامة باهتة :

— ما اقدرش والله يا باشا .. ورايا ميعاد ..

ثم نظر الى أمك فى تأفف وقال وهو ينظر إليها من عل :

— العروسة عارفه ظروفى ، والايام قدامنا كثير !

وخرجنا .. وتركنا أمك وجدها .. وركب عبد العظيم

سيارته ، وركبت أنت بجانبى ، وقلت للسائق :

— اطلع على الجزيرة يا اسطى ..

وسادت سنا فترة صمت طويلة كنت خلالها انظر فى قفا

السائق ، كئى استوحيه كلاما اقوله ..

واشتدت حيرتى ..

ماذا أقول لك ؟ نيم نتكلم ؟ أى موضوع يمكن أن يجمعنا ؟

لو كانت بجانبى « شوشى » ابنة خيرية لوجدت ألف موضوع

أحد شفيع معها .. كنت أستطيع أن أحدثها عن أملاهم السينما ،

وعن أمهات صديقاتها ، وعن الحب والزواج ، وعن فضائح

المجتمع و .. و .. أن شوشى فتاة تعيش .. وعقلها وقلها

يسعى الدنيا كلها .. أما أنت فلا تعيشين .. لا تعيشين الا فى

صدرى !

بل لو كانت شوشى بجانبى ، لاستطعت أن امد يدي

واتحسس نهدىها وأنا أقول لها :

— والله كبرت يا شوشو .. انا حادور لك على عريس
بكره الصبح !

ثم أعود واضغط على نهديها ، وارتمع بكفى الى عفتها .
والنقط بأصابعى من فوق جسدها نشوة تهزى وتلهينى عن أعمالى
التي تضج فى رأسى .. دون أن أحس فى كل ذلك بالحرج ، ودون
أن نحس هى الأخرى بالحرج .. دون أن تحس بأنى أخذ منها
شيئا ، أو أن شيئا نقص منها .. فثقلل أصابعى التى تتحسسها
بابتسامه كبيرة ، وتميل على وتقلنى قبلة سريعة فوق وجنتى
وهى تقول :

— أنا زعلانة منك يا أونكل .. فى المايوه اللى قلت لى انك
حابتت تجيبه لى من أمريكا !

كان هذا يحدث لو كانت بجانبى شوشت .. اننا فى مجتمعنا
لا نعتقد الحياة ، ولا نضع حول أنفسنا قضباناً من التقاليد والمعانى
الضيقة تحول بيننا وبين متعة الحياة .. إن حياسا فسيحة
منطلقة ، مشرب منها بقدر ما تسع أمواهنا ، ونسير فيها بقدر
ما تطيق أنفسنا .. أما حيانك أنت .. يا حفيظ .. انكم
تعيشون فى مقم تسمونه الشرف .. كل حركة ، وكل كلمة ،
وكل لمة ، لها قنود من حديد يصلها بوند ضخم اسمه الشرف ..
وتنتهى حيانكم ، نهاما كما تقتبى حياسا .. انكم لا تعيشون
أكثر منا .. ولا يحتمل الشرف ششيع جنازاتكم ، ويرمض أن
يشيع جنازاتنا .. الفرق الوحيد .. انكم تموتون محرومين من
الحياة ومنعتها ، ونحن نموت متخمين بالمتعة ..

واطلت البطر فى قما السائق وأنا لا زلت أبحث عن موضوع
أحدثك به .. وأنت تنطرين الى الطريق من خلال نافذة السيارة ،
ولا أدري هل كنت مسسشمقين الهواء .. أم ترمزين ما بقى من
أنفاسك ..

واحترت الموسوع الذى أحدثك فيه ..

موضوع والدك ..

انه الموضوع الوحيد الذى يثير اهتمامك ، وبمنح قلبك ،
ويطلق لسانك ..

وقد حدثتك عنه كثيرا .. عن طفولتنا ، وص زماننا فى
المدرسة ، وعن ذكائه ، وسمو خلقه .. و .. و .. حديث
معطيه كاذب ، ومعطيه لا يعبر عن حقيقة رأى فى والدك ،
ولا حقيقة رايه فى ..

وانطلقت أنت أيضا تحدثينى عنه .. عن حياته ، وصه لك ،
ومثاليته ، ونواذره فى البيت .. ثم قلت لى ونصر نمر موق كوبرى
قصر النيل ، وبين شفتيك استسامة كبيرة حاملة :

— كان ما ببحدنى فى الصيف كل يوم خميس نتمشى على
الكوبرى ده ..

وقلت بلا تفكير :

— تحبى ننزل نتمشى شوية ؟ !

ونظرت اليك ارحوك أن ترفض اقتراحى ، ولكنك قلت
بسرعة وبفرحة :

— ايوه ..

كاست المرة الأولى التى أرى فيها مثل هذه انفرحة على
وجهك ، والمرة الأولى التى تستحيين فيها لى مثل هذه البسرة ..
ولم أكن أستطيع أن أتراجع ، فأمرت السائق بالوقوف ،
ونزلت معك نسير على كوبرى قصر النيل .

أنى لم أمش على قدمى موق كوبرى قصر النيل منذ سنين طويلة
.. لا أذكر متى مشيت فوقه .. ربما قبل أن أولد .. قبل أن أصبح
غنيا .. بل وإنى لا أسير على قدمى فى أى مكان إلا عندما بأمرنى
الاطماء ..

ودأوت أن أمتع نفسى بالنسير بجانبك فوق الكوبرى ..
حاولت أن اتحفف من ثل مركزى الاجتماعى ، ومن فخابه مطهرى

... ولكنى لم أستطع .. خيل الى وانا أسير بين بقية الناس انى
غريب بينهم .. وحيل الى ان كل من يمر منى ينظر الى كأنه ينظر
الى مخلوق عجيب هبط من عالم آخر .. وخيل الى انى أسير
فوق أرض لا أعرفها ، وبدأت خطواتى تتركب فملا ، وشعرت ان
كل الناس لاحظوا ارتباك خطواتى .. ان الارتباك الذى يحس
به العثر وهو يدخل قصرا من قصور الاغنياء ، هو نفس الارتباك
الذى يحس به الفنى وهو يدخل شارع الفقراء ..

وبدأت احس بالضيق ، والخجل من نفسى .. احسست
ببافه قبيصى تكاد تخفتنى ، ومكرشى التى احملها منذ سنوات كانى
لم اعد أستطيع حملها .. واحسست بالخجل من الدبوس
المناسى الذى ارشقه فى رباط عنتى ، ومن الخاتم الكبير الذى
اضعه فى اصبعى .. وتبينت لو نزع الدبوس والخاتم والقيتهما
فى جيبى كانى احدى عن الناس فضيحة ، واخذت — بلا ارادة منى
— رفع بدى واضعها فوق صدرى لاحفى بها هذا الدبوس ، ثم
أترلها واضعها فوق الخاتم لآخفيه ، واخفى بريقه عن اعين
الناس ..

وكرهتك فى هذه اللحظة ..

كرهتك لانك تحاولين ان تنزلى منى الى طبقك .. الى
دنياك .. كرهتك كما تكرهيننى وانا أحاول ان ارتفع بك الى
طقتى .. الى دنياى ..

وكلانا فشل مع الآخر ..

انا فشلت فى ان اجعلك سعيدين فى دساي ، وانت فشلت فى
ان تسعدينى فى دنياك ..

ولكنك كنت لاهة عنى ، ونحن نسير فوق الكوبرى ..
كنت كالعصفور الذى خرج من القفص وعاد الى سائه .. كنت
تسعين وتكادين تصحكين ، وكنت تعرضين وجهك للهواء كأنك
تستقبلين تدلات حبيب اشققت اليه ، وكنت تبيلين فوق حاجز

الكوبرى وترقبين المراكب وهى تسرى فوق صفحة النيل ، كانك .
طفلة ترقب مركبا صغيرا صنعته من الورق والقت به فى الماء ..
وانا بجانبك ، مرتبك ، انظر من تحت جمنى الى الناس فى
نطرات مسكينة كاتى اعتذر لهم عن دخول دنياهم ..
وانتهينا الى آخر الكوبرى ، ووتفت فجأة امام عربة يد
محملة بالترمس .. ؟ وامتدت يدى بسرعة وقبضت على ذراعك ،
وشددتك الى كاسى احميك من الموت ..
ونظرت الى فى دهشة ، وقلت فى صوت له رنين وابتناسمك
لا تزال بين شفتيك ؛

— بابا كان دايمما يشتري لى ترمس لما نبجى هنا ..
ونظرت الى كوم الترمس .. انه فى لون الذهب .. ولغته
اشد اغراء لك من الذهب .. الذهب الذى اعرضه عليك ..
وقلت لك ، وكأنى خائف من هذا الترمس ؛
— بس احنا كبرنا على الترمس يا هدى !
قلت فى بساطة ؛

— ائدا .. كل الناس يتاكل ترمس .. شوف .. اهو منه
راجل عجوز يشتري ؛
قلت ؛

— بس خايف ما يكونش معايا مكه ..
وارتخت ميناك كئيك صدمت ، واختفت ابتسامتك ، وقلت فى
صوت نائر ؛
— بلاش !

وترددت .. وظللت واقفا وعربة اليد قريبة منى وموتها كوم
الذهب وقلت لنفسى : « لماذا لا تشتري لها ترمس ؟ » .. انها
ترمس كل ما قدمته لها من ذهب حقيقى ، لعنك ترضيها بالذهب
الزائف .. ان هؤلاء الناس لا يتعلقوا الا بالزيف ..
واقترعت خطوة من عربة الترمس ، ثم ارتفع فى صدرى
صوت يسخر منى : « تصور لو لحك الان احد اعضاء البادى .. »

انه سيضحك منك .. وسيفضحك .. وسيذيع عنك في كل مكان
انه شاهدك على كوبري قصر النيل تشتري قرطاسا من الترمس
.. انها اهانة لك .. اهانة لمركزك .. بل انها خيانة للطبقة التي
تنتمي اليها .. الطبقة التي لا تأكل الترمس في الشارع » !
ورغم ذلك فقد اقتربت خطوة أخرى من الذهب الرائف ،
وأنا أقول لنفسى : « ماله الترمس .. لقد كنت تحبه في صاك ..
كنت سرق من نقود أمك لتشتري الترمس .. هل نسيت ؟ ..
أن الترمس لا يزال يقدم لك الى اليوم في نادى السيارات ،
بجانبه كأس الوبسكى .. أن العيب ليس في الترمس ، ولكن
في طريقة تقديمه .. أن الترمس طبقات أيضا .. ترمس فقير
يقدم على عربة يد تحرها أيد قذرة في الشارع .. وترمس
أرستقراطي يقدم في نادى السيارات في أطاق من المصّة وبأند
داخل قمارات بيضاء .. الترمس كالبشر .. كلنا بشر .. ولكن
هناك بشر يرتدون جلابيب قذرة ، وبشر يرتدون حلا أنيقة
ويرشفون فوق صدورهم ثوبسا من الماس » ..
واستمرت المعركة في صدري ، واحتجت لحشد كبير حتى
اخضو خطوة أخرى نحو عربة الترمس .. ولو كنت طلّبت منى
سيارة كاديلاك لما تعرضت الى هذه المعركة ، ولما احتجت الى كل
هذا الجهد ، لأنصر على نفسى ..
ومددت يدي الى عربة الترمس ، وأنا أنظر حولي كأنى لص ،
ثم انحطفت قرطاسا وقلت للرجل بسرعة وكأنى أنهره :
— بكام ؟ !

وقال الرجل وهو ينظر الى في دهشة ، وكلماته تخرج بطيئة
كقطرات من صنوبر مخروب :
— قرشى يعريشه يا سيدنا لفندى ..
وأسقط في يدي ..
انى لا احمل قروشاً .. مد اكثر من ثلاثين عاما لم تقبض

أُسمي على قرش .. أن القروش مجرد أرقام في دفاتري
تسمى انى جنهات .. ملايين الحنيهات .. وحتى الجنيهات
لا أُمسكها ، ولا أحملها في جيبى .. انى لا أحمل أبدا إلا اسمى ،
وأوقع به على وقته فمتصبح نقودا تخرج من البنك .. انى أضع
كل شيء بنوقسى .. بل انى أضن بنوقبى على المبالغ الصغيره ،
وأترك الموظفين يوقعون عليها بدلا منى ..
ماذا أعمل الآن ؟ ..

هل أعطى لئائع الترمس شيكا بصفه قرش ؟
وارسكت .. وازداد ارتياكى .. وأخذت أنحسب حيوبى
.. والبائع رفع ساقه وارنكر مقدمه على ذراع العريه ، وأخذ
ينظر الى بوقاچه ، وبين شففيه ابتسامه ساخره ، ثم قال :
— حرى ايه يا أئدى .. المحفظه لامؤاخذة انشلت
ولا ايه ؟ !

قلت فى خوف :
— لا .. أبدا .. بس يظهر ما عنديش فكه ؟
وقال وهو يكاد يقهقه :
— رسا يبعكها عليك .. رجع القرطاس محله وحياة
البوك ؟
وقلت أنت ؟
— أنا معايا فكه ؟

ثم متحت حقيبتك ودفعت للرجل شئ القرطاس .. فأغذد
رهو بظر الى ساخره ، ثم صاح ينادى على الترمس وكأنه
يصمغنى بدائه : اللذيذ قوى !!
وأعطيتك قرطاس الترمس ، ثم قلت لك محده :
— أظن نرجع باه ..

وسرت فى خطوات سريعة ، وعرق بارد ننصح موق حسبى
.. لم أدخل ولم أترك فى حساتى ، قدر ما أرسكت وخلعت يومها ..

وانحسر خجلى وارشاكى عن حقد وغل .. حقدت عليك . وعلى
سائح الترمس ، وعلى الناس الذين يتزهون فوق الكوبرى ..
ان لكم دنيا كاملة .. دنيا كنت قد نسيتها .. دنيا تمتعون فيها
انفسكم بشم الهواء وقزقة الترمس .. انكم سعداء .. سعداء
.. ربما كنتم سعداء أكثر منى .. سعداء دون ان تكونوا اغنياء
مئلى .. ولستم فى حاجة الى الاسعفكم .. انى اريد ان احطم
هذه السعادة اريد ان اعصرها بين يدى .. اريد ان اقتض على
أعناقكم جميعا حتى لا تستنشقون الهواء الا من فصرلى ، ولا تاكلون
الترمس الا اذا أردت لكم أن تاكلوه ..

واسرعت فى خطواتى أكثر ، وانت بجانبى تكادين تحريبن
لنلحقى بى .. ووصلنا الى السيارة .. ودخلتها بسرعة كاسى
كنت اريد ان احتمى فيها من هؤلاء الناس الذين يتزهون على
الكوبرى ويترقزون الترمس .. احتمى فى قلعتى .. احتمى
وراء نموذجى وثرالى ..

وقلت للسائق فى حدة :

— سوق .. سوق يا أسطى .. سوق قوام !
وسارت بنا السيارة .. وبدأت أهدأ شيئا فشيئا .. وعدت
أنظر اليك .. وخيل الى أنك استرددت كل صحتك .. ان حمرة
خفيفة بدأت تتسلل الى وجنبتك .. والسعال قد كف عنك .. و
وخيل الى أنك لم تعودى هريلة ، ونظرت انت الى نظرة لم أرها
من قبل فى عيبك .. نظرة رضاء .. أنك راضية عنى .. أخيرا
رصيت عسى .. كاسى اصحبت رجلا شريفا ، لمجرد انى اشتريت لك
قرطاس ترمس ، وتركتك بدمعين ثمنه ..

وسمعتك تقولين فى صوت رائق كرنين الطور :

— أنا منشكرة قوى على الفسحة الحميلة دى '

وقلت وأنا أنتسم لك :

— أسطى يا هدى ؟

قلت :

— قوى .. قوى .. زى ما كنت تأسط مع بابا !!

وانطعت فكري والدك بصعوبة ، ثم قلت :

— اهو كل يوم نبقي نخرج مع بعض !

قلت :

— باذن الله ..

ومددت يدي ، وریت بها على يدك .. ثم حاولت أن أتركها

عوقها .. وقد تركتها مرهه .. ولكنى لم أشعر بنفسى ما أشعر

به وأنا أضع يدي فوق يد شوشه .. لم أشعر بتيار المتعة

يمسرى منك الى .. لم ينبعث من يدك شيء يسرى في يدي ويهزنى

.. أنها انبعت منها تيار هادىء ضعيف ثلاثى قتل أن يتعدى

يدى الى بقية جبال اعصابى .. كأن يدك تتنفس فى رقة وضعف ..

أنفاسا طاهرة لا تثير فيهن يلمسها الا حنانا ..

وأوصفتك الى بيتك ..

وعدت الى مكتبى وأنا أسفر من نفسى ومن احساسى ..

وانحيل نفسى واقعا اشترى قرطاسا من القرمس .. فنشئت

سخرتى .. كأنى أنظر فى خيالى الى رجل آخر .. رجل ليس

محترما ، ولا مهابا ، ولا جبارا .. رجل ليس حسين باشا

شاكر ..

ودخل على عبد العظيم مساء اليوم التالي ، وهو مكثف
الوجه . وحس على المتعد المواحه الى مكثى دون أن يتكلم .
ونظرت اليه نظرة متشائمة ، وقلت كائى اتوقع شرا كبيرا :
— مالك .. مالك معقد كده .. حد مات لك ؟ !
قال وهو يطر الى من تحت حسيه بطرة منوسلة كائى يطلب
منى المعفرة :

— لا .. ما ماتش ..
قلت وانا احاول أن افهم :
— مين هوه اللى ما ماتش ؟ :
قال على عادته فى حمل الاناء السيئة الى :
— عادل .. حصلت له حادثة خطيرة فى القصير . انها الحمد
الله نجى !!

وسكنا نحن الاثنين ..
كانت نجاه عادل مصيبة لنا .. فشل لخطه وضعهما ..
وقد كانت خطة محكمة .. خطة جريت من قبل ، وأملحت فى
خلق حوادث مؤسفة لبعض الموظفين من العمال .. وبالصدمة
كان كل هؤلاء الموظفين والعمال ممن ترمد الشركة أن تنحلص
منهم !!

كانت خطة بسيطة ..
معى القصير نوع من الثمرات المعلقة تسير على اسلاك

ممتدة في الهواء وتنقل الفوسفات بين المناجم والمصنع الذي تطحن فيه احجار الفوسفات وتعمل وتعد للشحن ..

هذه العربات اشبه بالمقاعد المعلقة التي تنقل الناس الى قمم الجبال في أوروبا .. وهي تنفخ عندما تصل الى المنجم ، داخل نفق صغير خافت الضوء ، اندفاعا قويا خطيرا ، وحينئذ لا يخترس العمال من هذا الاندفاع ، ويقفون في طريقها فتصدهم وتقتلهم .

وقد اضطرت الشركة الى أن تصنع حاجزا حديديا يحمي العمال ، وان تعلق يانطة كبيرة مكتوب عليها : « احترس — خطر » ، ورغم ذلك فلا تزال بعض الحوادث المؤسفة تقع .. وصدر الامر لعادل بأن ينتقل للعمل داخل هذا النفق ، ليراجع حساب العربات التي تنقل الفوسفات كل يوم ..

وكان عادل يذهب الى هناك كل صباح ، ويبقى حتى انتهاء العمل .. وكان يقف مرتكزا على الحاجز الحديدي .. والعربات تندفع داخل النفق في سرعه محممة وبصوت مزعج ، وهو مطمئن ما دام بينه وبينها هذا الحاجز الحديدي ..

ولو استطاع اى عامل ان يدفع عادل دفعة خفيفة لخرج من وراء الحاجز ، وصدمه المرة .. ومات .

والعمال الذين يعملون في هذا النفق ، لا يزيد عددهم على اثنين .. بيدلان كل ثمانى ساعات بعاملين آخرين ..

وكان هناك عامل معين سياتى عليه الدور ليعمل في النفق للصغير المظلم ..

عامل يفهم المطلوب منه جيدا ..

وجاء هذا العامل ..

وكانت مهمته ان يفتح طاقة في اعلى مستم النفق بسحدر منها الفوسفات ويملا العربة ، ليعود الى المصنع .. وثانى عربة اخرى ليحملها بالفوسفات .. وهكذا ..

ومجأة صرخ العامل ووصح كفيه على وجهه ، مدعيا أن حجرا
من أحجار المؤسسات سقط عليه وأصاب عينيه .. وخرج عادل
من وراء الحاجز ، وهرع اليه .. فمال عليه العامل بجسده كله
كأنه يستند عليه ، ودفعه وراء الحاجز الحديدي بينما كانت
العربة مندمعة داخل النفق بسرعتها المخيفة وصوتها المزعج ..
وقفز عادل ونطق بذراعيه في الحاجز الحديدي ، وأخرج
رأسه منه .. وصدمت العربة مساقيه ..

وهكذا نجا ..

لم يتحطم رأسه ..

لم يمت ..

لم يقتل ..

إنما فقط كسرت مساقه ..

ونوقف العمل لحظات اكراما لعادل .. وأرسلت الشركة
طبيبها لاسعاه .. وحمله العمال الى خارج منطقة المناجم وهو
شبه مغشى عليه ..

ولكى شنت الشركة رءسها امام العمال ، وتبدو كأنها شركة
من الملائكة . قررت نقل عادل في طائرة خاصة ليعالج في القاهرة
على حسنها ..

وقلت لعمد العظم وأنا انزع خيبتى :

— الحكاية دي حصلت امتى ؟

قال وهو يتنهد فى مرارة :

— النهارده الصبح ..

قلت فى حدة :

— وايه اللي حلاكم تمقلوا عادل لمصر .. ما يتعالجش هناك

ليه ؟ .. الشركة ما فيهاش استعدادات كفاية ولا ايه ؟ ..

انا عاير كل شركاسى تكون دايما مستعدة .. احبا مسئولين عن

ارواح العمال والموظفين دول ..

ونظر الى عبد العظيم يهتني على وقاحتى ، وقال وهو يبادلتى نفس الاسلوب المتوى :

— الشركة فيها كل الاستعدادات .. والعمال والموظفين يبدعوا لسعادتك .. لو كانت الحادثة دى حصلت فى شركة ثانية ، كان العمال اهتموا بها الشركة .. ابا العمال تتوعا عرتموا ان قلنا عليهم .. خصوصا بعدما نقلنا عادل فى طائرة مخصوصة ملشان يتعالج فى مصر ..

ونمتهت ما يريد ان يقوله عبد العظيم .. انه يريد ان يقول انه بقتل عادل الى مصر حتى يبعد جسم الجريمة عن محيط العمال ، فلا تتور بيههم الشكوك التى قد تنهى الى اتهام .. وقلت فى غبط :

— والاضراب .. عملتم فيه ايه ؟ !

قال :

— المدير لسه يتفاوض مع العمال .. واطل دلوقت بقت المسألة أسهل بعد ما حه عادل مصر ..

ولم أرد عليه ، وتركه يصرف عنى وهو لا يرال سطر الى كانه يستغمرنى .. أو كانه مشفق على من فشله .. وأشعلت مشجارا كبيرا ، وحاولت ان أهذا ، ولكنى لم أستطع .. ان الجريمة الفاشلة تترك فى نفس المجرم أثرا احد وأتسى مما تتركه الجريمة الباجحة ..

وذهبت اليك ..

ذهبت اليك وكلى حقد وغيظ ، أحس بشاى بصق على ، وأحس بأنامى تنحشر فى رورى .. كفت أرد ان أنمس عن قشلى .. أريد ان أحاول مرة ثانية ان أقتل عادل .. أفتله منك ؟ ووحدت البيت هادئا ، والأصواء حافيه ، وسالت الحاتم الذى فتح لى الباب :

— فىن الست الكبيرة ؟

قال :

— في أودة السبت هدى .. يظهر السبت الصغيرة عيانه

قوى !!

.. ودحت أحب في الصوء الحامت ، متسللا على اطراف
أصابعي ، وقد انطعات صواريخ الحقد التي كانت تترقع في
صدري .. أطفأها ربح باردة من الرهنة والجزع ..
ابك مريضة ..

مريضة جدا ، كما يقول الخادم ..

وإنا أحبك .. هذا البوع من الحب الذي وصفته لك ..
ولكن كل ذلك لا يستدعي هذه الرهنة ، وهذا الجزع
الذي أحس بهما .. أنى لا أستطيع أن أفسرهما ، ولا أستطيع أن
أحد لهما سببا .. وربما كان السبب الوحيد هو أنى أخاف عليك
أن تضعف أكثر من صعبك .. أن صعبك يجعلنى أقوى منك ..
وأنا أخاف من نسي إذا قويت عليك ..

أن كل ما يحملك منى هو القوة التى أتوهمها فيك .. قوة
شخصيك ، وقوة نظرائك التى تثقب صدري ، وقوة تعنفك
عنى وبمردك على سلطانى .. فإذا صعبت هذه القوة فلا شيء
يحملك منى .. ولا شيء يقد شرى أو يردمه .

وكان باب غرفتك مقفلا ، ففحتة في هدوء واحتراس ..
ودخلت إليك كالنص .. كالشبح .. والتفتت والدتك وهى حالسة
فوق مراكبك عند قدميك ، وشهنت شهقة حادة ، ثم قالت في
صوت هامس ، وهى تصع يدها على قلبها ، وتقتنم في عينا :

— خصمتنى يا حسين ..

قلت هامسا وأما أقترب من مراكبك ؟

— مالها هدى .. عندها إيه ؟

قلت وقى عينها بقية من دموع :

— والنسى ما أنا عارمه يا حوبا .. مسكها السخونية من

النهارد الصبح .. ومن ساعيا وهي بغير فر دى العرحة المدبوحة
.. أنا عارفه ايه اللي حصل لها ..

قلت كأتى اطمئن نفسى :

— ممكن خدت برد امسارح واحسا ننتمشى على الكوبرى ..

قالت وهي تلتقط بأصبعها دمعته سألت موق خدك

— دى رجعت رى الوردة .. عمرى ما شفتها مرحانة

وينصحك رى ما رجعت امسارح .. وقعدت طول الليل ادعى لك

علشان حاطرها ..

وأشرت عينى اليك ..

ان وحهك باهت .. وانماسك هامته .. وجسدك ممدد

كالخيط الزريع تحت ملأه بيضاء .. حلتك ميتة ..

وأطلت النظر اليك ..

انى استطيع ان اتطر البك الآن طويلا دون ان أحاف عينيك

فقد حيا نورهما القوى تحت حديق المسدين ..

وعبت اهمس لأمك :

— هي ناسه ؟

قالت فى أسى :

.. من صباحه ربا وهي مسح عينها ثوبية ، ونرجع ننام ..

يا رب اسر يا رب ..

قلت وأنا لا رلت انظر اليك :

— جيتى الذكور ؟ ..

قالت وهي بهر رأسها يمة ويسرة كأنها بعدد مآثر ميت :

— حيت يا حوبا .. قفل ان صدرها يعلل .. واداهها حقن

وأدوية .. ورجع بعد الظهر اداها حقنه ثانية ..

وجلست على مقعد مواحه لعراشك وأنا متقصص .. كل شىء

فى يتقصص .. صدرى ، وفلى ، وأعصابى ، وعصلات وجهى ..

لدا مرضت ؟ ..

هل بلغك خبر محاولة قتل عادل ، فمرضت من امله .. هل
تعاتبيني بمرضك !!

وأحسست بالثورة عليك ..

نعم ، ثرت عليك ..

انى لا أشفق على المرضى .. انى أمقتهم ، وأكره ان اراهم
.. أكره الضعف ، وأكره الشكوى والأنين .. ان المرضى قطع
متأكلة فى عجلة الحياة ، أفضل أن أتخلص منها واستبدل بها
قطعا حديده قوية تحتمل الحياة .. ولا شيء يعيظنى أكثر من موظف
أو عامل يمرض وأصطر أن أدفع له أجره خلال مدة مرضه ،
كانى أكافئ الضعفاء .. كانى اشترى ضعفا .. ولا شيء أمقته
أكثر من « الاحارات المرضية » .. انى أحس ان هذه الإجازات
تقطع من لحى .. كل المرض افتقل الى أنا ..

ولكن احساسى بمرضك كان أكثر من ذلك ..

أحسست كأنك تحلين عى .. كأنك تتركينى وحدى
لعد العظيم ، يسيطر على عقليته ، ويقودنى فى طريق الأطماع
بلا شيء بشيد من خطواتى ويحعلنى أسير مبرنا .. أحسست
أن انشئ الذى يمشى فى صدرى قد مرض هو الآخر .. أصبح
ساهنا كلون وحهك .. مطفا كنور عيبك .. ضعيفا .. ضعيفا
جدا .. أضعف من أن يحصى الناس منى ..

ولم أكن وأنا حالى فى مواجهة مراثيك أمكر فبك .. كنت
أمكر فى عسى : « لعلها تموت فأخلص منها ، وأتحرر من هذا
الشيء الذى يكلم أنفاسى ، ويحرك كالكسكين بين رثتى .. لعلها
تموت » فتموت معها مزوتى الى بدعمنى الى محاولة أن أكون
رجلا شريفا ، والذى تصور بى انى لن أكون شريفا الا اذا رضيت
عى وتلت احترامها .. لعلها تبوت ميموت معها كل الشرفاء
.. تبوت الشرف نفسه .. وأنطلق معريدا فى أطماعى
وشرى » ..

كنت أقول لنفسى هذا الكلام ثم لا يلبث صوت آخر أن يرتفع
من صدرى .. صوت ضعيف مريض كأنه صوت بكاء وتوسل ..
صوت يقول لى « تمن لها الحياة .. انها تستحقها .. وهى تستطيع
أن تجعل منك رجلا شريفا .. نستطيع أن تريح صدرك من القلق
وانخيرة .. لقد استطاعت أمس أن تقنعك بأن تسير معها على
كوبرى قصر الليل .. وأن تدع أنفك يشم هواء نقيا نظيفا ليس
كهواء السدى المشبع برائحة الدخان والخمر والأطعاع .. وقد
استسحت لك ، ورصيت عنك .. وأحسست بالراحة لانقسامتها
ورصائلها .. أحسست أنك أصبحت عملا رجلا شريفا لفترة
قصيرة .. ومن يدري ، ربما لو عاشت لاستطاعت أن تجعل
منك دائما رجلا شريف .. وجعلتك تحس باحترامك لنفسك ..
ولاكملت النقص الذى نحس به ، نقص احساسك بأنك رجل
شريف » !

وبسيت لها الحياة .. ثم ما لبث الصوت اجول أن بدأ يرتفع
فى صدرى من جديد .. وبدأت أنهنى لك الموت ..
وقمت واقفا ، واقتربت منك ، وعدت أطيل النظر اليك ..
ثم خرحت دون أن أحيى أمك ..
خرجت ثائرا ..
وعدت الى بيتى وأنا لا زلت ثائرا ..
لم أحاول أن أذهب الى البادى ، أو الى شقتى الخاصة لأرفه
عن نفسى ، كأنى كنت أريد أن أعيش مع ثورتى ..
لم أكن حريفا .. ولم أكن مشفقا .. ولكى كنت ثائرا ..
ثائرا عليك .. وثائرا على نفسى .. وثائرا على الحياة كلها ..
ثائرا على الحبر والشرع .. بعض الثورة التى بجاهضى
عندما أخدع فى صفقة من صفقاتى ..
وقصصت الليل ثائرا .. ليل طويلة ثقيل ..
ثم ذهبت اليك فى الصباح قبل أن أذهب الى مكتبى ، كأنى

أريد أن أطمئن الى اننى لم أخسر الصفقة بعد .. وكان المرض قد اشتد بك .. والحمى تأكلك .. وبدأت تحطرين .. تقولين كلاما عجيبا لا أفهمه .. ثم تسكتين طويلا ، وتعوين تحطرين .. ونظرت اليك كأنى أدرس مشكلة اقتصادية أبحث عن حل لها ..

ثم خرجت ..

وذهبت الى مكنتى ، وثورنى تعطل فى صدرى كالروعة .. ولم أحيى أحدا فى طريقي ، كنت انظر الى كل من يصادفنى كأنى أخته بعينى .. كنت أريد أن أحطم شيئا .. أى شيء ! ودخل على عبد العظيم ، وما كنت أرى وجهه حتى صرخت فيه :

— أنت راجل قليل الادب .. بقالى نلابين سنة ارسى فيك ما عيش مايدة .. ازاي تدخل على بالشكل ده ؟ .. انت نسبت مركزك ؟ .. نسبت اسلك ؟ ..

وبوغت عبد العظيم ، وفتح شفثيه ليتكلم ، فقاطعته مستطردا :

— انفصل ارحم مكتبك .. مش عايز أشوف خنقك .. ما تورنيش وشك الا لما ائده لك ..

ونظر الى فى دهشة ، ثم تراجع دون ان يتكلم ..

وجلست وحدى ، كأنى سحين ثورتى وأحاول ان افر منها .. وأمسكت بالقلم الموضوع على المكتب وحطمت بين أصابعى كأنى أحطم قصبان سحنى .. وأمسكت بالسكين الذى أفتح به الورق ، وهو من الصلب ، وضغطت عليه بكل قوتى حتى ثبته ، كأنى اثنى ضلوعى الأطلاق من بينها ثورتى .. ثم وقعت عنأى على قائمة أسمار بورصة الأوراق المالية ، ولحت فى نظرة خاطفة ان أسهم شركة الصاعات فى هبوط ، صرعت سباعة التليمون واتصلت بعدد العظيم ، وصرخت :

— مدير شركة الصناعات يترقد حالا .. النهارده !

وحاول عبد العظيم أن يرد ، فصرحت :

— أرمده .. بقول لك أرمده .. مش عايز حد يناقشنى !

..
.. لم أعد أطيع أن أظل سجين ثورتى ، فتركته مكثى ..
وعدت اليك .. ولكنى لم أدخل الى حجرتك .. كائنك كنت أخاف
أن أطلق ثورتى فى وجهك .. وبقيت حالسا فى الصالة الخارجية
ورائحة الحمى تملأ البيت كله .. كأنها ريح الموت ..
وحجرت ، وأنا لا زلت أحمل ثورتى بين جنسى ..
وعدت اليك فى المساء ..

الصوت خافت .. والهواء ثقيل يكاد يكتم الأنفاس .. وأمك
حالسة فوق الفراش عند قدميك ، وقد سقط جفناها فوق عينيها
فبدت كالنائمة .. وتعلقت بقايا دموع فوق رموشها كأنها قطرات
الندى حطت فوق وردة دالة .. وأنت ممددة كالخيط الرفيع
تحت الملاء البيضاء .. ووجهك باهت .. وأنفاسك تفح
بالحمى ..

ورمعت أمك جسيها ورائتى داخلا ، ثم أرختها ..
وبكنت ..

وقربت مقعدا من فراشك ، وجلست بجانبك ، وملت اليك
بوجهى كأنى أشرب من الحمى التى تنطلق مع أنفاسك .. ثم
مددت يدى والنقطت يدك .. أن يدك مشتعلة .. قطعة من
نار .. ورغم ذلك ظللت محتفطا بها .. وشعرت فى تلك اللحظة
أنى أستطيع أن أهيك الحياة ، والشقاء .. أنى لو جمعت أرادتى
.. كل ارادى .. مانى أستطيع أن أسيطر بها عليك ، وأمرك
بالشفاء ، فتشفي .. كما يفعل المنوم المغناطيسى .. أنى رحل
قوى .. أقوى منك .. أقوى من الناس جميعا .. وأستطيع أن
أهيك شيئا من قوتى لنشلى ..

وضغطت على يدك .. مضطت عليها بقوة .. كآسى أنقل
ارادنى من خلالها اليك ..

وفى هذه اللحظة فتحت عينيك ونظرت بهما الى .. فتركت
يدك بسرعة .. القيتها بعيدا عنى .. كآسى لم أشعر باشتغالهما
الا عندما نظرت الى ..
كانت نظرة قريبة ..

نظرة لم أرها فى عينيك من قبل ..

امها نظرة لا تكفى بأن تثقب صدري ، ولكنها تحيل معنى
الاحتقار والاستهانة .. احتقارى أنا ، والاستهانة بى أنا ..
لا .. لست أقوى منك .. انك لا زلت أقوى منى .. حنى وأنت
بهذا الضعف أقوى منى ، ولا زلت تستطعين احتقارى والاستهانة
بى ..

وعدت تفخسسين عينيك ، كانك قتلتنى وأمتت شرى ،
وانتهيت ..

وعادت الى ثورتى ..
كل ثورتى ..

وقمت واقفا وأنا أكتب هذه الثورة حتى لا تمجر ، والتمت
الى أمك قائلا :

— قومى نامى أنفى يا تفيدة ..

وقالت أمك وهى ترزع حفتها كأنها ترزع ثقلا من حديد :

— أدينى قاعدة ..

قلت ملحا :

— قومى يا شيخة ، ده انت يقالك يومين صاحبه ..

قالت وهى تتنهد :

— معلش يا خويا .. ربنا يقدرنى !

قلت :

— أنا مصمم انك تقومى تستريحى شويه .. هدى نايبة ،
وحرارتها بدأت تنزل ، ومكرة تكون كويسة باذن الله ..
ثالث والتعب يكاد يقتلها ، وهى تنظر الى كأنها ترجونى أن
استمر فى الحاحى عليها :
— وانا حا يجيلى نوم ، طول ما هدى بالشكل ده .. دى
ما بتأش فيها يا حبة عبنى !
قلت :

— ملأوعينى بس .. وانا بعد ساعتين اضربك تليمون
واصحبكى من النوم ..
ثم جذبتها من ذراعها ، فقامت معى وهى تقاوم فى استرخاء
.. وخرجنا من غرفتك ، وصحبت أمك الى غرفتها ، وقلت وانا
واقفة عند الباب :
— تصحى على خير .. انا نازل دلوقت وبعد ساعتين
حاضرب لك تليفون ..

ثالث وهى تكاد تقع من فرط التعب :
— متشكرة يا باشا .. تصبح على خير !
لقد عادت تنادىنى بلقب « باشا » ..
كأنى انتعشت عنها حدا .. كأنى خرجت من حياتها ، وكأنها
عادت الى شمرأ ..
واعنقت عليها بابها ..

وانتحت الى باب الشقة متسللا على اطراف أصابعى ..
وفتحت انبأب .. وقتل أن أخرج ترددت .. ترددت طويلا ..
لا ادرى لماذا ..

كل ما اذكره أن بطرك الذى تحمل احتقارى كانت تلوح
بأمى ..

ثم أغلقت الباب بصوت مسموع .. أغلقته دون أن أخرج ..
ووقعت مترة فى السوء الخارجى ، وقد بدا شئ فى بلهث ، كأنه

كلب عطشان .. وأخذت أحاول أن أكم أنفاسي ، وقد حبل إلى
أن لها صوتا مسوعا ..

وانططرت إلى أن قدرت أنه مرت فترة كامية لشخرط أمك
في النوم .. ثم أخذت أتسلل إلى غرفتك ، وأنا أحاول أن أرفع
نفسى عن الأرض حتى لا يصدر صوت عن وقع قدمي ..
ووصلت إلى غرفتك ..

وأدرت مقص الأكرة في احتراس كائى لص .. والقيت
نظرة على عرمة أمك كائى كنت أخشى أن تتطلق منها وتنفذك ..
ثم قمحت بابك .. ودخلت .. وأعلقت الباب ورائى ..

ووقعت فوق رأسك كائى أسالك عن سر بطرتك اننى لطمسي
بها .. ثم شذذت مقعدا ، وحلست ملتصقا بغراشك .. وأخذت
أطيل النظر إليك .. كائى أنشفى منك .. أنشفى بصمك
ومرضك .. وأحسست بلذة النشوى .. ليها لذة اقرب إلى لذة
الراحة .. ليس هناك ملاح للحقد إلا النشوى .. وقد عالجت
حقدي ، وبدأت ثورتى تهذا ..

وحلست بجانبك طويلا .. لا أدري كم من الوقت مر وأنا
جالس بجانبك .. ربما ساعة أو ساعتان .. وأموح الحصى
تفرق وحهك فيحتقن ويشتمل طول البار .. ثم نحسر عنه مسعود
بأهنا لا لون له ، كأنها انحسرت عنه الصاة ..
وتعلقت عيناي بك ..

لم أعد أستطيع أن أحولهما عنك ..
وشعرت من كثرة تحديفي ، انى على وشك البكاء ..
أنا أحس برغبة في البكاء !!

أنا الحمار الذي لا يرحم أحسست برغبة في البكاء .. كائى
أريد أن أبكى نفسى ، أبكى ضعفى أمام الضر ، أبكى تفرزى من
حياتنى كلها ..

وق لحظه الضعف هذه أحسست انى أريد أن أحمى لك ..

أريد أن أضع رأسي بجانب رأسك لفغسله من قذارته ، وأضع
صدرى بجانب صدرك لتحبى به شيئاً على وشك أن يموت ..
وملت برأسي نحو وجهك ..

أنك الآن لا ترينى .. أن عينيك مغمضتان .. ولن يخجلنى
أن أبدو أمامك ضعيفاً ، لن يخجلنى أن اعترف أمامك بحقيقتى ،
واسألك الصفيح .. وأتوسل إليك أن تتقذى نفسى ، وأتوسل
بك لانتقاذ هذه النفسى ..
واقتربت بشفتى من خدك ..
وقبلك ..

كانت قلة هادئة بريئة ، لم تنض بها شفتاى من قبل ..
ربما لم يكن فى قبلى احساس الأنوثة .. لم أقبلك كأم .. ولكنى
قبلتك كرجل معذب .. راحل حائر معك ، وحائر من نفسه ..
واسفست أنت لقلتى انتماضة خفيفة ، وسمعتك نهتين
واست غائبة فى معاهة الحمى :
— عادل ..

لا .. لست عادل .. أنا حسين .. أرجوك .. اهتفى
باسمى .. اسمعنى اسمى نطلق من بين شفتيك لأول مرة ..
انى احب أن اسمى لم ترتعش به شفتان طاهرتان أبداً ..
وعدت أصع شفتى فوق خدك .. وأضغط بهما .. وانفجرت
انتمضت امراحة خفيفة كأنهما تهماً بأن تشرباك ..
وارتفع صوتك أكثر من الأول ، وعدت تقولين كأنك
تستمعين :

— عادل .. عادل ..

اسمك لا تنطقى هذا الاسم .. انى اكرهه .. اكرهه ..
انطقى باسمى أنا الذى يحاكك ..
اسمى فقط .. أنا الذى احبك ..
وعدت أسمك أكثر .. وانسمعت امراحة شفتى كنى بدايت

اشريك .. انى عطشان .. عطشان جدا .. لن اكف عن شريك
.. ساشريك كلك ..

واهبرت رأسك وانت لا زلت مغضبة الجفنين ، تائهة في
بيداء الحمى .. وارتفع صوتك من ذى قبل ، وبدات تصرخين :-
سه عادل .. عادل .. عادل ..

أخرسى .. قلت لك : لا تنطقى هذا الاسم .. اتى ساحن ..
امطى باسمى أنا .. أنا حسين .. حسين باشا .. أنا الذى
أنفق عليك .. أنا الذى أسكنك هذه العمارة المظمة .. أنا
الذى رفعتك من العقر .. ماذا تساوين من غيرى ؟ .. لا شيء
.. ماذا يساوي الناس كلهم من غيرى ؟ .. لا شيء .. أنا الذى
أوحد لهم عملاً .. أنا الذى أرزقهم .. أنا ربهم الأعلى .. وبعد
هذا تستغيثن بهذا الصعلوك الفقير الذى تسميه عادل ؟ ..
أخرسى .. لا تنطقى بهذا الاسم .. نادبنى أنا .. حسين ..
حسين .. حسين ..

ورأسك لا يزال فوق الوسادة كأنك تحاولين حله من فوق
رقبتك .. ولا زلت تصرخين فى صوت ضعيف .. عادل .. عادل ..
واهتز رأسك مرة ، فلامست شفاك شفتى .. فالتقطتهما ..
التقطتهما بشفتى (٢٢٥)

هكذا أستطيع أسكانك (٢٢٦)

انك الآن لا تنطقين (٢٢٧)

انك لا تستطيعين الآن الاستغاثة بعادل .. لا أحد يستطيع
إنفاذك منى .. انك لى .. كلك لى .. أنا القوى .. أنا المسيطر
.. أنا السيد ..

وشفتاى فوق شفئك (٢٢٨)

لم أعد أسمع منك سوى صوت ضعيف كائين عصفور حريح
ينطلق بين شفتى ، وينزلق الى صدرى ميدوى فيه دويًا رهيبًا ،

.. وعيناي جاحظتان .. انى احس بهما جاحظتين .. وصوت
كدوى طبول الحرب تطلقها قبيلة من الزنوج تقف بعيدا عند
الافق الأحمر ..

انى احس بالجنون يزحف على رأسى ويعمى عيى ..
ورحل آخر فى نفسى يحذرني من هذا الحون ، ويحاول ان
يشدنى بعيدا عنه .. ولكنه لا يستطيع .. ان الجنون اتوى منه ..
ان قبائل الزنوج تقترب .

وتحاولين ان تتلمصى من بين شفتى .. تهرين رأسك فى
نفس .. فأضغط على شفتيك بشفتى ، وارمى ثقل رأسى فوق
وجهك ، ملا سسطيعين أحراكا .. والحنون يشتد بى .. ان
هناك جرءا من عقلى انفصل عنى ووقف يرقننى ويتهمى بالجنون
.. انى أعرف ما أعله .. أعرف اتى جنتك .. ولكنى لا أستطيع
ان أصد عى الجنون ..

ومددت بدى ونزعت منك الملاء البيضاء ..
كشفت من جسدك المحموم ..

ونحسست نهذك .. النهذ الصبى المسجرف الذى طالما
اثارنى بمعرفته ، ثم طافت يداى برتعثان ، وقد انتفضت موقهما
عروقهما ، تعثان عن كنوز محبة ..

وشمئذى لا تبالان فوق شفتيك .. ورائحة الحمى تمنح فى
وجهى . كأنها تمنح فى نار الحنون .. وأنت تثنى كالعصفور
الجريح .. وقد ضعفت مقاومتك .. أصبحت لا تستطيعين شيئا
وعيناي جاحظتان . انى احس بهما جاحظتين . وصوت يقهقهه
فى أذننى ، وبصرخ فى شماته ، وحقد ، وعل .. انها لك .. انها
لك .. أخيرا .. انها لك .. اقلها .. اقل الشئ الذى يعذبك
ويطلق حينك .. اقل صميرك .. انك سنعيش سعيدا
بلا ضمير ..

وامتدت يدى المحرمة ورمعت عنك الثوب ..

واربع حماك مجاة وددت في عينك نظرة رعب ..
رعب مخيف ..

لقد حفت من رعبك ..

وتهقه المحنن في صدري لبعيني على رعبك .. وانطلق
صوته بلا أدنى : خير لك أن تثير فيها الرعب ، من أن تثير
فيها احضارك .. أن الذين يثيرون الرعب هم الأتوياء .. هم
الأسباد .. هم المسيطرون ..
وسقط حنك فوق عينك ..

واخني رعبك ..

وتهقه المحنن .. انظر .. لقد أجمدت رعبها .. انها
لا تستطيع حتى أن ترتعب ..
لماذا لم تنق نظرك بعص الوقت .. لعلى كنت ارتدع ..
لعلى كنت أفيق من جنوني !!

ولكنك كنت اضعف من أن تطلي نظرك ، ماخنت ..
وبركت المحنن وحده .. وبدى المحرمة لا تزال ترنع عنك
الثوب ..

وأعصابي كلها متفضة ..

أني حيوان ..

حيوان محنون ..

ويدي المحرمة ترنع بقية الثوب ..

أني لا أستطيع أن أسطر على حنوني .. لا أستطيع أن
أقيد نفسي .. لقد انطلقت من عقاليها .. لا شيء يستطيع أن
يصدها .. لا شيء يستطيع أن ينقذك ويقتدي منها .. لماذا
لا تدخل الناس الآن ليقذونا نحن الاثنين .. كل الناس .. الناس
الذين يسرون في الشارع .. الناس الذين رأناهم سويا على
كوبري قصر البيل .. الناس الذين يعملون في مصانعي ..

والجنون بتهته في صدري ..
انه أقوى من كل الناس ..
وملت بجسدى نحوك ..
اصبحت بجانبك فوق الفراش ..
و ...

وانت راقدة كالجثة الهامدة .. لعلك مت .. لعلك قد
أفمى عليك .. لا أدري ، كل ما أدريه أنك بين يدي .. بين يدي
الجنون .. والنار سداق من جسدك وتثيرى .. نار الحمى ..
و ...

واحسبت كائى اقتل .. لا اقتلك أنت .. بل اقتل شيئا في
صدري .. شيئا عذنى طويلا .. عدسى منذ كنت في مدرسة
الصبايع رميلا لمحمد افندى السيد .. وأنا اتلذذ من قتل هذا
الغنى .. أشمى فيه .. اطلق عليه كل طابقتى المدمرة .. انى
أحس كائى انتصر .. انتصر على نمسى .. وتهته رهبة تنطلق
في صدري ، وسطلق من عيني الحاحظتين ، وتطلق مع سيل
لعانى من بين شفتى ، ومع قطرات العرق المنفصدة من جبسى ..
و ...
وقمت منك ..

وانت لا حراك بك ..
واحذت اثلقت حولى فى احواء الغرمة وفي عبنى نظرة خبيثة
جبانة .. خبث الجنون وجننه .. وبين شفتى انتسامة بلهاء ..
وقلى يدق بعنف .. انى أحس بهذه النظرة وهذه الانتسامة ،
واحس بدقات قلبى .. كان هذه النظرة وهذه الانتسامة على
وجه غير وجهى .. وكان هذا القلب ليس قلبى ..
ثم البعت اليك ، وبدأت أعيد عليك وضع شاك ..
ونجاة توقفت ..

وارداد جحوظ عيني ..
أبها نقطة صغيرة حمراء ، فوق الملاء البيضاء ..
أبها دم ..
دم الغمليات ..

وارسكت ، وعدت ابلت حولي كائى خفت أن يكون احد
معنا يرى ما أراه ..

وحمل الى انى ارى نقطة الدم تكسو الجدران .. ملايين
من نقط الدم فى كل مكان .. على الأرض .. وعلى السقف ..
ومعلقة فى الهواء .. تكسو ثيالى .. وتنطبع على وجهى ..

وانقلب الحيوان المجنون ، الى مجنون حمار .. أبنا خائف ..
خائف جدا .. أتوهم أن عشرات الأيدي تمتد فى الهواء وتقودنى
فى طريق طويل ممروش بنقطة الدم ، فى آخره مقصلة معدة لى ..
واكملت وضع ثيابك عليك ، بيدين مرتكبين ترعشان ..
ثم غطيتك بالملاء كما كنت .. وعدلت وضع رأسك فوق الوسادة
.. وساويت شعرك المهمل فوق حينك ..

وتظرت اليك فى بلاهة .. وخوف ..

انك لا زلت تتنفسين ..

الحمد لله ..

الحمد للشيطان ..

وسللت على أطراف أصابعى ، وفتحت الباب فى حرص ..
ثم مددت رقتى لألمس انى أن لى هناك أحد فى طريقى ..
ثم خرجت ، وأعلقت بابك ورائى دور أن يصدر عنه صوت ..
وسرب وأنا اكاد أرمع نفسى عن الأرض .. وهررت على حجرة
أمك ، وسمعت شحورها يسعد من خلف بابها ..

ومتحت باب الشقة .. فى حرص أبها ..

وخرجت ..

واعلقت الباب ورأى .. بلا صوت ..
 ووقعت برهة امام الباب ..
 ان احدا لم يرى ..
 ان احدا لم يعرف بجريمى ..
 ولا انت ..
 وبحرکت فجأة . يدفعنى قلى الواحف .. ولم انظر المصعد ،
 بل هرونت على السلالم .. هرولت كما لم أهول من قبل ..
 كأن جيشا من الشياطين يلاحقنى ..
 شياطين حنوني ...

حببتى هدى

ماذا جرى لك وانت تقرئين خطائى .. ماذا جرى لك عندما
كشفت لك عن مراك .. عندما رأت بصماتى فوق حسد الحربمة
.. جسديك ؟ !

هل صرحت .. هل حسيت .. هل اغشى عليك .. هل مكنت
فى الانتحار تخلصا من جسديك الذى تعيشين فيه وتنقرمين منه ؟
لا تعدى نفسك طويلا يا احب الناس ..
نقد انتقم لك الله ..

انا انتقم لك من نفسى .. فحطمتها او ان نفسى انتقامت لك
منى ، فحطمتنى .

لعد اصبحت بعد ان بركتك سمده موق السرير . وبقطة الدم
موق الملاة البيضاء . اصبحت اسانا محبونا ..

لم يكن يبدو على الحنون .. ابى لا رلت محمطا بمطهرى
المهاب الذى يحترمه الناس . ولا رلت محمطا بطنى القويه
التي تحيف الناس . ولا زائت خطوائى مبره مندة . وكلامى قليلا
حازما كانه اوامر برقه .. ولكن الحنون فى راسى .. والحنون
فى صدرى .. وهو حنون شرير . نطق كالاعاسير .. لا شيء
يحدده .. ولا شيء يوقف فى طريقه .. جمون لا يفرق بين الناس .
لها عيب كل من يعمر منى .. كل الناس أصبحوا خطئا حتى

خبريه . وحى عند العظم . اى لم اعد اركب الشر سمى وراء
كسب اى .. بل اصحب اركب الشر حيا فى الشر - وتلددا به ..
وقد بركتك بلنها والمحصول لا يزال يتهقه فى صدرى ..
قهقهه حامية كالصمخ . وفى عيسى هذه البطرة أحييته انصاته ..
بطرة المجنون عندما يحيل اليه انه ابصر على شخص آخر يعيش
فى نفسه .. وذهبت الى السادى . وجلست على « البار » وطلب
كأسا من البوسكى شربها فى جرعتين . ثم كأسا أخرى .. ثم
كأسا ثالثة .. و لمحنون لا يرتوى .. وتلفت حولى فرأيت حيريه
جالسة مع عرمار باشا وزير المالية . يمل عليه . وصدرها راعد
موق دراعه .. واحسست برعة حمدة فى أن انقص عليها
وأعربها من ثيابها .. لا ادري لماذا .. انها لم بعد تنثر فى رعة
مند زمن طويل .. ولكنى فى هذه الليلة لم اكن أرضها . ولكنى
مط كنت أريد أن أعذبها .. نعم . أعذبها .. وأن اصحك
من عذابها . كتب أريد أن اترع عنها هذا القناع الجميل الذى
بصعه على وجهها . وأن يراها كل الناس على حقيقتها .. أبراه
عارية .. تنزع ثيابها باشارة من اصغى ..

وبخ فى مخبعا بحرص كثيرا على الأقمعه .. اننا نعرف
بعضنا بعض جيدا . وكل منا يعرف بالضبط كمية القدرة
التي يحملها الآخر .. وكذب بحرص جدا على الأقمعه التى يصعبها
كل منا على وجهه .. الأقمعه التى تعطى قدرتنا . اننا نقبل
يد السيدات اللالى يمين لنا أحسادهن .. ويمسمن فى وحوه
الرجال الذين يقتلهم .. ونندو دائما خلف أقمعتنا فى مسهى
الرشاقه . وفى منتهى الأناقة ، وفى منتهى الألب .. وكل من
تنزع قناعه عن وجهه . أو يحاول أن ينزع قناع غيره . بطرد
من مجتمعا ، ويصبح « بلدى .. فلاح » ..
وهذا ما حاولت أن أعله لينها مع حيريه .. أن اترع عنها

قناعها .. أن اراها بين الناس مجرد امرأة يبيع كل شيء بالنفس ..
وأشرف اليها من بعد لباس الى جاني ..
وهزت رأسها تستهينى ، فانتظرت قليلا . ثم ثرت ..
كيف تستهينى ؟ . كيف تدحر في ذلك إشارة منى .. ومحادثة
صحت أنادبها :

— حبرية .. تعالى هنا !

وبوغت كل من في النادي لصرختى .. ومزت بهم برهة
صمت كأنهم صمقوا . ثم نادلوا العمزات والانتسامات وعادوا
الى ما كانوا فيه . وقامت حبرية وحامت الى وهي تسير مرتبكة
ونظمت حوالها كأنها تمدر لكل من سر به عن سوء سلوكى ..
ثم قالت لى هامة :

— حرى ايه يا حسين . ايه المضايح دى ؟ !

قلت وأنا ادعى الغصب :

— انسى ائلى ترغرتنى .. تسببى عشار حاطر النطع
ده اللى قاعده معاه ؟ !

قلت وهى تنظر الى فى عيني :

— اب المنة دى مش طيبى .. ايه اللى حصل ؟

قلت وأنا ادعى الاسى .

— عايزك ضرورى يا خيرية .. انا تعبان جدا !

قلت :

— خير .. تعبان من ايه ؟ !

قلت :

— ما اندرش اكلمك هنا .. حملتنى على الشقة !

قلت :

— ما اندرش يا حسين . ده حورى هنا وبمقعة معاد بروج

سوا^١

قلت :

— حليه بروح لوحده .. الساعة بقت حدائر ورماته سلام ..
 قالت وكنتها تدافع عن زوجها :
 — اخص عليك يا حسين .. ما بتولش عليه كده .. اكبهه
 يعنى راحل طبيب ؟
 قلت فى حدة :
 — حاتيحي ولا لا ؟
 قالت :
 — حاصر .. بس ما برعلش نوى كده .
 قلت :
 — بعد ربع ساعة ..
 قالت :
 — طب استقنى ..
 وبركتنى وأنا انتسم فى مدرى هذه الاسامه الخبيثة
 الحسنة .. ابتسامه المحنون ..
 ثم تبت وأشرت لعبد العظيم . ثم أخذه بعدا . وهيمت
 فى أذنه :
 — هات الشيلة كلها وتعال على الشقة .. أنا نفسي امرئش
 الليلة .. وماشساش بعزم عرفان باشا ، بس ما تخلش خبرية
 نعرف ، أصلى موضح لها مفاحة ..
 وارفع حاجبا عبد العظيم . ومفر عينه . ولكنى لم انتظر
 حتى أحب على دهشه ، وخرحت من النادي وذهبت الى
 الشقة ..
 وحلست اشرب كأسا أخرى .. أسى اشرب كثيرا ولا أربوى .
 ولا أحسن بالخمر .. أن خنوني أقوى من الخمر ..
 وحامت خبرية .. دقت حرس الباب . ومحت لها بعسى .
 ثم تركت الباب وراءها مفتوحا نصف فتحة ..
 وقالت وهى تنزع قمازها الأبيض من فوق أصابعها :

— انه الحكاية يا حسين .. خصنتى عليك ؟

قلت وانا ابنسم ، وفى صدرى قهقهة ؛

— استثنى بس أما تشرى كاس مملأ ..

واعددت لها كأسا .. وهى لا تكف عن الكلام ..

اقربت منها حتى انصقت بها . وقلت وانا اقدم لها الكأس :

— نعرفى انك وحشائى قوى !

قالت وهى تأخذ الكأس من يدى وتنظر الى كأنها تتعرف

على من هديد ؛

— بأه جايئى ها علشان نقول لى اى وحشاك ؟

قلت وكأنى اتهد :

— وحشائى موت .. نعرفى اى اكشعب النهاردة انك اهم

ست فى حبالى .. ما ميش واحده تانيه قدرت .. ارحك

ابدا ..

قالت وهى تنزل كأسها من فوق شفيتها :

— الله .. الله .. ده ايه العزل ده كله .. مكوش اجبت ؟

واسمعت نكمة « اتجننت » .. اتى قطعاً جننت .. أن

رحلا آخر فى نفسى يصفى بالجنون .. وهذه حيرة مصفى

ايضا بالجنون .. اى قطعاً مجنون .. ولكنى لا استطيع أن

أقاوم جنونى ..

واقربت منها والانسامة انحيثه شمع فى صدرى . وأعطتها

بذراعى وصممها بقوة .. وقلت :

— صدقيى يا حبرة .. انا عابذك الليلة تصدقيني ..

صدقى كل حاحه !

فألت وهى يميل صدرها الى الوراى فى دلال :

— مصدقك يا حسين .. هو انا اقتر اكذلك ابدا ؟ ..

بس لو كنت تقول لى ايه الى حصل لك ..

قلت وانا أهد شفتى بها :

— ما حصلش حاجة .. هو لازم يحصل حاجة علشان
توهشيني ؟

قالت وهي تنظر الى في ايمان :

— عجائب ..

ومدبت شمتي اكثر ، واطنقت على شفيتها .. ولم تقاومي ..
ترككت لي شفيتها وهي لا ترال سطر الى بعينين مموحتين ..
ولم تترني قتلها ..

اي اعلم انها لا تثيرني .. واني لا اريها .. مقط اريد ان
اغذيها .. اريد ان انزع عن وجهها القناع ..

ومدبت يدي وبدات امك اضرار ثوبها .. فازاحت يدي في
قوة ، وبرعت شفيتها من بين شمتي ، وقننت وهي لا ترال محمطة
بعضى انسابها :

— ايه اللي بتعمله ده يا حسين ؟ ..

قلت وانا ابد يدي الى ثوبها مره ثالثة :

— اخس عليكى يا خيرية .. علشان خاطري .. انتى عمره
ماكسفتيني !

قالت وقد بدا السطح المكسوم يبدو على وجهها :

— بس مش بالشكل ده يا حسين ..

قلت وانا امحت باصبعي عن اضرار الثوب :

— مطهش .. طاو عيني .. ما تزعلنيش !

وحدثت الثوب بيدي حدة قوية .. مهزق عن حسدها ..
ثم اطلقت عنها واحدت انزع باقى الثوب وهي لا ترال واقعة
تصرخ :

— ما مخزون .. يا محبون ايه ده .. حر انه في عقدك ؟ !

واصبح نصفها الاعلى عاريا ..

وايسكت كس الوبسكى من بدها على بقع الثوب .. وسقط
الكوب على الارض كانه سقط القناع عن وجهها .. واخذته

تنظر الى حالها . ثم رمعت رأسها ونظرت الى طويلا . ثم قالت
كانها قررت أن يسهي مني بأسرع وقت :
— تعال .. تعال اما اشوف وحشاك أد انه ؟ !

وهذبني من يدي تحاول أن تأخذني الى غرفة النوم ،
متأومها ، وشددتها الى قائلا :
— لا .. خليها هنا شويه !

ثم أحدها بمنة بين دراعي ، وعدت أقبليها .. ملا احساس ..
وأطيف من الخلطة الخبيثة تملأ رأسي ..
وفي هذه اللحظة منح الباب ..
ودخلوا ..

دخل نصف أعباء النادي يتقدمهم عبد العظيم ، وبنهم
عرفان باشا ..

وصحكت ضحكة كبيرة .. ضحكة محنون .. وأنا ادعى اني
لم الحظ بعد دخول هؤلاء الناس ..

ثم رمعت كأس الويسكي وأخذت اسكه بين يدي خفية ..
ولم تحس بالخمير وهو بحري في نهر صغير مين تهديها ، وأظلت
من عسها نظرة رعب ، وهي ترى الناس داخلين ، الى جسدها
العاري .. ثم صرخت صرخة حادة عندما رأت بينهم عرفان باشا
.. وأخذت تحاول أن محفي تهديها بكميها .. ثم تحاول أن ترفع
ثوبها لستر جسدها .. ثم جرت نحو غرفة النوم ، ولكتها قتل
أن تصل اليها استندارت وعادت بحري نحو الباب .. وهي
صحيح :

— ده مجنون .. ده انتحس خلاص ..
ولحق بها عبد العظيم ، وهو يخلع سترته ، ويضعها فوق
كعبها ليغطيها بها .

ووقعت اما ادعى الارباك .. ارباك الرجل الذي ضغط

في حالة تلبس بحريمة لا مشينه ولا نتقص من رحوله .. ثم قلت
في صوت مقرن عبيق :

— أنا آسف يا جماعة .. ما كنتش فلكر انكم حاشحوا بدرى
كده .. انتضلوا .. انصلوا !

وبدا الجماعة يحركون ، وارتفعت من بينهم الضحكات .
وقال أحدهم :

— احنا اللي آسفين يا ماشا .. حلال عليك !

وقال آخر :

— شبابك يا ماشا عطى على الكل !

وقال ثالث :

— أهو احنا كده ، يا فيها يا نخفها !

وبعالت الضحكات . وأنا أصع على وجهي قناع التواضع :

— مش كنتم تضربوا الجرس قبل ما تدخلوا ؟ ..

وقال عبد العظيم وهو يطر الى كانه يشمئز منى :

— احنا لقينا الباب مفتوح ، رحنا داخليين ..

وارتفع صوت أحدهم :

— دى حنة من غير بواب !

وبقى عرفان ماشا صامتا .. ووجهه محمضا كالحزرة ..

وربما لو كان كل أعضاء المادى قد رأوا خيرية عارمة . لما همها

.. أما ان يراها عرفان ماشا بالذات . فقد كانت هذه مصسبها ..

معرفان ماشا وزير حديد شاب . دخل الوزارة بعد ان اقترب

الأحزاب من رجال الصف الأول نتيجة انقسام بعضها على بعض

فلم يعد لكل حزب ما يكفى من رجاله القدياء لتولى مناصب

الوزارة . مدات — اى الأحزاب — تدمع الى مناصب الوزارة

برجال الصف الثانى ..

وقد كان عرفان بالذات من رعماء ثورة ١٩٣٥ . وكان بمنع

بسمعة شعبية عظيمة .. وكان سدو في مشيه ونطراب عسه .

كانه يحصل الشعب كله على كفيه .. وكان يتكلم دائما في صوت
عليط جاد كانه يلقي دروسا على الشعب . او يهتف بشعارات
الشعب .. كان كلامه براقا . ولكك لو بحثت بحه لما وجدت
شيئا .. مجرد كلام فارغ ..

واسطاع عرمان ان يتاحر ثورته في سوق الاحزاب ، وخرج
من حزب . والنحق بحزب آخر ، قطعا على السطح واصبح من
رجال الصوب الاولى . ثم صر قليلا حتى اصبح وريرا ، واصبح
باشا .. اصفر الماشوات سنا ..

ووجد نفسه محاة عضوا في نادي محمد علي ، وعضوا في
مادى السارات وعضوا في نادي الحزيرة ..

وجد نفسه محاة في عالم براق .. بويقه امضى من كل فريق
الشعارات الشخصية .. ووجد نفسه محاة بين سيدات حميلات ..
السيدات اللاتي لم يكن يرهن الا من بعد . ويتتبع انشاءهن في
النصح . كانه يتتبع انشاء اتجئة .. ان كلهن يتهاقن عليه ..
يتهاقن على شماسه . وعلى مركزه . وعلى مستقبله العريض ،
ويهاقن على عقله المعلق عن مصائحهن . وعينه المفضتة
عن حقيقتهن . وعلى رائحة الربون الجديد الوافد على سوق
اللحوم .. ربون سادح لم يدرب بعد على عمليات البيع والشراء
.. ربون نقطه !

وكانت خيرة في الايام الاخيرة قد القت كل شماسها لنسغولي
عليه وحدها .. راهنت عليه بكل حبيلها وكل ذكائها .. انها
لو كسنته لاستطاعت من خلاله ، ومن خلال منصبه كوزير ، ان
يحقق اطباعا لا تنهى ، ولاستطاعت بحائب ذلك ان تشجع
حدها بشماسه .. الحسد الذي امتلته الشيوخ امثالى .

وكان عرفان يعاملها باحترام كبير تشوبه الرهبة والوجل ..
انه لا يعلم عنها الا انها ابنة فلان باشا ، وزوجة فلان بك ،
وانها صديقه للأمبرات . وان صورتها نشرت في الصحف ، وانها

جيلة ، ثرية ، مائنة . وهو لا يستطيع ان يصدق نفسه وهي
تفازله . لا يستطيع ان يصدق انه يستطيع ان يبالها .. بنال
كل هذا الشرف ، والمجد ، والجمال ..

وكانت هذه اثرهه والنهرة التى يحس بها عرفان هى سلاح
خيرية فى الاسلاء عنه . تركه يقتنع بأن الوصول اليها شرف
كبير له ثم كبير ، حتى لو دمع الثمر نزاهاه ..
وقد خسرت خيرية ا عرفان ..

انا الذى امدت عليها الصمعة عندما تركه يراها فى شقنى
الخاصة . عارية ونهر صمير من الحمر بحرى بين يديها ..
ولم يمكث عرفان طويلا بعد ان خرجت خيرية .. خرج
وراءها ووجهه لا يرال محتقنا كالحزرة ..
وانتهت السهرة ..

املاأت النطون بالخمر . وتراكمت القلات العريضة موق
الشفاء حتى لم تعد تحتمل مريدا من القلات .. فخرج الناس
والسنتهم تترنج بسيرة خيرة .. وخرج عبد العظيم وبين شميمه
بصقة من الالتمزاز يكاد يصبقتها فى وجهى ..

وعدت الى قصرى ، ونمت ..
نمت نوما ثقيلًا لم انه اندا فى حيانى .. كل المحنون قد
سعب منى ، فتركنى استريح ريثما استرد قواى معود الى ..
وقمت فى الصباح . واستعدت ما فعلته بك . وما فعلته
بحيرة .. ولم اشعر بالدم .. صدقنى .. لم أندم .. ليس
فى صدرى شيء يثقلنى ويكتم أنفاسى ويمزق رثى .. ان فى صدرى
مراعا ندوى فيه تهففة محنور .. تهففة بطفى على كل ما كنت
احس به من عذاب ..

وذهبت الى مكسى وفى عيني هذه النظرة الخسئة الحسنة ..
ربما لم تكن هذه النظرة تمدو فى عبنى .. ربما كانت لى عيان
اخرىا خلف حبهنى سطران هذه النظرة التى احس بها ..

وحاست أنظر أناء خيرية .. كنت أنظر أن نداء معى
معركة . ولم يكن هذه المعركة عنى حير وجوها فى صالحى .
مكى أن أحسر خيرية .. لأحسر معها أداة نافعته للأعمالى ..
ورغم ذلك مكف أرحب بالمعركة . وكنت أحس برغبة عبيقة فى
تخطيم خيرية .. محطيم أداة نافعته طالما استعملتها ضد خصوصى .
وطالما رمت بها رصيدى من المجد والثراء ..

ولم أفكر ميك .. كنت فى هذا الصباح بعدة عنى ، كانى
قتلك وانتهيت ، دون أن يترك قذلك سوى نقطة من الدم عالق
معدائى .. أما كنت أمكر فى خيرية . وكف أحد لذة مثيرة
فى ترقب المعركة ..

ولم بدأ خيرية بمعركها مباشرة .. وربما قدرت أنها قد تخسر
عزمن نائبا الى الأبد . فأرادت أن يحفظ لى . على الأقل
للقاضى ثمن مضيحها .. ما صنعت لى باللفون وسمعت صوتها
كأنه مخرج من بين أسنانها ، وقالت وهى تحاول أن تدعو هائلة :
— كوس اللى عملته أمبارج ده يا حسين ؟ .. يعنى اعمل
نكك إيه .. أودى وشى من الناس فين ؟ .. زمان البلد كلها
مالهاش سيره إلا سيرتى ..

قلت راسامى الحسنة نطلق فى صدرى :
— أنا آسف يا خيرية .. مش عارف كان مالى ليلة أمبارج ..
مالت وهى متفهد :

— وأنا حاعمل بأسمعك إيه .. شوف لى طريقة تسكت معها
عننى كلام اتناس .. مش بس الناس . ده زمان الراحل الكبير
حد خير هو كمان ..

قلت وقد بدأت أثيرها :
— يعنى الناس تسكت بكام ؟
قالت :

— قصدك إيه ؟

قلت وأنا اسمع الصيغ :

— وحياة أبوكى أنا زهقان .. قولى لى عايزه كام
وحلمسى ..

ولم يكن هذا هو أسلوب التعامل بينى وبين خبيرة .. انى
أدفع لها فعلا ولكنى كنت أدفع لها فى أسلوب مهذب وفى عبارات
ملمومة لا تحرج ..

وصاحت خبيرة وقد نفذت أعصابها :

— ايت مازر انك حاشى برمنى بمنوسك ؟ .. فلوسك كلها
على حزمى يا باشا .. لازم تفهم ان العلوس ما نهيش ، انا
ميهنى سمعى .. ممكن ايت مالكش عيلة تخاف عليها ، انها انا
بتت مسلمان باشا .. ويهمنى اسم عيلتى قبل أى حاجة ..
فاهم ؟ ..

وقلت وأنا أسخر منها :

— ماتزوديهاش قوى يا خبيرة .. احنا عارمين معص
كوبس .. سممك لا حانزبد ولا حانقص .. واللى حاستقال عنك
السهاده مش أقل من اللى اتقال أسارج .. وأبوكى الناس عارفاه
كوبس .. تنقى نسكتى ومتولى اسى عايزه كام ؟ .. والا اتقول
لك : ما غيش ولا ملين !

ومرخت خبيرة كأنها حنت :

— ياس الكلب .. يا وسخ .. يا واطى .. انا حاخرب
ببك .. انا حاودك فى داهية .. انا حاوريك خبيرة تنقى مين ..
كوشون .. مجرد ..

وثالت شتالهما باللغتين العربية والفرنسية : ثم التقت
سماعة الطيغون فى وجهى ..

واملا غراغ صدرى بقطعة الخنون ، وفركت كفى كاتى
بقتل على لعبة مثيرة ..

ودخل على عبد العظيم ، ونظرت اليه .. وفى عيني هذه

النظرة التحيئة المحبوبة .. ولكنى احسست بأكثر من هذه النظرة ..
.. ابنى اكرهه .. اكرهه جدا .. ثم اكرهه قط الى هذا الحد ..
.. ابنى اريد ان احطمه هو الآخر .. احطم الشيطان نفسه ..
.. انى شيطان اكبر ، وسأصمى على كل الشياطين الصغار ..
وبدا عند العظيم يعرض على أعماله القذرة . وأنالقى عليه
بأوامرى دون ان انظر اليه .. خمت ان انظر اليه مشغول عيناى
ومحرمش وجهه ..

ثم قال عند العظيم فى صوت يحاول ان يسلل به الى . وبين
شفبه انتسامة يحاول ان يطرق بها باب عطى :
— رمان خيرية زعلانه قوى من الفصل نتاع امبارح ..
وصرخت فى وجهه مرة واحدة :

— انت ماكر اننا قاعدين فى السادى ولا فى كمارمه علفان
مكلمنى عن حيرة ؟ ! الحاجات اللى متعمل بالليل مانحش سبرمها
هنا فى المكب .. ماهم ؟ .. اتفصل قوم شوب شفتك ..
وتركتى عند العظيم وبين ثمنيه مصقة لا يقدمها ..
وصبق الباب وراءه فى عصف كأنه يصمى به . صرخت :
— عهد العظيم ..

وعاد من وراء الباب ونظر الى صامنا ، فقلت فى حدة :
— اقل الباب كويس .. اتعلم الأدب ..
وسحب نفسه من فتحة الباب وصمقه مرة ثانية وراءه ..
لقد بدا يتجدانى هو الآخر ..

ومرت أيام قتل ان تهب على ربيع المعركة السى اثارنها خيرية ..
وفى حلال هذه الايام زرتك ..
لم اررك نادما .. ولم اررك لانى اتعذب بحريتى .. زرتك
جنا .. دمعى الحس ايك . كان المجنون يخاف ان يكون
جريمته قد اكشمت . وكان يريد ان ساكد من انتصاره على

الشخص الآخر ادى بعيش في نفسه .. كان يريد ان يتلذذ بخبثه
، نهى، نفسه عليه ..

واستقبلتني امك . وبن عسيها سحب قاسية من الخزن ..
وبظرائها مضطرب وسط هذه السحب . حائرة ، مبتلة سقايها
جموع . كحبات نائه في ليلة سوداء مبطرة ..
وقلت لها وانا احلس في الصالون ، كاني قررت ألا ادخل
الى غرفتك :

— ازاي هدي دلوقت ؟

قالت كانها تنعيك النى :

— كويسه ..

ثم تنهدت وقالت :

— الحمد لله .. حكمتك يا رب ..

قلت وقلبي واجف :

— مالها ؟ ..

قالت وهي برنكر براسها على اصبعا :

— ولا حاجه يا حويا .. كويسه والحمد لله ..

قلت :

— الحرارة نزلت ؟

قالت وهي تنهد ..

— نزلت ..

قلت :

— والدكتور قال ايه ؟

قالت وهي بشد نفسها عميقا من صدرها :

— قال انها حمت .. وبكره حانزل من السرير ..

قلت :

— امل مالك زعلانه كده ؟ ..

قالت :

.. أندا .. مثل زعلانه .. دى من ضيقه وقروح !
لاند انها عرفت .. عرفت ان اسها لم بعد مياة .. ان اسها
أضاعت كل ما نيلكه ميات الطنقة الى شتى اليها .. الطنقة
الموسطة الصغيرة .. أضاعته .. حيث لا ندرى .. سقط منها
دور ان نشعر ..

ودققت النظر فى عنى أمك حتى أتأكد من انها لا تعرفنى ..
لا يعرف أى أنا المحرم .. أنا الذى أحدث شرف اسها ..
ونأكدت ..

تأكدت انها لا تعرفنى ..
وقلت لأريدها بقنا بأى لا أعرف أسباب هذا الحزن القائم
ابدى بحيط بها :

— هو عبد العظيم ما حاء

قالت فى حرف :

— لا .. ما شفقوش ..

قلت وأنا أحاول أن أضحك :

— أباركى زعلانه .. امما الراحل معدور .. ده وراءه
ملاوى كبير .. أنا بنسى كنت عاير أحارة من أربعه أيام
وماقدرتش ..

قالت فى بأس كأنها قد أخرجنا أنا وعبد العظيم من حياتها :
ربنا يمينكم !

وقمت لأنصرف .. مررت ان أنصرف دور ان أراك .. ولكن
المحزون كان يريد ان يثبند برؤية حريمته .. وكان يريد ان
يطمنن الى انصاره .. فالتفت الى أمك وقلت :

— أعذر أشوق هدى ؟

مالت بلا مبالاة :

— اتفضل .. أهى رافده فى سريرها !

ودخلت اليك ..

ورأيك في نظرات مترددة حبابة ..

كان وجهك قد أسرد بعض لونه .. لم يعد باهنا كما كان ..
كبه النمط بقطه الدم النى عصرنها منك وتركها يثع موق الملاءة
البيضاء ، وخباها تحت وحنيك .. ولكنه كان وجهها مكعبرا ..
مقتضا ، كأنك معانين ألما حادا سزق أحشاءك .

وقلت وصوتي يحشرحه انفعالي :

— ازيك يا هدي ؟ .. شدى حيلك امال !

والثمنت الى .. ورنعت الى عصبك .. نفس العيين الهادئين
العميقتين اللين تعودتا ان يثقا صدرى وبحركان فيه شيئا بكنم
انفاسى .. ولكنهم فى هذه المرة لم يثقا صدرى .. ان صدرى
فراع ليس فيه شيء يثقب .. فراغ تدوى فيه قهقهه محنون ..
وأم تحببى بشيء .. اكتمت بالبطر الى ثم أدت وجهك
عى ..

لماذا لا تصرخين فى وجهى كما صرحت حبره ؟ .. لماذا
لا تحديسى وتشيرين فى وجهى معركه كما تقفل حبره ؟
لأنك لا تدريين ..

الشعب كله لا يدري .. ولا يحاول ان يدري .. انما بكنمى
بالسكوت ، وبهذه النظرات العميقة الهادئة ..
ووقعت فوق رأسك ككبير الشياطين فوق رأس الضحمة
ادى قدمت عى مدحه ، وغلت وأنا أحاول ان اخفى عنك نظرتى
الحيثه المحنونة :

— مش عيره حاجه منى ؟

وهررت رأسك .. لا ..

قلت وأنا أصع على شففى انسلامة :

— بكره اول ما سزلى من السرر . حابع لك العربيه .

تخرجى فمبسحى شويه .

وهررت رأسك .. لا ..

وبطرت إليك مطرة أحيرة ..

أبك بقايا ..

بقايا شيء مضمضه ..

وبركتك . والمحتون في صدري يهيه نفسه . ويخسرح

لسانه . ويغمر غمرات بهوانية . كأنه يقيم لى حيلة بكريم ..

وحرحت أمك توصلني حتى الباب ..

وبطرت إليها هي الأخرى مطرة أحيرة ..

أبها أيضا بقايا ..

بابا شيء مصغره ..

إطلقت ابتسامه حسنة واسعة في صدري .. أسي امضغ

الناس والاهم مقانا .. كل الناس ..

وحرحت .. ولكن كان هناك شيء آخر أريد أن أتأكد منه ..

كنت أريد أن أؤكد من أنكم عزمتم بالحريمة . وأن لم يعزموا

المحرم .. مصعذب أتي شقتي الحاصه ورفعت سماعة التليفون

واصلت وأصلب بالطبيب الذي معالك . وقت تله وأنا أدعى

وأصنط بالطبيب الذي معالك . وقتلت له وأنا أدعى اللهفة :

— أنت آخر مره شعيت هدى أمني يا دكتور ؟

قال وفي صوته ربة أسي :

— أمارح ..

قلت :

— وحاليها ازبها ؟ ..

قال :

— كوسه .. الحمى راحت . واعتقد أن الخطر زال وتقدر

مخرج بعد يومين ..

قلت :

— لكن أنا شليف حالها النفسية غريبة . هي وأبها .. زى

ما يكون المرض اشتد عليها ..

قال :

— اصل حصلت حاحه عريّة .. غريّة حدا !

قلت في لهمة :

— انه .. حصل انه ؟

وبسبح الطيب .. ثم همس في سماعه الطيقون بانك

مقدت الشيء .. الشيء الذي يستحق عليه لعب ضارة :

وصرحت صرخة ممثلة :

— ازاي ده ! .. حصل ازاي !

قال :

والله دي حاته عريسه .. ممكن يكون من تأثير شده الحبى

.. انما دي سقى جائه شادة عمرى ما صادفها في حياتى ...

وانا دلوقت باكتب بحث عن الحانه دي وحاجته لجمعية الأطباء

في لندن ..

قلت في حماس :

— انا مسعد اقول أى بحث عن الحالة دي .. سس من غير

ذكر أسماء ..

قال وأنا أكاد أرى انتباهته :

— ميشكر يا باشا .. طول عمرك نصير العلم

قلت :

— واعمل معروف بلاش نقول لهدى ولا أمها انك قلت لى

حاحه ..

قال :

— طبعاً .. طبعاً يا باشا ..

وصفت سماعة الطيقون .. الفهته العاليه بدأ صدرى ..

لقد قال الطيب ان ما حدث لك كان من تأثير الحبى .. ان كل

حريه ممكن ان يكون لها عطاء بحفها .. حتى هذه الحريه ..

لقد اركبت عشرات الحرائم .. وحرحت منها والاسس بصق

لى . ويسع على القاب الحد واشرف .. وهذه الحرية انصا
خرحت منها بلقب « تمير العلم » .

وعاد المحبون في صدرى بهىء نفسه وبخرج لسانه ، وقمر
قمرات بهوانة .

وبرمت من العماره . وهبت نر أركب سيارى . ومحاة
بعتب عداى معربة حطوط تقف حوار الرصيف المقابل . وقد
جنس فيها ثلاثة شبان .. أحدهم يمد أمامه ساقا محسنة ..
أنى أعرف هذا الشاب ذا الساق المحسنة ..

رأته مرة واحدة ، ولكن محيل الى أنى أعرفه جيدا ..
نعم ، أنى أعرفه ..

أنه عادل ..

ورفعت اليه عينين خالعين .. هذا الشاب لم أمضعه ..
أنه ليس بقانا .. أنى لم أمصغ كل الناس بعد .. لا يزال هناك
ناس اتوى من أسنانى ..

ولم استطع أن انظر اليه طويلا .. خيل الى أن سلاته
المحسنة كسبت من نور مشرع في الهواء بذبح به نظرتى اليه ..
واخفيت في سيارتى كانى أحتوى بها ..
والحنون خائف ..

لم تبدأ خيرة معركتها في هدوء ، بل انارتها في عيب وفي غل .
واطلق لسانها يعلها في كل مكان ..

وكان اول ما فعلته ان انصمت الى معسكر عند العزيز باشا
شارك . عدوى ومنافسى القديم .. النيك الرومى النامش ..
وبدأت تتبع له اسرارى .. ولم تكن تعلم كل اسرارى . فأتى ثم
أعود ان اضع كل البيض في سلة واحدة كما يقول المثل الانجليزى
.. ولكن ما كانت تعلمه من اسرار كان بكى ليصع في يد عند
العزيز سلاحا حاداً يطعننى به ..

أطبعه على أسماء الشخصيات التى تعمل لحسابى في
الحفاء .. كلها أسماء كبيرة .. أسماء رجال في القصر ، ورجال
في المناصب الحكومية الكبيرة ، وأسماء اميرات ، وزوجات زعماء
ووزراء .. شخصيات كثيرة تعمل لى وتقنض منى أحرا سخا
في صورة هدايا .. وكانت خيرة نفسها هي الرسول بينى وبين
هذه الشخصيات .. هي التى تحمل اليهم مطالبى ، وهي التى
حدد ميمة « الهدية » التى يريدونها كل منهم ..

وبدأ عبد العزيز يحترس في معاملاته من بعض هذه
الشخصيات ، بعد أن كان يلحاً اليها وهو لا يدري أنها تعمل
لحسابى .. وبدأ يحاول أن يشتري البعض الآخر منها ويفرجه
بأن يعمل لحسابه .. وبدأ يهدد أفراداً آخرين بأن يفضحهم

ويشهر بهم .. وخبرية نساوده في كل ذلك .. انها تقيم له حفلات في بيتها تدعو اليها كل من يستطيع أن يستفيد منهم .. وتسمى لدعوته في حفلات الأميرات وتقف بجانبه لنساوده في الحدث عن نفسه .. لقد أصبحت عهيلة له !

ولكن عبد العزيز ليس أنا !

ولا يكفي أن تعمل خيريه لحسانه حتى يحفل بكاني .. يقصه شيء كثير .. يقصه ذكائي « وحراتي المالية ، وأعصابي » واسلوبى ..

ثم أن خيرة أخطأت خطأ كبيرا ، فقد جعلت المعركة سعى وبسببها معركة علميه .. المعارك العلمية بنقلب دائما على من يثيرها .. لقد عرف كل الناس في مجتمعنا أنها تحارصى . عرموا أنها بوجه كل يومها وحائنها لقتلى .. وأثار الناس عنمها وعليها وحقدوها الذي لا ينطق له « قداؤ » سفرون منها . وبدأوا لا يصدقون ما تذبعه عني .. بل بدأ بعضهم يشعق على ويسائل في أردراء عن سر هذه الحرب .. هل كل هذا لأن الناسا مزق ثوبها في جملة خاصه .. وماله ما سیدی .. كان سكران .. ما هي طول عمرها في رجليه .. وكلنا عارفين خبره .. و .. و .. و .. ولم يكن على بعد ذلك إلا أن اصبط أعصابى ، وأثرو أمام أعضاء النادي في صورته الرجل المظلوم المهندي عليه . حتى أكسب انسيبهم الى حائنى .. ثم اكن اتحدث عن خبره .. ولم أكن اتسبها بكلمه .. ولم أكن احداها .. وإذا ذكر اسمها أمامى ، دافعت عنها .. وإذا ذكر أحد حديث الجملة انخاصه ، املت رأسي على صدرى وأسذلت جمنى وقتلت وكأنى اناهم : « أنا عطشان .. أعمل أية .. كنت سكران » !!

أما العلاء الدس أفشت خبرية اسماءهم لعبد العزيز . فقد حمدوا موة مؤقنا .. انتعدوا عني حوما من أن يفعوا صحابنا المد ونداوا بلانئون خيرة ويستقلوبها بنفس

الفرحاب .. ولكنى كنت أعلم ما فى دخيلة نفوسهم .. أنهم يحاولونها ، وهم يتربصون بها .. ان العميل عندما تكشف سره يصبح كالثوب الحريج .. يخفى نفسه بين حشائش المعاق الى ان يستطيع ان يهكر منك . ويقتض عليك بكل ما سوى فيه من قوة ..

ولم يحل اوزير الشاب الأبله عرملان ناشيا عن حبرية كما كنت أعتقد .. لم يكن يكفيه ان يراها عارية فى شمسى الخاصة ليعرف حقيقتها .. وكان يكفيها لكى تحرره من انفه ان تكون اسه ناشيا . وروحة بك . حتى لو سارت بعد ذلك عارية فى الشارع .. وقد حرره من انفه .. استطاعت ان تثقعه بأنى حاولت ان أعدى عليها . فلما قاومتى مزقت عنها الثوب ..

وانتزع المعفل .. افتتح انها امرأة شريفة . كل حرصتها انها حاولت الدماع عن شرفها .. وبدأ هو الآخر يحاربنى .. وبدأت بدفعه لنشر مسائل فى مجلس الوزراء ، ومجلس النواب ، تعلم انها مصايقنى .. مسائل الضرائب المتأخرة ، ومسائل التسعيرة .. و .. و .. و ..

ورغم كل ذلك كنت أستطيع ان أكسب خيرية من حديد .. لو كنت عاقلا لعرفت انى يحب ان أعيدها الى .. انى لا رلت فى حاجه اليها .. بل انى لا أستطيع الاستمعاء عنها .. انها قطعة منى .. قطعة من قذارى ومن أطماعى ، ومن قوتى .. ولكنى لم اكن عاقلا .

كنت قد فقدت نوازى بهائيا .. كان المحبور الذى يقهقه فى قراع صدرى . قد انصر على .. وكان هذا المحنون يريد ان يعذب خيرية ، وان يشمب فيها ، وان يشحك لانهارها .. كانى كنت أعذب نفسي بها . وأشمت فى نفسي بشماتتى منها . نعم .. انى ام اكن أسعى لعقاب خيرية وتعذيبها .. بل كنت أعاقب نفسي وأعنفها ..

وقصبت اياما طويلة امكر في خطة واسعة للغصاء على
خبره .. الامسها .. ان انلاسيها قضاء عليها .. انها لن تركع
على قدميها الا اذا افلست .. انى اعزمها حيدا .. لا شيء يحيمها
وبلها الا ان تخسر اموالها .. لو فقدت امنها او زوجها فقد
تظل واقعة على قدميها .. اما ان تفقد ثروتها النى حيمها بكل
دقائى عمرها ، وكل عصارة ذكائها ، وكل عرق حسدها ..
مسنوت .. ستنتهى !

ولن اقضى عليها وحدها .. ساقضى معها على عرفان ناشا ..
ساقضى على مستقبله ، والوث ماضيه .. واحطم آماله ..
ليس عرفان محسب .. بل كل هؤلاء الذن يمثلون قطع الطين
العفن الذى نمت به محدى ..
وبرقت الخطة فى راسى ..

وثقه المحفون فى فراع صدرى ، وفرك بديه كأنه مقل على
لعة مشرة ، اما خطة واسعة نحتاج الى صبر طويل .. وقد
بدأت انفذها وحدى .. والبطرة الخسنة الحسنة تظل من وراء
راسى .. بطرة المحفون .. ولم اشرك معى عبد العظيم فى
اعداد هذه الحطة .. ان عبد العظيم لا يزال عاقلا .. انه لم
بعد يستطيع ان يفاهم معى .. انه لا يزال بلح على لاكسب
خبرة من حديد واكسب معها عرفان ناشا ، واتقى شرهما ..

ان عبد العظيم شيطان .. والشيطان فى حاجة الى اسل
عقل ليتعامل معه .. والشياطين لا تتعامل مع المحفون ..
وانا محفون ، لا اتعامل مع الشياطين ولا الملائكة ..
واهملت كل اعمالى ما عدا هذه الخطة النى اضمها للقضاء
على خبرة ..

ثم لاحظت فجأة ان خيرية بدأت بصر أسلوبها فى حربها
لى .. اسعدت عن عبد الرحيم ناشا ، ولم تعد تشهر بى .. ولم

بعد مكثف اسرارى للناس .. اما صمتت .. وعادت الى
ليونتها المريبة .. كأنها اكتفت من الحرب ، واعلنت هزيمتها .

وكان هذا التغيير مفاجئا ، كأنها تلقت وحبا من السماء ..
ثم فجأة ..
ضربتني ..

ضربتني صربة أفقدتني حوالى خمسين الف جنيه ..
وكنت فى هذه الأيام العج في بورصة الأوراق المالية لعم
مردوحة .. كنت أبيع بعض الأسهم والسندات بكميات ضخمة حتى
ينخفض سعرها .. ويخاف المضاربون على أسهمهم وسنداتهم .
مقبلون على البيع مثلى .. ثم أعود أنا نفسى وأشتري ما بعته
مضاربا إليه ما باعه باقى المضاربين .. وبهذا أكسب مئات من
الأسهم والسندات بثمن بخس وأستطيع بها أن أحكم من قضيتى
على الشركات مصدره هذه الأسهم والسندات .. وطبعاً كنت
أبيع باسم وأشتري باسم آخر .. وكان المفروض أن تحاط
هذه اللعبة بالسريه المأه . وإن تتم فى ثلاثة أو أربعة أيام على
الأكثر قل أن تنفضح .
وبدأت العملية ..

القت بألفى سهم مرة واحدة للسهم فى البورصة : باسم
ميسار يهودى .

وانخفض السعر ، بعد نصف ساعة

وكان المفروض أن يقتل الناس على بيع أسهمهم فى نفس
الجلسة . خوفاً من أن ينخفض السعر أكثر ..
ونعلاً بدأ البعض يبيع ..

وانخفض السعر أكثر بعد نصف ساعة أخرى ..

ثم كان المفروض أن أشتري كل هذه الأسهم فى ختام جلسة
اليوم التالى ، ولكن قل ختام الجلسة الأولى بربع ساعة تقدم

سيمسار . واشترى كل الاسهم التي القيت بها . وانقى بها
الخائفون ..

وذعرت ..

وحاول اعوانى ان يعرفوا اسماء العملاء الذين اشترى
هذا السمسار لحسابهم . ولكنه اصر على الاحتفاظ بسره .. اصر
امراراً يدعو الى الريبة ..

وقصبت ليلى والمجنون يصرخ في صدرى . مطالباً بالانتقام ..
الانتقام من ؟ . لا ادرى .. ولكن هناك شخصاً يتحدثانى ..
قد يكون عبد العزيز باشا .. وقد يكون غيره ..

وفى اليوم التالي تأكدت انه ليس هو عبد العزيز ..
انه عدو آخر .. مجهول ..

وحاولت ان احارب بنضعة آلاف سهم اخرى لابقد الثلاثة
آلاف سهم التي فقدتها في اليوم السابق .. ولكنى قبل ان اعطى
اوامرى للسمسار توقفت .. لابد ان احدا قد امشى سر اللعبة ..
من هو ؟ .. لابد ان يكون شخصاً يعرفنى جيداً .. شخصاً
يعيش في اعلى .. هل يكون السمسار ؟ .. مستحيل ، ان
السمسار ليست له مصلحة في امشاء العيلة . ان مصلحته في
نجاحها ..

وباديت عبد العظيم . وفاحانه قاتلاً :

— منكر مين ؟

ولم يهتز عبد العظيم . وقال في هدوء :

— امكر مين ايه ؟

قلت :

— عليه امارح امكشفت ؟ من الى كشمها ؟

قال وهو لا يرال محببلاً يهدونه :

— دى عليه تحقيق ..

قلت وانا اكاد انهمه معنى :

— طلب انفضل اعمل تحقيق . ووريني شطارتك !

وخرج دون أن ينظر الى ..

وأصدرت أوامري الى السمسار بالوقوف عن العملية ..
وحلست أحسب خسارتي .. انها تصل الى حوالى خمسين ألف
حبيه .. وهذا المبلغ ليس ثمن الأسهم التى بعثها .. اما لا نحسب
خسارتنا بالبتود التى تخرج من جيوبنا فعلا ، بل نحسبها بقيمة
الحمية كلها .. اى بقيمة رأسمالى مصانا اليه قيمة الأرباح التى
كانت منظره ..

وبعد اعلاق النورصة ساعة واحدة ، دق جرس الشهور
في مكسى .. واذا بصوت حصرية يبعث ناعها ساخرا يقطر سها :
.. مشكركه قوى يا باشا على الهدية مناعة امبارح .. الفين
سهم انها سقطوا سكر .. مرمى قوى .. اوريموار !

ثم انفتت بسماعة التليمون في وجه

انها خيرية التى اشترت ..

ولكنها لا يستطيع أن يشرى وحدها .. لابد أن معها شريكا
أطلعها على سر العملية ومولها ..

من يكون هذا الشريك ؟

ومكرت طويلا .. ودمى بغلى . وأعصانى تنبثق ..

وأخذت استعرض صور الناس المحيطين بى .. صور
السماسة ، ومديرى شركائى ، وأعضاء مجالس الإدارة .. وكلمة
تفرت أمامى صورة ، استمدتها .. ان الذى ينجذائى وبذيع
امرارى يجب أن يكون انسانا شره اقوى من شرى .. انسانا
شجع مئى ، مدأ يبعثر فى .. اتنى لا أرضى أن أنهم أحد هؤلاء
السماسة او هؤلاء المديرين ، أنهم أخقر من الانهم .

افن من يكون ؟

لابد أن يكون شخصا يعلم سر العملية ..

ثم لابد أن يكون على علم بأسلوسى فى عمليات النورصة ..

ثم لابد ان يكون صديقاً لحيرية صداقة وطيدة تجعله يطمئن الى انواطكم معها ..

هل يكون عبد العظيم ؟
نعم ..

لا يمكن ان يكون الا عبد العظيم .. هو وحده من بين من حولي الذي يستطيع ان يتحدثني في قذارتي .. لقد شرب معي الطين حرة حرة ، وتلوثت دمائي ودماؤه بسم واحد .. وهو منذ ان اعصيت خيرية وهو غاضب علي ، كأنه أحس بأنه سيكون الفريسة التالية لخنومي .. بل انه بدأ يتمرد علي قبل ذلك ، ومنذ ان اكتشف نزوتي في الانتقام من محمد افندي السيد بعد ان مات .. الانتقام من عائلته .. منذ هذه الايام وهو يتحدثني .. لم يعد طيعاً كما كان .. لم يعد يحتفل صفعاي وشلايتي .. لقد أحس اني لم اعد مأمون الجانب ، غداً بعد نفسه للاستقلال عني ، والعمل لحسابه الخاص .. وربما شيء آخر ..

ربما اراد ان يحطني علي رأسي حتى أفيق من خنومي .. لعله بعد ان ينس من ان يحبس من تصرفاتي المجنونة ، اراد ان يوقعني في خسارة حتى انتبه الى نفسي والى تصرفاتي .. ربما ..

ولكنه قطعاً عبد العظيم ..

ادس .. فقد تضامن عبد العظيم وحيريه صدى .. وهو تضامن خطير ، أخطر من تضامن خيرة مع عبد العرير ناشاً .. ان عبد العظيم يعرف كل أسراري .. كلها .. ويمسك بعقليتي واسلوبي في العمل .. انه يستطيع .. من طول ما عاش معي .. ان يقرأ أفكارى وينطق بلساني .. والمرق الوحيد بيني وبعده هو فرق في الشخصية .. هذا الاطار الذي يحيط بالمرء ويحدد قيمته في أعين الناس ويسمى الشخصية .. وهناك شخصيات

تستطيع أن تندمج وتتشق طريقها حتى تصل إلى الصف الأول ..
إلى رعاة ، أو إلى محد .. كشخصين .. وهناك شخصيات
لا تستطيع أن تتعدى الصف الثاني أبدا . منها كانت تبه ذكاء
صاحبها أو عقريه . أو شجاعته . ومنها حاول صاحبها ودعم
في سبيل محاوله .. انها شخصيات تحتاج لمن يكمل نقصها ..
شخصيات لا تهتم بمواجهة الناس وحدها . ولا تكفى للراء
مقدم في الصف الأول .. وهذه هي شخصية عبد العظيم .

ولم أكن أستطيع أن أواجه عبد العظيم بانهاى له ، فلمس
عندى ذلك ضده .. وانهاه يسكون بمثابة أصالة النوحش دهرج
دون قتله .. والنوحش المحروح أشد حظرا .. انها كان يحب
أن أعد له ضربة قاتلة .. تقتله هو وخبرة معا ..

وبدأت أفكر في حيلة جديدة .. حيله أوسع وأقوى من الحيلة
التي كنت أفكر فيها للقضاء على حيرة وأعوانها .. وبدأت
أحرس من كل من حولي .. حتى سكرينيري الحاصر لم أعد
أطمئن له .. أنهم كلهم مرعوسون لعبد العظيم ، وكانهم ينصعون
لعبد العظيم .. لقد منحت عبد العظيم سلطات واسعة في مكسي
حتى أصبحت أنا مقفى سجين هذا المفود .. وأصبحت كل الأداة
التي أعمل بها خاضعة له .. أذاش لا أمكيا إلا بيده . وهذا جعلنا
كثير وقعت فيه . ولم أحسب حساب اليوم الذي يمكن أن يسرد
فيه عبد العظيم ..

وبدأت أرى تصرفات عبد العظيم جنائي . بعين جديدة ..
عين المسخط .. كل حركة منه بدأت أمسرها تفسرا عدائيا ..
نظرائه .. لفات وجهه .. انه يعتمد أن يحصر مقابلته مع كل
صباح .. انه لا يلفى كل شيء . لعنه يحفى عنى أشياء كثيرة
وخطيرة .. انه لا يلهف على قضاء الليل معي كما كانت عادته
.. انه يتصل بمديري الشركات من وراء ظهري .. و .. و ..
وبدأت العلاقة بينا تتخذ شكلا رسميا بمرأ .. علائقه

رئيسي مبرعوسه .. وبدأ العداء بيننا يتكشف ، ولكن شخصيته
الصعيفة أمامي كانت تجبره على أن يخفي هذا العداء تحت
مظهر ذليل خانع كريمة ..

ولم بعد عند العظيم يذكر خبريه أمامي أو يثير موضوعها ،
رغم أني كنت أعلم أنه يقابلها .. ويتمدد أن يقابلها سرا .

ولم بعد يثير موضوعك وموضوع أمك .. لم يحدث إلا مرة
واحدة أن سألني وهو يحكي عداءه وراء دله :

— المبلغ ستاع ست تميدو نطليه رى ما هو الشهر ده ؟

وقلت وأنا أطل عليه بعيدين ملؤهما الاحتقار :

— تفكر إيه ؟

قال :

— أني تشوفه سمادتك ..

قلت وأنا لا أزال أحتقره :

— سمادتي عزيز يسمع رأيك ؟

قال في نفاق ذليل :

— والله أنا شافو بطل المطع رى ما هو .. رماتهم حدوا

عنى العيشة اللي هم عايشين فيها ..

قلت في هدوء :

— ولما ده رأيك . بتسألني إيه ؟ .. إيه اللي أثار الموضوع

ده دلوقت ؟

قال وكأنه يردد طعنتي :

— أنا كل شهر بأسأل سمادتك السؤال ده ، قبل ما نصرف لهم

حاجة ..

ومعلا كان عند العظيم يسألني هذا السؤال كل شهر ، ولكن

كراهي له جعلني أشك في سؤاله ..

إيه لا يخطيء ..

أنه لا يترك لي مكانا لثغرة أظفنه .

وكان هذا يفيظنى منه أكثر ..

وفى هذه الأثناء جاء حالك من الاسكندرية وقابل عبد العظيم
ساء على طلب أمك . ليحدثه فى موضوع الزواج .. زواجه
المزيف من أمك .. وكان عبد العظيم قد امتنع عن زياركم . ولم
أحاول أنا ان أدمعه اليكم .. حتى يئس أمك ، وبدأت تشكك
فى أمر هذا الزواج . ثم علت يأسها بخيط ضعيف من الوهم ،
فعلقت من أحياء ان يذهب لمقابلة عبد العظيم .. وما كاد يمانحه
فى الموضوع . حتى صرح فيه عبد العظيم :

— انتم صدقته ان الحوار ده صحيح ؟ ! اسم مجاني ؟ !
أتحور أهلك علشان امه ؟ .. منها إيه علشان اى راحل يحوزها
.. جمالها ولا عينها المصمين ؟ ..

وفتح عبد العظيم خراطة فى حذار مكنه . وأخرج وثيقى
إبرواح المريف ، وعاد يصرخ :

— انفصل يا سيدى . وأدى ورقة الحوار ..

ثم أخذ يمزق الأوراقين بيديه فى حقد وعصبه . كأنه مبرق
وجهى .. وحالك واقف أمامه كالأمه لا يستطيع ان ينطق .

وعاد عبد العظيم يقول

— اطر قهمت دلوقت .. الحوار ما كانش حوار .. ده
كان بكه .. كان الباشا أيامها معه يصحك .. والمادون اتلى
شمسه حضرك ماكانش مادون .. كان ممثل .. ولو كنتم عاطلين
كنتم مهمتم كده من الأول .. كنتم مهمم ان عبد العظيم ما يحوزش
واحدة زى تعيده ..

وأخى حالك رأسه . : هم ان بمصرف .. ولكن عبد العظيم
استوقفه ثم جلس وشد بعضا عينا من الهواء . كأنه يعطى
لهيب حقد الذى انفلت منه رغم أنفه . ثم قال فى هدوء .

— الكلام اللى سمعته ده مش عايرك بقوله لحد ..
لا لأخك .. ولا للبشا ..

وقال خالك وهو يقاوم ظله :

— ازای یا بیه .. لازم اقول لها .. ده حرام عليك .. دى
مست غلبته .

قال :

— لو قذت لها حائلاقى النباة وراك .. انت هارف كويس ،
انى اقدر اوديك فى داهيه ..

وانتمص خالك وقال وكلمته ترتمش :

— ودينى فى داهية .. الداهية اللى حاره حمارم من اللى
يلشوفه منكم .. انتم .. انتم ..

وانتم عبد العظيم وعاد يقول

— هدى نفسك بس .. انا أصلى كنت عصى المهردة ..
انما ما بحش سيره ، والدور الجاى لما تيجى حاطط قدماك
ورقه ماتبه .. ورقه تساوى اربعة آلاف حيه .. وما تنسلش انك
محتاج لوظيفتك .. والدور عليك علشان تترقى :
وهذا خالك .. لقد تهدم حتى لم يعد يستطيع ان يحتمل
كرامته ، وقال :

— ده حرام .. حرام يا بيه ..

وانتمعت ابشامة عبد العظيم ، وقال :

— خلاص اتفقنا با اسماعيل افندى ، وبان الله حاعوضك
خير .. صدقتى .. وأول ما حاترحع اسكندرية حتلاقى الترقية
مستنيك ..

وخرج خالك ، ولم يبلغ أمك بما سمع او راي ..
سكت حتى عن هذا ..

ولم اسمع انا بهذا الحديث الا بعد فترة طويلة .. بعد ان
تكاوت قصصكها تنهى .. ولو كنت سمعت بها فى حينها لما فعلت
شيئا .. لما همنى .. لم يعد يهمنى منكم شيء .. لا انت ،

ولا أمك ، ولا خالك .. لقد مسكت الشيء الذى كان يتحرك فى
صدرى ويربطنى بكم .. مسكت .. مات .. وترك مكانه قراءا
يتمته فيه محنون ..

واخذت أعمل فى تعبيد خطى .. وكنت ذكيا فى غاية الذكاء
.. ولكنى لم أكن عاقلا .. لو كنت عاقلا لما فكرت فى هذه
الخطئة اطلاقا ، بل فكرت فى القضاء على خيرية وعند العظيم وثقة
أملحى التى أعمل بها ، لقد كنت مجنونا .. وكان ذكائى ذكاء
المجانين ..

وقررت أن أسامر الى الخارج لسفد الخطه من هناك ..
كنت أستطيع أن أنفذها وأنا فى مكسى فى القاهرة .. ونكسى —
كما قلت — لم أعد أطمئن الى أحد فى مكسى ..

وفى جنيف استطعت أن أتعق مع أحد كبار المالبين هناك ..
أن الفرق بين كبار المالبين والنصابين فرق ضئيل جدا . ككفرى
بين اليد اليمنى واليد اليسرى .. كلاهما يد . ولكن احدهما فى
اليمنى والأخرى فى اليسار .. كبار المالبين فى اليمنى وفى حمى
القانون . والنصابون فى اليسار وضد القانون ..

وكانت الخطئة التى عرضتها على المالى الكبر خطة نصب ..
خطئة انشاء شركة عالمية وهيبه لانامة مصنع للسيارات
والثلاجات وآلات الراديو فى مصر تعطى سوق الشرق الأوسط
كله .

واى مالى كبير لا يتردد فى انشاء أى شركة وهيبه ما دامت
ليست فى بلده ، ولا فى البلاد التى يحيط بها برؤوس أمواله ..
أن النصب على الدول الصغرى — كمصر — يصير شطارة مالىه
فى قاموس المالبين الكبار .. وإذا كان هذا المالى الكبر يهوديا .
فإن العملية فى هذه الحالة تصبح بالمسبة له عملا وطنيا فى خدمة
إسرائيل ..

وكان على أن اتخذ كل الاحتياطات لتبدو هذه الشركة صحيحة ،
فإن عند العظم ليس فريسة سهلة .. أنه تربيتى ، وهو يعلم
في الشئون المالية وشئون النصب قدر ما أعلم ..

وذلك بدأت في تأسيس الشركة في جنيف .. دون أن يبدو
فيها اسمى .. وأصدرنا أسهمها ، واشترت ثلاثين في المائة من
هذه الأسهم بأسماء مختلفة .. أنا اشترت من نفسي ، ومن
أموالي المهرية الى الخارج .. أن خمسين في المائة من أموالى
مهرية في الخارج .. انى أستطيع أن أترك مصر في أى لحظة
وأعيش في أى بلد في العالم عيشة أصحاب الملايين .

وطبعا لم تعلق هذه الشركة في الخارج ، حتى لا يقدم احد
لمساهمة فيها ثم يقع تحت طائلة القانون بعد أن تكشف لعينا ..
أما أعلت عنها في مصر .. اعلانات صغيره .. مجرد احار ..
حتى تبدو شركة محترمة ليست في حاجة الى دعاية ..

ووصل مندوب الى القاهرة ، وأنا لا أزال في جنيف .. وصل
بحمل تعليمات مفصلة دقيقه عن الصحايا الذين وكل بافتراسهم ..
واتصل المندوب برجال البنوك في القاهرة .. ثم اختار احد
كبار المحامين كمستشار له .. وبدأ يتصل بدوائر الاعمال ، ويسهر
في نادى السمرات .. وبدأت الصحف تتحدث عنه كثيرا ..
بعضها يتحدث عنه بالثمن ، وبعضها يتحدث عنه بسلامة يده ،
وبلا ثمن .. خدمة للقراء .. هذا النوع من الصحف الذى يهب
صفحاته لبعض الناس لمجرد أنهم أغنياء !

وعرف الرجل خيرية ..

وكانت خبريه على رأس قائمة الضحايا ، فأولاهها كل ثقته ،
وكل اهتمامه ، واعتمد عليها في تقديمه الى المائتين المصريين !!
ومرحت خيرية بهذا الاهتمام .. واعتبرت نفسها قد وقعت
على صيد جديد .. ونطوعت بالدعوة للشركة ، وتأييد مطالعها ..
ومن طريق خيرية عرف الرجل عند العظيم .. ولكن عبد

العظيم لم يتهافت عليه كما نهافت خيرية .. انها أخذ الموضوع
بحرص .. وارسل الى مكتبنا في باريس يطلب معلومات دقيقة
تفصيلية عن الشركة ، وعن مموليها ، وعن البنوك التي تتعامل
معه .. و .. و ..

واجبت أنا نفسي - وأنا في حنيف - على خطاب عبد العظيم ،
دون ان يدري .. ارسلت له كل البيانات التي مطمئنه ، وكان
أكثر ما طمأن عبد العظيم ان الشركة قد أسست فعلا في حنيف ،
وان أسهمها قد عطيت .. بما قيمته عشرون مليون مارك
سويسرى ، اى حوالى مليونين من الجنيهات المصرية ..
واقنتع عبد العظيم بالشركة ..

اقنع الى حد أن مكر في أن يأخذ الصفقة كلها وحده دون أن
يشركنى فيها ..

والبح عبد العظيم على المدبوع أن يعمل على نقل مركز الشركة
الى القاهرة .. وكان بلج حتى يكون له الفرصة ليحتل مقعدا في
مجلس الادارة .. وتظاهر المدبوع بالتردد .. ثم نظاهر بأنه
على اتصال بخنيف لأحد موافقهم على اقتراح عبد العظيم ..
ثم تظاهر بأن المؤسسين يرحبون بنقل مركز الشركة الى القاهرة ،
ولكن بعد فتح باب الاكتتاب وسعطة الأسهم بواحد وخمسين في
المائة على الأقل من الأموال المصرية كما يقضى القانون المصرى ..
وفتح باب الاكتتاب .. والشركة قانونيه لا شأنه فيها ..
وغطى الاكتتاب في أيام ..

دمع عبد العظيم بصف مليون حنيه .. اى نصف ثروته
تقريبا ..

ودفعت خيرية حوالى ربع مليون حنيه .. اى كل ثروتها
بعد أن باعت كل ما بمكة من أسهم أخرى ..
ودفع عبد العزيز باشا .. ودمع حسين باشا شهاب ..
هذا القبطاسى الفارغ .. ثم دفع عرمان باشا أيضا .. و .. و ..

وهللت الدوائر المالية كلها ..

وهللت الصحف ..

وهنا رئيس الوزراء نفسه ، وأصدر تصريحاً قال فيه أن
حكومته بدأت أولى الخطوات الإيجابية نحو تصنيع مصر !
لم يداخل واحداً من كل هؤلاء العباقرة أى شك فى أن كل
الأوراق سليمة .. حتى الاتفاقات مع المصانع الأوربية التى
ستقوم بإقامة المصنع قد أعدت ، ولا لبس فيها ..
وبدأت بعد ذلك إجراءات لنقل مركز الشركة إلى القاهرة ،
وأعلنها شركة مصرية ..

وبمجرد أن تمت هذا الإجراءات على الورق ، حلت الشركة
التي أقمناها فى جنيف ، وأصبحت أنا والمالى الكبير يعيدان عن
أى مسؤولية أمام القانون السويسرى .. واسترددت ثمن الأسهم
التي اشتريتها .. وأصبحت أسهما لا تسوى ثمن الورق الذى
كنت عليه .

ثم عدت إلى مصر ..

عدت بعد أن بقيت فى أوروبا أكثر من ستة شهور ، أشرف
على تنفيذ الخطة التى لم يبد فيها اسمى !
واستدعيت عبد العظيم بمحرد وصولى وقلت له قبل أن
يهنئنى بسلامة الوصول :

— اشتريت أد ايه من أسهم الشركة الجديدة ؟

وأرتج لسانه ، وقال متلعثماً :

— والله أنا اشتريت لنفسى بس ..

وصرخت :

— لنفسك .. لنفسك أزاى .. انت بنشتغل لحسابك

ولا ايه .. أزاى ما تشتريش باسم الشركة ؟ !

قال وهو لا يزال يتلعثم :

— والله أصلى كنت مستنى سعادتك تيجى .. وبعت لك

خمس تلغرافات ما ردتنش على .. ملكائش ممكن أنصرف لوحيدى
فى مسألة زى دى .. وللأسف ان سعادتك اتأخرت ..
وادعيت الهدوء والأسى وظلت :

— زى بعضه .. اما انت اتغيرت يا عبد العظيم .. عمرك
قبل كده ما اشفقت لحسابك .. طول عمرك محطس للشركة ..
انما زى بعضه ، انا اثمر الأسهم اللى اشتريتها لحسابك كأنها
بتاعتى ..

وقال وهو يحاول أن يخفى خبثه :
— دول تحت أمرك .. وانا مستعد أبيعهم للشركة دلوقت
حالا ..
قلت :

— لا .. خليهم لك ولولاذك .. بس احب اقول لك اسهم
اسهم كويسين .. والشركة دى شركة قوية .. أنا سمعت عنها
فى كل حنة فى أوروبا ..

وخرج عبد العظيم وهو يخفى شماتته تحت ابتسامته ..
وبدأت بعد ذلك عملية تهريب الأموال لحساب المندوب ..
ونم تنمى ستة أشهر أخرى حتى كانت كل أموال الشركة
الجديدة قد هربت فى صورة تحويلات على البنوك الأجنبية بأسماء
عملاء وهميين فى الخارج .. ومجلس الإدارة يجمع وينفض
ويقر تحويل هذه الأموال ، دون أن يفهم شيئا .. والمندوب
اليهودى يتلاعب برعوسهم ، ويريكهم بمجموعة أرقام وأسماء
واصطلاحات ، فلا يملكون الا الموافقة حتى لا ينفذ غاؤهم ..
ونجاة اختفى المندوب من مصر ..
واختفت معه كل أموال الشركة ..
وقامت ضجة ..

ضجة اطاحت بالوزارة .. فسقطت .. وثناقلتها صحف
العالم ، واضحكت قراءها على أغبياء مصر ..

وأعلن المالى السويسرى انه لم يسمع بهذه الشركة ولم
 يشترك فيها وأن التوكيل الذى يحمله المدوب موقعا باسمه .
 كان توكيلا مزورا .. وفعلًا كان مزورا ..
 وحاولت خيرية الانتحار ، وانقذتها ابتها شويشت ..
 واكثر عند العظيم .. صفر .. وصفر .. حتى أصبح
 يدخل مكتبى متحميا كأنه يسعى لتقبيل حذائى ..
 ودارى حسنين باشا شهاب وعبد العزيز باشا قضيتهما ،
 وحاولا أن يدعيا اللامبالاة . ثم اخذا يتحدثان عن مصدر لابتزار
 الأموال يعوضان به خسارتهما ..
 واستعد عرفان باشا عن الحو السياسى ، وامنع مكنا
 منواضعا للمحامية ..
 وأطلق خليل بك الرصاص على نفسه .. ومات ..
 وتهته المجنون فى صدرى ..
 قهقهة فى صوت مدو .. فظنعت .. كصراخ آلاف من النساء
 اجتمعوا ليستمعوا آلاما من الرجال بعدد الجنبات التى هربت
 من مصر ..

وخصت الضجة النى انارها مصيحة الشركة العالمية الوهمية .. وبدا الضحايا يلحقون جراحهم ، ويبحثون عن اى باب يطرقونه ليموضوا خسائرهم .. ثم تنبهوا فجأة الى انى الوحيد الذى لم اتع فى الخدعة الكبرى .. انا الوحيد الذى لم تصبني جراح .. فالتفوا بعيونهم حولي .. عيون الشك ، والحقد ، والكراهية ، والاثام .. وانا اثرب من هذه العيون ليرتوى المجنون الذى يقهقه فى صدرى .. يرتوى من حقدهم ، وكراهيتهم ، ومن الدماء التى تنزف من جراحهم ..

وقلت لعدد العظيم صبيحة يوم اعلان الفضيحة :

— انا آسف يا عبد العظيم .. ما كانش حد ممكن معتقد ان شركة زى دى بطلع شركة نصابين ..

ورمى الى عبد العظيم وجهه .. وكان اصفر فى لون الموت ، وقد نهضت ملاحه وتساقط بعضها على بعض حتى بدا ككتلة مجمدة من الدموع الصفراء .. ثم رمى الى عينيه .. عينين مؤهبا تلك يحاول عشا ان يخفيه ، وقال فى صوت ضعيف :

— الحمد لله ان مساعتك وصلت بعيد عن المصيبة دى ..

قلت وانا أحاول ان ادارى شئائى :

— مسألة حظ .. مجرد حظ ..

قال ، وقد طاب بعبيه ريق عابر يمصح حقه :

— فعلا .. سعادتك طول عمرك محظوظ ..
قلت :

— وانت كنت محظوظ معايا يا عبد العظيم ، ويوم ما اشتعلت
لوحذك سابك الحظ .. بعد كده ما تشتغلش لوحذك أبدا .. آدى
انت شفت اللي ميجراك من قيرى .
وسكت طويلا ثم قال وهو ينهد كأنه يلعب آخر أنفاسه :
— نك حق يا باشا ..

وهم أن يقوم من مقعده ، ثم عاد وجلس قائلا :
— سعادتك مش كنت قلت أنك سمعت عن الشركة دى فى
أوربا .. سمعت عنها إيه ؟
قلت وأنا أواجهه بمعنى كاسى أعرف الشك الذى يراوده .
ولا أخافه :

— سمعت انها شركة جامدة .. كان فيها اسماء جامدة .
ورعوس اموال جامدة .. أنا عمري ما شفت عملية سحب اتميلت
بالشكل ده ، وبالذقة دى ..
وعاد عبد العظيم ينهد ، ثم قال وهو يقوم من مقعده :
— انما مرضه أنا كنت مخفل ..
قلت وأنا اتسم له :
— بكره ننعوش يا عبد العظيم ..
قال فى اسى :

— العمر كله ما نقاش بكى للنعوش ..
وخرج وهو يترك وراءه ربحا ثغيلة من الاتهام .. انهامى ..
وكان لدى عبد العظيم أكثر من دليل يؤكد له هذا الاتهام ..
أقربها اسى لم أرسل له برقية وأنا فى أوربا أمره بأن يشتري لى
أسهما فى هذه الشركة ، ما دمت قد سمعت عنها وآمنت
بسلامتها .. ولكن كل هذه الأدلة ليست قاطعة للاثبات .. أن
عبد العظيم لا يستطيع أن يعطيها ، ولا أن يواجهنى بها ..

وقد انخرفت علاقتى بعبد العظيم بعد ذلك انحرانا حادا ..
لقد أصبح دليلا كالكلب ، ولكنى لم أعد أعتمد عليه .. لقد
أحسست بأنى تحررت منه .. أحسست بأنى أستطيع أن أعيش
دون حاجة اليه .. أحسست أن فى داخلى شيطانا أكثر من
شيطانه ..

ثم انى لم أعد آمن له بعد أن طعنه فى جنبه هذه الطعنة
الحادة .. انه لابد يفكر فى الانتقام منى ، وادا لم يحاول أن يبتقم
منى ، فسيحاول — على الأقل — أن يعوض خسارته على
حسابى ..

وبدأت اقرب الى شخصا آخر .. مدير مكتنى .. انه رجل
منصر .. ولد فى لبنان ، وعاش فى مصر ، وحمل الجنسية
الفرنسية ، وكانت له نفس عقلية عبد العظيم ، ولكنه كان أقل منه
حراة ووقاحة .. كان عقربا حنانا يلدغ لدغته بعد تردد كبير ..

ولم يعترض عبد العظيم وهو يرى مدير مكتنى يحتل مكانه
منى .. لقد عاد خسيسا كما بدأ حياته .. كل ما يهيمه أن يجمع
من الأموال ما يغطي خسارته .. وكان ندينا فى جمع هذه الأموال
.. أصبح يأخذ رشوة من كل موظف يعين فى إحدى الشركات ،
نظير تعيينه .. وأخذ يتقاسم مع رؤساء العمال ما يقتطعونه من
الأحور لأنفسهم .. وأخذ يبالغ فى العمولة التى يطالب بها لنفسه
على مشتريات الشركة .. تماما ، كما كان يفعل فى بدء حياته
عندما كان يشتغل معى فى مقاولات الحبش البريطانى ..

وقد سكنت عليه .. لم أحاول أن اتفه عند حده ، أو أحاسسه
على ما يتره من أموال .. انه مهما تمادى منن بعوض خسارته ..
انه بحاج الى ثلاثين سنة أخرى لمعوض خسارته بهذه الطريقة
الرخصة الحسبة .. ولو كان عبد العظيم رجل أعمال كامل
الشخصية لحاول أن يحازف فى البورصة بما بقى من ثروته لمعوض
ما ضاع منها .. ولكنه لم يفعل .. انه أكثر حننا من أن يفعل

ذلك .. ان شخصيته لا تحمل مثل هذه المجازة .. وكانت أصبره
الى صربها له قد أفقدته ثقته بنفسه .. ضربة أقتعه بأنه
لا يستطيع ان يكون شيئاً الا ذيل الى ..

وكان عند العظيم — بعد هذه الصدمة — لا يرال يتردد
مرا على خيره .. ولكن كلاهما عرف أنه لم يعد يسمع الآخر ..
أنها لم يسمعه لأنه لم يعد يقدم على عمليات كثيرة تحتاج الى
الاتصال بالشخصيات الكبيرة .. وهو لن يتمتع لأنه لا يستطيع
ان يدمع ثمنها .. انه بن .. بخيل .. مجروح الشخصية ..

وحاولت خيرية ان تكسني من جديد ، بعد ان اتاقت من
الصدمة ، ودق جرس التليفون في مكنتي ، وسمعت صوتها ناعب
وقد شخصه بكل رقتها الملاء ، وقالت في دلال :

— حسين .. وحشنتي يا حايين ..

قلت في شمانة :

— ازيك يا خيرية ؟ .. ازي صحتك دلوقت ؟ !

فالت :

— صحتي كويسه .. بس اعصابي .. ما تعرفش دوا

للأعصاب ؟ ..

قلت وانا أكاد أصحك :

— احسن حاجة تسافري تغيري هوا ..

غالب وهي تهبط في كلماتها :

— انا ماقدرش أسافر الا لما تصالحنى !

قلت :

— وانا عبري حاصمك ؟ .. ده انا ما استغنائش عنك

أبدا ..

قالت :

— طيب حاشوفك امي ؟

قلت :

— مشغول اليومين دول يا خيرية .. اول ما امسى حاصر
لك تليفون ..

قالت وهى تتنهد كأنها تستحير بالله :

— ما نقاش قاسى يا حسين .. حليك معقول .. كفايه
كده !

قلت والمجنون يتقلب مرحا فى صدرى :

— وحالك مشغول يا خيرية .. اسمى على اليومين دول :

ووصفت سماعة التليفون وأنا أصحك .. انى قاس فعلا ،
وأنا سعيد بقسوتى !

ولم أنصل بها بعد ذلك .. ولم أدعها الى بيى .. اسي
مضعها وبصقتها بقايا .. مضعها كما مضيتك ، وكما مضعت
أمك ، وكما مضعت عبد العظيم ..

وقد عرمت خيرة أنها لن يعود الى .. عرمت ابنى لن أعوضها
عن خسارها .. وبدأت سحبط فى محاولة استرجاع ثرونها ..
أبها لا نزال محبظته بمطهر الثراء .. ولا نزال محبظته بأصدقائها
.. الأصدقاء الكبار .. ولكن الصدمة كانت قد هربها .. أنلعت
أعصابها ، وأقدنتها شخصيتها هى الأخرى .. وكان حقدنا على
سعيها عن طريقها .. كانت تحقد على حقدنا أسود .. كانت هى
الأخرى تنهى نأى سبب مصيبتها ، ونأى مشرك فى جريمة
الشركة العالمية الوهمية ..

ودهت الى البادى فى أحدى الليالى ، ولاحظت أن حيرة
حالسة مع روحها على غير عادتها ، ونسبها همس طويل ..
والرجل لا يبدو سعيدا .. يبدو عصيا يتلجلج فى حليسته ، ويقرص
شاربه بأصبعه .. ووجهه محتقن .. ثم فحاة قام من مقعده ،
وسار بحفا الى فى خطوات غاصبة ، وعيناه مقتديان كأنه مقل
على ارتكاب جريمة ..

وبسرعة قدرت الموقف .. ان حيرة قد ملأت صدر هذا :

الرجل الأبله سحار حقدتها على .. ربما قالت له انى حاولت أن أعزلها ، وأنه يحب أن يؤذنى .. وشريف بك لا يمانع في أن أعزل روحته ، ولكن بشرط رضاها .. وبشرط ألا أزعه معارلتى لها .. أما أن تشكو له زوجته من معارلتى ، وتعكر عليه صمو سعادته بشكواها ، مائى ولا شك استحق النأديب .. وربما قالت له حرية أى شيء آخر .. ولكن يبدو أنها تحاول أن تسبب فضيحة لى .. أن بضربنى زوجها في وسط البادي ، وأمام عينيها ، حتى تطفىء نارها ..

ووصل شريف بك الى مائنتى ، ووقف فوق راسى وشاربى الذى فى لون الفضة يهتز ، ويشق وجهه الأحمر كأنه خنجر يعلفه بين أسنانه ، وصاح فى غضب ، وفى صوت يكاد يصل الى الشارع :
— اسمع يا باشا .. أنا ما اسمحش أن ..
وقاطعته فى هدوء :

— مالك رعلان كده .. علشان ما آتغلت فى البلياردو النهارده الصبح ؟

وسكب الرجل ، وعلقت عيناه بشفتى ، ثم قال وقد هدأ صوته قليلا :

— بقول ايه ؟

قلت وأنا لا أزال محتفظا بهدوئى :

— بقول أنك اتعلت فى البلياردو .. غلبك الأمير محسن ..

وإله لسه عنده عشرين سنة ، بغلب بطل كبير زيك ؟ ..

قال وقد بدا يقضب من حديد :

— محسن ما غلبنش .. احنا طلعلنا كيت .. اسأل كل

واحد !

قلت :

— هو بيقول أنه غلبك ..

قال كأنه طعل عنيد بهم بالمكاء :

— ما علميش .. ما علميش .. مثنى مثنى نغلىنى ..

قلت :

— على كل حال أنا اتعقت معاه أنا بعمل مداراة الجميعه الحيه .. وحافدم كاس ليطل النادي .. انما لسه مثنى عارف التفاصيل .. تفكر بطيها مداراة عامة .. ولا فى التلسارديو الانجليزى بس ؟

قال :

— أنا ناشوف أولا ان ..

وقاطعته :

— اتعديا شريفه بك .. افضل .. احنا عابرين بعملها مداراة حمدة قوى .

وحلوس بجائسى شريف ، واحذنا نتحدث عن تفاصيل مباراه التلياردو .. وهذا الرجل .. وعادت الى وجهه ملامح السعادة ..

ولمحت بطرف عينى خيرية ، وهى تقوم غاصسه ، وتخرج من النادي وهى بكاد تغلب الموائد فى طريقه ..

وتنه شريف بك بعد مرة الى أن زوجه قد حرجت ، ويذكر أنه كان ثائرا على ، وأنه كان قد قرر بينه وبين نفسه أن يعتدى على .. أن يصرمى .. فعاد وجهه يتجه من حديد .. وسكت عن حديث التلياردو مرة واحدة .. ولكنه لم يستطع أن يستبعد حماسه للاعتداء على ، فقام فحاة ، وهو سول .

— بعدين .. بعدين .. مونسوار ..

وفضى أعضاء النادي ثيلتهم يشندون على حربة وروحها .. الغبور !

وكان انهامى باننى مشترك فى حربه الشركة الوهميه قد انتشر فى كل الأوساط المالية .. ولكن أحدا لم يستطع أن يشت انهامه .. ان الدليل الوحيد القاطع هو أبى لم اشتتر أسهم هذه الشركة .

ولم أخسر مالى فيها كما خسروا .. وهو دليل لا يكفى .. انه ليس دليلا اطلاقا .. ولكنهم بدؤا جميعا بحاربوننى فى الخفاء .. واشترك معهم فى حربى أعضاء مجالس ادارة شركاتى الذين أساسهم حريمى ، وعلى رأسهم حسين باشا شهاب .. الفطاس المارع .. لم يستقبلوا من مجالس الادارة .. لقد أصبحوا أوح مما كانوا الى المكافآت التى ادفعها لهم .. ولكنهم كانوا يقبضون هذه المكافآت دون أن يعملوا .. دون أن يستعملوا مودهم لمصلحتى ، بل أصبحوا يستعملون هذا النمود الكبير ضد مصالحي ..

واحتملت هذه الحرب .. احتملتها كالكلب المسعور .. أعص كل من يقترب منى .. ولم أكن أعلم أن الكلاب المسعورة يمكن أن تكون سعيدة الى هذا الحد .. لقد كنت سعيدا جدا وأنا أعص كل من حولى .. ووصلت سعادتى الى القمة عندما عززت أساسى فى لحم حسين باشا .. أن لحبه لديد .. لحم أشبهه منذ النقيت به ..

وكنيت قد أنشأت مصبعا هزيلا للمتحات الصوفية ، وكان الأمل الوحيد أمام هذا المصنع هو أن يرفع الحكومة المصرية الحمركية على الأصواف المستوردة من الخارج ، حتى يضطر الناس الى أن يشتروا بالسعر الذى افرضه عليهم .. ولم يكن اتباع هذا المصنع يكفى الناس جميعا .. ورمع المصرية الحمركية على الصوف المنورد ، مضاه أن يموت الناس من البرد ، وألا يلبسوا الأصواف .. ولكن كان هذا هو الحل الوحيد اذا أردت لهذا المصنع أن يكسب ، بل أن يعيش ..

وكان المروض أن يستغل حسين باشا نفوذه لدى الحكومة لترفع هذه المصرية الحمركية الى ثلاثة أضعافها بحجة حماية الصناعة الوطنية .. ولكنه لم يستغل نفوذه .. بل انه كان يحارب المشروع فى الحماء .. وكلما اجتمع مجلس الادارة وعد بأن

يعيد الكرة ، وأخذ يتهم الحكومة بالكاسل وانعريط في حماية
المصانع الوطنية ..

وفاجأت مجلس الإدارة يوما بقرار حل الشركة ..
وفتوا ..

ولكنى أكدت لهم أن الشركة سيماد تكوينها بعد تسوية
الحسابات التي لحقتها نتيجة عدم حماية منقحاتنا ..

وخرج حسنين باشا ، وقد عرف أنى ضربته ..

واعدت تكوين الشركة دون أن يكون بين أعضائها سعادته ..

طرده .. طرده من جميع شركائى .. والتفت به فى الشارع ..

وتركته يبدأ حريا هريجة ضدى ، ويقف فى صف واحد بجانب
خيرية ، ومحانب عبد العظيم .. بجانب الذى مصقتهم وبصقتهم
بقايا

وكنت فى غمار هذا الجنون قد سددت أننى عن أصوات

تنبث من الشارع .. أصوات كالزئير تلو رعوس ناس لا أعرفهم

.. ناس قراء .. ناس يقربون وفى أيديهم هراوات ليطاروا

بها الكلب المسعور ..

كان من عادة سكرميرى الحاص أن يجمع لى تصاصات
الصحف التى يكتب فيها على أو عن احدى شركائى أو عن واحد
من حصومى ، ويرتبها فى دوسيه يصعه على مكتبى ، لأراه أوف
شىء فى الصباح ..

ونحن - رجال الأعمال - نهتم كثيرا بما ينشر عنا فى
الصحف .. كل الصحف .. حتى الصحف الاقلبية الصغيرة التى
لا يشعر بها قراء القاهرة .. وليس معنى ذلك أننا نؤمن بقوة
الصحافة ، أو بأنها السلطة الرابعة كما يقولون .. لا .. أننا
اعلم الناس بالصحف وكيفية ادارتها والموارد المالية التى تعتمد
عليها .. ولدى كل منا قائمة بأسعار الصحف واصحابها ورؤساء
تحريرها ومدونىها .. ان كلا منهم له ثمن فى بورصة سرية
يرمى ويحتمس حسب خطورة المعلومات التى تحصل عليها
المحفظة ، وحسب قيمتها فى السوق .

ولكننا - رغم ذلك - نهتم بقراءة ما ينشر فى الصحف .
لنحسب السار الذى يخفى وراء السطور .. أننا لا نقرا
الاحبار والمقالات كما بقروها بقية الناس ، أننا نقرؤها بعقل
واع وافق يتسع لبحل كل كلمة ، ويبحث عن معانيها الحبية ،
وعن مصدرها والموحى بها .. أننا نعتبر كل صحيفة مكتب
تحسس يعمل لحسابنا .. ماذا نشرت هجوما أو اخارا تمسنا

كشمت بذلك عن اتجاهات تكبير اعدائنا ، أو كسحت عن موضع
يقص في أعمالنا نسرع الى تلافيه .. واذا نشرت مدحا مبنا استغفنا
أيضا .. مان احدا لا يمكن أن يمتدحنا الا كال وراءه غرض يسمى
الى تحقيقه ..

وبدأت في قراءة القصصات ..

ومحاة مقطعت عساي على مثال كبير بعنوانين حمراء :
« أسرار في الصحراء .. شركة مصرية تمس دماء العمال .. »
هل تعرف الحكومة أن في مصر بلدا يسمى القصير .. وبعد
ذلك مقال كائنار عن شركة مناحم القصير .. كلمات كالكساكين
تفهد في وجهي ..

وتحبلت الكلمات .. ولكن ما لم انجمله هو الأرقام .. ان
المقال مزود بأرقام .. دقيقة صادقة مفروض أنها أرقام سرية ..
أرقام تفصح الشركة وتكد تقصى عليها .. ونحن لا نخاف الناس
الذي يتكلمون ، ولكننا نحف الناس الذين يحسبون بالأرقام ..
واكثر من ذلك ..

ان كاتب المقال يكشف عن المالك الحقيقي للشركة .. انه
انا .. وهو يسميني باسمي ..

— من هو كاتب المقال ؟

انه عادل .. والمقال يحبل توقعه ! واستدعيت عبد العظيم
وصرخت في وجهه ، وقد بدا المحنون يزمر في صدري :

— الواد الى اسمه عادل ده ، لسه موظف في شركة القصير ؟

وأجاب عبد العظيم ومطهره قد أحماه الدل :

— لا يا اعدم .. استقال .. خرج من المستشفى وقدم

استقاله ، وطلب تسوية مكافأته !

قلت وأنا لا زلت أصرخ :

— وما قتلش ليه ؟

قال ونظرائه تقطر سما :

— سعادتك ما سألنيش .. من مدة وسعادتك لا تفنده
لى ولا بتسألنى عن حاحه ..

ونظرت اليه كأنى أغمد عينى فى قلبه ، وقلت فى غيظ :
— وحضرتك ادينه مكافأة أد ايه ؟

قال وهو يتسهم اتسامة صعرة يتملقنى بها :
— ولا طليم .. وده يستحق حاحه بعد اللي عمله !
قلت فى حدة %

— طيب اتصل من غير مطرود !
وخرج الرجل الدليل ..

وناديت منير مكبى ، وطلبت منه أن يتصل بالحريدة التى
نشرت المقال ويدفع ثمن سكوتها ..

الحريدة أسمها « الشعب الحر » .. وهى حريدة تتاجر
بالمضائح ، والكلمات الفخمة .. والشعارات الشعبية ..
ورغم ذلك مسعرها فى النورصة السرية رخيص .. أن أصحابها
من الدباء والجهل محبث لا يستطيعون أن يرفعوا سعرهم ..
أن رفع السعر يحتاج الى ذكاء والى حد معين من العصف ، حتى
فى النورصة السرية ..

وقنصت الحريدة الثمن .. وسكتت !

ومصت أيام ثم جاء مندوبها يحمل مقالا آخر معدا للنشر
كأنه عادل أيب .. ومشحون أيضا بالأرقام .. وطلب ثمنها
جديدا والا اضطر الى نشر المقال .. ودمعت الثمن مرة أخرى ..
أنه ثمن قاعه لا يسحق المحاذله .. ولكن المندوب طلب شيئا
آخر .. قال أنه فى حاجة الى أن سرر امتناعه عن النشر أمام عادل
وأمام القراء .. ولذلك فهو يرجو أن تقدمه الى المحاكمة فى حنحة
مباشرة ، حتى يتحد من تقديمه الى المحاكمة عذرا كافيا يبرر به
امتناعه عن النشر ..

لا تدهشى .. فهذا ما كان يحدث فى تلك الأيام !

ورغمنا على الحريدة مصبه ، وانا اضحك .. ولم احول أن
أثير هذه القصية جديا .. انما تركتها لتؤجل .. وتؤجل .. حتى
مانت .. ان التضاييا الصحفية ، حتى لو كسناها نسيء الى
موقعنا وتمتع في وحوها ثغرات نحرص على أن نظل معلقة ..
ولكن عادل لم ييأس ..

لقد ذهب مقالاه الى حريدة أخرى .. محطة صغيرة لم أكن
قد تعاملت معها من قبل ، لأنها لم تتعرض لى من قبل .. وعندما
بحثت عن اسمها في البورصة السرية ، لم أجد لها اسما .. وعندما
حاولت أن أدمج لها الثمن لم أجد لها ثمنا .. انها محطة غنية
قنوع .. لا تقامر في البورصة السرية !

وبومها اكشمت أن هذه البورصة التي يعتمد عليها في حاجة
الى تعديل الأسماء التي تضفيها .. وأن مصر قد ازدحمت في
غفلة منى بكثير من هذه المجلات الغنية بالقنوع التي لا تعرف
طريقها الى بورصتنا السرية ..

ومضت السكوت ..

ان عادل سيقول كل ما عنده في مقال أو اثنين ثم ينتهي ..
لن يحد شيئا آخر يقوله .. ثم ينسأه القراء ..
ولكن عادل لم ينته ..

انه يكتب كل أسبوع .. وفي كل أسبوع يحد أرقاماً صادقة
أرقاماً كالكسكاكين يغمدوها في وجهى ..
من اين يأتى بهذه الأرقام ؟

لقد عرف الأرقام الخاصة بشركة القصر ، لأنه كان موطعا
بها .. ولكنه بدأ ينشر أرقاماً عن شركائى الأخرى .. أرقاماً
سرية لا يمكن أن يزوده بها اصدقاءه العمال .. لاند أن الذى
روده بها ، واحد قريب منى .. واحد يعرف أسرارى .. قد
يكون عند العظيم ، وقد يكون حسنين باشا شهاب .. وقد يكون
واحداً من أعضاء مجالس الإدارة .. هؤلاء الأفياء .. اسم

لا يعلمون أنهم عندما يصلون في محاربتى الى هذا الحد انها يقضون على وعلى أنفسهم .. يقضون على النظام الذى يتكسبون في بطاقته ويرنفعون به الى قمة البلد .. انهم لا يعلمون ان الحرب بينا يجب ان تظل دائها محصوره بيننا ، بعدة عن الناس .. بعدة عن الملايين الذين يسيرون في الشوارع .. انهم لا يعلمون ان هذه الملايين لو ادخلهاها بيننا ، او لو اسعان بها واحد منا على الآخر فسيقتضى علينا كلنا .. ان من صالح اللصين اذا اختلفا ؟ لا يستدعى أحدهما رحل البوليس والا قبض عليه هو الآخر .. ولكن هذا ما حدث ..

لقد بدأ اللصوص يستعينون برحل البوليس ..
مدات الرأسمالية تقضى على نفسها بنفسها ..

وعادل لا يزال يكتب مقالاته .. ويحد في أعدائى من رجال الأعمال مصادر تروده بأسرارى .. والمجلة التى يكتب فيها يرتفع توزيعها أسوعا بعد أسوع .. والمجلات الأخرى بدأت تسير وراءه .. ثم لحقتها الصحف اليومية .. ان أصحاب الصحف اكتشفوا ان تملق الشعور الوطنى ، يرفع التوزيع ويذر عليهم ربحا أكثر مما كانوا يقبضونه بتعاملهم فى البورصة السرية .. فبدأوا يترايدون فى إثارة الشعور الوطنى .. لم تبق الا جريدة أو حريدانان وانعين معنا .. مع النظام الذى نعيش فيه .. النظام الذى يحبنا من الشعب ..
والهتس يقترب ..
هدس صاخب مخمنا ..

والحقون فى صدرى بدأ ينكمش فى خوف وحس ..
ولحات الى الحكومة .. كانت حكومة الأغلبية .. حكومة الشعب .. ان بن وزرائها أصدقاء لى .. أصدقاء أذفع لهم ، واشترىهم بمالى .. وقد لحات اليهم لامتج عونهم على المأساة

وعلی وشك أن يتعلب عليهم ..

الى تقترّب منهم .. منا جميعا .. ان الشارع يفلت من ايديهم
ولكن وزراء حكومة الاغلبية كانوا في ظلام اطماعهم وجشعهم
لا يرون ولا يسمعون .. ولا يتسعون .. ان الملك معهم ، والانجليز
معهم .. وهذا يكفيهم ليتوا في الحكم ويمعنوا في جشعهم ..
ان الشارع لم يعد له حساب عندهم ..

ورغم ذلك ، ومروضاة لى ، فقد صدر امر بمصادرة المجلة
التي يكتب فيها عادل .. وبالتبض على عادل .. وما كاد هذا
الامر يصدر حتى علا الهدير .. اتحد الشعب كله في قصة
واحدة ، سارت في الشارع تهدد ..

واخست الحكومة بالخطر ..

وانرجت عن الجريدة المصادرة ..

ولم يمكث عادل في السجن سوى أربعة أيام ، خرج بعدها
مطلا .. وقد طالت اظامره واصبحت اتوى على حبش وحوها ..
ثم حاولت الحكومة ان تشدد قبضتها على الناس .. ان
تستعيد سلطاتها على الشارع بكل الطرق ، فاعدت قانونا للصحافة
سحبها ويحمي ..

وانقسم لى صديقى الوزير قائلا :

— اطمئن يا باشا .. احنا خفرت ازاى نادبهم !

واطمأنت فعلا . ولكن اطمئنائى لم يدم سوى أيام .. ثم
ما كاد مشروع الصحافة يطن ، حتى كشفت الشارع عن اسنانه
الحادة .. واصبح الهدر في صوت الرعد .. ورغم ذلك فقد
تحدثت الحكومة الامسار التي تكاد تنهشها ، وقدمت المشروع الى
البرلمان .. قادا بأغلبية الأعضاء يتخلون عنها .. نفس الأعضاء
الذين يفتنون الى الحرب انحاكم .. أعضاء بعضهم لا يزال يؤس
بالشارع وبما يسموه حرية الصحافة ، واعضاء عجزت الحكومة
عن ان تحقق كل اطماعهم ، وسحبت الحكومة المشروع ..
وانتصر الشارع ..

ثم بدأت الحكومة تتبع سياسة ذات وجهين .. تتلقى الشارع
من ناحية ، وتتلقى الملك والانجليز وأنا ، من ناحية أخرى ..
ولكن الشارع لا يهدأ ..

من الذي يحرك الشارع ؟

لا أحد يدري .. أن في الشارع جمعيات سياسية كثيرة ،
واحزابا صغيرة ، ونقابات ، وهيئات ، وشينا اسمه « الهيئة
العليا للعمال والطلبة » وجماعات ارسابية تفتال وتطلق الرصاص
وتتذف القنابل وعادل .. وكثيرين مثل عادل .. ولكن ليس
هناك واحد بالذات أو جمعية واحدة بالذات ، تسيطر وحدها
وتستطيع أن تدعى زعامة الشارع .. أن الشارع يقوده وعى
.. وعى لا يتمثل في شخص واحد ، ولا في هيئة واحدة .. وعى
فطرى اثرته كتابات الصحف ومزايدات الوطنية والفساد الجاهل
في أداة الحكم ، وضيق الناس ومقرهم ..

ومر عامان والشارع يتمرغ في حرية لم يشهدها منذ اعلان
الحرب الثانية .. حرية لا يحدها شيء ..
وأنا هائر ..

انى أستطيع أن أتعامل مع أى نظام .. مع أية حكومة ..
انى أعرف كيف أشكل مصالحى مع الظروف التى تحيط بى ..
ولكن هذه الأيام لم يكن فى مصر نظام ولا حكومة بمعنى الكلمة ..
لم اكن أجد شخصا أطمئن الى التعامل معه ..
ثم نجاة اتجه الشارع الى القتال ..
ان الحفاة والطلبة الصغار قرروا محاربة الانجليز ..
بالسلاح !

هؤلاء الاغبياء ..

كيف يحاربون الانجليز ، وليس لهم زعيم يقودهم ، وليس لهم
حزب يصممهم ، وليست لهم خطة حربية يتنفذونها .. كيف
يحاربون الانجليز ووراءهم حاكم بطعنهم فى ظهورهم ..

أليس هناك من ينقذهم من هذه الحرب .. من هذه المذبحة ؟
أليس هناك من يشفق على هؤلاء الحماة والطلبة الصغار !
لا ..

لقد ذهب الصغار والحماة المصللون بأيانهم وفي أيديهم
سدائق كلعب الأطفال .. ذهبوا ليموتوا .. فمقط ليموتوا ..
والحكومة من ورائهم تريد تضييلا ، فتشعل من حماسهم لتتخذ
منهم أداة تهدد بها الملك حتى يبقوها في الحكم ..
وأنا ..

وأنا أترعرع من مآلى للكنايب التى تكونت لتحارب الإمبراطورية
البريطانية فى القتال .. أن الأطفال يطرقون بابى وتوقظهم
سنادق وفى جيوبهم خناجر ، ويطلقوننى بالتبرع .. فأترعرع خوفا
وجنا وأنا أعرف مصيرهم .. أئى أترعرع بثمن قنورهم .. كلهم
سيموتون .. كلهم مضللون ..

والملك أيضا يتبرع .. أنه أيضا يخاف .. وهو لن يصيره
تبرعه حتى يكسب هناكنا باسمه من هذه الشفاه الريئة المضللة
فى أيمانها .. وسيتقى تبرعه دائها وهبها .. أنه لن يدفع شيئا
.. فقط سيعلن تبرعه !

وكان لابد أن نصنع شيئا لنقف هذه المهزلة ..
أن الأطفال والحماة يموتون ..

وموتهم لا يهم أحدا .. ولكن المهم أن الانجليز يداو يعصون
.. وبنأوا يتذكرون قصة الناموسة التى قتلت فيلا .. وهم اذا
غضبوا فقدوا ثقتهم فى الملك ، وفى الحكومة ، وفى الرعوس التى
تحدد نظام الحكم فى مصر ..

كان يجب أن نعمل شيئا لنحصى أنفسنا من غضب الانجليز ..
ونعلمنا ..

حرقنا القاهرة ..

ووقفت أشاهد النسمة النار وأنا أفرك كفى كائى اندفأ بها ..

والجنون في مدري يقهته .. تهتته النصر .. النصر على الحفاة
والاطفال الصغار ..

واعلنت الحكومة الاحكام العرفية ..

وعرفت المحاربون في القتال أن النار في ظهورهم ، فكفوا
عن اطلاق النار ..

ولم يخسر أصحاب الممارات والمتاجر التي حرقت شيئا ، انما
فرحوا بحرقها .. أن مصر ستدفع لهم ثمن ممتلكاتهم مضاعفة ..
ستدفعها من دم هؤلاء الذين حاولوا طرد الانجليز من القتال .
واقبلت الحكومة ..

وجاءت حكومة أخرى ..

وساد الشارع هدوء كاذب ، ومنع التحول ، ورجال الحيش
يصرخون في وجه كل عابر : « قف .. من أنت ؟ ! »

وبدأت أعيد تنظيم أعمالى .. انى في حاجة الى صديق جديد
يستطيع أن يحمى ويحمى مصالحى .. لم تعد الاحزاب كلها
تنفعنى بعد أن فقدت سيطرتها على الحكم .. لم يعد زعيم
ولا قطب من أقطاب السياسة ينفعنى ، فكلهم قد فقدوا نفوذهم
وأصبحوا أضعف من أن أستند اليهم ، وأضعف من أن يواجهوا
المراد الجديد الذى انتصب واقفا في الشارع ..

ليس هناك الا شخص واحد أستطيع أن أعتد عليه ..

شخص مستقر ..

الملك ..

نعم .. لماذا لا أحمل من فاروق عميلا لى .. انه انسان قبل
أن يكون ملكا .. وهو انسان خسيس كما أعرفه .. والعرق
بينه وبين أى خسيس آخر هو فرق الثمن ..

وكان فاروق يكرهنى ، لأنه لم يكن يستفيد منى .. كنت
لا ألبس معه القمار ، ولا أشركه في مشاريعى ، وأجاهر باعتمادى
على الانجليز ..

ولكنى اعرف كيف اكسب حبه .. كيف اجعله يتيم بى ؟
وبدأت اتردد على صالة اللعب فى قاذى السيارات .. انه
هناك كل ليلة يجلس على مائدة البكاراه ، او مائدة البوكر .
وبدأت ادعو رجال الملك ، واغرقهم بالهدايا .. الى ان وضعوا
لى مقعدا على مائدة الملك ..

وبدأت اللعب ..

وأخسر ..

وكنت احسر تلك موقاحة ، حتى اشعره بانى اتعمد
«الخسارة» ، وحتى ازيد اطماعه فى .. كان الورق يصل الى يدي
«فلا انظر فيه .. ثم اسطر الى ان ينظر جلالته فى ورقه ، واقول»
فى برود :

— جلالتك تكسب !

ولم يكن يرفض مكسبا ..

كان يكسب مئى فى الليلة الواحدة ما بين الف وخمسة
آلاف جنيه .. وى بعض الليالى كان يصير على ان يرمع مكسبه الى
عشرة آلاف حبه ..

ثم دعوته الى شقتى الخاصة ..

ووقرت له هناك كل مبادله .. وانا انظر اليه وهو ينظر
الى ، وكل منا يعتبر الآخر ضحية له ..

وفى احدى هذه الليالى ملت على كارم نائبا — صفى الملك
، وحببته — وقلت له :

— انا عسدى مشروع حديد .. مشروع كبير .. اسما مشى

سكن يتم الا فى رعية مولانا ..

وقال فى لهفته الوثقة :

— انت عارف مولانا ما يهتمش الا بالحاجات الحامدة ..

قلت وانا ارحى عبتى حتى لا يجرحه احتقارى :

— دى حاجة جهدة قوى .. بس الشرط الاول ان الوزاري

تنشال .. دى وزارة معتدة وما حدش عارف يشتغل معاها
أبدا ..

— وبا نرى حاتكسب كام من المشروع ده ؟

قلت وقد بدأت المساومة :

— بش كثير .. يمكن مليون ، ولا مليون ونص !

قال وهو يضحك ضحكة كالتهيق :

— ياه علشان مليون ونص عاير تشيل وزارة بحالها ؟ ..

قلت :

— البركة نيك يا كارم باشا .. ولو جيت للحق ، دى وزارة

ما تساويش مليون !

قال وهو بيتسم ابتسامة لزجة :

— نتكلم فى الموضوع ده بكره .. بس اتوصى سيدنا الليلة !!

وخسرت لسيدنا فاروق فى هذه الليلة خمسة آلاف جنيه ..

وفى مساء اليوم التالى جاء كارم باشا ليرب الى الشرى .

لقد قبل الملك أن يقبل الوزارة على شرط أن ادفع له مليون جنيه ..

مليوناً كاملاً ..

وبهت .. أنه مبلغ ضخم .. ولكن بهنى بدأت ترول عنده

قدرت الأرباح التى يمكن أن أجنيها عندما أسيطر على الحكم

سيطرة صريحة مباشرة .. انا الذى أقبل الوزارة .. وأنا الذى

أضع الوزارة .. انا الذى أسيطر على الجيش وعلى البوليس ..

أنا الملك .. أنا صاحب الجلالة .. ومن ورائى الانجليز يسفدون

ظهري ..

وسال لعاب المجنون الذى يعيش فى صدرى وقلت لكارم :

— بس مين حبالفه الوزارة الجديدة ؟

قال فى سرعة :

— االى نختاره .. عندك كارت بلانشى يا اكلاسر ..

بس فيه شرط واحد ..

قلت وقد بدأت أحلامي تنقبض :

— أخير ! ..

قال وأبتسامته أصبحت أوسع من شفتيه :

— المليون جنيه بدعمهم في سويسرا .. مش هنا .. فرنكات

سويسرى يا حبيبى ..

وقبلت ..

أن الملك بهرب أمواله .. وأنا أهرب أموالى .. كل الناس

تهرب أموالها .. وليس فى هذا الشرط شيء عجيب ..

وعاد كارم يقول :

— وشرط ثان ..

قلت :

— أبه كمان

قال :

— خمسة فى الميه لحسوك !

قلت :

— عين ..

قال :

— أنا مش طماع .. حاقبضهم هنا .. اكمل بيهم ثمن

العمارة !

وتمت الصفقة بسرعة .. واشترطت أن يتم دفع نصف

المبلغ الآن والنصف الثانى بعد تأليف الوزارة الجديدة بشهر ..

وأقبلت الوزارة بعد أيام ..

ورشحت الرئيس الجديد .. أنا الذى رشحته .. ولا تندهنى

.. لقد رشحت حسين باشا شهاب .. انى لم أجد أرخص

خصيرا منه .. وعندما يعود الى الحكم ، وهو يعلم انى أبا الذى

عدته ، سيعود كالحذاء القديم ..

وبدا حصن باشا يختار وزراءه ..

وقامت أزمة عند اختيار الوزراء ..

واشتدت الأزمة ..

ان جميع السياسيين يحاربون الوزارة الجديدة .. انهم يرتكبون نفس الخطأ .. يتنازعون على الدفة والمركب تغرق .. انهم لا يقررون ان العاصفة ستهب وستقلبهم جميعا .. وخير لهم ان يستسلموا لى من ان يستسلموا لفضب الشارع .. ولكنهم لا يستسلمون .. اطماعهم لا تزال تغى عقولهم .. وانتابنى ثورة عاتية .. وانا احاول ان احل الأزمة الوزارية وأجمع عدد كاميا من الوزراء حول حنين باشا .. ولا أستطيع .. وانتابت الملك فرة من نزواته ، فطرده حنين فجأة .. وكلف غيره بتأليف الوزارة ..

وخسرت ..

خسرت مرة أخرى للملك ..

وكان يجب ان استرد خسارتى ، فانقلبت عليه .. علم جلاله ، وسلطت كل قواى لاهدم من قواه .. ولم تستطع وزارة ملكية ان تعيش اكثر من شهر .. وتوالى وزارة بعد وزارة .. وكل وزارة اهد لها بيمسى الحبل الذى اخفها به ..

لقد أصبحت مثلهم ..

مثل كل السياسيين ورجال النظام اذى ينوم على وعلى انالى .. اعمتى اطماعى كما اعمتهم اطماعهم ، لم أعد أرى المستقبل .. ولا المسحب التى تنجم فوق رؤوسنا ..

كان المحزون خلال هذه الأيام قد طغى على .. لم يسرك في عقلى ،
ولا في عواطفى ما يدفعنى اليك .. ولم يكن يدفعنى اليك الا هذا
الشيء الذى يبحرك فى صدرى ، فلما أسكت المجنون هذا الشيء ،
لم يعد هناك ما يربطنى بك .. لم يعد فى شيء يحاول أن يكون
شريفاً مأهولك .. انك مقط من ضحاياى .. واحدة من ملايين
ابضحايا السى اتلدد بعداوبها وبقيتها على

ولو كنت استطعت أن استولى على والدك كما استوليت
عليك .. لو كنت استطعت أن أسيطر عليه وأحصعه لعقليتى ،
لأسرحت طول حياتى .. لما عانت هذا القلق الذى عانيت منذ
التيقن به .. ولكن والدك قرمنى .. انعد عسى .. أما أنت ؟
مقد أحدثك ، وانقبت فيك من قلقي .. وابصرت عليك ..
قلبت الشيء الذى يتحرك فى صدرى ، ولم يعد يقلقى ..

وفى خلال هذه الأيام ، لم يعد يذكرنى بك الا قائمة مصروفاتى
الخاصة التى ترفع الى فى أول كل شهر ، ويسجل فيها المبلغ
الذى حصصه لك ، أنت وأهلك .. وكنت انظر الى هذا الرقم
طويلا .. واعتناظ .. انكما تكلمانى كثيرا .. انكما أغلى نزوة من
نزواتى .. وكنت افكر فى أن أحفض هذا المبلغ الذى أدفعه لكما
كل شهر .. ثم أعدل عن تعكبرى ريثما أحد وسيلة للنخلص
مكما .. ولكنى لم أكن أنرى أين التى كما .. كنت كمن تجمعت

في شذقيه بصفة ويخرج أن يقذف بها في الشارع أمام الناس ..
كنت لا أدري ابن ألقى بنقايا مضغتي ..

وعندما عدت الى القاهرة بعد أن قضيت ستة شهور في
أوروبا .. راجعت قائمة مصروفاتي الخاصة ثم قررت أن أزوركما
.. أنت وأمك .. ذهبت اليكما كأنى صاحب خراة أريد أن
أعابنها لأزيل انقاضها وأبنى مكانها بناء جديدا ..

وماجأتني رائحة الخراة .. لقد أصبحت الشقة خراة
فعلا .. كل ما فيها خراب .. الأرائك الأوبيسون قد أكلح لونها
.. والمقاعد المذهبة قد سقط عنها الذهب .. وكوم من الثياب
المفسولة فوق السجاد العجى .. وفتح لى الباب المفرجى
وهو مرتد جلبابا عاديا .. أنه لم يعد يكلف نفسه ارتداء الزى
الحاص الذى يرتديه اثناء خدمة أسياده .
ووجدت أمك ..

لقد عادت الى ارتداء السواد .. وطرحتها محكة الوضع
فوى رأسها ، بحيث لا تكشف عن شعرها .. وكل شيء فيها
حزين ممسلم كأنه ميت .. وحشاها مبيتان ، وشفتاها ، ولحم
عنقها مهذل كاللحم الميت ..

ورفعت الى عينين منطعنين .. وهمت أن تقوم لفحبتى
ولكنها لم تستطع ، فهدت الى يدها مصافحة ، وهى تقول :
— والسى تعذرني يا سعادة الباشا .. مش تادره اقوم !
وصافحتها في امتعاض ، والتفت اليك .. كنت بحانبها ..
حريفة مستسلمة أنت الأخرى .. صفراء .. كأل نقطة الدم النى
تقزفت منك كانت كل ما فك من دم ..

وقلت لكما في صوت غليظ قاس :

— مالكم قاعدين زى الندابات كده ؟

ولم ترد واحدة منكما ..

وعدت أقول لكما في صوت أكثر غلظة وقسوة :

— ما تتكلموا .. حصل حاجة .. خرستم ليه ؟ !

ورفعت الى عينيك .. ميناك اللتان كنت أخافهما .. ولكنى
لم اعد أخافهما ، فنظرت فيهما بكلتا عيني ، وقلت وأنا أواجهك
بكل جنونى :

— مالك يا هدى .. حصل ايه ؟ !

وأحست فى صوت ضعيف كالتنهيد :

— ما حصلش حاجة ..

قلت كاتنى أصرخ :

— امال مالكم ميوزين كده ؟

قالت امك دون أن تنظر الى :

— آدى احنا عايشين .. هو لازم نضحك علشان نعيش !

قلت وأنا أصرخ فعلا :

— امال انا باصرف عليكم ليه .. الفلوس اللى بتأخذوها

تعملوها بيها ايه ؟ .. أنا حببت أرتيكم .. حببت أعلمكم تطبوا

كوبى ، وناكلوا كويس .. وتتمسحوا وتضحكوا .. انما يظهر

ان الواطى ميره ما يعلا ..

وقمت انت بسرعة دون أن تردى على ، وهرمت الى غرفتك

.. وأنا انظر وراءك والمجنون يقهقه فى صدرى .. ان بصقتى

تفر منى !

وظلت امك جالسة صامدة .. فعدت أقول لها وأنا أحاول

أن أخفض من صوتى :

— عند العظيم ما فاتش عليكم ؟

قالت دون أن تهتز :

— لا ..

قلت :

— ما اتصلتيش بيه ؟

قالت :

— اتصل بيه على ايه ؟ .. ما نقاشى له لازمه !

قلت :

— ازای .. ده جوزك !

ورفعت لى عينيها المتطفتين ، وقالت فى صوت ضعيف :

— حرام عليك يا باشا .. كفاية بأه اللى اتعمل فى .. ريت

يسامحك !

قلت مبهوتا :

— يسامحنى على إيه .. هو عند العظيم ثال حاجة ! !

— أخويا قال لى على كل حاجة .. الله يسامحكم ..

قلت دون أن أحس بالشفقة عليها :

— على كل حال احمدى ربنا أنك فقت من السكر اللى كنت

غيه !

قالت :

— ماحبده وباشكره .. الذى لا يحمى على مكروه سواء

وقعت واقما ، وقلت فى حدة :

— أنا اللى غلطان .. ما كنش لازم اهتم بناس زيكم !

وخطوت نحو الباب .. ثم نجاة وقعت عيائى على صورته

كبيرة على الحائط .

انها صورة والدك ..

نفس الصورة التى أنزلتها أمك من مكانها عندما دفعها

فكاؤها السادح الى محاولة الزواج منى ..

لقد أمأنت من فكاها ..

أمأنت بعد أن حطمتها ، وحطمتك معها .. وعادت تحس

الى الزوج القديم .. الى الرجل الفقير البسيط .. محمد أمدى

السيد ..

وتهمته المجنون .. ولم استطلع أن أكت قهقهته فى صدرى .

فانطلقت من بين شفتى ضحكة عالية وأنا انظر الى الصورة المعلقة

موق أحدار .. ثم حررت وصحكتى لا ترال تجاوب فى البيت
الخرى . كأنها صراح الفيظيين ..

وفى انيوم النسالى باديت مدير مكتبى وامرته أن يحمص
محمصاتكها الى حسين حبيا فى الشهر .. بعد أن كانت مائه
وحسين .. انكما لم يعودا فى حاحه انى كل هذا الملع .. ان
أمك تدحره .. ان دكاهها الساذح لا ترال فيه بقية نلح عليها أن
مستغنى .. ولن أسمح لها باستعلاى .. لم تعد بملك شيئا
سحق من احله أن أتركها مستغنى ..

ثم عدت أنكر فى التخلص منكها .. فكرت أن أنقلها الى
شقة اخرى أرخص من هذه الشقة .. وبعد أن ستقلا ، أترككما
وشأنكما بديران أمركما ..
ولكنى لم أتمد ما فكرت فيه ..

الهنى المعارك التى كنت أحوضها عنكم ، بل الهنى عن
سبع احباركما . ولم أعد أقرأ التقارير التى يرغمها عم حابر .
نواب العبارة ، عن تحركاتكما .. ولو قراتها لعرفت أن عادل
مد حاء اليك .. رارك فى البيت .. فى بينى أنا ..

بعد حاء وبصحبته ثلاثة شبان لضموه اذا سلط عم جابر
أعوانه عليه .. ثم اقتحم العمارة . وصعد اليك .. ولم سطر حتى
يسمح له بالدخول . بل أراح الحادم الذى منح له الباب من
أمامه ودخل ..

واستقبلته أمك دهشه . واحكبت وصنع طرحتها على صدرها
كل أساب من عالم غريب قد انصب أمامها .. عالم بركة مند
رمس بعيد .. عالم يعترف بالحياء وتعطى فيه النساء صدورهن
أمام الرجال ..

واحس عادى يمل يد أمك .. أنه لا يدري شيئا عن الحظيئة
انى نحلها هذه اليد .. وربما كانت يد الأمهات فى العالم الذى
أنى منه عادل ، أظهر دأئها من أن ثلوثها الحظيئة .. وسحبت

أمك يدها بسرعة كأنها نحش. ١. يشم عادل فيها رائحة الحطيه
.. ثم بكت ..

وقال عادل في صوت مهدح .. والسمرحى واقف خلف الباب
ليسجل كلامه وينقلها الى في تقرير :
— وحشتينا يا عمى .. والفتى يتسلم عليكى ويسال عنك ..
وقالت أمك من بين دموعها :

— عادل .. والله فيك الخير يا موى عادل ..
ثم عادت تجهش بالمكاء ..

وخرحت انت من عرفتك .. خرجت اليه بسرعة كأنك تحرير
وراء حلم .. ثم وقعت مشدوهة ! ثم اطلقت من بين شفئك
صرخة :

— عادل ..

ووقف قبالك بمطر اليك في حنان ، وقال في همس :

— هدى .. الحمد لله .. الحمد لله !

ولم يأخذك بين أحضانه .. ولم يلمس يدك .. طللتها واقفين
وعيونكما تهتران كأنكما تنفضان عن حكماء غبار الزمن ، أو كأن
كلا منكما يسأل الآخر عن حبه . الى ان دعكما الأم الناكية الى
الحنوس ..

همس عادل كأنه يحاف ان يتضح سره أمام أمك :

— ما كنبش بتردى على حواياى ليه ؟ .. انا بمب كسر ..

وقلت انت وشمتك ترتعشان فوق وجهك الأصفر :

— حوابات .. ما حانيش منك حوابات .. آخر حواب حه

من زمان .. من زمان قوى .. وردبت عليه ..

قال وكأنه اكتشف سرا :

— ماستلمتيش ولا حواب ؟ !

قلت في حياء :

— جواب واحد من يوم ما سمنا شعرا ..

وصب طويلا كنه اكتشف شيئا لم يكن يعرفه ، ثم انفت
الى امك . قائلا : .

— انا حاي اظن هدى يا عمى .. انا نعت امى من ثلاث
سببي عشان تخطيها .. وادور ده حاي بسبى ..
وصاحت هدى كانه يحبك من مصيبة :

— لا .. لا .. مش ممكن !
ويطر انك فى سحب وقال كنه لا مصدق ادبيه :
— لا ليه ؟ .. ده وعد وعشنا به طول عمرنا !
واحششت بالكاء كائنك اكتشفت محاه انه لا برال هاك بيبة
من دموعك . وقتت :

— انا ما نقش اسمك يا عادل .. ما اندرش .. ما اندرشر
أحورك !

قال وهو يحسو غلظت تعبويه :
— كل شيء يصلح ما هدى .. المهم ان رينا جميعا نانى ..
قلت فى يأس :
— فيه حاجات كثير مش ممكن تتصلح .
قال فى اصرار :

كل حاجه حا تتصلح .. كل حاجه حا يصلح !
ثم همس فى صوت خفيض :
— انا باحك يا هدى .. ما قدرتش انساك واسى حلينا احنا
الانسين .. كان كل يوم بنقوت باحك اكر ..

واسرعت دموعك فوق حديك ، وقلت وراسك منكس :
— انا مش هدى اللى يحبها يا عادل .. انا هدى نايه ..
وقالت امك دون ان تسمع حديثكما ، وهى تمسح دموعها
بكم ثوبها :

معلش يا خويا .. رينا بعوصك حير .. والنبى انت سيد
الناس يا سى عادل .. انا بعمل ايه فى البعت ..

واخذ عادل ينقل عينيه بينكما ، ثم قطب حينه وقال غاضبا :
— انا عاير اعرف الناسا ده وضعه ايه فى البيت .. بدى
اعرف عمل فيكم ايه ..

وقالت امك بسرعة وكأنها دُعرت

— ولا حاحه .. ولا حاحه يا احويا .. ده كان صاحب
المرحوم حورى ، وبيرد حميله عليه .. وكل الناس عارفه .
والتفت عادل اليك وقال :

— هدى .. ايه اللى غيرك من ناحيتى .. عاجباك العيشة
هنا ..

قلت ودبعت موق خديك :

— لا .. لا .. ياريت ارجع شبرا .

قال :

— ايه اللى غيرك من ناحيتى امال ؟

ونظرت انيك ثم خفضت عينيك . وقلت فى صوت خافت وفى
حياء يبرق يأسك :

— ما تعيرتش .. عمرى ما تغيرت !

قال :

— ومش راسيه بى له ؟

وقلت :

— ميسى امكر ما عادل .. ارحوك تسمى امكر .. انا
كنت قطعت الامل بك .. كتب يانسة .. ما فكرتش اى فى يوم
حاشوفك تانى .. ميينى اظم على نفسى ..

وقام عادل قائلا :

— انا مسسيكى فى الست .. ولو ما قدريش تيجى البيت .
حاموت كل يوم من مدام العبارة ، شاورى لى واما اطبع لك ..
وخرج وانت صامئة ..

وما كاد يخرج حتى مستطلم موق صدر امك نكين .. وهى

تنكى معك .. تنكبان شينا فقد منك .. نقط حمراء سقطت منك
 موق ملاءة بيضاء ..
 ما أغعاك ..
 ما اغنى هذه الطبقة التى تتمين اليها .. ماذا يحدث لو ذهبت
 اليه وانت لا تملكين هذه النقطة الحمراء ..
 ولكك عيبة ، وامك عيبة ، وكل الفقراء اعياء .. وبحن
 نعيش على غنائكم ..
 ولم تدهى الى عادل .. لم تقضى ان تقدمى له حسدا
 مشروحا ، مزوفا الدم .
 ولم تطلنى عليه من الشرفة ، وهو يمر كل يوم امام العمارة
 وعم جابر المواب يتربص به ..

الى أن كان صباح ..
صباح ٢٣ يوليو بالذات ..

وقعت من النوم على صوت حرس التلفزيون يذق بجانب
عراشي . وصوت مدير مكتبي يقول لى فى صوت مبهور :
— الجيش عمل ثورة .. واحتل القاهرة !
الجيش !!!

ما دخل الجيش فى كل هذا .. لقد كان الجيش يقف منذ
شهور فى الشوارع ليحجبنا من الناس .. فكيف يقوم بثورة ؟ !
وذهل المجنون الذى فى صدرى ..
واحسست انى فى حاجة الى تفكير طويل ، لأنهم ..

وحسنت فى بيبي .. لم اذهب الى مكتبي .. انتابنى خوف
شديد لا ادرى سببه ، احسست انى لو خرجت الى انشارع ،
فسيقابلنى جندى يصرخ فى وجهى : « قف .. من ايت » ، وعندما
أقول له اسمى ، يطلق على صدرى الرصاص ..
جلست اظننى الاخبار ، واستمع الى الاذاعة المصرية ..
الى بيانات الثورة .. واحاول أن افهم ..

وفى الساعة الواحدة ، جاء عم جابر بواب العمارة وألح فى
مقابلتى ، وعندما وقفت أمامى قال كاتبه ييلخنى خبرا خطيرا :

.. الست نفيدة ونبتها ساسوا العبارة .. خدوا حاجتهم
ومشيوا .. يظهر عزلوا ..

ورفعت اليه هينى فى بلادة ..
ونظرت الى شفتيه اللين اسطق منها الكلام .. وانا لا زلت
احاول ان امهم ..

وبدا عم جابر يروى لى تقريره عن كيمية خروجكم من
العمارة ..

لقد جاء عادل فى الصباح بين فريق من اصدقائه ، واقتحم
العمارة مرة ثانية ، وصعد اليك .. واذاخ الخاتم من طريقه ..
ثم قال لكما - انت وامك - كانه فائد منتصر يلقي اوامره الاخير :-
- انا حاي آخذكم شبرا ..

وقالت امك فى اسى :

- شبرا .. ما خلاص .. ما يقاش لنا حد فى شبرا ..
وقال عادل :

- لكم انا .. وامى .. واحى .. والحيران .. خلاص ..
من هنا ورايح ما ميش باشوات ..
وقلت انت :

- عادل .. و ..

وصرخ فى وجهك :

- ما تتكلميش .. مش وقت كلام .. الثورة قامت .. والبدا
هايجه .. ولارم تنزلوا معايا دلوقت ..
وعدت تقولين :

- حبنى انكم يا عادل .. لازم اتول لك على كل حاجة ..
وقال وهو لا يزال يلقي اوامره :

- مش عاوز اسمع حاجه .. مين هدومك يا عمى ..
ولا خلبهم !

ونظرت انت الى امك ..

ونظرت أمك اليك ..

وكان أمك قد قررت مجاة أن تستغنى عن الخمسين جنيتها
التي أدمعها لها كل شهر .. قررت أن تتخلي عن بقية نكاتها
الساذج .. كان الثورة قد مستها هي الأخرى ومتحت أمامها باب
أمل جديد . مقامت وقمت معها ثم دخلتما وارتيبتما ثيابكما ..
وحرحسا وأمك يسير وهي تناوه كأنها تسير على سكاكين ..
وشهد عم حابر ثلاثة يخرجون من العبارة ..
شباب يرتدي المنطلون وقميصا مفتوحا ، ويحمل مرة
ملابسي ..

«غاة ذائلة صفراء ..

وامرأة مهدمة تسير في حطا ثقيلة ، وتناوه كأنها تسير على
سكاكين ..
والشمس تسقط على الثلاثة ، كأنها تغسلهم من شقاء كبير ..
وفهمت ..

فهمت أن عادل أحبك مني ..

انني كنت على وشك أن انتي بك انت وأمك في الشارع ،
ولكني لم أكن مستعدا أن يأخذك مني أحد .. خصوصا عادل
بالذات !

انني قد التقي بمئات مائدتني الى مقبر ، ولكنني لا أقبل أن
يعتصب هذا المقترقات مائدتني رعبا عني .. وقد أسرع بألاف
الخبنيات لأحدى الحميمات ولكنني لا أرضي أن تتكون جمعية
لاغتصاب قرشي واحد من نقودي ..

وقد اغتصبك عادل مني .. اعتصب مئات مائدتني ..

وشعرت بالهزيمة ..

لقد أحبك محطمة ، ورغم ذلك فاني اشعر بالهزيمة ..
الهزيمة أمام المقراء .. أمام ملايين من الشبان يرتدون البنطلونات
والقمصان المفتوحة ..

وشعرت بالمجنون يسر في صدري .. انه لا يقهقه .. انه
مقط يسر كالقط الحريح .. انه حائف .. انه لم يعد يواحه عادل
وحده .. انه يواحه ثورة الملايين ..

ورفعت حمى عن عيني وقلت بهم جابر في صوت ضعيف :

— اقبل الشقة ومانخيلش حد مخشها الا بأمرى !

وطل عم جابر واقفا أمامي برهة ، كأنه لا يصدق عيني وهو
يرأني أستقبل الحبر بهذا الهدوء والصفاء ، ثم هز كتفيه وأنصرف
عسى .. وعدت أحاول أن أركز ذهني فيما يجري حولى .. لعلى
أهمهم .. ولعلى أجد لى طريقة بين الأحداث ..

ولم أخرج من بيتي في المساء .. مساء ٢٣ يوليو .. ومررت
ليل طويل تصينه أرسى في خيالي صورا جديدة لنفسى .. صورا
تقلها الثورة .. انى استطع أن أتشكل في صور كثيرة .. انى
رأسمالى .. هل تعرفين ما هو الرأسمالى .. انه أسلوب مرئ
في الحياة والعمل .. أسلوب يمد وينكش وينلوى كالشعار ..
ان الرأسمالى ، يستطيع أن يكون ديموقراطيا ، ويستطيع أن يكون
فاشيست ، ويستطيع أن يكون اسلاميا أو استعماريا ، أو وطنيا
.. أو أى شيء .. كل ما يريد هو أن يجد ثغرة تنفخ منها ..
ثغرة يمد منها يده فيعصر الناس ويحعل من مصارعهم دها يحتفظ
به في خزائنه

ان « الرأسمالى » ليس معناه الرجل العجى .. انها معناه
أسلوب معين في العمل .. العمل المردى .. وقد كنت رأسماليا
منذ كنت مقفرا .. منذ نخرحت من مدرسة العنور والصنائع ..
لأنى كنت أمسات فردا ، لا أرى الا نفسى .. لا أرى الآخرين ،
ولا أشفق على الآخرين .. والمرد عندما لا يرتبط بالآخرين ،
يستطيع أن يتشكل في أى صورة تعجبه .. وقد تشكلت في صور
كثيرة منذ ذلك اليوم .. كنت رجل الانجليز ، ثم كنت رجلا وطنيا
بعد ثورة ١٩٠٤ ، ثم كنت صديقا للومد وصديقا للأحرار الدستوريين ،

وصديقا للملك .. وفي كل هذه التصور لم تكن هناك الا حقيقة واحدة وهي انى .. رأسالى !!

ولكن اية صورة من هذه الصور موجب هذه الثورة الجديدة ؟ وأجهت فكرى ..

لم أين افكر فى شىء آخر .. فقد اجلت معركتى مع عادل . واجلت احساسى بالهزيمة ، الى ان استولى اولا على هذه الثورة . الى ان السى الرى الحديد واتدس به بين الثائرين .. وكان يجب ان انهم اولا ماذا تريد الثورة ؟

وفى اليوم المالى ذهبت الى مكسى .. والدانات تحتل الشوارع . وليس فوق الدبابات جنود فحسب ، ولكن فوقها ناس مدنيون يرتدون انحلاليب .. انها دبابات تحمل الشعب .. والشعب يهتف فى فرح ..

واخفيت وحدى حلف الجريدة وانا داخل السيارة الى تحملى الى مكسى .. كنت لا ازال خائفا .. لا أدري لماذا وبدأت فى مكسى اتصل بأصدقائى .

اتصلت بالانجليز ..

واتصلت بالسرائى ..

واتصلت بالأحزاب ..

انهم كلهم مطمئنون .. الانجليز يقولون : لا تخف .. ليس هناك خطر .. وائسرائى تقول : لا تخف .. انها ثورة من أجل مطالب الديمقراطية ، ومنجيب مطالبهم .. والأحزاب تقول : لا تخف .. انها ثورة قامت من أجلنا وستسلمنا الحكم .. لقد خدعوا جميعا ..

خدعتهم الثورة ، وصدقوا البيان الاول الذى اذاعه الثوار وقالوا به ان هدف الثورة هو تطهير صفوف الجيش من المفسدين والمرتشين !

وأردت ان احدث نفسى مثلهم .. ولكنى امتاز بحاسة تجمنى

أشتم من بعيد .. وقد شمعت ريحا لا أطمئن اليها !
وقررت أن أصبر .. انى لم أياأس .. لقد مرت من ثورات
كثيرة ، ولن تكون هذه الا ثورة أخرى .. !!

وارتفع هدير صاحب في الشارع الذى يقع مبه مكنتى ..
وقمت وانزوبت في جانب من النافذة ونطرت الى الشارع ..

انهم آلاف من المظاهرين .. وهم يهتفون .. يسقط الخونة
.. يسقط الممسدون .. يسقط العملاء ..

واشتعلت النيران في صدري ..
انهم يتصدوننى .. أنا الخائن .. أنا المفسد .. أنا العميل !
صرا يا كلاب .. سأنتقم منكم .. انتظروا حتى أستولى
على ثورتكم .. سأشتريها بحالى .. كما اشتريت ثورة ١٩١٩ ،
وكما اشتريت ثورة ١٩٣٤ : ثم بعد ذلك سأبيعكم كالعبيد وأسترد
أصعاب ما دفعته ..

واستعدت عن النافذة .. وامرت مدير مكنتى أن يتصل بمدير
الأمن العام ، ليرسل من يحمينى من المظاهرين .. واعتذر
مدير الأمن العام .. انه لا يستطيع أن يتحرك .. لانه مثلما جميعا
لا يدري أين يتحرك ..

ولم يكن المظاهرون في حاجة الى بوليس .. لقد انصرفوا
عنى .. قالوا رأيهم فى وانصرفوا ..

وعدت الى افكارى ، أحاول أن أكتشف الطريق ..
وفى اليوم التالى ذهبت الى مقر قيادة الثورة .. كان كل
الكلار يذهبون الى هناك ، يقدمون أنفسهم ، ويصعدون كلابتهم
فى خدمة الضباط الشبان .. لماذا لا اذهب انا الآخر .. قد
لا أكسب شيئا ، ولكنى بذلك أكون قد رسمت خطأ فى الصورة
الجديدة التى أحاول أن ابدو بها .. صورة نصير الثورة ..
ولم يمنعنى احد من الدخول .. ان كل الناس يدخلون ..

والحرص الواقف على الباب يبدو مطمئنا كأن الثورة أقوى من كل اعدائها .. كأن أحدا لن يستطيع أن يدخل الا ليستسلم .. ووجدت نفسي حين ناس كثيرين كلهم يبتسمون .. وضماض كثيرين .. كلهم يبتسمون أيضا .. وحاولت أن افهم شيئا .. حاولت أن اعرف أشخاص الثوار .. ولكنى لم افهم شيئا ، ولم اعرف احدا .. كلهم يبدو كأنهم قادة ، وكلهم يبدو كأنهم محرد خنود .. وكلهم يتكلمون كلاما عاما لا يستطيع أن اتين منه شيئا ..

وعدت ..

عدت وأنا احس كئيب اهنت نفسي .. أنا .. حسين باشا شاكرك .. بعد هذا العمر الطويل .. اسمي لحمنة من الصفا الصغار ..

وبعد يومين عزل فاروق ..

واخسست انى عزلت معه ..

ان فاروق ليس شخصا .. انه نظام .. وقد عزل النظام .. ان الملك لا يمثل شخصا .. والاستعمار لا يمثل دولة .. والاتطاع لا يمثل افرادا .. ولكن كل هذا يمثل معنى .. معنى الاستغلال .. معنى حرية الفرد في ان يهزم الآخرين ، ويرتفع على اكلاف الآخرين .. كل ذلك يمثل ملهمة في الحياة .. ملهفتى أنا ..

وقد تخفى على هذه الملهمة ..

لمادا لا يتدخل الانجليز .. لمادا لا تتجمع الاحزاب ونحى النظام الذى عزل ؟ ..

ولكن .. لقد خدعتهم الثورة مرة ثانية ..

اعتقد الانجليز انهم يسكونهم على عزل فاروق سيرضون الثورة .. ويخضعونها ، ثم يضعونها في جيبهم .. واعتقد كل حزب ان عقدة اربلت من طريقه .. ولله يستطيع ان يرتفع الى الحكم

على اكتاف الثورة .. حتى رجال السراى انفسهم خدعوا .
واعتقدوا انهم يتخلصون من سيدهم القديم سيجدون سيدا جديدا
اسهل تقادا ..

انا وحدى الذى احسست انى عزلت مع فاروق ..
احسست انى . اصحبت وحدى بلا نظام يحمينى ..
لقد قطع الراس ، ولى بسطيع الذنب ان يعيش طويلا ..
ورغم ذلك فقد تحللت .. حاولت ان اهدع نفسى مرة
ثانية .. حاولت ان استرد نفسى سمى وقدرتى على التشكل
مختلف الاشكال !

وفى هذه الايام حانت زوجتى الانطيرية من انطلترا .. وفرحت
بعودتها .. نظرت الى وجهها المكتنز ككتلة الشمع ، تخطس فيها
شفتاها وانفها وعيناها .. وذراعاها الحمراء ان كانتهما مخذبا
خزير مسلووق .. وفرحت .. احسست ان بريطانيا العظمى كلها
تد حانت لتتف بجائسى ..

ولم تحاول زوجتى ان تحفف من مصيبتى .. حانت كأنها
وراء حطة عاجلة تسمى الى تنقيدها .. وكانت يسألنى أسئلة
كثيرة عن الحالة ، ولا نناقشنى فيها ، ولا تقول رأيا ..
وقصت انما وهى مشغولة .. مشغولة جدا .. ولا أدري
فيم هى مشغولة ..

وانا سادر فى تفكيرى فى الثورة ، واتحد حتى تهذا هذه
الحوادث من حولى .. انى لا أستطيع ان اعمل وسط الحوادث
المضطربة .. وسط كل هذا الضجيج .. لقد تعودت ان اعمل
فى الانام الراكدة .. الايام اننى مصرف فيها عنى حماس الجماهير ..
كل ما كنت اعمله فى تلك الايام هو محاولة معرفة اشخاص قادة
الثوار .. كنت اسأل .. والى فى السؤال .. فاذا قيل لى اسم
واحد منهم .. سألت عن اسم امه واسم حده .. ثم لا امرغه
ولا أعرف كيف اصل اليه

ونحاة ، في صباح احد الايام من الاسبوع الثاني للثورة
عرض عدد كبير من أسهم شركتى للبيع في البورصة ..
وهوى السعر ..
انه خراب ..

من الذى عرض هذه الأسهم للسع ؟
انها زوجتى .. زوجتى الانجليزية !
ان هذه الأسهم تملكها .. لم تكن سلكها ملكية خاصة ..
ولكنى كنت كتبتها باسمها ، بانفاق ميني وبينها على الا يكون لها
حق إنصرفت منها ..

وهرعت اليها صارخا :
— أيتها المحنونة .. انك تفلسبىنى !
ونظرت الى فى هدوء بارد ، وقالت :
— انى اصفى أملكى فى مصر ..

ومدب اصابعى نحوها كائى اهم بان اخنقتها ، ثم عدت وكشفت
أصابعى ، وقلت متوسلا :
.. لماذا ؟ .. لماذا ؟ .. ان الحالة ليست خطيرة الى هذا
الحد .. ان الثورة لم تأخذ منا شيئا .. اننا لا زلنا كما كنا ..
ولم تهتز وهى ترانى لأول مرة فى حياتها متوسلا اليها ..
وقالت وهى لا تزال محبطة برودها :
— سأعود فدا الى انجلترا ..

ولم استطع ان أقنعها بأن معدل عن رأيها .. ولم أحاول
ان ارفع ثمن الأسهم فى البورصة .. وبدأت اضع خطة جديدة ..
خطة اوجت الى بها زوجتى .. سأترك ثمن الأسهم يهبط الى
آخر حدود الهبوط .. ان ذلك سيهز الثورة ، وينهبها الى
خطورة الحالة الاقتصادية ، فنلجأ الى لاعينها .. مستجبا للثورة
الى بدل ان الحأ اليها .. وفى نفس الوقت سألحق بزواجى فى

انجلترا ، واتقى هناك الى ان تستدعينى الثورة ، فاذا لم تستدعنى
أكون فى مأمن منها ..

وسافرت زوجتى ، بعد ان اتفقت مع وكيل يهودى على
تهريب أموالها اليها .. وبدأت استعد لأتحق بها .. ولكنى
فوجئت بعد ايام بزيارة اثنين من الضباط لى فى مكبى .. اثنين
لا اعرفهما ، ولم اسمع بأسمهما .. ولم نقل لى مسكرتيرى الا انهما
ضابطان .. وسمحت لهما بالدخول لحرد أنهما ضابطان ..

واستقبلتهما بابتسامة كبيرة .. ان الثورة بدأت تلجأ الى !
وسكت الضابطان طويلا ، ثم بدءا يتحدثان معى عن الحالة
الاقتصادية ، ثم قاتل احدهما فى أدب جم ، وصوت فيه نبرة
حاسمة :

— القيادة ترحو سعادتك أنك تستقيل من مجلس ادارة
شركة الصناعات ..

ونظرت اليه فى غباء ..

انى لم أفهم ..

وأعاد الضابط كلامه وهو لا يزال محتفظا بهدوئه وأدبه
أحم .. وقلت وأنا أتحدث من خلف ذهولى :

— ليه ؟

قال :

— والله محرد اجراء مؤقت ..

قلت وقد بدأت أبقى من ذهولى :

— اجراء مؤقت ليه ؟

قال فى هدوء :

— والله ده كل اللى اقدر اقوله ..

وقلت وأنا أحاول أن أقلده فى هدوئه :

— آسف .. ما اقدرش .. دى أكبر شركة فى مصر ،

واستقالى منها معناها القضاء عليها ..

وقال الضابط في هدوء :

— رزى ما تشوف سعادتك !

وانصرف الضابطان بلا ضجيج ، وهما يتسلمان ..
وتركوى وأنا اغلى .. ماذا يريدون .. ماذا يريد هؤلاء
المعزورون .. نأى حق بطائونتي بالاستقالة .. نأى قانون .. ان
القانون معى .. ومجلس الادارة معى .. والجمعية العمومية
معى .. ليرفعوا قضية .. ساكسها .. انى دائما أقوى من
القانون ، وأقوى من القضاء .. وسأصعب الدنيا عنهم ..
سأنتزع الانجليز بعزلهم .. بعزل الثورة .. وسأشل مصر
كلها .. ان يحد الناس ما يلبسونه ، ولا ما يأكلونه . وان يجذبوا
عملا .. سأجعل جنبهات مصر تغف في الهواء حامدة لا تستطيع
ان تتحرك الا بأمرى .. و .. و .. و ..

وفوجئت في اليوم التالي بخبر نشر في الصحف بأن مجلس
ادارة شركة الصناعات قد حل ، وعين بدلا منه مجلس مؤقت ..
هؤلاء المحائين ..

الا يعرفون من أنا .. أنا حسين شاكِر .. أنا سمادة انثاء ..
.. أنا المليونير .. أنا القوى الجبار ..
ودرت أخط بين مختلف الجهات أحاول ان أنفرد مكاني
في شركة الصناعات .. ورأسي مشتمل كالباز ..
ولكن .. ان الدنيا تغيرت .. لأول مرة أحس ان الدنيا
تغيرت .. ليست هذه هي الدنيا التى كنت أسيطر عليها بمعودى
وحسروتى .. انها دنيا أخرى .. وقررت وأيا الهت ، ان أحنى
رأسي الكبير للدنيا الجديدة ..

وبدأت أبحث عن ضابط .. أى ضابط .. لعله يتقضى ..
واستطعت ان أصل الى واحد ، لم أكن أعرفه من قبل ، ولكن
قبل لى ان له نموذا كبيرا في القيادة .. واستطعت ان أواصل الى
دعوته لتناول الشاي في بيتى .. وجاء .. جاء ممسحا كانه يرور

صديقاً حميماً .. وجلس أمامي في غاية الأدب .. ان أدب هؤلاء الضباط يكاد يقتنى .. وبدأت أحدثه عن الحالة الاقتصادية ، وعن جهودى الطويلة لانعاش الاقتصاد المصرى .. و .. و .. وعن ضرورة عودتى الى مجلس اداره شركه الصناعات .. الى عرشى ابدى حلمت منه .. ان الملوك يعزلون عن عروش ميرثونها ولا يعجبون فى صناعاتها ، ولكنى عزلت عن عرش صمته بأيامى وبذكتى وبأعصابى ..

وقال الضابط فى هدوء :

— ان الثورة لا سوى الاستيلاء على الشركة ، بل مقط مسديرها وبوجهها ونحفظ لك كل حقوقك فيها ..

هذا المحصول .. هل بدرى معنى ما يقول ؟

ان الثورة مستدير الشركة .. رضىنا .. ولكن مستديرها لمصالح من ؟ ! هذا هو السؤال الأهم .. هذا هو الحد العاصل سننى وبين الثورة ..

ان الثورة مستدير الشركة لمصلحة الناس ، ولمصلحة مصر .. كما يروق مصر .. ولكنى كنت ادير الشركة لمصلحتى أنا .. أنا وهذى .. وليهك الآخرون !

وقلت وأنا أخفى عبنى تحت حمى حى لا بدو دهائى :

— الموضوع ده ببس كرامتى .. ورحوعى لشركة الصناعات باعسره أمر مهم جداً بالنسبة لى .. رحوعى يساوى فى نظرى عشرة آلاف جنيه .. وأكثر من كده .. عشرين ألف جنيه !

ورفعت حمى لانتحقق من تأثير كلامى على حضرة الصلطان ..

هل فهم ما أعنيه ؟

ان اقدم له رشوة عشرين ألف جنيه ليعمل على اعادتى الى شركة الصناعات .. لاند أنه فهم .. أنه يتنسم .. انه مبلغ

حسب ما دونه لصابط لا يريد مرثته على أربعين حنيها في الشهر ..
نعم .. انه يسلم .. لاند انه قتل الرشوة ..

وبالفئة الانسجام - كنى اهز يده مهنا نمى ومهنا له
بالصقة ..

انى داهيه ..
الحمد لله - لى لارث داهية ..

وقال الصابط فى هدوء : ووجهه جامد ، وانتسامته لا تزال
میں شفیه :
— أما اشوف ..
وانصرف ..

ونمت ليلها يوما سعيدا ، وبكرت فى الذهاب الى مكتبى ،
وبدأت احرك اعمالى التى كنت وقتتها مد يوم الثورة ..

وفى الساعة الثامنة عشرة تماما .. سمعت هدير سيارات
كثيرة تقف امام مكبى .. سيارات حيب .. وحنود وضابط
على رؤوسهم قممات حمراء اقتحموا المكتب ، ومعهم فريق آخر
من الموظفين المدنين .. ثم دخل الى صباط .. نفس الضابط
الذى كان معى بالامس .. ونطرت اليه فى غزع وقلت مهوور
الانفاس :

— حصل ايه ..

قال وهو يتنسم .. نفس انتسامة الامس :
— حصل خبر .. بس عايرين تراجع دفاتر سعادتك !

قلت وقد اشتد غزعى :
— تراجعوا دما ترى !! ليه ؟!

قال فى هدوء

— استلمنا بلاغ يقول ان الحسابات المقدمة من سعادتك
لمصلحة الضرائب مزورة .. ومع البلاغ بيان بالحساب الدقيق ..
قلت :

— مش معقول .. مش معقول واحد زى يزور .. أنا مش
تاجر صغير علشان أزور .. أنا .. أنا .. أقدر أشوف
البلاغ ده ؟

و هو هدوء وضع الصابط على مكى دوسها كاهلا مليئا
بالأرقام ..

انى اعرف هذه الأرقام ..

انها أرقامى ..

أرقام الحساب السرى التحاص بارياحى .. وكل شركة فى
مصر لها حسابان ، حساب مزيف تقدمه لمصلحة الضرائب ،
وحساب سرى تسجل فيه أرباحها الحقيقية وتحفظ به لنفسها ..
من اين حصلت الثروة على هذه الأرقام ؟ ..

ليس هناك من يعرفها الا أنا .. و .. عبد العظيم ..

انه عبد العظيم !!

هذا المحتون .. انه لا بدرى انه مشترك معى فى مسئولية
التزوير ، الا يعلم ان ما قد يصيننى سيصينه ..

واحتسنت بالنار تبدلع فى رأسى .. نار لم أحس بها من قبل ،
ولا قبل لى على احتمالها ..

وتمايكت ، وقتلت وأنا اصعط على كل أعصاى حتى أبدو
هادنا :

— الملاح ده كاذب .. لازم تسحنوا الى قدمه لكم .. وعلى

كل حال انتفضلوا منشوا فى دقاترى زى ما انتم عابرس .
ونظرت فى وجه الصابط ، احث عن رأيه فى الرشوة التى
عرضتها عليه .. فلم أحد الا انتسامته التى لا تتر ..

وخرج انصايط . واسموتفته قبل ان يخرج قائلا :
— تحب استنى هنا لعاية ما تراجموا الحسابات ولا اقدر
اروح البيت ؟

قال فى هدوء ، وادب حم :
— لا .. اتصل سمادك روح البيت لو حبيت ..
وذهبت الى البيت . وانا اشعر براسى كطاسة من النحاس
المحمى ..

ماذا سيفعلون بى ؟ !
انهم لو طالبوني بصرائب على ارباحى الحقيقية خلال اشهر
السنوات انسانية . بمعنى ذلك انهم سيطلبونى محوائى عشرة
ملايين من الجنيهات !
معنى ذلك ان تستولى الحكومة على جميع شركائى سدادا
لفضريبة ..

معنى ذلك ان افلس ..
لماذا لم اسافر مع زوجتى ، واعمى نفسى من كل هذا الهم ؟ !
لماذا لا اسافر غدا ؟
ولكى لاند لى من تأشيرة خروج من مصر حتى استطيع
السفر . مهل يمنحوس هذه التأشيرة ؟

واذا لم يمنحوس التأشيرة . هل استطيع ان اقر فى طائرتى
الخاصة .. نعم ، استطيع .. بامر طيارى الخاص بان تنظرنى
فى مطار الانصر ، ومن هناك استقل اى طائرة الى لندن !
وكنت امكر . ورأسى كطاسة من النحاس المحمى ..
واصلت بالتليفون بطيارى الخاص ، وامرته ان يطير الى
الانصر . وينظرنى هناك ..

ثم بدأت اجمع اوراقى . وادس بعضها فى حقيبة ، واحرق
العض الآخر .. واهمكت بين اوراقى حتى طغى على الليل ..

ثم استلقيت على مقعد وحاولت ان اغفو ..
ولم استطع وتمت اجوب في انحاء القصر . كاني
محرر نظارده اشباح جريمته .. وطاسة النحاس المحمي فوق
راسي .. وصعد لائح يحرق عيني .. واعصابي تتمزق . كأنها
يشد بعضها بعضا .. وانفاسي تضيق كاني سأموت .. وقرصات
حاده تترك لحمي ، كان عثرات من الزنابير ترقصني ..
وتعذبني ..

وفي الساعة الثالثة صباحا فوجئت بأصواء قوية تطوف
مواقد القصر .. ثم سيارات جيب محملة بالجنود تدخل الى
الحديقة ..

ثم فوجئت بحند مسلحين يقفون امامي ، واسلحتهم في
وحي . وضابط يتقدم مني ، ويتسهم في أدب ..
وحاولت ان اتكلم .. فلم استطع ..
حاولت ان اتحرك فلم استطع ..

وجعلت عياني .. اني احس بها جاحظتين .. وارتمشت
شعائي .. اني احس بها ترتعشان .. وسمعت أصواتا تخرج
من شعني .. أصواتا ممزقة غير مفهومة .. وطافت بين اللهب
المنفلج في راسي خيالات مخيفة .. السجن .. قضبان .. ظلام
.. ظلام .. ظلام كثيف .. ثم أحسست بجسدي الثقيل يقع
على الأرض ..
ثم لم أعد أدري ..

وامتت لأجد نفسي في فراشي .. بحائي ممرضة في ثياب
مبضاء يتسهم لي .. ولباب الحجر معلق ..
وحاولت ان اتكلم .. ولكن لساني ثقيل .. ثقيل جدا ..
لا.استطيع ان أحركه ..

وحاولت أن أرفع ذراعى .. ولكن ذراعى ثقيلة .. ثقيلة
جدا كطن من حديد .. لا أستطيع أن أرفعها ..
وحاولت أن أهز قدمى .. ولكن قدمى ثقيلة .. ثقيلة جدا
كالجبل .. لا أستطيع أن أهزها ..
ونظرت الى الممرضة فى فزع .. رأيت فى عينيها لمسة عطف
واشفاق وأحسست بتطورات ساخنة تسيل على خدى ..
انها دموعى .. دموعى أنا ..
انى أبكى .. لأول مرة أبكى ..
انى مشلول ..

كان مجلس قيادة الثورة قد اصدر امرا باعتقالى .. ثم
لما وقعت مريضا اكموا بان اعتقلونى فى بيتى .. ان على باب
عرمى ضابطا يجلس حبلأ فى جنبه ممددا .. وفى بهو الدور
الاول يجلس جنديان مسلحان .. ولكنى لمست سجين البيت ،
ولست سجين هذا الضابط وهذين الجنديين .. انما انا سجين
جسدى .. سجين هذا الجسد المشلول الذى لا يتحرك ..
انه اضيق سجن .. اضيق من القبر ..

لقد سبق الله الثورة بلحظات ، فأمر باعتقالى فى جسدى ..
وانا لا اطبق هذا الاعتقال ..

أريد أن أموت ..

الموت يا رب ..

ولكن ربى لا يرحمنى .. انه يطيل حياتى لاتعذب .. لاتعذب
بتماعتى .. انى لم اعد سوى شيء ملقى على سرير .. شيء
يرغمونه ويضعونه .. ويعرونه ويلبسونه .. ويناولونه الطعام
فى فمه .. شيء لم يعد فيه من معاتى الحياة سوى عينين تقضبان
حيثا ، ونفوسلان حيثما .. ثم تعجزان عن الغضب ، وعن التوسل ،
تشكلى ..

انا .. حسين شاكى .. انا الذى اطلقت حيوبتى ليملا كل
دقيقة من عمرى .. انا الذى كنت أبخل بنفسى على النوم .

أنا القوي الحبار .. أنا الفحل .. أنا الذي قصت على الدنيا
معدى وعصرنها بأصابعي ، وحملت من عصارتها شرانا لأطباعي ..
أنا الذي كنت أمصغ الناس وأبصغهم بقايا .. أنا .. أصبحت
هذا الشيء الملقى على سرير لا يستطيع حراكا ..
يا رب .. خذ ثروتي وامضى كله اسطيع أن أنطق بها ..
يا رب .. انى لا أريد مغوذا ، أريد فقط الغدرة على أن أرمع
ذراعى ..

يا رب .. انى لا أريد من دنياك سوى منر واحد أسطيع
أن أحرك فيه قدمي ..
يا رب .. انى أعرف أنك بعد لى عذابا كبيرا فى الآخرة .
فاعمى من عذاب الدنيا .. وخدنى البك !
ولكنى لا أموت ..

وبدأت أمكر فى الانحار .. ولكن كيف .. انى لا أسطيع
أن أحرك ذراعى .. ولا أسطيع أن أصل الى أذاه أقتل بها
نفسى .. كل ما استطعته هو أن أرغص الطعام ، وأرغص الدواء
.. كنت أهز رأسى بعف كلها هبت الممرضة أن تضع فى فمى
طعاما أو دواء .. ويسقط الرزاد على صدرى ويلوث وجهى
ولكن الممرضة لا تبال .. انها تستعين بالخادم وتضع فى فمى
ما يريد به بالقوة .. لم أعد أسطيع شئنا ، حتى الانتحار ..
وكانت تناننى أحيانا ثورة .. ثورة مشلولة داخل حسدى
المشلول .. ثورة كل قدر بها أن تنظر شررا بعنى ا وأن بهز رأسى
هزبات عنيفة موق الوسادة ، وينطلق من حنجرتى أصواتا متبيحة
كحوار ثور مدحوح .. فكانوا فى هذه النوبات يستدعون الطبيب
ليحقبنى بخضر .. وأنام .. أو أموت موتا مؤقتا ..

وأخيرا استسلمت ..

استسلمت للعذاب ..

ولم اك أعانى ألما فى حسدى .. انه كتلة من اللحم والشحم
والعظام ، لا يحس ولا تتألم .. ولكن عذابى كان من عقلى ..

إن عقلى لا يزال صاحباً يرقب كل شيء .. يرقب جسدى المشلول .. ويرقب روحى السجينة داخل جسدى .. ويرقب الضابط الذى يحلس عند باب غرفتى فى جيبه مسدس .. يرقب كل ذلك ، ويعكر .. يعكر كثيراً .. يفكر فى حدة كائن حلياً مخي تتجمع ونعصر نفسها .. ثم لا نحد حلاً .. لا تجد حلاً لجسدى المشلول ، ولا لروحي النحيسة ، ولا لهذا الصابط الذى يحلس عند باب غرفتى ..

لو كان عقلى مشلولاً هو الآخر لاسترحت .. إن العقول المشلولة تريح أصحابها ، والعتول الصالحة التى تعجز عن أن تحد حلاً هى التى تعذب أصحابها .. إنها عقول أشبه بأسود فى أقباص من حديد ، تروح وبهدر داخل أنقص دون أن نحد شفرة تنعد منها ..

وكان الصابط يدخل الى غرعى بين الحين والآخر ، ويحيى احترام ، ويسأل المهرصة عن صحى ، ثم ينسجم لى فى أدب ، ويطر الى فى جنان .. كأن ليس بينى وبينه عداوة .. كأنه ليس سحاسى .. كأنه يصرص لى أعفزه وأعذر ثورته ..

كيف أعذر هذا الشاب المعرور ؟

كيف أعذر هذه الثورة المحنونة التى تصور أن مصر تستطيع أن تعيش من غيرى ؟

ورغم ذلك ، ملى مترات بأسى ، كنت احد عقلى ينظر الى ما حدث لى ، من وجهة نظر الثورة .. كأتى اصسحت أحد الثوار .. وكنت فى هذه اللحظات أمد هم .. نعم ، كانت تمر لى لحظات ، أعذر فيها الثورة ..

كنت أرى أن هذه الثورة قامت صدى .. صدى أنا وحدى .. لم نتم صد الملك ، فالملك هو الشعار ، وأنا الحقيقة .. ولم نتم صد الأحراب ، فالأحراب كانت الأداة ، وأنا كنت المئيد .. إنها ثورة قامت على الفساد .. والفساد لا يتحصر فى أحلام

بصعة ملايين من الجنيهات .. الفساد لا يقاس بالارقام .. ولكنه يقاس بأسلوب العمل .. وعندما تبدأ الثورة العاقلة في المبحث عن الفساد لا تسأل أعداءها : كم ربحت ؟ ولكنها تسأل : لمصلحة من تعمل ؟ ! فقد يكون هناك شخص يربح الكثير ، ولكنه ليس مفسداً ، لأنه يعمل لمصلحة الناس ، ولا يستعمل أحداً ، ولا يبيع دماء أحد .. وقد يكون هناك شخص يربح القليل .. القليل جداً .. ورغم ذلك فهو مفسد ، لأن أسلوبه في العمل أسلوب الفساد .. أنه يعمل لمصلحته الشخصية ضد مصلحة الناس . ويمتص دماء الناس ..

هذا هو منطق الثورة العاقلة ..

وهو منطق يستطيع أن يقنعني ، عندما أملك تفكيراً محدوداً عن أطماعى ومصالحى الخاصة .. ولكنى لا أستطيع أبداً أن أفكر تفكيراً محدوداً عن أطماعى .. ثم أبى لا أبصر بأن هناك ثورة عاقلة .. أن كل الثورات التى شهدتها كانت ثورات سادحة .. ثورات تقوم ضد الاحتلال الإنجليزي .. لا .. ليس ضد الاحتلال .. بل فقط ضد شكل الاحتلال .. وكانت هذه الثورات تحمى بمجرد أن نأخذ الاحتلال شكلاً جديداً ، والاحتلال كرايس المال ، يستطيع أن يجد عدة أشكال .. ويستطيع أن يلبس أردنه مختلفة في ألوانها .. أنه يستطيع أن يرتدى رى قسيس . ورى شيخ ، ورى حاخام ، ورى ملحد .. أن الاحتلال هو رأس المال ..

ولم أكن أنتظر من هذه الثورة أكثر مما فعلته الثورات الأخرى .. أن تطلب فقط تغيير شكل الاحتلال .. ولكنى خدعت في هذه الثورة عندما قسمتها بالثورات الأخرى .. وكذلك خدع بها الانجليز .. وما كنا لندفع فيها لو عرماً منذ اليوم الأول تادتها الحقيقيين .. لو عرفنا أن ليس من بين هؤلاء القادة وزراء سابقون ولا أحد من ملاك الأرض كما كان قادة ثورة ١٩١٩ مثلاً ..

نهم كلهم من اولاد صغار الموطيين ، وصغار البحار ، وصغار
المرارعين .. انهم اولاد الطبقة الوسطى الصغيرة .. انهم مثلك
وبمثل عادل .. اولاد محمد أفندي السيد الموظف الصغير الذي
استعصى على ، ونعفا على .

ولن تكفى هذه الطبقة بتغيير شكل الاحتلال .. انها طبقة
- مصالح مرتبطة بمصالح بلاحين والعمال .. مصالح تتعارض
مع مصالحنا ومع أطماعنا ومع أسلوبنا في العمل .. مكان من
المطلق .. مطلق هذه الثورة .. أن يقصى على أطماعنا ، وعلى
أسلوبنا ..

وعنده كنت أطر إلى أثره بسطقتها ، كنت أستريح ..
وكنت أشعر بالشيء الذي في صدري بهذا ، ويتسم إلى ..
لعد عاد هذا الشيء يحرك في صدري ..
حيل إلى يوما إلى قتلته .. بخلصت منه .. وسكن مكانه
مضون يهلاً مراغ صدري بفهمه ..

ولكن ، لا ..

أن هذا الشيء لا يموت أبدا .. انه لم يمت عند مات والدك
محمد أفندي السيد ، ولم يمت عندما اعتديت عليك ، والمحبون
لدى سكن مكانه ظل يسكن جسا وحوما من الثورة ، حتى
بلاشي .. داب .. وادا بهذا الشيء لا يزال حيا في صدري ..
سحرك .. ويقتنى .. ويعبدي ..
وبذات المعركة من حديد ..

معركة بين دكانتي الذي صنعت به بحدي علي حث فحاساي ،
وبين هذا الشيء .. الشيء الذي سببه العص : الضمير ..
كان ضميري بهذا وهو ساقش الثورة من وجهة نظرها ،
ثم لا بليت دكانتي أن سرود عليه وبدأ في اندماع عن أطماعي ..
لماذا بسميها أطماعا .. انها خدمات .. خدمات حليبه أديبها
لوطيك وللفاس .. لقد انشأت لهم كل هذه الشركات .. وأوحدت

عملا لهذه الآلوف من العمال والموظمين .. فماذا كانت تسلوى
مصر من عبرك .. وأين كان يذهب هؤلاء العمال والموظمون ..
لولاك لكانوا الآن يشحدون .. بقولك كسبت أرباحا هائلة ..
وايه يعنى .. هذا أقل ما تستحقه .. تقول لك تعاوت مع
الاستعمار .. وايه يعنى .. لقد كان الجميع يتعاونون مع
الاستعمار .. ولما كانت هذه الثورة بمنصة لأقامت لك تمثالا ،
لأنهم يحسدونك على مالك ، وعلى نجاحك ، وعلى ثرائك ..
أنها ثورة أشعلها الحقد الشعبى على الباححين .. حقد العبيد
الذين يعجزون عن أن يكونوا أسيادا .. يجب أن نكره هذه
الثورة .. أكرهها ، وقاومها .. حاول أن تحصى نفسك ، وتحصى
أموالك منها » ..

كان ذكائى يقول لى هذا الكلام .. وأيا أعلم أنه دكاء عاجز ..
لم يعد يستطيع شيئا .. عاجز وهو حبيس هذا الجسد المشلول
.. وقد أهدت عنه كل أدواته التى كان يعمل بها .. أبصفت
الأحزاب ، وأبعد الملك ، وأبعد خدام أطماعى ، وتطلى عنى
الانجليز بعد أن خدعوا فى الثورة ..

وهذا الضابط يدخل لى عرفتى ، ويحينى باحترام ، ويسأل
الممرضة عن صحى ، ثم يبسم لى فى ادب ، وينظر لى فى
حلى ..

انه يكاد يقتلنى ..

واى أرى فى وجهه صورتك ، وصورة والدك محمد أمندى
السيد ، وصورة أمك تقيدة ، وصورة ملاين من صحباى ..
الملايين الذين كنت أنتز قوتهم عندما أرفع الأسعار ، وأنتز قوتهم
عندما أهبط سعر القطن ، وأنتز قوتهم عندما أهوى بأحور
العمال ..

كلكم هذا الضابط ..

الفرق الوحيد هو أن هذا الضابط في حبه مسدس .. ولن
أستطيع أن أحده ، كما حدثكم ..
بخيل إلى أن هذا المسدس في يديكم جميعا ..
انكم جميعا مسلحون ..
واسلحتكم موجهة إلى صدرى ..

ورغم ذلك فهذا الضابط لا يرال يسلم لي .. كان المسدس
اندى في حبه سلاح للحب ، وليس سلاحا للحقد والانتقام ..
والثورة تعلمنى برمق ورحمة كأنى انته من أن أكون عدوا لها ..
كانها واثقة من انتصارها إلى حد أن تشفق على أعدائها ..
وقد ومرت لي الثورة كل وسائل العلاج — على حساب
طبعي — ! وبدأ الشلل يحصر عن نصفي الأعلى .. بدأت شيئاً
فشيئاً أحس بدراعى .. أحسست كأن حوشا من الليل يشي
فوقها .. ثم مع الأيام أختب حوش النبل . واستطعت أن
أحرك ذراعى ..
وايتسم الأطباء ..

وانسم الضابط الذى يحمل المسدس .. كأنه لا يخاف إذا
ما حركت ذراعى ..

ومع الأيام بدأت أفى أستطيع أن أحرك لسائى ..
كأن مجرد احساس يدعمنى إلى تركيز ارادتى فوق لسائى ..
ثم محاة في صفحة أحد الأيام ، قال الطبيب وهو منح عوق
صدري :

— فذلك سليم .. زى ما يكون فلب شاب بعده عشرين
سنة . وطول ما فلك بالقوة دى ، ضرورى حاتف ..
وحركت لسائى ، ولم أكر انظر أنى سأنطق به شيئاً ..
حركته كمجرد محاولة من ملاين المحاولات التى أحرىها كل يوم
ولكنى سمعت صوتى .. سمعته بعد أن غاب عنى ستة أشهر ..
سمعه وهو يقول :

— متشكر .. متشكر يا دكتور !

واسم الطبيب ..

واسم الصابط ..

واسم انتسامة كبيرة ، واحدت اكرر كلمة « متشكر » ..

متشكر « .. كأتى عدت الى الحياة ..

كانت مرحلة عمرى .. مرحلة لم أحس بها فى حياتى ائدا ..

ان كل ما جئنه من أيامى لم يمرحنى قدر فرحتى بكلمة تخرج

من لسائى المشلول ..

ولكن قلى التسليم لم يستطع ان يدفع الحياة الى نصفى

الاسفل ..

اسى لا زيت مشلولا ..

لا ربت شيئاً مفتى على السرير .. يرمونه وبضعونه ،

ويعرونه ويلمسونه .. كل ما حدث أن هذا الشيء اصبح ينكم ..

وعتد استطعت ان انكم ، اكتشفت أنى لا أستطيع ان أقول

شيئاً .. لا أستطيع الا ان أقول « حاصر » .. حاصر للطبيب ..

وحاضر .. للهرسه .. وحاضر للصابط الواقف على سالى ..

حاصر .. حاضر .. حاصر .. انى لم أعد أستطيع ان أقول

« لا » .. ولم يعد من حقى ان أرفض ما يملى على .. دائماً

« حاصر » ، وأقولها فى اسسلام وضعف ..

ان انشلل ليس فى نصفى الاسفل ، فحسب .. انه فى

روحى ايضاً .. شلب روحى ، واصبحت روحاً عاجزة صائنة ،

تنطوى على حقدتها .. وكانت تمر بى لحظات أتمنى فيها أن

أصرح .. ان العن .. أن أقول رابى بصراحة فى هؤلاء الصباط

.. ولكن الحص كان بكت صراخى ويحيله الى أبخرة ساخنة

تحرق دمنى ، ونذيب أعصابى .. وأكتم الألم الدفين ، ثم اتسم ،

واضى رأسى الكبير ، وأقول : حاضر !

ولم تدم فترة اعنقالى فى بيتى طويلاً .. لم تدم أكثر مما

استغرقه عملية مراوحة دماثري ، ثم أصدرت شهادة الثورة
أمرًا باستيفاء قيمة الضرائب المسحقة على . من الأسهم
والسندات التي أملكها .. وبذلك أصبحت الحكومة هي صاحبة
الحق الأول في كل شركاتي .. استولت على شركة الصناعات
.. أممتها .. ولكنها لم تؤمّمها تطبيقاً لمبدأ من مبادئ الثورة ،
ولكنها أممتها استيلاء لديونها على .. وباتت الشركات أيضاً
أصبحت للحكومة أغلبية الأسهم ، فأصبحت بذلك صاحبة الحق
في إدارتها .. وطردتني !

واهتزت دوائر الأعمال في مصر لهذه القرارات ..
اهتزت مصر كلها ..

وقيل إنها ثورة شيوعية .. وبدأ رجال الأعمال يهرمون ،
والذي لا يهرب بنفسه ، يهرب أمواله إلى الخارج ، والذي
لا يستطيع أن يهرب أمواله يحمدها .. أن الأموال المحددة أشبه
بالحش الميتة .. وكان رجال الأعمال يحاولون أن يجعلوا من مصر
حشة ميتة لا تحرق في عروقها دماء .. أي لا تجرى في عروقها
أموال ..

وكنّت أعلم — ورجال الأعمال يعلمون — أن هذه الثورة
ليست شيوعية .. أننا نعرف طبيعة الثورات الشيوعية ..
وهي ليست طبيعة هذه الثورة .. ورغم ذلك فقد أردنا أن نشبع
حالة من الذعر في السوق الاقتصادية ، وأردنا أن يقنع العالم بأنها
ثورة شيوعية .. لعل بريطانيا تتحرك ضد الثورة .. أو لعل
أمريكا أيضاً تتحرك ضد الثورة ..

وبدأت بريطانيا تتحرك ..
وبدأت أمريكا تتحرك ..

ولكن الثورة لم تخف .. لم تحزن .. أن هؤلاء الشبان
لا يحافون حتى بريطانيا وأمريكا .. أن أعصلمهم لا تهتز ،
ولا تتخلى عنهم .. أنهم لا يزالون يحاولون خداع بريطانيا وأمريكا

.. وقد كنت أعقد أن قوة الثورة في السلاح الذي نحمله .. ولكن هذا السلاح لا يقاس بالسلاح الذي نحمله بريطانيا وأمريكا .. فكيف تستطيع الثورة أن تتحداهما ونستمر في خداعهما .. أي قوة تستند اليها .. أنها لا تستند إلى دولة أجنبية ، ولا تستند إلى جيش أجنبي . ولا تستند إلى أحزاب .. أنها تعتمد فقط على الناس .. على الشعب .. وقد كان الشعب موجودا دائما ، ولكننا لم يكن يعتمد عليه .. كنا نعتد على الملك ، وعلى الإنجليز ، وننسى أن هناك قوة ثالثة .. وربما لم نسمها ، ولكننا لم نكن نؤمن بها ، لم نكن نعرف كيف نستعملها ..

وفي نفس النوع بدأ شبان الثورة يتحدون قرارات حريئة حاسبه ثحايا الاقتصاد القومي .. لقد أصدرنا أمرا يمنع المصانع من التوقف عن العمل . ومنعهم من الاستعانة عن العمال حتى لو ادعى أصحاب المصانع الحسارة ، وبدأوا يخرجون مخدرات البقاعات واليهيات ويوظفونها في المبادئ الاقتصادية ، حتى يتعلموا على محاولة رجال الأعمال تجميد السوق .. و .. و .. و .. والباحية الوحيدة التي مثلوا فيها هي أحداث رعوس الأموال الأحسية التي مصر .. لقد أصدرنا عدة قرارات سمح رعوس الأموال الأحسية عدة امتيازات ورغم ذلك لم يحصل عليهم واحد إلى مصر .. فقد كنا — نحن رجال الأعمال — قد نحضنا في تشويه سمعة الثورة في الخارج ..

ولم تأت الثورة كثيرا رعوس الأموال الأحسية .. استمرت في طريقها واثقة بسمها . مبالكة كل أعصابها . وبلغ من ثقتها أن أطلقت سراحي ..

أني حر الآن .. حر في أن أخرج من البيت . ولكنني مشلول المصمين ، لا أستطيع أن أخرج .. وليس لي نصيب من الدنف إلا هذه المساحة الصغيرة الحامدة التي أطل عليها من نافذة حجري ..

وحر في أن استقل من أشاء من الروار .. ولكن أحدا لا يريد أن يرورنى .. الكلاب الدين اطعمتهم ، وعودتهم على أن يقتلوا مواضع قديمى ، كلهم تخلوا عنى .. لا يريد أحد منهم أن يرورنى .. كل منهم يترا منى وينكر نعمتى عليه ..

وأنا حر في أن أحداث من أشاء في التليفون .. ولكن أحد لا يريد أن يحدثنى ، ماذا أصلت بأحد رد على في جفاف ، أو أنك نفسه عنى .. أنا الذى كنت أعتبر اتصالى بالتليفون مع أحد مئة أتعم بها عليه .. أنا الذى كان لا يوجد من يرد على في التليفون إلا واقفا على قدميه يرتعد من الرهبة ، وبجانبه زوجته تنقص كأنها ترسل الى أغراءها عبر سلاك اتليفون ..

وأنا حر في أن أعمل ، ولكى لا أجيد إلا نوعا واحدا من اساليب العمل .. أسلوب لا أستطيع الآن أن أبشره ..

ن الذرة أفرجت عنى معلا ، ولكن الناس لم يفرجوا عنى .. لقد حبسونى في ديا بعيدة عنهم .. دنيا من فراع هائل .. دنيا ليس بها أحد .. اسى اتمنى أن أرى أى أحد ، حتى لو كان عبد العظيم ..

ولكن أين عبد العظيم ؟

لقد أعتقد المعلن أنه يستطيع أن يخدع الثورة ، فوضع نفسه في خدمتها .. في خدمة السيد الجديد .. ووضع بين يدي هذا السيد كل الأسرار التى اختزنها طوال الأعوام الطويلة التى قضاهما معى .. ليست أسرارى وحدي ، بل أسرار كل رجال الأعمال وأسرار الشركات وأسرار البورصات .. وسكنت عليه الثورة وقربته حتى استنزمت كل أسرار .. وخيل للبعض — في هذه الفترة — أنه أصبح من أصحاب النفوذ في العهد الجديد ، فالتقوا حوله .. يسيرون في ركابه .. ثم اقتنع عبد العظيم نفسه أنه أصبح من أصحاب النفوذ .. أصبح حسين شاكر الثورة .. وثقل عليه الغرور حتى اختل توازنه .. نسي نفسه ..

ونسى الثورة .. وتحرر من حرصه فبدأ يعمل بنفس الأسلوب القديم .. ولم أحتد على عبد العظيم وأنا أسمع عن سطوته الجديدة ، بل تمنيت في قرارة نفسي أن يخدع الثورة .. وأن يستشري فسادها .. لو استطاع عبد العظيم أن يخدع الثورة % ماله — دون أن يعمد — سيخدعها لحسابها ، وسيعيد إليها كلنا نموذجنا وسطوتنا .. وبعد ذلك من السهل القضاء على عبد العظيم .

ولكن مجاة ، وجد عبد العظيم نفسه في السجن .. قضت عليه الثورة لحسابه على فساد القديم والجديد .. وخيرية ؟ !

لقد قامت تنفّس هي الأخرى في المترة التي لمع فيها نجم عبد العظيم .. ثم لما سجن عبد العظيم اختفت .. واختفى معها فريق كبير لا يستطيع أن يعيش إلا في الصوء الملوّث الذي ينطلق من حول أمثال عبد العظيم .. ان حيره الآن زوجة .. مجردة زوجة .. وتقلصت أطماعها الى حد الإكتماء بعشيق يرضى بما بقى منها ، ويجود عليها ببعض الهدايا المئونة .. وزوجها لا يدري لماذا أصبحت زوجته مجرد زوجة .. ولا ينهم شيئاً مما يجري حوله .. لا يهم سر تعاسته .. لماذا لا يضحك الناس في نادي السيارات ؟ .. ولماذا لا يلعبون البليارد ؟ .. ولماذا انكمش الرخاء من بيته ؟ .. انه لا يدري الا انه عيس ، ولا يستطيع أن يمر من تعاسته ..

وبقية الباشوات ، أعضاء مجالس إدارة شركتى ، اين هم ؟ انهم ينطوون مثلى على حقدهم ، وقد قض على واحد منهم وقدم آخر الى المحاكم فانكش البامون ودخلوا جحورهم والناس تتسائل : هل لا يزالون احياء .. وأنا أمتح الجريدة كل صباح فأقرأ أن احدهم قد مات . مدهش لأنه كان لا يزال حيا !!
اننا كلنا أموات ..

اننا مجمدون كالموت ..

ولكن الشيء ائذى فى صدرى لا يموت .. انه حى كما لم
يكن حيا ابدا .. انه بطلق كالمارد ليحاسبنى على عمري ،
حسابا قاسيا لا يرحم فيه شللى ..

وصور حيانى سوائى امام هذا المرد ميتور وبضفط على
صدرى حتى يكاد يكتم انمسي وبصرح حتى يكاد يمزق رئتى ..

ان دكائى لم يعد بمعنى .. لم يعد يستطيع ان يحببى من
هذا المارد .. لقد كنت كلما ارتكبت جريمة وحاول هذا المارد
ان يحاسبنى عليها ، اعتقنها بجريمة اخرى ، افعل فيها ، حتى
امسكنه .. وهذا المارد يحاسبنى اليوم عن كل جرائى ..
ولا يستطيع ان ارتكب جريمة اخرى لأهرب من حسابه ..

لقد كشفت حياتى كلها أمامى ..

حياة بشعة ..

وظنرت الى ما كنت اعتقد انه بحاح وادا بى اكتشاف انه
مثل .. والى ما كنت اعتقد انه نفوذ ، ماداه صعب .. والى
ما كنت اعتقد انه هبة وجلال ، فاذا به بحة كادبة ..
انى انسان فاشل ..

فاشل منذ يومى الاول ..

كل هذا الثراء وكل هذا السلطان الذى حققته .. وانا فاشل
.. فاشل .. فاشل لانى لم استطيع ان اكون سعيدا ..

امى لم اك سعيدا فى اى يوم من حياتى ..

لقد كنت عبقا .. كنت حقودا .. كنت قاسيا .. كنت
عنيا .. كنت اقيم فى قصر .. وكنت اركب سيارة .. ولكنى لم
اكن ابدا انسانا سعيدا ..

كنت آخذ ما اريد .. ولكنى لم اسعد ابدا بما احدثه ..
فقد كنت اعتقد ان السعادة هى فيما اليه يدي ، لا فيما يسمو
بروحى .. وما اليه كنت اعتقد لديه بمحرد ان ارمع عنه اصابعى

.. الأكل .. القصور .. المال .. الأجساد .. كل هذه أشياء
لا تعيش الا لحظات ولا تثير الا شهوة الحيوان ، ثم لا تترك
أثرا وراءها الا فراغا يدوى فيه الجشع والطمع والحدود ..

ان السعادة هي معادة الروح ، وقد كانت روحى شقية ،
فقيرة ، خاوية ..

فصلت فى أن أسعد روحى ..

والإنسان الباجع الذى أعرفه هو محمد أفدى السيد ..
لأنه كان إنسانا سعيدا .. سعيدا برضائه عن نفسه .. باحترامه
لنفسه .. وسعيدا ببيته .. سعيدا بزوجه ، وبابنته .. سعيدا
بالحب .. وأنت أيضا .. أنك سعيدة .. رغم كل شيء .. ورغم
جسدك المشروح الذى لوثته بجنونى .. فأنت سعيدة .. ولا أدرى
ان كنت تزوجت عادل أم لم تتزوجيه ، مان أخبركما قد انقطعت
عنى منذ عدتها الى شبرا .. لم أعد أراك ولكنى أسمع صوتك
فى أعماق سميرى ، ولم أعد أرى عادل ولكنى أسمع صوته فى كل
قرار تصدره الثورة ..

وكل ما أعلمه عنكما أنكما لابد أن تكونا سعيدين .. لأنكما
تعيشان فى الحب ..

نعم ، الحب ..

انى لم أحب ابدا .. هذا صحيح ، انى لم أحب ابدا .. لم
أحب امرأة .. ولم أحب الناس .. لقد عشت لنفسى فقط ..
حتى نفسى لم أحبها .. وإنما عشت لأحلمها بذكائى الشرير ..

نعم ، لم أحبها ..

وقد تمنيت هذا الحب عندهما رايتك .. تمنيت أن أحبك كما
أحبك والدك .. وتمنيت أن أحبك كما أحبك عادل .. ولكنى لم

استطع .. كان شري أقوى من حبي .. فخطمتك .. وحطمت
الحب ..

ولكنى الآن أحبك ..

أحك بعد أن اكتشفت الحقيقة التي تاهت عني .. بعد أن
اكتشفت أن السعادة هي الحب .. حب الناس .. حب المجتمع
.. السعادة ، هي مجتمع سعيد .. انى لا أستطيع أبدا أن
أكون سعيدا وحدي .. يجب أن يسعد الناس من حولي حتى
يؤمنوا بى السعادة .. أن السعادة شعاع ينطلق من النفس
ألتقى شعاع ينطلق من نفوس الآخرين ، نفتم الدورة ، وننولد
السعادة ..

ولكنى عرفت ذلك بعد ما انتهى نصيبى من الدنيا .. لم بعد
بى أيام أروض بها شفتى ..

حبيبتي هدى ..

هذه آخر مرة أدموك فيها حبيبتي .. انى أموت .. انى
أحس بأصابعى تتراخى فوق قلبي .. وأحس بالسطور تغيب
في غبار أشعه بالرماد .. وأتفانى تضيق .. وشيء حاد يسكننى
في ظمئى .. وآلام كالقرصات نهريء لحمى ، وتفكك عظامى ..
انى أحس بالشلل يزحف من فوق سأتى ليستطع بقية جسدى ..
انى أموت ..

لقد تعذت كثيرا قبل أن أموت ..

تعذت بحياتى التي خلقتها انتصارا ..

وتعذت بحياتى بعد الثورة التي خلها هزيمة .. وتعذت
بهذا المارد الذي ينصب في صدري ليحاسبنى .. تعذت بالمرآة
الهائل الموحش الذي ألتفت فيه جثة مشلولة ..

وقد مضى على ستة أشهر وأنا أكتب إليك .. لقد قال لى
الإطباء ان الكتابة تقوى من الموت .. هؤلاء الأعياء .. انهم
لا يعلمون انهم بذلك يغرونى بالكتابة ..
لماذا كتبت اليك ؟ !

انى كما قلت لك لا أطمح فى صفحك .. ان جرائمى أكثر
من الصفح .. حتى صفح الله ..
الله ..

آه لو عرفت ان الله قتل ان أحقاد طرغى فى الحاة .. آه لو آمنت
به .. ملعلى كنت الآن سعيدا .. وربما وجدت الحب .. ولكنى
لم أعرفه .. ولم أومن به .. لمد عشت وحدي .. لا أقدر أن
بشاركنى أحد حيانى ، حتى الله ..
لماذا أكتب اليك ؟ !

لست أدري ..
ولكنى استرحيت وأنا أكتب اليك .. استرحيت وأنا أقول
لك الحقيقة .. كل الحقيقة ..

ربما كتبت اليك ، فقط لتعرفى الحقيقة .. الحقيقة التى كانت
تأثم عنك .. ومن الناس ..

انها رشوة أقدمها لله .. انى ارشوه باعترافى لك .. فهل
يقبل الله الرشوة ؟

سدو انى لا اتوب أبدا .. فانى لا زلت أتحدث بلغة رجال
الأعمال ..

وربما استرحيت أنت أيضا بهذه الحقيقة .. انك على الأقل
تعرفين الآن انه ليس الله الذى شرح حسبك وحطم أمك .. انه
الشیطان .. انه أنا ..
وداعا ..

وداعا يا أملى الكبير الذى لم أصل اليه أبدا ..
وداعا .. وحاولى أن لم تصفح عني أن تفهمينى .. ان

تفهمي اني رجل حاولت ان اكون شريفا فلم أستطع ..
وداعا مرة ثانية ..

لن اقبلك ، حتى لا ألونك .. سأوقع خطابي وشسطناي
محرومتان .. نعم سأوقع خطابي .. انها آخر مرة اضع فيها
توقيعي على ورقة ..

الفصل بعد الأخير

وتوقف حسين شاكر عن الكتابة ، والساعة الثالثة صباحا ..
والنار مشتعلة في المدفأة .. والقصر هادئ ..

ومال برأسه الكبير فوق الوسادة ، واختلط بياض شعره
ببياض الملاء ، فلم يمد يده فوق الوسادة الا كتلة من اللحم
الازرق ، فيها تجاعيد سوداء كأنها عيان .. وفيها شيء بارز
ذو لون قائم كأنه أنف . وفيها قطعتان من اللحم المهمل المعثر
كأنهما شفتان ..

وتنهذ حسين شاكر في صوت محشرج ، كأن تنهيدته خرجت
من ثقب في رقبته .. ثم تحامل على نفسه وعاد يرفع رأسه من
فوق الوسادة .. ومد يدا مرتعشة انتشرت فوقها بقع غامقة
كأنها تراب الزمن .. وأمسك بالورقة وقربها من عينيه
المكدودتين ، وقرأ السطور الأخيرة .. ثم رفع قلمه بين أصابعه
الضعيفة ، وحاول أن يكتب ..

انه سيكتب سطورا واحدا ، ثم يوقع .

يوقع !!

لقد تعود ان يتردد كثيرا قبل ان يوقع .. بل انه في كثير
من صفقاته الضخمة كان يرفض ان يتعامل بتوقيعه حتى يظل

حرا في تمض انشغالاته .. ان توقعه هو أعز ما يملك .. ان كل جهاده وثمره كل حياته تتركز في هذا التوقيع .. ان هذا التوقيع كان يساوى ملايين أجنبيات .. يساوى أقوات شعب كامل .. يساوى سلطانا جبارا ..

والآن سيوقع !!

لماذا ؟ !

وحاول الا يجيب عن هذا التساؤل .. حاول ان يخفض عينيه ويوقع ..

ولكن .. لا .. لا ..

ان رأسه يدوى بكلمة لا .. وصوت انتزع كل ما بقى من فواه يصرخ فيه « لا توقع .. لا توقع .. لماذا تفزع نفسك .. لماذا تترك للتاريخ وثيقة اتهامك .. أنك لا تتهم نفسك فحسب .. أنك تتهم نظاما بنيت مجده فيه .. تتهم مبدأ للحياة عشت به .. دع التاريخ يخدع فيك كما خدع في كثير من العظماء .. دع التاريخ يخدع في هذا النظام وفي هذا المبدأ .. ان المعركة لم تنته بعد ، وسيأتى بعدك ناس يحاولون أن يسيروا في الطريق الذى سرت فيه .. فلا تسد في وجوههم الطريق ، دعمهم يحاولوا أن يعيدوا هذا النظام وينصروا هذا المبدأ ، وربما أفلحوا .. وربما انتصروا على هذه الثورة وانتقموا لك منها .. ان المعركة لم تنته .. انها ليست معركة محصورة في شخصك .. انها معركة تتجدد مع الحياة ، وتنفذ جيلا بعد جيل .. واذا كنت قد هزمت ، سيأتى بعدك خليفة لك قد ينتصر ، ويومها سيكتب عنك التاريخ أنك كنت بطلا .. وأنك كنت زعيما .. وأنك بنيت الاقتصاد المصرى .. لا توقع يا مجنون .. يا مغفل .. ان كنت فقدت أمك في الحياة ، فلا تضع أمك في التاريخ .. ولا تضع أمل من يأتى بعدك من المؤمنين بك ... »

ولمعت عينا حسين شاكرا لمعانا قويا مخيفا كأنه استرد لحظة
 من شبابه الجبار .. ثم مال بنصفه الأعلى وفتح درجا بجانب
 سريره ، وأخرج الأوراق التي استغرقتها خطابه ، ثم اعتدل في
 رفقته ، وأخذ يقرأ فقرات مما كتبه .. وصوت في داخله يصيح :
 « ما هذا الجنون .. كيف كتبت هذا الكلام .. لماذا كتبه ..
 أرضاء لضميرك !! وما جدوى الضمير الآن .. أرضاء الله !! إن
 الله لن يغفر لك ولو ملأت سطح الأرض بهذا الكلام !!
 لا .. لا يا مجنون .. لا تترك وراءك هذه الوثيقة المشينة ..
 دع المعركة تستمر .. دع المعركة تستمر الى آخر الحياة » ..
 وأحس حسين شاكرا بلذة خبيثة تندلع في صدره ، وتحرق
 المارد الذي كان يتولى حسابه ..

أحس بنشوة المعركة التي كان يخوضها طول حياته ..

أحس بالهتد يزفرد في صدره ويهلا حياته .. كان الشياطين
 اجتمعت حوله لتقيم له حفلة ..

وفي قوة طارئة جمع الأوراق بين يديه ، ثم مال بجسده وألقى
 نصفه العلوي من فوق السرير ، وأرتكر بصدره على الأرض ..
 ثم شد نصفه الأسفل — نصفه المشلول — اليه .. فسقطت ساقاه
 في صوت كتيب كأنه دقة على باب الجحيم .. ثم أخذ يزحف
 فوق كوعيه ويشد نصفه المشلول وراءه .. وعيناه لا تزالان
 تلمعان بهذا البريق الخفيف .. ورغوة كرغوة الصابون تسيل
 من بين شفتيه .. الى أن وصل الى المدفأة والتي في نارها بكل
 الأوراق التي كتبتها ..

وظل يرقب النار وهي تلتهم السطور ، وتحيلها الى سواد ..

وانفاسه تنهدج كأنها تخرج من منفاخ مثقوب ..

وسمل سعالاً حاداً ، وخرج من بين شفثيه مزيد من الرغاوى
.. ثم شهق شهقة حادة ، كأنه أصيب بطعنة ..
وجحظت عيناه وسط وجهه الأزرق ..
وسقط على الأرض ..
ومات ..
والنار تأكل الحقيقة ..

❖ تمت ❖